

كتاب يُعنى بإيراد فتاوى وفوائد فقهيّة وأخلاقيّة على مذهب الإمام أبي حنيفة
ومن ثمّ مقارنتها برأي الإمام الشّافعيّ مع بسط الأدلّة في ذلك
من الكتاب والسُّنّة والسّماعات وأقوال العُلماء.

تصنيف

الحسين بن يحيى الزّندويستي الحنفي

المتوفّى سنة ٣٨٢ هجريّة

تحقيق ودراسة

بشير برمان



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب: روضة العلماء ونزهة الفضلاء

Title: RAWḌAT AL-'ULAMĀ' WANUZHAT AL-FUḌALĀ'

التصنيف: فقه - آداب وأخلاق إسلاميّة

Classification: Jurisprudence - Islamic Morals & Manners

المؤلف: الحسين بن يحيى الزندويستي (ت ٣٨٢ هـ)

Author: Al-Houssein ben Yahya Al-Zandawisty (D. 382 H.)

المحقق: بشير برمان

Editor: Bachir Beroman

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut

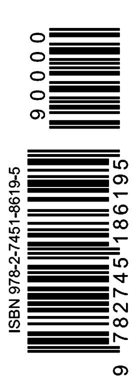
Pages	664	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2020 A.D. - 1442 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

http://www.al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله المنعم بفضل منه وجزيل عطائه، والصلاة والسلام على أفضل خلقه ومن لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

في إطار إحياء التراث العربي والإسلامي الذي آليت على نفسي أن أحقق جزءاً منه ليخرج من طيات الضياع إلى الطبع والنشر؛ كانت هذه الدرة وهذا الكتاب لأحد أعلام الفقه الحنفي من القرن الرابع الهجري، حيث انتقيته من بين عدة مخطوطات لم تحقق وتطبع، وكان من بين أسباب اختياري لهذا الكتاب هو موضوعه وفائدته خصوصاً في عصرنا الحالي.

حيث إن هذا الكتاب يشتمل على عدة فتاوى وفوائد فقهية وأخلاقية متنوعة ومبوبة إلى حوالي مائة باب، وفي كل باب ينتقي المؤلف مسائل فقهية يظهر فيها قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وأئمة الفقه الحنفي ثم يقارنها مع الشافعي، كما يبسط الأدلة في ذلك من الكتاب والسنة والسماعات وأقوال العلماء رحمهم الله تعالى.

وكما هي عادة العلماء في بسط الأدلة من مكارم الأخلاق نجد المؤلف هنا يأتي على ذكر أحاديث نبوية شريفة وأخبار للأنبياء عليهم السلام من الأمم السابقة قد يكون القارئ أول مرة يطالعها، كما أنه يتوسع في بعض الأحاديث ويذكر تتمة لها لم تكن ذكرت من قبل في بعض كتب الحديث، وينقل أسانيد وسماعات تفسيرات لكثير من العلماء ليظهر بعض النكت والفوائد الخفية، إضافة إلى ذلك يبسط المقام فينقل أقوال وأخبار كثير من أقطاب الفكر الصوفي رحمهم الله.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تظهر أهمية الموضوع من عدة نواحٍ ولعل أهمها ما يلي:

* لم يسبق أن تمت طباعة هذا الكتاب، بل وكثير من المخطوطات لم يحقق وما زالت أيدي الباحثين عاجزة عن تحقيقه.
* إن موضوعه ذو فائدة كبيرة ومنفعة عظيمة حيث يتطرق لمختلف جوانب حياة المسلم من المعاملات والعبادات والأخلاق.
* ذكر أحاديث نبوية شريفة ذات فوائد كبيرة لم تكن معروفة عند كثير من الباحثين والقراء من قبل، وهذا يعتبر ذا فائدة علمية لأن كثيراً من المخطوطات وبها ضاعت كثير من النصوص، وهذا الكتاب يحيي لنا جزءا من هذا التراث الضائع.
* افتقار الشعوب الإسلامية في عصرنا الحالي إلى أصول تزكية النفس ومكارم الأخلاق، حيث نجد كثيراً من العوام بجهلهم ينصبون أنفسهم علماء بما قرؤوه من بعض الرسائل فيتحاملون على بعض العلماء بل يتجرأون فيستبيحون دماء المسلمين وغيرهم.
* كان لا بد من إخراج وطباعة وتحقيق المخطوطات التي قدرتها بعض الدراسات بأن منها 70 في المائة مازال لم يحقق ولم يطبع وذلك حتى نخرج من مفهوم أن العلوم الإسلامية يمكن احتواؤها ببعض الأشرطة السمعية أو بعض الرسائل العلمية الصغير فالتاريخ الإسلامي زاخر بملايين المخطوطات وكل ما تم طباعته لحد الآن من مختلف العلوم هو يراوح الثلاثين في المائة فقط.

إن هذه الأسباب وغيرها هو ما دفعنا إلى أن نقوم بتحقيق هذا الكتاب وغيره من الكتب؛ سائلين الله أن يجعله في ميزان حسناتنا.

مسعد/ الجزائر
19/ 08/ 2015

خطة البحث

تتكون الخطة من مقدمة وقسمين وفهارس فنية.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، وهي كالتالي:

القسم الأول: قسم دراسة المخطوط وفيه:

المطلب الأول: ترجمة المؤلف.

المطلب الثاني: عنوانه ونسبته إلى المؤلف

المطلب الثالث: مضمونه ومنهج المؤلف ومصادره

المطلب الرابع: دراسة النسخ.

المطلب الخامس: منهج التحقيق.

القسم الثاني: قسم التحقيق.

حاولت في هذا القسم إخراج هذا المخطوط محققاً مصححاً قدر الإمكان، بحيث يكون أقرب ما يكون إلى حالته التي أخرجه مؤلفه عليها وذلك وفق منهج التحقيق.

كما أنني أثبت قبل قسم التحقيق صورا للصفحة الأولى والأخيرة من النسخ المعتمدة في التحقيق ثم اختتم بفهرس عام يشمل ما يلي:

1- فهرس الآيات القرآنية للنص المحقق.
2- فهرس الأحاديث النبوية للنص المحقق.
3- فهرس الأعلام للنص المحقق.
4- فهرس المصادر للنص المحقق.
5- قائمة المراجع المعتمدة في التحقيق.
6- فهرس الموضوعات.



القســـم الأول

قسم الدراسة

المطلب الأول
ترجمة المؤلف

لم أجد ترجمة كاملة للمؤلف رغم مكانته، لهذا حاولت أن أجمع ترجمة تكون مستوفية قدر الإمكان من مختلف المصادر، وكان كل ما استطعت الوصول إليه هو:

اسمـه:

جاءت ترجمة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في عدة مصنفات منها ما ذكره الباباني في "هدية العارفين" حيث قال: فهو الحسين بن يحيى بن علي بن عبد الله الزندويستي أبو علي البخاري المبتغى الحنفي[1].

وذكره الزركلي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الأعلام" باسم علي وليس الحسين وجاءت ترجمته مقتضبة في هذا المرجع الأخير حيث جاء فيها فقط ما يلي «الزندويستي هو علي بن يحيى بن محمد، أبو الحسن الزندويستي البخاري: فقيه، له "روضة العلماء ونزهة الفضلاء" و"نظم" في فقه الحنفية ذكره العجمي»[2].

أما ابن قطلوبغا في "تاج التراجم" وشهاب الدين أحمد الشافعي في "ذيل لب اللباب" فقالا إن اسمه الحسين وأن عبد القادر[3] ذكره باسم علي. ولعل لفظة "أبو" قبل علي سقطت والله أعلم[4].

كما أن حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون" عرف المؤلف باسم الحسين وليس علي[5]، ومنه قد أثبته باسم الحسين.

---

(1) انظر "هدية العارفين" ج1 ص163. (2) انظر "الأعلام" ج5 ص31.

(3) يقصدان عبد القادر بن محمد الحنفي صاحب "الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية" ج1 ص381.

(4) انظر "تاج التراجم" لابن قطلوبغا ص164، و"ذيل لب اللباب" ص143.

(5) انظر "كشف الظنون" ج1 ص569؛ 928، ج2 ص1584.

مكانتـــــه:

تتجلى مكانة المؤلف من خلال ثناء العلماء عليه والاستدلال بأقواله، حيث استشهد كثير من العلماء بأقواله وفتاويه ونقولاته عن أئمة المذهب الحنفي والإمام أبي حنيفة خصوصا، ومن المصنفات التي استشهدت بكتاب "روضة العلماء" ما يلي:

- حاشية رد المحتار[1].
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق[2].
- فتح القدير[3].
- المحيط البرهاني[4].
- مراقي الفلاح[5].
- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية[6] وغير ذلك.

مؤلفاتــــــه:

للمؤلف عدة مصنفات منها ما اشتهر مثل روضة العلماء ونظمه، ومنه ما تفرد بذكره الباباني على حسب ما طالعت.

ومن مؤلفاته رحمه الله تعالى ما يلي:

- روضة العلماء
- شرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع
- المبكيات

---

(1) انظر "حاشية رد المحتار" ج2 ص12؛ 440، ج5 ص30.
(2) انظر "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" ج1 ص119، ج2 ص99، ج5 ص289.
(3) انظر "فتح القدير" ج2 ص419، ج8 ص451، ج14 ص180.
(4) انظر "المحيط البرهاني" ج1 ص6؛ 8؛ 12؛ 16 وغير ذلك. حيث أكثر المؤلف هنا من الاستشهاد بالزندويستي رحمه الله تعالى.
(5) انظر "مراقي الفلاح" ص248.
(6) انظر "بريقة محمودية" ج5 ص82.

- متحيز الألفاظ للتجانس
- نظم الفقه وغير ذلك[1].

وفاتـــه:

ذكر البابانى في "هدية العارفين" أن المؤلف رحمه الله تعالى توفي في حدود سنة 400 للهجرة[2]، أما خير الدين الزركلي فقد ضبطه بأن وفاته رحمه الله تعالى كانت سنة 382 للهجرة[3].

وتبقى هذه الترجمة مقتضبة لأن من المفروض أن الترجمة الكاملة يجب أن تحتوي على أسماء شيوخه، وتلاميذه، وأبنائه، ومكانته وفضله وثناء العلماء عليه، ومكان دفنه وغير ذلك.

والأكيد أن من أسباب هذا التقصير وعدم وجود ترجمة وافية للمؤلف يرجع لعدم تحقيق أغلب المخطوطات، فبعض كتب التراجم والطبقات مازالت مخطوطة لم تحقق وتطبع بعد ومنها مثلاً "كتائب أعلام الأخيار" للكفوي الذي يحوي ترجمة للزندويستي رحمه الله تعالى.

(1) انظر "هدية العارفين" ج1 ص307، و"كشف الظنون" ج1 ص928، ج2 ص1582؛ 1584.

(2) انظر "هدية العارفين" ج1 ص163.

(3) انظر "الأعلام" ج5 ص31.

المطلب الثاني
عنوان المخطوط ونسبته للمؤلف

تضافرت عدة أدلة أكدت صحة عنوان المخطوط وصحة نسبته للمؤلف، ومنها:

أولاً: من خلال المخطوط نفسه، فقد جاء في مقدمته «دعتني الحاجة إلى أن أكتب روضة العلماء ونزهة الفضلاء، فرأيت من المسائل المتناسبة والأخبار الموافقة والحكايات اللائقة، فأخذت من كل باب ما كان أيسر في الضبط وذلك أعظم الشرط فالله تعالى يوفقني ما قصدت به فإنه نعم الموفق». وهذا العنوان الذي جاء في المقدمة لم يثبت إلا للزندويستي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثانياً: من خلال فهارس الكتب قال حاجي خليفة: إن "روضة العلماء" للشيخ أبي علي: حسين بن يحيى البخاري الزندويستي الحنفي وأوله: «أشكر الله كثيرا وأسبحه بكرة وأصيلا... إلخ»، «صنفت هذا الكتاب وأمليته مراراً على الأصحاب وكان خاليا عن المسائل والفقه والحكم، فسألني بعض من قد ابتلي بالجلوس في المجالس العامة بأن أصنفه ثانيا فصنفت كتابي هذا وجمعت في أول كل باب من أخوات المسائل مقدار خمسة إلى عشرة، ثم بنيت عليها: كتاب الله سبحانه وتعالى، وأخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، والحكايات مجلسا تاما من كل فرق، وسميته روضة العلماء، وكان اسمه الأول روضة المذكرين، وافتتحته بفضل العلم لتزيد رغبة... إلخ». وذكر أبوابا كثيرة[1].

كما أكدت فهارس الكتب تفرد الزندويستي بهذا العنوان، فذكر ذلك الباباني في "هدية العارفين"[2]، وخير الدين الزركلي في "الأعلام"[3]، وابن قطلوبغا في "تاج التراجم"[4] وغير ذلك.

---

(1) انظر "كشف الظنون" ج1 ص928.
(2) انظر "هدية العارفين" ج1 ص163.
(3) انظر "الأعلام" ج5 ص31.
(4) انظر "تاج التراجم" ص164.

ثالثاً: من خلال الاستشهاد بأقوال العلماء ونقلهم لفتاوى الزندويستي رحمه الله، فما نقلوه من فتاوٍ خصوصاً ما نقلوه من كتاب روضة العلماء نجده مكتوباً في هذا الكتاب، نُقول العلماء واستشهادهم بكتاب روضة العلماء مثلما نقل من أحكام الأضاحي في كتاب "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق"[1] واستشهاد المؤلف بفتاوى الزندويستي من "روضة العلماء".

كما استشهد بعض العلماء بفتاوى الزندويستي في أحكام الكفارات والطلاق وبعض القضايا الأصولية مثل الصحابة الذين لا تأخذ منهم الفتاوى ولا يعتبروا فقهاء، كل هذا موجود في كتاب روضة العلماء.

يجدر التنويه إلى أنه في ظل غياب نسخ أخرى للمخطوط فإن حاجي خليفة بعدما نقل نص مقدمة كتاب "روضة العلماء" والذي يختلف قليلا عن مقدمة كتابنا هذا كما بيناه سابقا قال بعده: إن المولى محمد التيروي المعروف بعيشي المتوفى سنة 1016 هـ قد اختصر الكتاب. وهذا يطرح احتمالية ضعيفة بأن كتابنا هذا قد يكون مختصرا لروضة العلماء وليس كتاب روضة العلماء نفسه؛ إلا أن الراجح من خلال ما سبق هو صحة عنوان هذا المخطوط وصحة نسبته للمؤلف؛ خصوصاً وأن النسخة الوحيدة التي اعتمدها فيها كثير من الأخطاء التي حاولت جاهدا أن أصححها حتى يخرج الكتاب بأقرب وأصح شكل كان عليه.

وفي الأخير نشير إلى أنه في حالة وجود نسخ أخرى للمخطوط مستقبلا فإنه يجب إعادة تحقيق الكتاب إذا كانت هناك اختلافات بين النسخ والله أعلم بالصواب.

(1) انظر "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" ج16 ص236.

المطلب الثالث
مضمونه ومنهج المؤلف ومصادره

تضمن موضوع الكتاب متفرقات من المواضيع حاوية بكلها لأغلب مناحي حياة المسلم، قام المؤلف بتقسيمها لحوالي مائة باب ليسهل الوصول إليها.

وكما جاء في "كشف الظنون" فإن الأصل في الكتاب أن يكون مبنيا على الأخلاق والآداب وكل ما يشمل تزكية النفس وكان اسمه حينها "روضة المذكرين" ، إلا أن المؤلف قد سأله بعض من ابتلي بالجلوس في المجالس العامة أن يضيف إليه مسائل فقهية وأحكاما بمقدار خمسة إلى عشرة في كل باب ثم أعاد إخراج الكتاب باسم "روضة العلماء".

ثم سرد المؤلف في كل باب جملة من الأدلة مرتبة على حسب قوتها كما هو متعارف به عند الأصوليين، فيذكر أولاً الآيات الكريمة من كتاب الله عز وجل ثم يردفها بتفسير بعض العلماء.

ثم ينتقل إلى المصدر الثاني من التشريع فينقل أحاديث نبوية شريفة مع سندها ويعقب عليها بالشرح إذا استلزم الأمر، وبعض الأحاديث النبوية تفرد المؤلف بنقلها على حسب بحثي، والظاهر أن هذه الأحاديث الشريفة لم تصل إلينا بسبب ضياع جزء كبير من المخطوطات.

ثم يعرج بعد ذلك على الإجماع إذا وجد والقياس وذلك حسب كل مسألة.

ثم في الأخير يسرد مختلف أقوال العلماء والسماعات والحكماء والحكايات والأخبار. وحتى في نقل أقوال العلماء فإنه يبدأ بأقوال أئمة المذهب ثم تلاميذهم وما يليهم.

وبما أن المؤلف حنفي المذهب فإنه دأب على نقل أقوال أئمة المذهب الحنفي مثل الإمام أبي حنيفة والصاحبين وزفر ثم يقارنها بالمذهب الشافعي.

بعدما ينتهي المؤلف من الأحكام الفقهية ينتقل إلى الأدب والأخلاق فينقل

أقوال وأخبار الزهاد والعباد والمتصوفة وما جاء من كراماتهم في كل باب.

ويبدو أن المؤلف يتقن الفارسية حيث استعان بمصادر وسماعات من اللغة فارسية نقل منها كثيراً من الفوائد.

كما نجد أن نسخة هذا المخطوط مميزة حيث نجد فيها شروحات وحواشي على هامش بعض الصفحات وبين السطور كذلك، إلا أن الشروح التي بين السطور كانت توضيحا وذكرا لمرادفات بعض الكلمات فقط وليست فقرات كاملة كالتي جاءت على هامش كل صفحة.

أما أبواب الكتاب فهي جليلة ومواضعها عظيمة النفع وقد يكرر المؤلف عنوان الباب إلا أنه يذكر أحكاماً وفوائدَ مختلفة عما سبق ذكره، بل ونجد بعض عنوان الأبواب متقاربة ومتداخلة وذلك حتى تبدو متسلسلة ومترابطة والأبواب هي كالتالي:

الباب الأول في فضل العلم

الباب الثاني في فضل العلماء والفقهاء

الباب الثالث في زهد العلماء وبعدهم عن السلطان

الباب الرابع في فضل من علم ولده القرآن أو قرأ بنفسه

الباب الخامس فيما يجب على العالم أن يستعمل أولاً ثم يعلم غيره.

الباب السادس في فضل لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الباب الآخر في فضل لا إله إلا الله محمد رسول الله(1).

الباب السابع في الصبر على الشدة لأجل الدين.

الباب الثامن في الخوف من الخاتمة والخروج من الدنيا بأي حالة تكون.

الباب التاسع في الخوف من الخاتمة.

الباب العاشر في ترك الذنب مخافة الله تعالى.

---

(1) كرر المؤلف هذا العنوان في باب جديد إلا أنه لم يقم بترقيمه وذكر فوائد وأحكاماً جديدة هنا.

الباب الحادي عشر في تفويض الأمر إلى الله تعالى

الباب الثاني عشر من فوات الجنة

الباب الثالث عشر في منادي الموتى وندامتهم ومنادي القبر.

الباب الرابع عشر في رفع الحاجة إلى الله تعالى.

الباب الخامس عشر في إصلاح النفس والقلب.

الباب السادس عشر في ذكر العلماء السوء والقراء.

الباب السابع عشر في الورع وذكر الورعين.

الباب الثامن عشر في محبة الله تعالى بمسائله.

الباب التاسع عشر في فضل الصلاة على النبي عليه السلام

الباب العشرون في شرف النبي عليه السلام

الباب الحادي والعشرون في النجاة من النار بشفاعة

الباب الثاني والعشرون في وزر من آذى مسلماً وفضل من أحسن إليه

الباب الثالث والعشرون فيما يحب لنفسه ويحب للناس

الباب الرابع والعشرون في فضل الوضوء والطهارة.

الباب الخامس والعشرون من فضائل الوضوء بمسائله.

الباب السادس والعشرون في فضل من أذن وسمع الأذان وأجابه.

الباب السابع والعشرون في فضل من سمع الأذان وأجابه.

الباب الثامن والعشرون في فضل التكبيرة الأولى في أي وقت تدرك.

الباب التاسع والعشرون في الصلاة وفضلها.

الباب الثلاثون في الوقار والخشوع في الصلاة.

الباب الحادي والثلاثون في فضل الجماعة ووزر من تركها.

الباب الثاني والثلاثون في فضل من صلى التطوع في الليالي.

الباب الثالث والثلاثون في فضل السجود.

الباب الرابع والثلاثون أيضاً في فضائل السجود

الباب الخامس والثلاثون في وزر من أخر الصلاة عن وقتها.

الباب السادس والثلاثون في وزر من مشى بالنميمة.

الباب السابع والثلاثون في وزر من اغتاب الصائم.

الباب الثامن والثلاثون في اجتناب الشبهات والحرام وإرضاء الخصم.

الباب التاسع والثلاثون في التهيؤ لإجابة ملك الموت.

الباب الأربعـــون في سكرات الموت ومرارته عند الموت.

الباب الحادي والأربعون في ذكر الموت أيضا.

الباب الثاني والأربعون في صفة القبر والتزود إليه.

الباب الثالث والأربعون في سؤال منكر ونكير في القبر.

الباب الرابع والأربعون في الصبر على المصيبة وفضل كتمانها.

الباب الخامس والأربعون في الوفاء بالعهد والوعد واليمين بمسائله وعظاته.

الباب السادس والأربعون في فضل من سقى.

الباب السابع والأربعون في ثواب المريض والبلايا.

الباب الثامن والأربعون في فضل صلة الرحم ووزر من قطعها.

الباب التاسع والأربعون في النهي عن النياحة في المصيبة.

الباب الـخـمســون في الخوف من دعوة المظلوم.

الباب الحادي والخمسون في نصرة المظلوم وقضاء الحاجات.

الباب الثاني والخمسون في فضل بر الوالدين.

باب آخر في معناه لا يجب على الزوج نفقة الزوجة الصغيرة التي لا يستمتع بها.

الباب الثالث والخمسون في الولد الصالح والصدقة عن الموتى.

الباب الرابع والخمسون في حق الجار ووزر من أساء إلى جاره.

الباب الخامس والخمسون في حق الزوج على المرأة.

الباب السادس والخمسون في فضل من ستر عيوب المسلمين.

الباب السابع والخمسون في فضل يوم عاشوراء وصومه.

الباب الثامن والخمسون في فضل يوم الجمعة.

بـــاب آخـــــر في فضل صلاة الجمعة.

الباب التاسع والخمسون في فضل شهر الأصم رجب.

الباب الستون في فضل شعبان.

الباب الحادي والستون في فضل ليلة النصف من شبعان.

الباب الثاني والستون في فضل شهر رمضان.

الباب الثالث والستون في فضل الصوم.

الباب الرابع والستون في فضل ليلة القدر.

الباب الخامس والستون في فضل أيام العشر الأول من ذي الحجة بمسائله وعظاته.

الباب السادس والستون في فضل يوم عرفة.

الباب السابع والستون في فضل الأضحية.

الباب الثامن والستون في فضل الحج والعمرة.

الباب التاسع والستون في زيارة قبر النبي ﷺ.

الباب السبعون في فضل الزكاة ووزر من منعها.

الباب الحادي والسبعون في فضل من بنى مسجدا.

الباب الثاني والسبعون في فضل الصدقة.

الباب الثالث والسبعون في فضل الإيثار والسخاء والجود.

الباب الرابع والسبعون في فضل الغزو والشهداء بمسائله وعظاته.

الباب الخامس والسبعون في وعيد شارب الخمر.

الباب السادس والسبعون في وعيد الزاني.

الباب السابع والسبعون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الباب الثامن والسبعون في التوبة وما فيه.

الباب التاسع والسبعون في فضل ذكر الله تعالى.

الباب الثمـــانـــون في فضل البكاء من خشية الله.

الباب الحادي والثمانون في ذكر سعة رحمة الله.

الباب الثاني والثمانون في حفظ اللسان.

الباب الثالث والثمانون في ذم الحسد.

الباب الرابع والثمانون في فضل قضاء الدين.

الباب الخامس والثمانون في شرف التواضع وذم الكبر.

الباب السادس والثمانون في ذم الدنيا والغنى وفضل الفقر.

الباب السابع والثمانون في الثقة بالرزق.

الباب الثامن والثمانون في حسن الخلق وفضله.

الباب التاسع والثمانون في ذكر أشراط الساعة

الباب التسعون في نفخ الصور وأهوال القيامة.

الباب الحادي والتسعون في قراءة الكتب والحساب.

الباب الثاني والتسعون في الممر على الصراط.

الباب الثالث والتسعون في صفة النار والعذاب.

الباب الرابع والتسعون في صفة أهل الجنة.

الباب الخامس والتسعون في ذم النفاق.

الباب السادس والتسعون في فضل قلة الأكل وذم الأكول.

الباب السابع والتسعون في فضل الصحابة.

الباب الثامن والتسعون في فضل السلام بمسائله وعظاته.

المطلب الرابع
دراسة النسخ

لقد سعيت إلى جمع النسخ الموجودة ومقابلتها مع بعضها، وذلك من أجل إخراج الكتاب بأقرب شكل يريده المؤلف؛ وهذا هو المنهج المعتمد عند المحققين. وأثناء البحث كان كل ما وجدته نسخة جامعة الملك سعود وهي الوحيدة التي اعتمدتها في التحقيق، وهذه معلومات عن النسخة المعتمدة:

رقم الصنف: 218 / ر.ز

الرقم العام: 6820

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد حمدا لله الكريم المتعال، والصلاة على نبيه محمد وآله خير آل، دعتني الحاجة إلى أن أكتب روضة العلماء ونزهة الفضلاء...

آخرها: وكان يقول ما ابتدأ مسلم على مسلم بالسلام إلا ابتدأ عليه ملك الموت بالسلام يريد قبض روحه وما من مسلم يسلم على مسلم إلا ويكثر خير بيته والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. الحمد لله على التمام وللرسول أفضل الصلاة والسلام.

نــوع الخط: تعليق وسط مائل إلى خط الرقعة.

النـــاسخ: علي بن ولي

تاريخ النسخ: وقت الضحى يوم الأربعاء أوائل شهر ذي القعدة سنة 1140هـ.

الحجم: عدد أوراقها 180، بحجم 22 x 15 سم، عدد الأسطر في الورقة 17.

حــالتــه: حسنة.

ملاحظات: جاءت النسخة المعتمدة مليئة بالأخطاء اللغوية، كما أن الأوراق الأولى فيها فوائد أغلبها من "أنيس الجليس" لم ننقلها لخروجها عن الكتاب. أما الحواشي فقد حوت على تعليقات وشروح سننقلها بإذن الله تعالى لارتباطها بموضوع الكتاب.

نماذج من صور المخطوط

صورة لظهر الورقة الأولى من المخطوط (من غير احتساب 7 أوراق فيها فوائد)

الامصطفى [illegible] فقال الصادق

والصدق صلى الله عليه وسلم [illegible] أعاذنا الله تعالى من المكر والخيانة ويسلم عليه

المنكر والنكير في القبر ولا يخبر عليه يوم القيامة ملك الأ[illegible] ويسلم عليه ويبشره برضوان الله

الأكبر قال وما رضوان الله الأكبر قال يرزقه الرؤية وعن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم عليه المسلم وكان يقول ما ابتدأ

مسلم على مسلم بالسلام الا ابتدأ عليه ملك الموت بالسلام يريد قبض روحه وما من

مسلم يسلم على مسلم الا ويكثر خير بيته والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

الحمد لله على التمام والشكر [illegible] أفضل الصلاة والسلام تم الكتاب بعون الملك الوهاب

في أوائل شهر ذي القعدة [illegible] في يوم [illegible] على يد أضعف الحقير

الفقير الطالب علي بن [illegible] غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه وجميع المؤمنين

والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والأحياء منهم والأموات

سنة أربعين ومائة وألف

من الهجرة النبوية

تمم

صورة لوجه الورقة الأخيرة من المخطوط

المطلب الخامس
منهج التحقيق

سرت في تحقيقي لهذا الجزء من هذا الكتاب على ضوء المنهج الآتي:

1. اعتمدتُ على النُّسخة الوحيدة الموجودة لديَّ.
2. كونها وحيدة؛ عزَّزت وحدتها بمقابلتها مع موارد المخطوط، ومصادر المؤلِّف الَّتي نقل عنها، مع إثبات الفروق أو النقص، أو إكمال الخلل في الهامش.
3. نسخت الكتاب وفق قواعد الرَّسم الإملائي المعاصر، مع العناية بضبط علامات التَّرقيم.
4. أصلحت الأخطاء النَّحْوِيَّةِ، كما أنِّي أبدل التَّسهيل المعهود قديماً بالضَّبط الحديث، كقوله: فايدة، إلى فائدة وما في حكمها، دون الإشارة إليها.
5. عزوت الآيات القرآنية ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.
6. خرَّجت الأحاديث النبويَّة، والآثار من أصول المصادر المعتمدة، وقد اتَّبعت في طريقة تخريجي المنهج الآتي:

أ- إن كان الحديثُ أو الأثرُ في الصَّحيحين اكتفيت بتخريجه منهما أو من أحدهما، إلَّا أن يذكر المؤلِّف نصًّا ليس في الصَّحيحين، فأخرِّجه من مصدره الَّذي نقل منه، ثم أعقبه بشاهد الصِّحَّة من تخريجه من الصَّحيحين أو أحدهما.

ب- إذا كان الحديث أو الأثر في غير الصَّحيحين؛ فإنِّي أتتبَّعه من أصول كتب السُّنَّة.

ج- طريقتي في عزو التَّخريج: أبدأ بذكر اسم المصدر مع رقم الجزء ثم الصفحة.

7. ما أضيفه في النَّصِّ المُحقَّق كان لأجل سقط يستوجب إثباته، أو مقترح

لاستقامة المعنى، أو لأجل حاجةٍ ملحَّة، وما أشك فيه من موارد المخطوط أضعه بين معقوفتين هكذا [ ]؛ إِذْ لم أتجاسر على تأكيده للنَّصِّ المُحقَّق؛ حفاظاً على أصله، مع بيان المصدر إن وجد. وأحيانا أترك الجملة ركيكة مع صحة وجهها لغويا ولا أتجاسر فأصححها أو أضيف لها.

8. أوثق الأقوال، والنُّقولات، وكلام أهل العلم قدر طاقتي من مصادرها الأصيلة؛ فإن لم أجد فالفرعية.
9. أنقل الهوامش والحواشي الواردة في المخطوط وبين سطوره قدر المستطاع.
10. ما قام المؤلف بكتابته بخط كبير كبداية الأبواب فقد قمت بكتابته بخط كبير.
11. حين ذكر أقوال المذاهب أو آراء أئمَّتها فإني أعزوها إلى مصادرها الأصليَّة قدر الإمكان.
12. أُعرِّف بالكتب الَّتي مرَّ ذكرها في النَّصِّ المُحقَّق، فإِنْ كانت مطبوعة أحلت عليها إن وجدتها، وإن وقفت عليها مخطوطة ذكرت أماكن وجودها.
13. حال العزو في الهوامش أذكر اسم الكتاب أو اسمه الأول مما يؤدِّي الغرض؛ فإن كان يشتبِه مع غيره ذكرت ما يميِّزه من اسم المؤلِّف أو نحوه.
14. عند الرُّجوع إلى معاجم اللُّغة فإنِّي أذكر الجزء والصَّفحة، والمادَّة الَّتي وردت فيها الكلمة قدر الإمكان.
15. عرَّفت بسائر الأعلام الوارد ذكرهم في النَّصِّ المحقَّق على السَّواء، وقد استثنيت المشهور منهم كالخلفاء الراشدين وغيرهم وذلك لشهرتهم.
16. عرَّفت بالمصطلحات والألفاظ الغريبة إلا ما كان سيقوم المؤلف بشرحه لاحقا في النص، فإنني تركته من أجل عدم التكرير.
17. قمت بوضع فهارس تحليلية، من شأنها أن تخدم الكتاب وتسهِّل الوقوف عليه والإفادة منه، فجاءت ستة فهارس على النَّحو الآتي:
    1- فهرس الآيات القرآنية في النص المحقق.
    2- فهرس الأحاديث النبوية في النص المحقق.
    3- فهرس الأعلام في النص المحقق.

4- فهرس الكتب الواردة في النص المحقق.

5- فهرس المراجع.

6- فهرس الموضوعات.

رموز ومصطلحات معتمدة في التحقيق:

[ـ] المعقوفان: ما أضيفه في النَّصِّ المُحقَّق؛ لأجل سقط يستوجب إثباته لاستقامة المعنى.

﴿ـ﴾ المزهران: لحصر الآيات القرآنية.

((ـ)) قوسان: لحصر الأحاديث النبوية.

«ـ» قوس زاوية: لحصر نصوص وأقوال العلماء.

خط كبير: لإبراز ما أراد المؤلف إبرازه كعناوين الأبواب.



القســـم الثاني

قسم التحقيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما بعد:

حمدا لله الكريم المتعال، والصلاة على نبيه محمد وآله خير آل.

[دعتني][1] الحاجة إلى أن أكتب روضة العلماء ونزهة الفضلاء، فرأيت فيها من المسائل المتناسبة، والأخبار الموافقة، والحكايات [اللائقة][2]، فأخذت من كل باب ما كان أيسر في اللفظ؛ وذلك أعظم الشرط، فالله تعالى يوفقني [لما][3] قصدت به فإنه نعم الموفق.

---

(1) في النسخة "دعاني".
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة "ما".

الباب الأول
في فضل العلم[1]

ولو أن رجلاً وكّل صبيًّا أو معتوهاً في بيع أو شراء أو إجارة أو استجارة فهو على وجهين: إن كان الصبي يعلم العقد ويعقله جاز عقده ولا عهدة عليه لصغره وحجره، وإن كان لا يعلم العقد لا يصح.

وكذلك لو وكله بالإعتاق أو بالطلاق أو بالنكاح: إن علم ذلك جاز وإلا فلا.

ولو أن كلباً جاهلاً أو بازياً[2] أو فهداً أخذ صيداً لا يحل أكله، ولو كان ذلك معلماً حل أكله، وتعليم الكلب ترك الأكل عندنا، وتعليم البازي بالإجابة عند الدعوة فيحل صيد المعلم من الجوارح لفضل علمه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المَائدة: 4]، فالله تعالى أباح صيد الجارحة النجسة المعلمة لفضل [علمها][3]؛ ألا يغفر للعالم الطاهر التقي عثراته لفضل علمه؟ فأفاد علم النجس فكيف علم من الإنسان لغيرٍ ولنفسه.

والنكتة أن الله تعالى أكرم محمدا عليه السلام بكرامات كثيرة لا يحصى عددها مما منَّ عليه، وقد من عليه بالعلم فقال ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّسَاء: 113]، يعني نجوت برحمتي وبالعلم الذي علمتك من الضلالة، فدل أن العلم أفضل الأشياء.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال: «اكتبوا هذا العلم فإن لله

---

(1) جاء في هامش الورقة الأولى تعليقان غير واضحين يبدو أن أحدهما بالفارسية.

(2) البازي: جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم تميل أجنحتها إلى القصر وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول ومن أنواعه الباشق والبيدق. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص116.

(3) في النسخة "علمه".

ملائكة من السماء السابعة يستغفرون للفقهاء والمتعلمين، وأعطاكم الله تعالى بكل حرف ثواب نبي من الأنبياء، ويكتب لكم كل يوم ألف حجة، ويرفع لكم كل يوم عمل ألف شهيد»[1].

وعن أبي موسى الأشعري قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال العلم، فقال أي الأعمال أفضل؟ قال العلم. قال إني لست أسألك عن العلم وإنما أسألك عن العمل. فقال رسول الله ﷺ يا أعرابي العمل القليل بالعلم خير من كثير بغير علم»[2].

وقيل لعبد الله بن المبارك[3]: لو أوحى الله إليك أنك نجوت غدا أو العشية ما أنت صانع اليوم من أعمال الخير؟ قال: أعلم العلم وأعلمه.

وعن وهب بن منبه[4] رضي الله عنه أنه قال: التزم داود عليه السلام العبادة وفارق

---

(1) وجدته فقط في "نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف" ص 48. ومن الروايات المقاربة التي وجدتها ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام: «اكتبوا هذا العلم فإنكم تنتفعون به إما في دنياكم وإما في آخرتكم، وإن العلم لا يضيع صاحبه». انظر "كنز العمال" ج10 ص262.
وكذلك وجدت: «إذا جلس المتعلم بين يدي العالم فتح الله عليه سبعين باباً من الرحمة ولا يقوم من عنده إلا كيوم ولدته أمه وأعطاه الله بكل حرف ثواب سبعين شهيداً وكتب الله له بكل حرف عبادة سنة». انظر "كشف الخفاء" ج1 ص85.

(2) انظر "كشف الخفاء" ج2 ص86، و"جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر ج1 ص192.

(3) ابن المبارك (181 هـ) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. له كتب منها "الجهاد" وهو أول من صنف فيه. انظر "الأعلام" ج4 ص115.

(4) وهب بن منبه (114 هـ) وهب بن منبه الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة=

الناس فأوحى الله تعالى: يا داود اخرج إلى الناس وعلمهم العلم فإن ذلك أفضل من الدنيا وما فيها.

قال: ومن شرفه أن الله تعالى أعطى محمداً ﷺ كل شيء فلم يأمره بطلب الزيادة، وأعطاه الله تعالى العلم وأمره بطلب الزيادة، وأعطاه الله العلم كما قال الله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

ومن شرفه أن المسلمين أجمعوا أن العلم أفضل من العقل لأن العلم صفة من صفات الله تعالى كما يقال الله تعالى عالم ولا يقال الله عاقل، ومن قال كفر. وصفات الله أولى أن تكون للآدمي.

ومن شرفه أن الخاطئ في جميع الأشياء مذموم دون العلم، فإن المفتي إذا أخطأ في الاجتهاد فله أجر لقوله عليه السلام «إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد»[1]، وعليه قوله تعالى في قصة داود وسليمان عليهما السلام إذ مدحهما بعد تقديم سليمان عليه السلام حيث قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبيَاء: 79]؛ فمدح المصيب والمخطئ، فدل أن الخطأ في الاجتهاد لا يضر ولا كذلك في غير العلم.

وعن ابن عباس أنه قال: خير سليمان النبي عليه السلام بين العلم والملك فاختار العلم فأعطي العلم والملك معه[2].

= فقد كفر. وفي "طبقات الخواص" أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة. له عدة كتب. انظر "الأعلام" ج8 ص126.

(1) انظر "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم" ج3 ص322، و"سنن النسائي" ج3 ص461.

(2) انظر "روح المعاني" ج28 ص29.

الباب الثاني
في فضل العلماء والفقهاء
بمسائله و[عظاته][(1)]

رجلان [قارئان][(2)] أحدهما فقيه عالم والآخر ليس بفقيه، من أولى بالإمامة؟ قال أفقههما. ويكره إمامة خمسة نفر لكن يجوز: الأعمى لأنه لا يعلم القبلة بنفسه، ووقت الصلاة بنفسه، والماء والنجاسة، والماء الطاهر والنجس؛ فغيره أولى.

والثاني الأعرابي لقوله تعالى حيث قال: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 97].

والثالث العبد فإنه يكون مشغولا بخدمة مولاه، فيبقى عن تعلم العلم فيكون جاهلا.

والرابع ولد الزنا؛ إذ ليس له أب يعلم العلم فيبقى جاهلاً، لكن يجوز لأن الذنب لوالديه لا له؛ فلا يؤخذ بذنب غيره.

والخامس الفاسق لأنه يكون مشغولا بفسقه فلا يتعلم فرائض الصلاة، وواجباتها، وسننها، وآدابها، ومحظوراتها فكرهت إمامتهم لجهلهم.

ولو اجتمع عند الميت أبوه وابنه والابن أعلم من الأب فالابن أولى لحق علمه، ويدل على ذلك قوله تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزُّمَر: 9].

وعن مكحول الشامي[(3)] أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى خمس

---

(1) في النسخة كأنها "اغطائه". (2) في النسخة كأنها "قاديان".

(3) مكحول الشامي (112 هـ) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، الهذلي بالولاء: فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس، ومولده بكابل. ترعرع بها وسبي، وصار مولى لامرأة بمصر من هذيل، فنسب إليها. وأعتق=

عبادة إلى وجه الأبوين، وإلى المصحف، وإلى الكعبة، وإلى بئر زمزم، وإلى وجه العالم»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «ومن صلى خلف عالم فكأنما صلى خلف نبي، ومن صلى خلف نبي من الأنبياء غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[2]، «ومن أحب العلم والعلماء لم يكتب خطيئة أيام حياته»[3].

وعن علي ﷺ أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «جلوس ساعة عند العالم في مذاكرة العلم خير له من مائة ألف ركعة تطوع، وخير له من مائة ألف تسبيحة، وخير له من عشرة آلاف فرس يغزو [بها][4] المؤمن في سبيل الله»[5].

وعن أنس بن مالك عن النبي عليه السلام أنه قال: «الناس اثنان عالم ومتعلم وسائر الناس همج[6]»[7].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله عليه السلام: «يبعث الله تعالى العباد يوم القيامة؛ ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا بعلمي[8] علمي بكم، فلم أضع علمي فيكم لأعذبكم، انطلقوا إني قد غفرت لكم»[9]. ثم قال عليه السلام: «يقول الله تعالى لا تحقروا عبدا

= وتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيرا من البلدان، واستقر في دمشق. وتوفي بها. قال الزهري: لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا. انظر "الأعلام" ج7 ص284.

(1) انظر "بريقة محمودية" ج2 ص214.

(2) وجدته بدون زيادة: «ومن صلى خلف نبي من الأنبياء غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر». انظر "كشف الخفاء" ج2 ص93، و"تفسير الرازي" ج1 ص459.

(3) انظر "العلل المتناهية" ج1 ص107، و"بريقة محمودية" ج2 ص214.

(4) في النسخة "لها".

(5) انظر "بريقة محمودية" ج2 ص214.

(6) جاء في هامش النسخة شرح غير واضح الراجح أنه ليس من المؤلف، وفيه "أراذل الناس. صحاح"، "ورذائل الناس معناه. . ."

(7) انظر "سنن الدارمي" ج1 ص106، و"تفسير الرازي" ج1 ص471.

(8) في هامش النسخة "إلا بمعرفتي".

(9) انظر "المعجم الصغير" للطبراني ج1 ص354، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص15، و"الموضوعات" لابن الجوزي ج1 ص263، و"بريقة محمودية" ج2 ص214.

آتيته علما فإني لم [أحقره][1] حين علمته»[2].

قال أبو الدرداء سمعت النبي عليه السلام يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه فقها وعلما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم»[3].

قال أبو بكر بن إسحاق في معنى قوله عليه السلام: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم» يعني يبسطون أجنحتهم حتى يمر عليها حملة العلم، إلا أن [أجنحتها][4] لا تحول بينهم[5] وبين أقدامهم[6] لأنهم خلقوا من نور وليس لهم جسم [كثيف][7]، بل لهم جسم لطيف[8].

قال أبو نصر: [الخبر][9] أن المراد من الوضع التواضع، يعني بتواضع الملائكة كما قال الله ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 215]، وقوله ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسرَاء: 24] وعني به التواضع.

وقال أبو الفضل [. . .] البخاري: معناه يسرع الملائكة في صحبة طالب العلم لأن ذا الجناح يسرع في طيرانه.

وعن وهب بن منبه قال لقمان الحكيم لابنه: جالس العلماء لأنك إن تكن عالما يزداد علمك وإن تكن جاهلاً تتعلم منهم، ولا تجالس الجهال فإنك إن تكن عالماً نسيت علمك وإن تكن جاهلاً يزداد جهلك.

وقال هشام بن عروة[10]: تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم.

---

(1) في النسخة "احقر".
(2) انظر "الموضوعات" لابن الجوزي ج1 ص263، و"بريقة محمودية" ج2 ص214.
(3) انظر "سنن الترمذي" ج5 ص48، و"صحيح ابن حبان" ج1 ص289.
(4) في النسخة "اجناحها". (5) في هامش النسخة "الملائكة".
(6) في هامش النسخة "علماء". (7) في النسخة "كيف".
(8) وجاء في هامش النسخة "المحدثون كالعطارين ـ يعرفون الداء ولا يعرفون الدواء ـ، والفقهاء كالأطباء ـ يعرفون الداء والدواء ـ".
(9) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(10) هشام بن عروة (146 هـ): هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، =

وقال حكيم من الحكماء: كل محلة فيها عالم فهم أحياء، وكل محلة ليس فيها عالم فهم موتى.

وعن أحمد بن سعيد أنه يقول صحب رجل [الخضر][1] في طريق البصرة وهو لا يشعر به[2]، فبلغا إلى قرية حولها زروع وكروم، فقال الخضر لصاحبه: ليتني أعلم أن هذه الزروع والكروم لأهلها أو لغيرها؟ فقال صاحبه: وهل يكون بهذا إلا لأهلها، فقال: إذا كان عليهم ديون فهو لصاحب الديون لا لهم.

وبلغا إلى قرية أخرى عامرة فقال: ليتني اعلم أهي عامرة أو خربة؟ فقال له صاحبه: أما يُرى أنها عامرة. فقال الخضر: إن كانوا مسلمين فهي عامرة وإن كانوا على غير ملة الإسلام فهي خربة أخرب من كل خراب.

وبلغا إلى قرية أخرى أهلها في سطوحها[3] وكل واحد منهم يعمل عمله، وقال: ليتني أعلم أن أهل هذه القرية أحياء أو موتى؟ قال صاحبه: أما ترى أنهم أحياء يعمل كل واحد منهم عمله؟ فقال: [أنا لا][4] أعني بحركاتهم بل أعني إن كان فيهم عالم فهم أحياء وإن لم يكن فيهم عالم فهم موتى[5].

= أبو المنذر: تابعي، من أئمة الحديث. من علماء " المدينة " ولد وعاش فيها. وزار الكوفة فسمع منه أهلها. ودخل بغداد، وافدا على المنصور العباسي، فكان من خاصته. وتوفي بها. روى نحو أربعمائة حديث وأخباره كثيرة. انظر "الأعلام" ج8 ص87.

(1) في النسخة "خضرا"، وسوف أصححها في المواضع القادمة في هذه الفقرة تلقائيا.

(2) في هامش النسخة "لا يعرف".

(3) الراجح أنه يقصد سطح الأرض، أي أنهم أحياء يمشون على سطح الأرض.

(4) في النسخة "ان".

(5) وجاء في هامش النسخة "إذا أراد الله تعالى بقوم خيرا جعل بينهم عالما، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾، يعني عالم يعظهم ويهديهم.
وإذا أراد الله بقوم شرا أمات العلماء من بينهم ثم صب عليهم البلاء، لأن موسى عليه السلام [نادى] ربه فقال: يارب [أكانت] أمة محمد لا يعصونك ؟. قال بلى يعصوني، [و] يشتد غضبي، فإذا نظرت إلى مجالس العلماء وعمارة المساجد سكن غضبي مجموعه.
سئل الشعبي عن مسألة فقال لا أدري، فقيل له أما تستحي وأنت إمام العراقيين ؟. فقال إن الملائكة كانوا في الحضرة وقالوا لا علم لنا، فمن أنا ؟.
وسئل أبو يوسف القاضي في مسألة فقال لا أدري، فقيل له إنك ترزق من بيت المال=

. . . .

= كل يوم كذا وكذا ثم تقول: لا أدري؟. فقال إنما ارتزقت بقدر علمي، ولو أعطيت بقدر جهلي لم يسعني مال كل الدنيا.
وسئل أبو بكر العياض عن مسألة فقال لا أدري [فقيل] له: ليس المنبر موضع الجهلة، فقال: علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء.
وحكى أن عالما سئل عن مسألة فقال لا أدري، فقال السائل ليس هذا موضع الجهال. فقال الموضع والمكان لمن يتعلم شيئاً ولا يعلم شيئاً، أما الذي [يعلم] كل شيء لا مكان له، كذا في رد [. . .]".

الباب الثالث
في زهد العلماء وبعدهم عن السلطان

الجمعة لا تصح إلا بإذن السلطان عندنا؛ وكذلك العيد.

وإذا [توجبت][1] اليمين على رجل لم يحلف إلا بأمر السلطان.

ولو أن صغيرة زوجها وليها غير الأب والجد فبلغت مبلغ النساء فاختارت [بنفسها، لكن لا يتمكن اختيار][2] نفسها إلا عند حاكم ذي سلطان.

ولو أن رجلاً اشترى شيئاً فوجد به عيبا بعدما قبضه فأراد رده بذلك العيب؛ فإن أبى البائع أن يقبله لم يكن رده إلا عند الحاكم ذي سلطان لأنه قضاء بالرد والفسخ.

وإذا أسلم أحد الزوجين وأبى الآخر أن يسلم فطلب فراقه لم يكن له ذلك إلا عند حاكم.

وإذا حضر السلطان جنازة ميت فهو أولى بالناس، وفي كثير من الصور يحتاج إليه، وإذنه شرط وحضوره، فإن كان هذا السلطان الذي تتعلق به أحكام الشرع يظهر به ظلم فالتقرب إليه يوجب النار وغضب الرحمن كما قال الله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هُود: 113].

قال الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معناه ولا تجالس الظلمة.

وقال بعضهم: لا تتكلموا معهم.

وقال بعضهم: لا تخالطوهم في أعمالهم.

---

(1) في النسخة كأنها "توجهت".

(2) في النسخة "نفسها لكن ولا يتمكن اختار".

(3) ستأتي ترجمته بإذن الله تعالى في الأبواب القادمة.

وقال بعضهم: معناه لا تعينوا في ظلمهم.

وقال بعض الزهاد: معناه لا تنظروا إليهم.

وقوله تعالى ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: 113] معناه إذا تقربتم إلى السلطان ووافقتم معه في ظلمه فأنتم في النار.

وقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَر: 54] معناه لا ينصركم الله تعالى على شيء بعدما وافقتم الظلمة في [ظلمهم][1].

وقد جاء عن أنس أنه قال: قال عليه السلام: «العلماء أمناء الرسل والناس ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوهم فاجتنبوهم»[2].

وعن أبي القاسم بن منصور أنه مرض خلف بن أيوب[3]، فذهب [إليه][4] الأمير عائدا، فلما سمع حسه حول وجهه، ودخل عليه داود فقال له ابنه معتذرا إلى الأمير إنه لم ينم طول الليلة فنعس الآن، فناداه خلف يا بني إن الكذب حرام لست بنائم لكن رأيت في الأخبار أن الكلام مع الأمراء حرام ولم أر أن النظر إليهم حرام أو حلال فحولت وجهي لأن لا أراه وأفعل أمراً أشك فيه وفي جوابه، فلما [سمع][5] داود رفع وجهه إلى السماء بالدعاء وقال: إنه يتقرب بالإعراض عني فإني أتقرب إليك بالنظر إلى وجهه فاغفر لنا جميعاً يا غفار، ثم انصرف فقيل له [لقد توفي][6] داود فرأوه، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي بدعائي الذي دعوت عند خلف بن أيوب حيث أعرض عني بوجهه.

عن ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله العلم يطلب به وجه الله والدار الآخرة ولم يأخذ [عليه][7] جعلا

---

(1) في النسخة "ظلمه".

(2) وجدته بروايات مختلفة منها ما جاء بلفظ «على عباد الله» بدل «والناس». انظر "كنز العمال" ج10 ص204، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص132، ج2 ص499.

(3) خلف بن أيوب (نحو 215 هـ): من أصحاب محمد بن الحسن وزفر. وخرّج له الترمذي. انظر "تاج التراجم" لابن قطلوبغا ص166، و"سير أعلام النبلاء" ج9 ص541.

(4) في النسخة "به".

(5) غير واضحة في النسخة.

(6) غير واضحة في النسخة.

(7) في النسخة كأنها "علمه".

ولم يشتر به ثمنا وبذله للناس، وذاك يستغفر له حيتان البحر ودواب الأرض على الغبراء والطير في جو السماء، ويقدم على الله سيدا شريفا حتى يوافق المرسلين. ورجل آتاه الله علما فيبخل به على عباد الله تعالى وأخذ به جعلا واشترى به ثمنا قليلا فذاك يلجم يوم القيامة بلجام من نار ومناد ينادي على رؤوس الخلائق والأشهاد يا أهل الجمع إن هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى علما في الدنيا فيبخل به على عباده وأخذ جعلا عليه واشترى به ثمنا قليلا، فيكون كذلك حتى يفرغ الله من الحساب»[1].

وعن الحسن بن أبي بريدة[2] قال: «مثل [عالم][3] السوء الذي يعلم الناس وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء الناس وتحرق نفسها»[4].

وقال النبي عليه السلام: «واعظ القول ضائع كلامه وواعظ الفعل نافذ سهامه»[5].

(1) انظر "المعجم الوسيط" ج7 ص171، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص120.

(2) لم أجد له ترجمة.

(3) في النسخة "العالم".

(4) انظر "المعجم الكبير" ج2 ص165، و"كنز العمال" ج10 ص186.

(5) انظر "تفسير حقي" ج1 ص247.

الباب الرابع
في فضل من علم ولده القرآن أو قرأ نفسه

ولو أن إنساناً أجر نفسه في عمل يفرض عليه لم يجز كالولد إذا أجر نفسه لوالده ليخدمه لأنه يفرض عليه خدمة والده، وكذا المرأة إذا أجرت نفسها لزوجها لتخدمه لأن خدمة الزوج وخدمة بيته فرض عليها.

روي عن النبي ﷺ أنه جعل على بنته خدمة بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فرضا، فبان أن من أجر نفسه في شيء يفترض عليه لم تجز الإجارة كما لو استأجر عالماً ليعلم ولده القرآن أو العلم لم يجز عندنا وعند الشافعي يجوز.

وكان الإمام أبو محمد عبد الله بن الفضل يقول: كان هذا الجواب في الزمن الأول حيث كان الناس يرغبون في أعمال الخير والبر بغير بدل ويقاتلون على الإمامة والأذان والتعليم ليحصل لهم الثواب، وأما في زماننا هذا يجوز للمعلم والمؤذن والإمام أن يأخذ لذلك أجرا لأنا لو لم نجوز لا يوجد أحد يفعل هذه مجانا لأجل الله تعالى؛ فيختل الأمر فجوّز، فقد يجوز أن يتغير الجواب بتغير الأحوال في الناس، ألا يرى أن أبا حنيفة رحمه الله قال: لبس السواد لا يجوز لأنه لا يلبس ذلك في زمانه، وقالا في زماننا لبس السواد جائز لأن الناس لبسوه وافتخروه[1]، وكذا في حد الشرب كان في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه أربعين فوافى خلافته ثمانين وبقى على ذلك.

ويدل عليه أن في ابتداء الإسلام كان لا يجوز الأكل في ليالي رمضان بعد [العتمة][2] ولا المباشرة في أزواجهم ليلاً في رمضان مدة، فأحل الله تعالى ذلك وقال الله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ [البَقَرَة: 187]، فبان أن الأحكام تختلف باختلاف الزمان والطبائع، وقع ذلك عند أكثر الفقهاء، لا يجوز الأجرة

(1) انظر "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" ج5 ص230.
(2) في النسخة "القيمة".

في الأذان لما روى أن رجلاً قال لعمر: يا عمر إني أحبك فقال: أنا أبغضك فإنه بلغني أنك تؤذن وتأخذ أجرا، فإن آخر ما عهد إلينا رسول الله أن لا تتخذ مؤذنا يأخذ على الأذان أجراً؛ فدل أن ثواب الأذان والتعليم في العقبى كثير لا يجزي فيها أجرا لأن الله تعالى [يعدهم][1] أجرا بالوفاء حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فَاطِر: 29-30]، معناه غفور يستر علينا عيوبنا في الدنيا، شكور يعني لم يفضحنا في العقبى ويرضى عنا لما ذكرنا من تلاوة القرآن وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ويل لأولاد أمتي من آبائهم لا يعلمونهم القرآن [لفرض][2] فينشؤون جهالاً، أنا بريء من أولئك ثلاث مرات»[3]، يعني من الآباء[4].

---

(1) غير واضحة في النسخة.

(2) مترددة في النسخة بين "لفرض" و"لغرض".

(3) لم أجد له تخريجاً.

(4) جاء في هامش النسخة " قيل لرسول الله ﷺ ما أعقل هذا النصراني فقال «[. . .] وإنما العاقل من وحد الله تعالى وعمل لطاعته. وقيل [. . .] العقل الإيمان أما سمعتم قول الله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: 10]».
وقيل لأعرابي: فلان أحمق مرزوق، فقال هذا الرجل الكامل. روي في الخبر أن الله تعالى إذا أراد أن يزيل نعمة عبد فأول ما يسلب عنه عقله. قيل من أعجب الأشياء جاهل يسلم بالتهور وعاقل يهلك بالتوقي.
وحكى [. . .] الدولة أن رجلاً كان على عاتقه صبي عليه قميص أحمر وهو ينادي: من وجد صبيا عليه قميص أحمر، فقيل أليس على عاتقك فلمسه، فقال أحسنت كنت نسيته.
راغب أصفهاني اصطحب أحمقان في طريق فقال أحدهما للآخر: تعال [. . .] بالتركي أي نكذب فإن الطريق تقطع بالحديث، فقال أحدهما: أنا [. . .] قطاع غنم [. . .] بلحمها ودرها وصوفها، فقال الآخر وأنا [. . .] قطاع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك شيئاً منها، فقال: ويحك هذا من حق الصحبة وحرمة العشرة، فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما، ولما [اشتبكا] بالأطراف فرضيا بأول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما، فطلع عليهما شيخ بحمارين عليهما زقان من عسل فحدثاه [بحديثهما . . .] بالزقين العسل وفتحها حتى سال العسل على التراب، ثم قال: صب الله دمي مثل هذا العسل إن لم يكونا أحمقين. من [المستطرف]" .

وعن مصعب بن سعد عن أبيه عن النبي [عليه السلام][1] أنه قال: «خياركم من تعلم القرآن وعلم ولده أو غيره. ـ قال سعد ـ وأقعدني في مجلسه أقرئ»[2].

وعن ابن عباس أنه قال: من اتبع القرآن وقرأه وعلم ولده هداه الله تعالى من الضلالة في الدنيا ووقاه سوء الحساب في الآخرة؛ وذلك أن الله تعالى قال ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123].

وعنه ﷺ أن النبي عليه السلام قال: «من حفظ القرآن ثم نسيه جاء يوم القيامة وهو أجذم»[3] يعني مقطوع اليدين[4].

وقيل إن إبليس اللعين يرسل جنوده إلى إضلال الخلق، فواحد يجيء ويقول إني وقعت فلاناً في الزنا، والآخر يقول إني وقعت فلاناً في الشرب، والآخر يقول إني أوقعت فلاناً في الدم من غير حق فيقول ما فعلتم اليوم، وواحد يقول إني أمسكت صبيًّا من التعلم فيقول فعلت ما فعلت [فيضمه][5] من النشاط، وهذا ظاهر أن أعظم الكبائر ما يفرح به إبليس اللعين وأعظم الأعمال أجرا ما يغتم به اللعين، فقراءة القرآن وتعليمه يخزيه وينكسه[6].

---

(1) في النسخة "عليهم".

(2) وجدته بلفظ «وعلم القرآن» بدل «وعلم ولده أو غيره»، انظر "سنن الدارمي" ج2 ص529.

(3) انظر "سنن الدارمي" ج2 ص529، و"سنن أبي داود" ج1 ص549.

(4) انظر "لسان العرب" ج12 ص86.

(5) في النسخة "فيصمه"، وجاء في هامش النسخة وبين الأسطر "إبليس".

(6) جاء في هامش النسخة "عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «الكيس» يريد به العاقل [الحازم] المحتاط في الأمور «من دان نفسه» أي أذلها واستعبدها.
وقيل أي يحاسبها في الدنيا أنه عمل خيرا أم شرا، فإن كان خيرا حمد الله وإن كان شرا تاب واستغفر وندم.
وقيل أن يحاسب في الآخرة «وعمل لما بعد الموت» أي عمل عملا ينفعه فيما يلقاه بعد موته، «والعاجز من أتبع نفسه هواها» وأعطاها ما أرادت من المحرمات، «وتمنى على الله» يعني العفو والمغفرة والجنة من توبة واستغفار «الأماني» بتشديد الياء جمع أمنية، أي وهو مع تفريطه في جنب طاعة الله واتباع شهواته، لا يجتهد في الاعتذار والاستغفار، بل [يتمنى] على الله أن يعفو عنه ويكرمه في الدنيا والآخرة. [مصابيح]".

الباب الخامس
فيما يجب على العالم أن يستعمل أولاً ثم يعلم غيره

رجل له ولد ذكر وغلام صغيران ومات [عنهما][1] ولم يعلم أيهما ولده [فماله][2] يوضع في بيت البيت[3].

ولو أن رجلاً وضع ولده الصغير في المسجد ليلاً ثم ندم فرجع ليرفعه فإذا فيه ولدان ولم يعرف ولده [من][4] غيره فرفعهما؛ ثم مات قبل أن يظهر له ذلك لم يصر ماله ميراثاً لأحدهما، بل يوضع في بيت المال وينفق الإمام عليهما من بيت المال حتى يبلغان.

ولو أن رجلين أودعا عند رجل أحدهما غلاماً والآخر جارية ثم تنازعا عند الأخذ، فقال أحدهما أودعت غلاماً وقال الآخر بل أنا؛ فكل واحد منهما يدعي الغلام ولم يكن لهما شهود، والمودع [. . .][5] الجارية أودعني هو بعينه وهو ينكر ويدعي الغلام كما هو الآخر؛ والمودع يقول لا أعرف أيهما أودعني الغلام يدفع الجارية لمن أقر أو يسلم الغلام إليهما بعد تحليفهما، ويضمن المودع لكل واحد منهما نصف قيمة الغلام لأنه ما عمل بما علم، وكذا واضع الولد في المسجد، فالذي لم يعمل بما علم يعاقب في الشرع فكيف في الآخرة.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا﴾ [الصَّف: 2-3] أي بغضا، معناه أن تكون [تاليا][6] بلسانك فارا في قلبك.

---

(1) في النسخة "منهما".
(2) في النسخة "مال".
(3) هكذا جاء في النسخة، والراجح أن الناسخ حرف "بيت المال" لأن هذه المسألة تشبه المسألة الآتية. والله أعلم.
(4) في النسخة "من".
(5) في النسخة كأنها "اقتران" لكن المعنى لا يصح بها.
(6) في النسخة "تلا".

واختلف المشايخ في نزول هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في شأن الصحابة حيث قالوا: لو فرض الله علينا [الغزو نقاتل الكفار،][1] فلما فرض الغزو وغزوا فأصابتهم الجراحات هربوا من القتال حتى قال عليه السلام: «[من][2] فارق الصف فليس منا»[3] فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل نزلت هذه الآية في شأن اليهود حيث قالوا إن محمداً نبي الله ورسوله وما آمنوا، فنزلت هذه الآية، فكل من لم يعمل بما علم يدخل في هذه الآية.

وعن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار[4] قال: رأيت في التوراة أن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته عن القلوب كما زالت القطرة عن الصخرة.

وعن مكحول الشامي وعطاء الخرساني أنهما خرجا يريدان هشاما [بالرصافة][5]، فلما بلغاه دخلا المسجد فإذا هما بحصيف، أي فقيه جالس في المسجد، فلما رآهما قال: إن العلماء إذا علموا عملوا؛ فإذا عملوا شغلوا؛ فإذا شغلوا فقدوا؛ فإذا فقدوا طلبوا؛ فإذا طلبوا هربوا فرجعا إلى رواحلهما وقال ما أحسن ما وعظنا.

وقال الحكيم: قول بلا عمل كقوس بلا وتر، وقول بلا عمل كسحاب بلا مطر، وقول بلا عمل كشجر بلا ثمر.

وعن علي بن أحمد بن عبد الله النسفي أنه قال: لما توفي شقيق البلخي[6] رحمه الله قالوا للتلميذ حاتم الأصم[7] أنت خلف شيخنا فعظنا، فقال

---

(1) غير واضحة في النسخة.
(2) في النسخة "في".
(3) لم أجد له تخريجاً.
(4) مالك بن دينار (131 هـ): مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة. انظر "الأعلام" ج5 ص260.
(5) في النسخة "بالوصافة".
(6) شقيق البلخي (194 هـ) شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، أبو علي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان. ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال (الصوفية) بكور خراسان. وكان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان (بما وراء النهر). انظر "الأعلام" ج3 ص171.
(7) حاتم الأصم (237 هـ): حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأصم: زاهد،=

أمهلوني سنة أصلح أمري، فدخل داره وعبد الله سنة، ثم طولب[1] فقال أمهلوني سنة، فلما تمت السنة الثانية كان بحذاء داره طيور فخرج إليهم فطرن خوفا، فرجع حاتم إلى منزله ودخل داره ورد الناس، فلما تمت السنة الثالثة وجاء القوم إليه خرج إلى تلك الشجرة وعليها صلصل ـ أي طيور ـ، فقرب إليهن حتى مسح يده على ظهورهن فلم يطرن لم يبرحن منه، فرجع إلى داره فرحا وأجابهم بما سألوا منه وأثر عليهم الوعظ حيث تابوا بأجمعهم.

فسألوا عن تسويفه لهم وتأثير وعظه فقال [توقفت][2] ثلاث سنين حتى عملت بما تعلمت وجربت نفسي ما بين الطيور فآمنوا من شري، فتوجهت إليكم فاثر عليكم قولي إذ قدمت العمل على العلم.

حكي أن أبا حفص الكبير[3] لما انصرف من العراق اجتمع الناس من أهل [تجارة] وسألوه أن يجلس للعامة، فقال: نعم، ودخل داره ولبس الثياب واستعد، فقالت له امرأته إلى أين قصدت؟ فقال: أذكر العامة، فقالت: هل عملت بما تعلمت حتى تخرج إلى الناس فتعظهم؟فقال: أيتها المرأة رميت سهما نافذا، وخرج إلى الناس فصاح بهم وقال: انصرفوا فإني وجدت في الدار معلماً أحتاج إلى علمه، ثم دخل الدار وجعل يعبد الله تعالى ويستعمل العلم ثلاث سنين، فلما تمت ثلاث سنين طولب بالتذكير فشاور امرأته فقالت له: هل عملت بما علمت؟ فقال: عملت بأكثرها. فقالت: هل تعرف لنفسك خصما؟ فجلس أبو حفص يتفكر ثم قال: خرجت يوما قبل [خروجي][4] إلى العراق إلى قصر المجوسي بدرب سمرقندي، وكنت أطوف مزارعهم فأخذت منها باقة كراث[5]

= اشتهر بالورع والتقشف. له كلام مدون في الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح. مات بواشجرد. وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة. انظر "الأعلام" ج2 ص152.

(1) في هامش النسخة "بالوعظ".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا اقرب شكل لها.

(3) أحمد بن حفص، أبو حفص الكبير. كان في زمن محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح. انظر "تاج التراجم" ص94.

(4) في النسخة "خروج".

(5) الكراث: عشب معمر من الفصيلة الزنبقية ذو بصلة أرضية تخرج منها أوراق مفلطحة=

وأكلتها، فلا أعرف لنفسي خصما غير هذا. فقالت: ارضِ خصمك أولاً ثم عظ الناس، فخرج أبو حفص يطلب صاحب الدين فإذا هو مجوسي، فأخبره بصنعه فاستحل منه، فلم يحله. فقال: أبو حفص لك عشرة دراهم واجعلني في حل، فأبى حتى قال له لك عشرة آلاف درهم، فقال المجوسي حتى استأذن أهلي، فذهب إلى منزله فأخبر أهل بيته، فقالت أهله إن هذا دين حسن حق حيث يعطيك هذا الرجل عشرة آلاف درهم في كراثة واحدة فدخل في دينه، فأخبر المجوسي أهل القرى وكانوا أكبرهم المجوسي، فتبعه من القرى سبعون نفرا من المجوس من أقرباء ذلك المجوسي حتى وقفوا على أبي حفص وقالوا اعرض علينا فعرض عليهم فأسلموا بأجمعهم ببركة [عمله][1] بالعلوم.

ثم خرج إلى الناس وصعد المنبر فأول ما تكلم بهذا الحديث، ثم قال أبو حفص: عمل واحد ينفع الألف، وقول الألف لا ينفع لواحد.

وعن أبي نصر أحمد بن الشرف رحمه الله قال: كنت مع أبي حفص فسأله رجل عن فضل الأيام البيض، فلم يجبه حتى مضى مدة، ثم قال: جيئوا بالرجل الذي سأل فضل الأيام البيض، فلما حضر أجابه. فقلت له: لم [لم تجبه][2] مسرعاً؟ فقال: ما كنت استعملت، فالآن صمت الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ثم أجبته لينتفع به، فإنه لو علمته ذلك قبل استعمال لم ينتفع به.

عن أبي محمد يحكى عن شقيق البلخي رحمه الله أنه كان في وقت شبابه رأس الشبان، فمر مع أصحابه يوما على باب بيت مجوسي، فقال لأصحابه حتى [ندخل][3] هذا الموضع، فدخل شقيق فإذا به شاب جميل يعبد النار، فقال شقيق للشاب: لم تعبد النار ولا تسلم لخالق النار وتصون حسن وجهك من النار؟ فقام الشاب ولطمه، فخرج فلما تاب وأناب شقيق البلخي رحمه الله وغير حاله اتفق ممره

= ليست جوفاء وفي وسطها شمراخ يحمل أزهارا كثيرة وله رائحة قوية ومنه الكراث المصري وهو كراث المائدة والكراث الشامي وهو أبو شوشة. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص480.

(1) مترددة في النسخة بين "عمله" و"علمه".

(2) في النسخة "اجبته"، ولعل الراجح ما بينته.

(3) في النسخة "تدخل".

مع أصحابه بعد مدة على ذلك البيت وهو بيت المجوسي، فقال حتى أدخل هذا فانظر، فدخل فإذا فيه رجل يعبد النار، فقال له شقيق: لم لا تسلم وأنت رجل حسن الوجه؟ فقال: اعرض علي الإسلام، فعرض عليه وخرج معه نادما بما فعل في مدة عمره، وفرح شقيق ثم قال له: وقتئذ دخلت كذلك هاهنا فكان فيه شاب فوعظته ودعوته إلى الإسلام فلطمني وما أجابني، فأين هو؟ فقال ذلك الغلام أنا، وقال: الحمد لله. فقال: فعلت ما فعلت والآن أسلمت؟ فقال له: لأنك كنت يومئذ نجساً وأنا كنت نجساً، والنجس لا يطهر النجس، فالآن صرت طاهرا فطهرت طهارتك نجاستي. يومئذ كنت ظلمة وأنا ظلمة، والظلمة لا تنور الظلمة فالآن صرت نورا فنورك نور ظلمتي، فنورك الله في الدارين كما نورتني. كان عملك يومئذ قولا فلم ينفعني، فالآن صار عملك فعلا فنفعني.

قال أبو الفضل محمد بن نعيم كان قاض يقضي للعامة قريبا من محمد بن واسع[1] فيوبخ جلساءَه ويقول: ما لي أرى قلوبكم لا تخشع؟ وعيونكم لا تدمع؟ وجلودكم لا تقشعر؟ فقال محمد بن واسع: يا عبد الله ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إن الذكر إذا خرج من القلب وقع في القلب.

ذكر أبو الفضل أحمد بن محمد [الرهماني][2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن [سائحا][3] دخل على عالم فسلم عليه فخافت في رد السلام، ودخل عليه غيره فسلم فرده جهرا. فصاح الفقير فقال: رحمك الله ما تقول في السلام على نوعين أم أكثر؟ فقال: بل نوع واحد. فقال: يا شيخ أراه عندك على نوعين. فخجل الشيخ. ثم قال الفقير: أسألك عن مسألتنا ما تقول فيمن حلف لا يدخل داراً [بنيت][4] لغير سنة الله تعالى فدخل دارك هذه، حنث أم لا؟ ومراد الفقير من دار بنيت لغير سنة أن

(1) محمد بن واسع (123 هـ): محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر: فقيه ورع، من الزهاد. من أهل البصرة. عرض عليه قضاؤها، فأبى. وهو من ثقات أهل الحديث. انظر "الأعلام" ج7 ص133.

(2) غير واضحة في النسخة، وهذا أقرب شكل لها. ولعله يقصد "الهمذاني" (384 هـ). انظر "الأعلام" ج3 ص188.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) في النسخة "بنت".

يكون مرتفعا عاليا وهذا مكروه، فتحير الفقيه. فقال تلاميذه للسائح: اذهب فإنك قد شغلتنا. فقال: ما مثله ومثلكم إلا كمثل ضال ضل الطريق يسترشده عن ضال مثله أيرشده أم لا؟ فأستاذكم ضل طريق الآخرة وأنتم تطلبون منه الهداية؛ فكيف يهديكم؟ ثم قام وخرج.

وعن إبراهيم بن أدهم[1] أنه أتى مجلساً بالري؛ فإذا ذلك العالم جالس على سرير مرتفع بالجلال والكبر، فلما فرغ تعوذ إبراهيم ثم قرأ وقال ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المُلك: 1][2]، الذي خلق السرير. فقال الفقيه: أخطأت. فقال: الذي خلق الفرس والاسطام. وكانت دابة الفقيه عند باب المسجد. فقال: أخطأت ياخرساني. فقال: علمني كيف. قال ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [المُلك: 2]. قال: إذا علمت أنك خُلقت للموت فما هذا التعظيم والتكبر والجلال؟ فصاح [وصرع][3] وقال: رميت سهما معترضا نافذا، فتاب وأناب إلى الله تعالى. وخرج مع إبراهيم سائحا، وترك داره وماله لأهله حتى مات. فلما كان قول إبراهيم من القلب وقع على القلب.

(1) ابن أدهم (161 هـ): إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز. وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم. وكان يلبس في الشتاء فروا لا قميص تحته ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن. وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل. انظر "الأعلام" ج1 ص31.

(2) ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك: 1-2].

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

الباب السادس
في فضل لا إله إلا الله محمد رسول الله

إذا أذن الكافر هل يصير مسلماً بنفس الأذان لم لا؟ إن كان في وقت الصلاة يصير مسلماً لأنه أتى بدليل الإسلام في وقته وأجرى كلمة الشهادة على لسانه معتقدا بتصديقه، فصار مسلماً . وإن كان في غير وقته فلا. وكذلك الحكم في الصلاة، وإن صلى في الجماعة يصير مسلماً .

ولو قال الذمي: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ولم يزد عليه شيئاً لا يصير مسلما ، لأن أهل الكتاب يقولون: نحن نؤمن بمحمد ولكن لم يخرج، فإن قال: آمنت بمحمد الذي خرج ومضى في سبيله صار مسلماً .

ولو أن الكافر قرأ القرآن فإنه يُسأل هل آمنت بما في القرآن؟ فإن قال: آمنت به صار مسلماً وإلا فلا.

ولو قال الكافر: لا إلٰه إلا الله ولم يزد عليه شيئاً لم يصر مسلماً، لأن الإسلام هو الإيمان بالله، ورسله، وكتبه، وملائكته. وأكثر الكفار يؤمنون بالله تعالى ولا يؤمنون بالرسل والكتاب، والإسلام هو الإيمان بهذه الأشياء كلها لقوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البَقَرَة: 285][1] إلى قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: 285]. وفي نزول قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: 18][2] إلى آخره.

قال الكلبي: لما ظهر رسول الله عليه السلام بالمدينة فقدم حبران[3] من

(1) ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: 285].

(2) ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: 18].

(3) الحبر: العالم (ج) أحبار. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص317.

اليهود من الشام، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة محمد ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي عليه السلام قالا له: أنت محمد عليه السلام؟ قال: «نعم». قالا: آنت أحمد؟ قال: «أنا أحمد». قالا: نسألك عن شهادة إن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقنا بك، قال عليه السلام: «سلاني». قالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فنزلت هذه الآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: 18] الآية، فأسلم الرجلان، فصدقا النبي عليه السلام[1].

وعن [سعيد][2] بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، فلما نزل قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: 18] إلى آخره خرت الأصنام سجدا لله تعالى نحو القبلة.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: شكا عثمان بن عفان من عمر إلى [أبي][3] بكر فقال: يا أمير المؤمنين سلمت على عمر لم يرد سلامي. فقال أبو بكر علي بعمر. فأتي به. فقال أبو بكر: يا عمر أما تذكرت أن رسول الله كان جالسا على رأس بئر في كرم عمه العباس بن عبد المطلب في إزار مكشوف الرجلين والظهر والبطن، فدخلنا فلم يغط، فدخلت أنت فلم يغط، فدخل عثمان فغطاهما. فقلنا في ذلك. فقال «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»[4]. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين. فقال أبو بكر: لم لم ترد عليه السلام حين سلم عليك. قال عمر: [والذي][5] خلقني ما سلم علي عثمان قط. وقال عثمان:

---

(1) انظر "تفسير القرطبي" ج4 ص41، و"عمدة القارئ" ج2 ص13.

(2) في النسخة "سعد".

سعيد بن جبير (95 هـ) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا. قتله الحجاج بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. انظر "الأعلام" ج3 ص93.

(3) ساقطة من النسخة.

(4) انظر "صحيح مسلم" ج7 ص116، و"صحيح ابن حبان" ج15 ص336.

(5) في النسخة "بالذي". وسوف أصححها في الموقع القادم تلقائيا.

[والذي] خلقني لقد سلمت عليه. فقال: أبو بكر: إني أعلم أنكما صادقان حقان[1] في همك يا عمر حيث لم تشعر سلام عثمان. فقال: همي أن رسول الله ﷺ خرج من الدنيا ولم أسأل عنه بماذا يكون نجاة أمتك من النار في العقبى؟ فقال أبو بكر: يا عمر إن لم تسأله أنت سألته أنا، فقال «الكلمة التي دعوت إليها عمي أبا طالب فلم يجبني»، يعني لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وعن وهب[2] بن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما دخل على يعقوب عليه السلام مبشر بيوسف عليه السلام فقال له يعقوب عليه السلام: على أي دين تركته؟ فقال: على دين الإسلام. فقال: الآن تمت النعمة على يعقوب وآله»[3].

وعن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال: دخلت على عمر رضي الله عنه في ولايته فإذا عليه ثياب خلق، فقلت: يا أمير المؤمنين يرد عليك الوفود ومن ملوك الدنيا، فاتخذ لنفسك ثوباً حسنا تلبسه يوم دخولهم عليك. فقال: يا أبا عبيدة لو قال هذا غيرك لضربته؛ لكن منعني عن ذلك صحبتك مع رسول الله ﷺ، ألم [أكن][4] أذل عباد الله فأعزني الله بالإسلام ووفقنا [إلى قول][5] لا إله إلا الله محمد رسول الله، فأي عز أكبر من هذا؟

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عموداً من ياقوتة حمراء رأسه تحت العرش وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلى، فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله من نية صادقة اهتز[6] العرش وتحرك العمود والحوت، فيقول الله تعالى اسكن يا عرشي، ويقول وكيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها، فيقول الله تعالى اشهدوا يا سكان سمواتي أني قد غفرت لقائلها من الذنوب صغيرها وكبيرها؛ سرها وعلانيتها»[7].

---

(1) الراجح أن الناسخ حرف هذه الكلمة أو أسقط كلمة هنا.
(2) هكذا جاء في النسخة ولعله يقصد عبد الله بن عباس.
(3) انظر "تفسير حقي" ج1 ص236، و"تفسير الخازن" ج2 ص555.
(4) في النسخة "إنك"، والراجح أن هذا تصحيف من الناسخ.
(5) في النسخة "على قوله".
(6) في هامش النسخة "حركته فتحرك".
(7) انظر "تفسير حقي" ج7 ص122.

والفقه[1] أن من يقول هذه الكلمة الشريفة ينجو من سيف الدين؛ فكيف أن لا ينجو من قطيعة العقبى.

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى أنبيائه أن لا إلٰه إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: أتاني معاذ بن جبل ﷺ، فقلت له: من أين جئت يا معاذ؟ فقال: من عند النبي عليه السلام. فقلت: فما قال؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصا في قبل نفسه دخل الجنة». فقلت: اذهب [إلى][3] النبي عليه السلام واسأله، فقال: نعم.

فذهبت وأتيت النبي عليه السلام، فقلت: يا نبي الله حدثني معاذ بن جبل أنك قلت «من قال أشهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصاً في قبل نفسه دخل الجنة». قال عليه السلام: «صدق معاذ» ثلاث مرات[4].

وعن عمر ﷺ أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إنه يستخلص رجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه، ثم يقول الله له أتذكر من هذا شيئاً ظلمك حفاظك بشيء؟ فيقول لا يا رب. فيقال له: ألك عذر أم حسنة؟ فيبهت ويقول: لا يا رب. فيقول الله تعالى إن لك عندي حسنة ولا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها قول العبد في الدنيا مرة أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات. فيقال: إنك لا [تظلم][5] اليوم، فتوضع السجلات في كفة الميزان [فلم تثبت السجلات وطاشت][6] وثقلت البطاقة، قال:

---

(1) في هامش النسخة "الفهم".
(2) انظر "الأحاديث القدسية" ص73، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص324.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) انظر "المعجم الكبير" ج20 ص48، و"الدعاء" للطبراني ص432.
(5) في النسخة "ظلم". وفي هامش النسخة "قوله البطاقة بالباء والنون لغتان، وهي رقعة".
(6) في النسخة كأنها "فكان يثبت السجلات وشالت".

فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زلت أشفع إلى ربي عزوجل ويشفعني وأشفع ويشفعني حتى أقول يارب شفعني فيمن قال لا إلٰه إلا الله، قال فيقول: ليت لك هذه يا محمد بل هذه إلي، وعزتي وجلالي وعلمي ورحمتي لا أدع في النار أحد ممن قال لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»[2].

عن معاذ بن جبل قال: كنت رديف رسول الله عليه السلام ليس بيني وبينه إلا مؤخر الرجل، فقال «يا معاذ. قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله. ثم سار ساعة فقال: يا معاذ. قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله. ثم قال بعد [ما][3] سار ساعة: هل تدري ما حق الله تعالى على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقه على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا. ثم سار ساعة فقال: يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله تعالى إذا هم فعلوا ذلك؟ قال[4]: حقهم أن يغفر لهم ولا يعذبهم»[5].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال [عن][6] رسول الله عليه السلام أن دحية الكلبي كان كافراً من ملوك العرب، وكان النبي عليه السلام يحب إسلامه فإنه كان تحت يده سبعمائة أهل بيت، وكانوا يسلمون بإسلامه وكان يقول أبداً[7]: «اللهم ارزق دحية الإسلام»، [فلما][8] أراد دحية الإسلام أوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ بعد صلاة الفجر «يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول إن دحية يدخل عليك الآن ويسلم»، فلما سمع ذلك أصحابه عليه السلام وكان في قلوبهم كأن شيئاً من دحية من وقت الجاهلية فكرهوا أن يمكنوا له فيما بينهم، فلما علم

---

(1) انظر "سنن الترمذي" ج5 ص24، "شعب الإيمان" ج1 ص264، و"المستدرك على الصحيحين" ج1 ص46.

(2) انظر "مسند أبي يعلى" ج5 ص172، و"كنز العمال" ج1 ص56، 64.

(3) ساقطة من النسخة.

(4) في النسخة "قال بعضهم".

(5) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2224، و"صحيح مسلم" ج1 ص43.

(6) في النسخة "قال"، وفي هذا الموضع أخطاء لغوية الظاهر أنها من الناسخ، سأحاول تصحيحها واترك بعض الألفاظ على سياقها، وذلك احتراما لمتن الحديث.

(7) في هامش النسخة "أي دائما".

(8) ساقطة من النسخة.

ذلك رسول الله منهم كرهوا أن يقول لهم مكنوا دحية فيما بينكم، وكره أن يدخل دحية فيوحشوه فيرد قلبه عن الإسلام، فلما دخل دحية المسجد رفع النبي عليه السلام رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض بين يديه، فقال «يا دحية اجلس [ههنا][1]» وأشار إلى ردائه، فبكى دحية من كرم رسول الله فرفع رداءه وقبله و[وضعه][2] على رأسه وعينه وقال: بأبي وأمي من هذا الرداء.

ثم قال: يا محمد ما شرائط الإسلام فاعرضها علي؟ فقال: «أن تقول أولاً لا إله إلا الله محمد رسول الله». قال دحية ذلك، ثم وقع البكاء على دحية، فقال النبي «يا دحية ما هذا البكاء وقد رزقت الإسلام؟ قال: إني ارتكبت خطيئة [و][3] فاحشة كثيرة فعل ذلك ما كفارته؟ إن أمرتني أن أقتل نفسي قتلتها، وإن أمرتني أن أخرج من جميع مالي خرجت. فقال النبي عليه السلام ماذا يا دحية؟قال: كنت رجلاً من ملوك العرب استنكفت أن تكون لي بنات لهن أزواج فقتلت سبعين بنتاً لي كلهن بيدي، فتحير رسول الله عليه السلام في ذلك حتى نزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك يا محمد قل لدحية يقول الله تعالى: وعزتي إنك لما قلت لا إله إلا الله محمد رسول الله غفرت لك كفر ستين سنة، فكيف لا اغفر قتل بناتك وهن لك؟ قال فبكى النبي عليه السلام وأصحابه ﷺ، ثم قال النبي عليه السلام: إلهي قد غفرت لدحية كفر ستين سنة وقتل بناته بشهادة أن إلا إله إلا الله مرة، فكيف أن لا تغفر للمؤمنين صغائرهم بشهادات كثيرة؟»[4].

---

(1) مترددة في النسخة بين "هنا" و"ههنا".

(2) في النسخة "وضع".

(3) ساقطة من النسخة.

(4) انظر "تفسير حقي" ج1 ص237.

الباب الآخر
في فضل لا إله إلا الله محمد رسول الله(1)

ولو أن رجلاً تزوج امرأة مسلمة فينبغي إذا خلا بها أن يسألها عن الإسلام أولاً، إن وصفت حل له المقام معها لأنها مسلمة مثله، وإن لم تصف فهي كالمرتدة.

ولو قال لها الزوج قولي معنى لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فيكون بهذا أدخل في الأدب، لأنه لو قال لها صفي الإسلام فلعل أنها تستحي ويشق عليها، فالمرأة لا تحل إلا بهذه الكلمات.

وقد روي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، [وإن](2) أفضل الدعاء الحمد لله»(3) وإنما كان هذا أفضل الأذكار لأن العدو عند الشدة والضيق عند الابتلاء لا يشغلون إلا بها كما قال فرعون ـ لعنه الله ـ وقت الغرق ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يُونس: 90].

ويونس في بطن الحوت كذلك اشتغل بهذا حتى شهد الله به فقال ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ

---

(1) جاء في هامش النسخة "قال الله تعالى ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: 152] أي اذكروني بالطاعة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالثواب. وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، فإن ذكرتموني بالتوبة أذكركم بالمغفرة، وإن ذكرتموني بالدعاء أذكركم بالإجابة، وإن ذكرتموني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، وإن ذكرتموني بالإخلاص أذكركم بالإخلاص، وإن ذكرتموني في بيوتكم أذكركم في لحودكم، وإن ذكرتموني في الخلاء أذكركم في الملأ، وإن ذكرتموني في الخلوات أذكركم في الفلوات ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ [البَقَرَة: 152] ما أنعمت به عليكم. ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: 152] بجحد النعم وعصيان الأمر. كذا ذكره [القاضي]".

(2) في النسخة "فإن".

(3) انظر "سنن الترمذي" ج5 ص462، و"سنن النسائي" ج6 ص208.

كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصَّافات: 143-144].

ثم إن كان نبيّاً لا يتخلص إلا بها فكيف العبد [الساهي][1]. ثم الحكمة في أن فرعون ـ لعنه الله ـ ردت عليه هذه الشهادة وقيل له ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ [يُونس: 91]، وقبلت هذه الشهادة من يونس عليه السلام لأن فرعون قالها في الضراء وأما يونس عليه السلام كان يذكره في السراء كما يذكره في الضراء، وهو قوله تعالى ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصَّافات: 143]؛ معناه لو [لم يكن][2] مسبحا في الأرض لما نفع له تسبيحه في بطن الحوت كما لفرعون ـ لعنه الله ـ ما نفعه قوله الشهادة.

وعن أحمد بن سهل الزاهد قال: رأيت يحيى بن أكتم في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: قدموني إلى ربي جل جلاله فقال: يا شيخ السوء جئتني بتخليط[3] كثير. فقلت: يا رب حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام عن جبرائيل عنك جل جلالك قلت: «إني لأستحي من عبدي وأمتي أن أعذبهما بالنار وقد شابا في الإسلام وهما يشهدان عليّ ويصدقان ما أمرت»[4]، وأنا شيخ كبير. فقال الرب تعالى: صدق عبد الرزاق، ومعمر، وصدق الزهري، وعروة، وعائشة، وصدق النبي وجبرائيل عليهما السلام، أنا قلت ذلك، احملوا به إلى دار اليمين ـ يعني الجنة ـ.

وعن أبي بكر محمد بن إبراهيم الواسطي قال: إن رجلاً واقفاً بعرفات كان في يده سبعة أحجار فقال: أيتها الأحجار السبعة اشهدوا في فإني أشهد أن لا إلٰه إلا الله ومحمد عبده ورسوله، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وأنه حوسب فوجبت له النار، فلما ساقوه إلى باب النار فإذا هو بحجر من تلك السبعة ألقت نفسها على باب النار، فاجتمعت الملائكة[5] على رفعها فلم يطيقونها، ثم سيق إلى باب الآخر فجاءت الثاني، فسيق إلى باب الثالث حتى إلى السابع

(1) مترددة في النسخة بين "الساهي" و"الشاهي".
(2) في النسخة "كان".
(3) جاء في هامش النسخة "والتخليط في الأمر فساد فيه".
(4) انظر "اللآلئ المصنوعة" ج1 ص125. (5) في هامش النسخة "العذاب".

ويجيء الحجر، فعجز الموكلون من الملائكة فلم يقدروا إدخاله إلى النار بإلقاء الحجر نفسها على كل باب، فسيق إلى العرش والرب أعلم بذلك، فقال الله تعالى: عبدي أشهدت بشهادتك بي الحجارة فلم يضيعن حقك؛ فكيف أنا أضيع حقك وقد شهد بي وبرسلي؟ أدخلوه الجنة. فلما قرب من باب الجنان فإذا هو مغلق، فجاءت الشهادة أن لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، ففتح الباب ودخل الجنة. فهذا ببركة قوله لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله.

وعن أبي عبد الله [. . .] أنه قال: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا، والليل والنهار أربع وعشرون ساعة، وإذا قال العبد من قلبه بالصدق: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله يقول الرب جل جلاله: أتيت هذه الأربعة والعشرين وقد خلقت ساعات ليلك ونهارك أربعاً وعشرين؛ وكل ذنب أديته[1] في هذه الساعة صغيرها وكبيرها، سرها وعلانيتها، خطأها وعمدها، قولها وفعلها غفرت لك بحرمة قولك مرة واحد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله[2].

قال أبو منصور: إن الله تعالى جعل العذاب عذابين، عذاباً في الدنيا وعذابا في الآخرة. فعذاب الدنيا وهو السيف بيد الرسل وأصحابهم، وعذاب الآخرة هي النار بيد مالك وأعوانه، والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا ترى.

ثم إن الله تعالى أعطاك اللسان والقلب، فاللسان في غلاف يرى والقلب في غلاف لا يرى، فالله تعالى قال لنبيه عليه السلام: «من أخرج لسانه بذكري وهو في غلاف يرى أدخل السيف في غلاف يرى ـ وهو الغمد ـ، ومن اشتغل قلبه بذكري وهو في غلاف لا يرى أغلق عليه باب النار وهو في غلاف لا يرى، ومن اشتغل بذكري باللسان والقلب حفظت نفسه من سيف الدنيا ونار الآخرة»[3].

---

(1) في هامش النسخة "اذنبته".

(2) انظر "فيض القدير" ج4 ص641.

(3) انظر "فيض القدير" ج2 ص 239، ج4 ص641.

الباب السابع
في الصبر على الشدة لأجل الدِّين

ولو أن رجلاً أكرهه السلطان وقال له لتشربن من هذا الخمر أو لأقتلنك كان في وسعه أن يشرب الخمر لأنه لو لم يشربها تلفت بذلك نفسه وعليه صيانة نفسه[1].

[. . . ألا يُرى أنه][2] يرى متوجها إليه، فلو لم يدفعه فقتل بدفعه لم يجب على الرافع القصاص لأنه كان رافعا والرفع واجب على النفس، ولو أن الرافع يقتل فيكون شهيدا لقوله عليه السلام: «من قتل دون ماله فهو شهيد»[3]، ولا خوف بقتل أو قطع عضو أو ضرب مائة [سوط][4] على أن يكفر بالله ـ نعوذ بالله منه ـ ليسعه إجراء الكفر على لسانه إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، والأفضل أن لا يجري تلك الكلمة [ويعصي][5] نفسه لتلف وإن أصابه الضرر لأجل الدين والإسلام، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحَجّ: 11][6] الآية.

معناه على حرف أي لطمة في الدنيا، ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحَجّ: 11] يعني إذا خسر في تجارته ولم يصب خسر الدنيا، ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ يعني ارتد عن الإيمان بالله وتحول إلى الكفر،

---

(1) هذا من مباحث مقاصد الشريعة.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها. والظاهر أن الناسخ أسقط كلمة أو أكثر في هذه الفقرة وذلك حسب الملاحظ على السياق القادم.

(3) انظر "صحيح البخاري" ج2 ص877، و"صحيح مسلم" ج1 ص87.

(4) في النسخة "يسقطه".

(5) في النسخة "يعطي".

(6) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحَجّ: 11].

فينبغي أن يكون المسلم صلبا في دينه لا يتركه وإن أصابه الضرر، ويدل عليه ما قاله النبي عليه السلام لأبي [رزين][1] العقيل «أن تحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله»[2].

قال أبو [رزين] العقيل: يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال عليه السلام: «ما من أمتي من عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله مجازيه خيراً منها، ويعمل سيئة فيعلم أنها سيئة يستغفر الله منها؛ ويعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله فهو مؤمن»[3].

---

(1) في النسخة "ابي ذر" وسوف أصححها في الموقع القادم تلقائيا.

(2) انظر "مسند الشاميين" ج1 ص184، و"كنز العمال" ج1 ص289.

(3) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج4 ص11، و"مسند الشاميين" ج1 ص185، 220.
جاء في هامش النسخة "كتاب الإكراه: الإكراه ثبت حكمه إذا حصل ممن يقدر على [. . .] توعد به السلطان أو لص، وإذا أكره الرجل على بيع ماله أو على شري سلعة أو على أن يقر لرجل بألف درهم أو يؤجر داره وأكره على ذلك بالقتل أو بالضرب الشديد أو الحبس المديد أو [. . .] فهو بالخيار، إن شاء أمضى البيع وإن شاء فسخه ويرجع بالمبيع، وإن كان قبض الثمن طوعا فقد أجاز البيع، وإن كان قبضه مكرهاً فليس بإجازة، وعليه روى إن كان قائما في يده. وإن هلك المبيع في يد المشتري وهو غير مكره ضامن قيمته؛ وللمكره أن يضمن المكره ضامن قيمته، وللمكره أن يضمن المكره إن شاء [. . .]".
وجاء في الهامش كذلك "ومن أكره على أن يأكل الميتة أو يشرب الخمر وأكره على ذلك بحبس أو ضرب أو قيد لم يحل له إلا أن يكره عليه بما يخاف منه على نفسه أو على عضو من أعضائه، فإذا خاف على ذلك وسعه الإقدام عليه ولا يسعه أن [يصبر] على ما توعد به فإن صبر حتى [. . .] به ولم يأكل فهو آثم.
وإن أكره على الكفر بالله وسب النبي عليه السلام بقيد أو بحبس أو ضرب لم يكن ذلك إكراها حتى يكره بأمر يخاف منه على نفسه أو على عضو من أعضائه، فإذا خاف ذلك وسعه أن يظهر ما أمره به ويؤدي بخلافه، فإذا اظهر ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان فلا إثم عليه، وإن صبر حتى قتل ولم يظهر الكفر كان مأجورا، وإن أكره بقتل على قتل غيره لم يسعه أن يقدم عليه ويصبر حتى يقتل، فإن قتله كان اثما والقصاص على الذي أكرهه، وإن كان القتل عمدا أو إن أكرهه على طلاق امرأته أو عتق عبده ففعل وقع ما أكره عليه ويرجع على الذي أكرهه بقيمة عبده وبنصف المهر إن كان قبل الدخول، وإن أكرهه على الزنا وجب عليه الحد عند أبي حنيفة ﷺ إلا أن يكرهه السلطان. وقال رحمهما الله لا يلزم الحد، وإذا أكره على الردة لم تبن امرأته منه. من كتاب [. . .]". =

وعن مجاهد عن ابن عباس أن أهل مكة من المشركين مثل أبو جهل ـ عليه اللعنة ـ أخذوا بلال المؤذن، وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وجارية من قريش كانت أسلمت فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى، فجعلوا يجرونه ويضعون درعا من حديد في حر الشمس ثم يلبسونه إياه وهو يقول: أحد أحد.

وأما خباب بن الأرت فجعلوا يجرونه على الشوك والجبال، فأبى أن يتابعهم.

وأما عمار قال لهم كلمة فأعجبهم.

وأما الجارية فوتدها أبو جهل أربعة أوتاد، ثم مدها وعذبها حتى قتلها وهي تقول الله.

ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار، فلحقوا برسول الله ﷺ وأخبروه بالذي كان من أمرهم، [واشتد على][1] عمار الذي تكلم به، فقال رسول الله: «كيف كان قلبك حين قلت ما قلت يا عمار؟» قال: مطمئن بالإيمان[2].

ثم إن رسول الله ﷺ أثنى على خباب وبلال ودعا لهما بدعوات كثيرة، فتبين لنا أن فعل بلال في ترك البيعة أفضل من فعل عمار حين أعطى البيعة مخافة نفسه.

وعن عثمان بن عطاء الخرساني عن أبيه عن عطاء قال: بعث رسول الله [خبيب بن عدي وعاصم بن ثابت][3] إلى مكة عيناً[4]، فسارا حتى شارفا مكة فلقيهما خيل المشركين، فقتلوا عاصماً وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدبر[5] ـ يعني الزنابير ـ فلم يقدروا على ذلك فرموه بالنار فاحترق ما حوله ولم تصبه النار،

= وجاء في الهامش النسخة عند شرح الآية "يعني أصابهم سعة ورخص [وغنيمة] اطمأنوا به وقالوا نعم الدين دين محمد. أبو الليث".

[. . .] "ماله ويقال خسر الدين لأنه لم يدرك ما طلب من المال. أبو الليث".

(1) في النسخة كأنها "وانشد".

(2) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج2 ص389، و"السنن الصغير" للبيهقي ج7 ص95.

(3) في النسخة "خباب بن اسان وعاصم بن عادي"، وسوف أصحح في المواضع القادمة تلقائيا اسم "خبيب".

(4) في هامش النسخة "عيناً أي جاسوس".

(5) في هامش النسخة "الدبر بالفتح جماعة النمل".

فتركوه وأسروا خبيبا، فقدموا به مكة وذلك يوم بدر وقد كثرت اليتامى بمكة، فجعل النساء يضربنه ثم أمر به ليصلب، قال: يا معشر قريش ائذنوا لي فأصل ركعتين، قالوا: صل. فصل ركعتين ثم انصرف، فقال: لولا تظنوا بي أني أجزع من الموت [لزدت][1] في صلاتي، فصلبوه فقال: يا معشر قريش اجعلوا وجهي نحو القبلة عن الكعبة، فأبوا وصرفوا وجهه عن القبلة وهو يقول: اللهم إني لا أجد رسولاً إلى رسولك غيرك فاقرأه مني السلام عليه، فقالت له قريش حل محمداً وعش طيبا، قال: لأن أموت مائة موتة أحب إلي مما تدعونني إليه، فتكلم بأبيات على التوحيد.

ثم قالوا اقتلوه، فطعنوه حتى قتلوه، فدارت الخشبة التي بها وهم ينظرون حتى استقبلت بوجهه إلى الكعبة، فأتى جبريل عليه السلام إلى النبي عليه السلام فاخبره خبر خبيب وبلغه منه السلام، فقال رسول الله ﷺ [. . .][2] ودعا له بدعوات كثيرة.

ثم قريش أرسلوا إلى عاصم ليجيئوا برأسه أو بشيء من جسده، فبعث الله مثل الظلة من الزنابير فحمته فلم يقدروا على أخذ شيء من جسده[3].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: إن أمية بن خلف كان ذا مال وله اثنا عشر مملوكا، ولم يكن عليه أحد أحب إليه من بلال، وكان موكلا ببيت الصنم الذي يعبده أمية بن خلف ـ عليه اللعنة ـ، وكان بلال يسجد لله في بيت الصنم ويذكر الله تعالى ويقول: أحد أحد، فبلغ الخبر إلى النبي عليه السلام وشاع حتى سمع أمية بن خلف أن بلالًا يسجد لرب محمد عليه السلام، فقال له: يا بلال ألِآلهتي تسجد أم لرب محمد؟ فقال بلال مغضبا عليه: لا سجود إلا لله الواحد القهار الكبير المتعال رب محمد الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع

(1) غير واضحة في النسخة.

(2) في النسخة كأنها "متى"، وفي بعض الروايات أن الرسول ﷺ رد السلام فقال: «وعليه السلام» فقال أصحابه: يا نبي الله على من؟. قال أخوكم خبيب بن عدي يقتل. انظر "سنن سعيد بن منصور" ج6 ص434.

(3) انظر "تفسير البغوي" ج1 ص237، و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص310.

وما بينهما بالحق، فوثب أمية عليه يضربه ويعذبه. ومما يعذبه أنه إذا كان نصف النهار جعله عرياناً وطلى عليه الزيت وأقامه في الرمضاء [يجره][1]، فكان إذا أصابته الشمس وحر الرمل نادى أحد أحد.

قال أبو بكر الصديق: فمررت عليه فقلت: يا أمية إلى كم تعذب عبدا يقول لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله؟ [فاختصمنا][2] حتى اشتريته بعبد أبيض وأوقيتي من ذهب. فقال لي أمية بن خلف: اشتريت غلاماً لو طلبته مني بدرهم لبعته [لك][3]، فقلت: ما أرخص ما بعته، لو ساومتني ملكي كله لاشتريته. فأخذت بيد بلال وسترته بردائي ومسحت عن وجهه التراب، وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا معشر قريش اشهدوا أنه حر لوجه الله وحب محمد عليه السلام، فانزل الله في شأنه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليْل: 1-2] إلى آخره.

وعن أبان [عن][4] ابن عباس عن أنس بن مالك كان رجلاً من أحبار اليهود وعلمائهم يقال له حبيب، وكان له ابن يقال هيهاب ذو جمال، وكمال، وأدب وحصافة[5] فدخل هذا إلى [خزانة][6] أبيه يوما فرأى فيها سفطاً[7] من ذهب مختوم بخاتم من مسك، فخرج الغلام إلى أبيه كهيئة المسخط عليه، فقال له أبوه: يا بني مالي أراك على السخط؟ فقال: إني دخلت خزانتك فرأيت سفطا من ذهب، فأي شيء فيها؟ فقال: يا بني والله تعالى ما فيها ياقوتة ولا جوهرة إلا وفيها اسم رجل أعرابي ترب الله فاه ـ فلعنة الله عليه بما قال ـ، فلو جالست الأحبار وقرأت الكتب وفهمت معانيه كنت مطلعا على ما فيه، فلما شرب والده

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة "منك". (4) ساقطة من النسخة.
(5) جاء في هامش النسخة "حصافة اسم العقل [. . .]".
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(7) هكذا جاء في النسخة، والراجح أن الناسخ حرف الكلمة.
والسفط: الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. انظر "لسان العرب" ج7 ص315.

الخمر وسكر دخل هيهاب خزانة أبيه ومعه سراج، فدنا من السفط وفتحه، فخرج منه نور ساطع أطفأ نور السراج، فإذا فيه ورق أبيض مكتوب فيه: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله [واضح][1] الخدين، مقرون الحاجبين، كث اللحية طوبى لمن شهد زمانه وسمع كلامه، وكلامه القرآن ودينه الإسلام، يدعو إلى الله تعالى لا تأخذه في الله لومة لائم.

ثم قال: وأخذه الغلام فوضعه على عينيه وقلبه ويقول: وامحمداه ليت شعري أفي السماء أنت مع الملائكة، أو في البحر مع الحيتان؟ فلم يزل الغلام يبكي حتى سقط مغشيا عليه، فدخلت عليه والدته مع خادم فحملوه إلى أبيه وهو لا يعقل، فلما نظر إليه والده سقط عليه يقبله ويبكي، فلما أفاق رفع الغلام رأسه فنظر إلى أبيه فقال: لا أقر عينيك ولا رحم كبر سنك حيث لم تعلمني بمحمد عليه السلام، فأخذه والده الملعون [من][2] شعره وأقبل يضرب برأسه الأرض، فدخل عليه الحارث بن أخطب وكعب بن الأشرف وأبو لبابة فقالوا: أيها الشيخ قد كبر سنك وذهب عقلك، ما تريد من هذا الغلام؟ فقال: أريد قتله. قالوا: ولم ذاك؟ قال: إنه آمن بمحمد عليه السلام. فقالوا: أيها الغلام أما علمت أن كباد الإبل إلينا تضرب، والركبان إلينا [يستحضرون][3]، والدين منا يتعلمون، والقوم بنا يعبدون؟ فما هذا الصبأ[4]؟ قال لهم: ما صبوت ولكن آمنت بمحمد عليه السلام، فأخذ والده شعره وضربه. فقالوا: إن ابنك غدا في النعم فلو أمسكتها عنه تبرأ من محمد عليه السلام، فألبسه مسحاً[5] وأدخله مظلماً، وكان يناوله كل ثلاثة أيام قرصاً من شعير وماء مالحاً، فقام الغلام يمشي في الظلمات كأنه في النور، فأخذ الطعام فلم يقدر أن يأكله من ملوحته والماء كذلك، فبكى الغلام بكاء شديدا، فظن والده أنه ندم فقال له: ما يبكيك فأعلمني؟ فقال الغلام:

---

(1) في النسخة "واضع". (2) ساقطة من النسخة.

(3) في النسخة كأنها "يستحضون".

(4) صبأ من شيء إلى شيء انتقل ويقال صبأ الرجل ترك دينه ودان بآخر. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص1046.

(5) المسح: الكساء من شعر وثوب الراهب. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص656.

أبكاني الشوق إلى محمد عليه السلام. فقال له والده: لأعذبنك بهذا العذاب حتى تتبرأ من محمد عليه السلام. فقال الغلام: [قد رسخ][1] حب محمد عليه السلام في قلبي ولا أستطيع أن أتبرأ منه؛ فهذا مما لا يتصور.

ثم رجع الغلام إلى الله وقال: يا خالق الظلمة والنور نوّر قلبي وطيب طعامي وشرابي بحق محمد عليه السلام، فطيب الله تعالى طعامه وأعذب شرابه، فأكل طيباً وشرب عذبا، فمكث بذلك سنين حتى هاجر محمد عليه السلام إلى المدينة، فبلغ خبره إياه، فبعث إلى رعايته فقال [. . .] أحرار لوجه الله تعالى إن فعلتم ما أمرتكم به، إن هذا الغلام ولدي وأنا بريء منه، فاذهبوا به إلى مراعيكم واستعملوه في جميع أعمالكم، فغل يده إلى عنقه وقيد رجله وبعثه مع [رعاته][2]، فأقبل الغلام ينعي بالليل ويحرس بالنهار، فلما كان ذات ليلة من الليالي ممطرة مظلمة اشتد شوق الغلام إلى محمد عليه السلام، فقال: إلهي أنزلت المطر من السماء لتحيي به الأرض وتسقي به العباد من خلقك، اللهم قد اشتد شوقي وعطشي إلى رؤية محمد عليه السلام وقد طال حزني فارحمني ومنّ عليّ بالنظر إلى محمد عليه السلام، فسقط الغل عن يده والقيد عن رجليه وطوى له ثمانين فرسا حتى أصبح بالمدينة بباب رجل من الأنصار يقال له عمار بن واثلة، فلما خرج عمار إلى بابه إذا هو بغلام كئيب حزين متفكر، فقال له عمار: ما لي أراك كئيب؟ إن تكن جائعا أطعمناك، وإن تك عطشانا سقيناك. فقال الغلام: أيها الشيخ إن لي غما وهما لا [يسعهما][3] الطعام والشراب. فقال له عمار: يا غلام وما همك؟ وما حزنك؟ فقال: أيها الشيخ إني لا أستطيع أن أفشي سري إليك، فقال [له][4] عمار: لوجه محمد لئن أخبرتني لأجهرن لك جهري. فلما سمع ذكر محمد بكى بكاء شديدا، ثم قال: أيها الشيخ أرأيت محمدا؟ قال: نعم. قال: بحق محمد عليك أن تدنو مني، فدنا عمار من الغلام، فسقط الغلام على عينيه ويقول: يا عيني طوبى لك إذا رأيت محمد عليه السلام،

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) غير واضحة في النسخة.

(4) في النسخة "يا".

ثم سقط على رجليه ويقول كذلك، فسقط عمار على الغلام يقبله ويقول: صفوت سنك وكمل عقلك.

فأخذ بيد الغلام فانطلق به إلى رسول الله ﷺ، فهبط جبريل عليه السلام وقال: يا محمد رب العزة يقرئك السلام ويقول: أحب هيهاب فإنه قد أحبك، فلم يكن في أمتك مثله في حبك.

فالنكتة أن هيهاب عنى[1] وجه محمد عليه السلام فرأى ما رأى من المحن حتى وجده عليه السلام، فما ظنك بما تريد من إرضاء الله وحبه.

وعن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل ملك كافر يدعو المسلمين إلى دينه، فكل من آمن به واتبعه مُحب أحسن إليه، وكل من لم يؤمن به قتله. فوقعت في يده امرأة لها ثلاث بنات إحداهن رضيعة أتت ثلاثة أشهر، فعرض عليها الكفر فأبت، فخوفها بالقتل والعذاب الشديد فلم تدخل في دينه، فجمع وزراءه وأتى ببناتها ووضعوا في فمها، فذبح الابنتين الكبيرتين فشربت دمهما ولم تترك دينها، فأتيت الرضيعة وقصدوا ذبحها في فمها فأدركتها شفقة الأمهات وقالت في نفسها: أكفر باللسان وقلبي مطمئن بالإيمان، فأنطق الله الصغيرة وقالت: يا أماه اصبري ولا تنافقي، فصبرت بذبح الصغير في فمها، ثم قتلوها مؤمنة فلم تترك دينها.

وقيل [الأولاد][2] الذين تكلموا قبل أوان التكلم أربعة: إحداهن هذه البنت، والثاني عيسى عليه السلام، والثالث شاهد يوسف عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يُوسُف: 26]، والرابع كان في [بني][3] إسرائيل زاهد عبد الله في صومعته دهرا طويلا، فزارته والدته وقرعت عليه الباب في صومعته وكان مشغولاً بالصلاة فلم يجبها، قالت: إن سمعت قرعي بابك ولم تفتح أفضحك الله على رؤوس الخلائق. ورجعت. فلما توفيت والدته ولدت بعد ذلك ابنة ملك زمانهم وهي عذراء، فقال لها أبوها لمن ولدت هذا الولد ولا زوج

---

(1) عنى به الأمر عنيا نزل والشيء أبداه وأظهره وبالقول كذا عنيا وعناية أراده وقصده والأمر فلانا عنيا وعناية أهمه. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص175.

(2) في النسخة "الولدان".

(3) ساقطة من النسخة.

لك، أنت عذراء؟ فقالت: من هذا الزاهد.

فنادى الملك حتى خرج أهل بلدته وخربوا الصومعة، وأخذوا الراهب وأركبوه، فدخلوا البلدة وقصدوا صلبه، فقال: دعوني فقد عرفت من أين أوتيت هذا، ثم [قام][1] وصلى ودعا الله تعالى، ثم قال: الزاهد عليّ بالرضيع، فأوتي به، فأخذه فقال: بالله الذي خلقك تخبر هؤلاء القوم من أبوك، فأنطقه الله تعالى فقال: إن أبي هذا الذي يرعى غنم جدي، كانت تنزل والدتي إلى مراحه كل ليلة الذي خلف قصر جدي وتزني معه، فخلقني الله تعالى من مائه. قال: فأراد الملك أن يخلي عنه ويبني صومعته بالذهب والفضة ورجم الراعي.

وقال [المغازي:][2] الصبيان الذين تكلموا قبل أوانهم كانوا خمسا، فأربع ذكروا، والخامس وهو أن النبي عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه إذ مرت عليه امرأة من المشركين شديدة القول في رسول الله عليه السلام ومعها صبي لها ابن شهرين؛ حتى إذا جازت بالنبي عليه السلام قال: الغلام وهو ابن شهرين: السلام عليك يا رسول الله. فقال النبي عليه السلام: «وما يدريك يا صبي أني رسول الله وأني محمد بن عبد الله؟ قال: علمني رب العالمين والروح الأمين. وقال جبريل عليه السلام وهو قائم على رأسه: يا محمد اسأله من الروح الأمين؟ فسأله فقال: جبرائيل عليه السلام رسول رب العالمين وهو قائم على رأسك ينظر إليّ. فقال النبي عليه السلام: ما اسمك يا غلام؟ فقال: عبد العزي وهو صنم وأنا كافر به، فسمني يا رسول الله. فقال: أنت عبد الله. فقال: الغلام أدعو الله أن يجعلني من خدامك في الجنة. فقال جبرائيل: يا محمد عليهما السلام ادع له فدعا له. فقال: الغلام سعد من آمن بك وشقى من كفر بك، وشهق شهقة فمات.

فأقبلت الأم لما رأت من ابنها ما رأت فقالت: يا رسول الله إني كنت مكذبة لك شديدة القول عليك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله،

---

(1) في النسخة "قال".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، ولعله يقصد كتاب المغازي، وهناك عدة كتب عرفت بهذا الاسم.

واأسفي على ما فاتني منك. فقال رسول الله ﷺ: أبشري فوالذي ألهمك بما رأيت فكأني أنظر إلى كفنك وحنوطك مع الملائكة، فماتت المرأة قبل أن تبلغ إلى منزلها، فصلى رسول الله ﷺ عليها وعلى ولدها ودعا لهما».

عن علي رضي الله عنه أنه قال: صلى [رسول][1] الله عليه السلام بعد صلاة الغد بالمدينة يوما بعد حرب بدر، وتوجه إلى الناس فقال «من يؤذن بمكة أضمن له الجنة؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا، فدعا له النبي عليه السلام، فذهب الرجل إلى أولاده وأهل بيته، فبكوا وقالوا يقتلك كفار مكة فتبقينا أيتاما، فرحمهم ورجع إلى المسجد، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بندامته، فلما دخل المسجد قال له رسول الله ﷺ: رحمت على أولادك فندمت؟ قال: نعم.

فنادى رسول الله ﷺ: من يؤذن بمكة أضمن له الجنة؟ فقام رجل من الأنصار يقال له حبيب قال: أنا أؤذن يا رسول الله. فدعا النبي عليه السلام». فخرج حبيب من المسجد وتوجه إلى مكة، فلم يذهب إلى منزله كيلا تأخذه الشفقة على أولاده فتمنعه ذلك من رأيه.

فلما دخل مكة صعد ظهر الكعبة ونادى بأعلى صوته: الله أكبر الله أكبر، فسمع صوته جميع أهل مكة، فاجتمعوا وقالوا ما هذه النغمة التي سمعناها؟ فقالوا رجل قائم على ظهر الكعبة يؤذن، فصبروا على قوله أشهد أن لا إلٰه إلا الله وما صبروا على قوله وأشهد أن محمداً رسول الله، بل صعدوا وأسقطوه من ظهر الكعبة وقد كانت كثرت اليتامى بمكة في حرب بدر، فأخذوه وصلبوه.

ونادى أبو سفيان رؤساء مكة ألا من أراد أن يقتل قاتل أبيه أو زوجها فإن هذا هو القاتل، فرموه بالحجارة، فلما أصابه حجر نادى أحد أحد، فلما دنى موته رفع بصره إلى السماء وقال: إلهي لا أجد إلى رسولك رسولاً غيرك، فبلغ سلامي إلى رسولك واعلمه بحالي، فنزل جبرائيل عليه السلام على محمد وبلغ سلامه، فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام يا حبيب عشت حميداً ومت شهيداً».

ورموه بالنبل حتى مات على الخشبة، ثم دارت الخشبة حتى توجهت إلى

(1) ساقطة من النسخة.

الكعبة، فتركوه كذلك حتى أكلته الطيور[1].

المؤمنون كانوا رأوا بالدين ما ذكرنا ولم يتركوا دينهم، فالآن لا يرون مما رأوا ويتركون دينهم بسبب الدنيا، فهذا أعظم المصائب.

---

(1) لعل اسم الصحابي "خبيب" وليس "حبيب"، وتكون هذه رواية أخرى لمقتل الصحابي "خبيب" الذي سبق ذكره.
وجاء في هامش النسخة "وفي الخبر أن لله ملكا يقال [. . .] يبسط أجنحته يوم القيامة على الصراط ويقول: فليجز عليّ من صلى على محمد عليه السلام، فلا تضرهم النار.
ويقال: لما خلق الله الزبانية وأمرهم بدخول النار قالوا: يا ربنا لا طاقة لنا مع النار. فأمر جبرائيل بإتيان خاتم وأوتي بخاتم عليه مكتوب اسم محمد، وأعطى مالكا فأمره بأن يختم على جبينهم فيختم، فدخلوها فلم يبلغ إليهم شيء، فكذلك المؤمن ببركة اسم الله واسم محمد عليه السلام لا تحرقهم النار [. . .]".

الباب الثامن
في خوف الخاتمة والخروج من الدنيا بأي حالة تكون

يجوز للصائم أن يباشر امرأته دون الفرج ويقبلها في رمضان، فإن خاف على نفسه الجماع أو الإنزال بنفس المباشرة لم يجز له ذلك لما روى أن شابا قام إلى ابن عباس فقال له: أأقبل وأنا صائم؟ فقال: لا. فقام إليه شيخ قال: أأقبل وأنا صائم؟ فقال: نعم.

فعاد إليه الشاب فقال: أتجيز له ما حرمت علي ونحن على دين واحد؟ فقال لأنه شيخ يملك إربه[1] وأنت شاب لا تملك إربك ـ يعني عورتك ـ.

وإذا كان في أرض أو بلدة وباء أو مرض لا يدخلها مخافة أن لا يلحقه، ولو كان فيها لا يخرج [منها][2] لمعنيين: أحدهما أنه يكون فاراً مما قضى الله تعالى، والثانية أن لا يكرهه أحد أنه من أهل الوباء والمرض.

وللمحرم أن ينظر إلى المحرم إلى ما فوق السرة وتحت الركبة إذا لم يخف تهييج نفسه، وإن خاف فلا.

وله أن يسافر مع محرمته إذا كان موثقا، وإن لم يكن فلا.

وإذا كان لرجل أو امرأة والدان كافران أو أحدهما كافر فعليه نفقتهما وبرهما وخدمتهما وزيارتهما لقوله تعالى ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: 15].

قال ابن عباس رضي الله عنه: المصاحبة بالمعروف برهما والإنفاق عليهما في الدنيا ما عاشا وزيارة قبورهما إذا ماتا، فلو أنه خاف إنما يجلبان إليه الكفر إذا زارهما

---

(1) جاء في هامش النسخة "أي عضو".

(2) في النسخة "فيها"، والظاهر أن الناسخ أسقط كلمة من السياق القادم لعدم تناسقه.

جاز له أن لا يزورهما لأن صيانة الدين فريضة والاهتمام لأجل الدين فريضة في أنه يخرج من الدنيا مسلماً، وذلك فرض وواجب على الإنسان أن يخاف أبداً على خاتمته كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فُصّلَت: 30][1] معناه ربنا الله، أي قالوا: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ثم استقاموا، يعني تمسكوا بالدين المستقيم وتباعدوا عن الكفر والآثام وخافوا أن [يسلب][2] عدوهم إبليس عليه اللعنة حتى الممات.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فُصّلَت: 30] عند موتهم وفراقهم عن الدنيا ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فُصّلَت: 30] أي لا تخافوا على فوات دينكم عند نزاعكم، فإنكم تخرجون على الإيمان بالله تعالى من دنياكم، ولا تحزنوا على ما سلف من قبح أعمالكم فإن ربكم يغفر ذلك لكم ويتجاوز عنكم بفضله لقوله تعالى: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: 30] معناه إذا استقمتم على دين الإسلام والإيمان بي فلكم الجنة التي وعدت لكم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الذّاريَات: 15].

وقال أهل الإشارة: من خرج من الدنيا مسلماً يعلم أنه يبلغ الجنة لا محالة فهذا معنى قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فُصّلَت: 30].

وقيل يستقبل المؤمن في القيامة ثلاثة وسبعون هولا، لا يشبه هول هولا، فلو لم يقل في أذنه عند نزعه لا تخاف ولا تحزن لا يتمكن استقراره يوم القيامة من الأهوال كما قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام حين عرف أن [أخاه][3] ابن يامين يخاف من تهمة السرقة، فقال يوسف لأخيه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يُوسُف: 69] فصار أمناً[4].

---

(1) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: 30].

(2) في النسخة كأنه "لا يسلب" والراجح أن المقصود أن يفتنهم إبليس عليه اللعنة.

(3) في النسخة "أخاف".

(4) جاء في هامش النسخة " وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ من المؤمنين ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على العمل الصالح أو على المعرفة=

فهذا الخطاب يكون لمن خاف من العاقبة ويجتهد حتى يخرج من الدنيا مسلماً، وهذا لا يحصل إلا بمقدمات من الأعمال الصالحة، ويدل عليه ما نقل عن النبي عليه السلام أنه قال يقول الله عزوجل «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبد خوفين قال ولا أمنين، إذا أمن مني في الدنيا خوفته في الآخرة، وإذا خاف مني في الدنيا أمنته يوم القيامة»[1]. فبان أن الخائف في الدنيا أمين عند الفزع وعند القيامة، فلا بد من أن يكون المؤمن خائفاً مع طاعاته وكثرة عبادته كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60].

وقيل روي عن وهب بن منبه ﷺ أنه قال: كان في بني إسرائيل سبعون رجلاً من الزهاد وليس في زمانهم مثلهم في الزهد، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن هؤلاء يخرجون من الدنيا كفاراً، فقال: يارب لم؟ قال الله تعالى لأنهم أمنوا من عاقبة أمرهم.

= والإقرار أو على طاعته [بالإخلاص] سرا وجهرا فلا يخافون ولم يرجوا أحدا دون الله [. . .] ".

وجاء كذلك في الهامش: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: 30] في الدنيا على لسان الرسل ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ﴾ [فُصّلَت: 31] أحباؤكم في الحياة الدنيا بإيمانكم بربكم [يلهمكم] الله الحق ويحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة العصاة، وفي الآخرة باعترافكم بالبعث، [ونحن] أحباؤكم بالشفاعة والكرامة في الآخرة حيث ما يتعادى الكفرة وقرباؤهم.

روي أن ملكا ينزل من السماء فيقول للمؤمن أتعرفني ؟. فيقول: لا. فيقول: أنا الذي كنت عملك [ويبشره] بالجنة ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾ [فصلت: 31] في الآخرة ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ [فُصّلَت: 31] من اللذائذ وما تتمنى قلوبكم في الجنة بحسن أعمالكم، ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصّلَت: 31] ما تتمنون وتطلبون ﴿نُزُلًا﴾ [فُصّلَت: 32] [رزقا . . .] ﴿مِّنۡ غَفُورٍ﴾ [فُصّلَت: 32] للمؤمنين ﴿رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: 32] للمطيعين حال مما تدعون [. . .] بأن يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف. قال [. . .] أو مفعول مطلق".

وجاء في الهامش "أي أنزلناه إنزالا من غفور [. . .]. قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما [لا] عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» [. . .]".

(1) انظر "كنز العمال" ج3 ص150، و"تفسير الماتريدي" ج8 ص338.

وقيل: إن العبد إذا دنا موته يقسم حاله على خمسة: المال للوراث، والروح لملك الموت، واللحم للدود، والعظم للتراب، والحسنات للخصومة. فلو لم يذهب الشيطان بإيمانه عند نزعه ـ نعوذ بالله من ذلك ـ يعود إليه جميع ذلك ولا يضره فوات كلها.

وقال معاذ النسفي رَحِمَهُ اللهُ: بلغنا أن الله تعالى نظر إلى الملائكة فرآهم يبكون، فقال: مالكم تبكون ـ وهو أعلم بحالهم ـ وأنا لا أظلم أحدا؟ قالوا: [لا نأمن][1] من مكرك ـ يعني قضاءك ـ. فقال الله تعالى: كونوا باكين فلا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرين.

عن عبد الله بن أحمد المؤذن [الزروري][2] قال: كنت أطوف حول الكعبة فإذا أنا أرى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم أخرجني من الدنيا مسلماً، لا يزيد على ذلك. فقلت له: لِمَ لم تزد في دعائك؟ فقال: لو علمت قصتي ما قلت ذلك. فقلت: وما قصتك؟ فقال: كان لي أخوان فأذنا أربعين سنة، فلما قرب وفاتهما سأل كل واحد منهما مصحفا فتبرآ وحولا إلى دين النصرانية، فأخاف من حالهما أن [يلحقني][3]، فأدعو الله تعالى حتى يحفظني عن ذلك[4].

وعن معاذ النسفي أنه كان يدعو ويقول: اللهم خذ عقلي قبل موتي بثلاثة

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة "لا يلحقني".

(4) جاء في هامش النسخة "قال النبي ﷺ «أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه» [. . .]". وجاء في الهامش كذلك "يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات ﴿وَقُلُوبُهُمْ﴾ [الحَشر: 14] والحال أن قلوبهم ﴿وَجِلَتْ﴾ [الأنفَال: 2] أي خائفة أن لا يقبل منهم. شيخ.". وجاء في الهامش: "قال النبي ﷺ «المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس السوء». وما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئاً أذكرك به أو أدعوك به. فقال الله تبارك وتعالى: قل يا موسى لا إلٰه إلا الله. فقال: يا رب كل عبادك يقول هذا إنما أريد شيئاً تخصني به. قال الله تعالى: يا موسى لو أن السموات السبع وبما فيهن غير والأراضين السبع وما فيهن وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة أخرى لمالت بهن لا إلٰه إلا الله». صدق رسول الله وصدق حبيب الله. رونق رسائله نورية. قال النبي ﷺ «لكل شيء [صقال وصقال. . .] القلوب ذكر الله» [. . .]".

أيام. قيل له: لم قلت؟ قال: خوفاً من أن يختم لي بالشقاوة و[يجري][1] على لساني غير الإسلام، فلا أكون مؤاخذا ولا يجري علي القلم.

وعن محمد الزاهد أن فضيل بلغ داود الطائي رَحِمَهُ اللهُ[2] وقرع ولم يفتح وجعل يبكي حتى بكى فضيل، ثم قال: افتح بابك يا داود. قال: ارجع يا فضيل وأخر الزيارة فإن خوف الخاتمة شغلني عن عبادة الله؛ فكيف عن زيارة الإخوان؟، فتوقفت حتى خرجت إلى المسجد فدخلت داره فرأيت كوزة يشرب فيها الماء موضوعة في الشمس، فقلت له: لم لم تبرد ماءك؟ فقال: أخرت التنعم إلى الآخرة. فقلت: إن دارك منهدمة. فقال: أنا مشغول بعمارة الآخرة، ففزعت من الأولى. فقلت: أراك متغير اللون [فلما أنت][3] كذلك؟ فقال: صرت كذلك من خوف الخاتمة وخوف ثمانية أشياء؛ لا يهنأني طعام ولا شراب. فقلت: وما هي يا داود؟ قال: أولها أن روحي أتخرج على الإسلام أم على الكفر؟، والثاني أقبري يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران؟، والثالث أأقدر على جواب منكر ونكير أم لا أقدر؟ والرابع إذا بعثت من القبر أيكون وجهي مسودا أو مبيضا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه؟، والخامس إذا بعثت من القبر أأحمل على البراق أم على النار كما قال عليه السلام: «يحشر يوم القيامة ركبانا بعضهم على النار وبعضهم على البراق»[4]؟، والسادس إذا حوسبت أيكون الحساب علي أو لي، والسابع إذا تطايرت الكتب أأعطى كتابي بيميني أم بشمالي؟، والثامن أيؤمر بي في طريق الجنة أو في طريق النار كما قال الله تعالى ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشّورىٰ: 7][5].

---

(1) في النسخة "لا يجري". (2) هناك أكثر من علم عرف بهذا الاسم.

(3) في النسخة كأنها "فما كنت". (4) لم أجد له تخريجاً.

(5) وجاء في هامش النسخة "قال النبي ﷺ «إن الله تعالى خلق أربعة آلاف ملك من آمين، من الألف ألفا، ومن الميم ألفا، ومن الياء ألفا، ومن النون ألفا، وهم يسبحون ويستغفرون ويغرسون لمن قال في وقت الداء آمين».
وقال زيد بن أسلم: آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله إلا الله عزوجل. وقيل: اللهم اسمع واستجب. وهي موضوعة لطلب الإجابة".

باب آخر من خوف الخاتمة
وهو التاسع

ولو أن رجلاً أراد أن يتسحر في رمضان فخاف طلوع الفجر في وسط مسحره أو خاف أنه طلع فالأفضل له أن يترك التسحر، لأن التسحر [ريبة][1] وتركه لا يريبه، وقال عليه السلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2]، فإن التسحر جاز له لأنه على اليقين من الليل وشك النهار، واليقين لا يزال بالشك.

ولو أراد الصائم أن يفطر فخاف أن الشمس لم تغرب لم يفطر، فإن أفطر فعليه الكفارة لأنه ترك اليقين بالشك، وفي التسحر لا كفارة لأنه على اليقين من الليل وشك بالنهار. ويجوز للمسلم الصحبة للكافر لقوله تعالى ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [المُمتَحنَة: 8][3] إلى قوله ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [المُمتَحنَة: 8].

ويجوز للمسلم أن يدخل بيت نار المجوس وبيع اليهود وبين أوثان النصارى [ليرى][4] الكافر فيشكر الله تعالى على إسلامه، وإذا خاف فوات دينه لصحبته مع الكافر أو دخوله بيت النار فالأفضل أن يصون دينه ونفسه؛ فلا يدخل في مثل هذه المواضع ولا يصاحب الكفار صيانة لدينه كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مَريَم: 48][5]، وكان إبراهيم عليه السلام مع كمال صلابته ونبوته وخلته يخاف الخاتمة حتى حكى الله تعالى عنه أنه قال ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) انظر "سنن البيهقي" ج5 ص335، و"سنن النسائي" ج8 ص327.

(3) قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المُمتَحنَة: 8].

(4) في النسخة كأنها "لير".

(5) في النسخة (وما تعبدون).

وقد حكى الله تعالى كذلك عن يوسف عليه السلام أنه قال ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يُوسُف: 101].

قال ابن عباس ﷺ: سأل يوسف ربه الموت على الإسلام فكان يوسف عليه السلام يخاف عاقبة أمره حين سأل الموت بالإسلام، ونبينا عليه السلام كان يقول في دعائه «اللهم إني أسألك إيماناً دائماً، ويقيناً صادقاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وبدناً صابراً»[1]، فدل أن الخوف على فوات الدين واجب، ليس للمؤمن أن يأمن في ذلك ومن جبلة الشيطان[2].

---

(1) وجدته برواية انظر "كنز العمال" ج2 ص679.

(2) جاء في هامش النسخة "اعلم أنه إذا [قربت القيامة] يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخ الموت لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر: 68] [. . .] إلا ملك وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل وحملة العرش وإبليس، فيأمر الله تعالى لملك الموت أن يقبض روح إبليس، فيقصد ملك الموت لقبض روحه فيفر إبليس ويدخل تحت الأرض ويغوص في الأرض كما تغوص الهوام في الماء، وكان [يفر في] الأول من تراب آدم، وفي الاخر يلتجئ إلى التراب، وكذلك حال المذنبين العاصين الذين كانوا يفرون من الصلاة والسجود لله تعالى تراهم يوم القيامة [يلتجئون] إلى الصلاة فيخرون سجدا لله تعالى ويبكون.
والذين [هم] أصحاب الأموال والغنى [يفرون] يوم القيامة من أموالهم كأن الأموال تصير [حيات وعقارب].
والذين يفرون اليوم من العلماء تراهم يوم القيامة يلتجئون إلى العلماء ويطلبون منهم الشفاعة.
ثم إن إبليس يغوص الأرض فيدركه ملك الموت، فيصعد إلى الهواء فيدركه، فيغوص البحار فيدركه، فيفر إلى جبل قاف فيدركه.
وفي رواية أخرى يغوص في الأرض سبعين مرة حتى أن ملك الموت يعجز عنه ولا يقدر أن يمسكه، فيناجي ربه ويخر بين يدي الله تعالى ويقول: إلهي عجزت عن إبليس ولا أقدر عليه، فينادي من قبل الله تعالى أن اذهب يا ملك الموت إلى النار [ويقول لمالك. . .] أعطيك سبعين ألف كلب من كلاب النار حتى تصعد إبليس [بتلك] الكلاب، فيذهب ملك الموت إلى جهنم فيأخذ تلك الكلاب ويأتي إلى قصد إبليس، فيقول ملك الموت: إلهي قد عجزت الكلاب أيضا، فيأمر الله تعالى لملك الموت أن يأخذ أيضا كلابا، فيفعل ما يأمره فتعجز تلك الكلاب أيضا، فيأمر الله أن يأخذ مثل تلك الكلاب أيضا، فعند ذلك [. . .] يعجز إبليس ولا يجد ملجأ في الأرض ولا في السماء ولا في البحار ولا في الهواء، فعند ذلك يرمي نفسه في الأرض، فتجتمع عليه الكلاب [. . .]=

وقال أبو حفص الزاهد [السفكردي][1] رَحِمَهُ اللهُ: مازال إبليس عليه اللعنة يوسوس المؤمن في ثلاثة أوقات: حين يكون صحيحا وشابا فيقوله له ذق الدنيا ذق واجمعها بأي طريق يوجد؛ وافعل ما شئت فإنك الآن أسد من الأسود؛ فإذا شئت تب إلى الله تعالى كما فعل فلان وفلان من أهل بلدك.

ثم إذا كبر ومرض يجيء إليه فيوسوسه أن فراشك نجس وجسدك ذو وسخ والصلاة بالإيماء جائزة غير أنها قائمة في مكان طاهر أفضل؛ فأخرها حتى تصح فتقضيها، فإذا أجابه إجابة وترك الفرض يجيء إليه عند النزع فيقول له وهو جالس عند رجليه: أيها العبد ارتكبت المعاصي بأمري وتركت الفرائض بأمري فجئت إليك لأخلصك من هذه الشدائد التي أنت فيها ولكن آمن بي فإني منجيك، فمن أدركه الشقاء آمن به ـ ونعوذ بالله ـ ويخرج من الدنيا كافراً، ومن أدركته الرحمة من الله تعالى رد عليه قوله ـ عليه اللعنة ـ ولا يستمع إلى ما يقول له؛ لا محالة يخرج من الدنيا مؤمناً.

كما حكى أن زاهدا عبد الله في صومعته دهرا طويلا وكانت عنده ابنة ملك لئلا يطلع الناس أن للملك ابنة، فلما كبرت الصغيرة وسوس إبليس للزاهد في الابنة وواقعها فحبلت، ثم لما ظهر الحبل عليها تمثل إبليس للزاهد وقال: إنك زاهدنا فلو ظهرت عليك هذه الفاحشة لك ما [أقبحها لنا][2]، ولكن اقتلها وقل لأبيها ماتت فيصدقك، فقتلها فدفنها، فذهب إبليس ـ عليه اللعنة ـ إلى الملك

= ذلك المكان [تربة] آدم، فيأتيه ملك الموت ويراه ساجدا على [تلك] التربة [. . .] يا ملعون لم لم تسجد له [. . .] وتسجد له اليوم ؟. فيقول إبليس: ما سجدت لآدم ولا أعلم أنه قبر آدم. فيقول ملك الموت: إن كنت أنت لا تعلم فأنا أعلم، إنه تربة آدم. فعند ذلك يرفع إبليس رأسه من التراب ويقول: اذهبوا بي إلى النار وأنا لا أسجد لآدم، فيقصد إبليس أن يهرب فيمسكه ملك الموت بالغضب والهيبة ويضربه [بحربته] ويخرجه في سبعين ألف موضع، ويشهد الكلاب [الذي هم] من النار، فيرى إبليس سكرات الموت وألوان العذاب مثل ما رأى أهل النار أضعافا مضاعفة، ويصرخ صرخة لو سمعها الخلائق لماتوا بأجمعهم، فيأتي ملك الموت ويذهب [بروحه] إلى مالك جهنم. أنيس جليس".

(1) مترددة في النسخة بين "الفكردي" و"السفكردي".

(2) في النسخة "أقبح ولنا".

بصورة الشيخ الكبير وقال له: هل علمت ما فعل الزاهد بابنتك؟ فقال: لا، فإنها ماتت. فقال: ليس كذلك لكن زنا بها وحبلت فخاف منك فقتلها ودفنها، وإن كنت تريد صدقني وانبش قبرها وشق بطنها فإن في بطنها حبلاً، ففعل كذلك فوجد كما وصف له، فأخذ الزاهد وأركبه على الحمار وحوله[1] في البلد ثم صلبه حيا، فجاءه الشيطان وهو مصلوب فقال: زنيت بأمري وقتلتها بأمري، فآمن بي انجيك من عذاب هذا الملك، فآمن به فهرب الشيطان منه فوقف من بعيد. فقال الزاهد: نجني. فقال إبليس ـ عليه اللعنة ـ: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: 16][2] الآية.

ويدل عليه ما قاله أبو نصر الزاهد أحمد بن محمد الجوالقي دخلت على صهري وهو في النزع، فدعاني فجئت عند رأسه وجعلت ألقنه الشهادة، فكان يقول: لا أقول، ثم قال لي: شرعت يا أبا نصر أخرج اللعين من عندي، فلما أفاق قلت: لقنتك الشهادة فقلت لا أقول، فقال: لا تهتم فإن الشيطان جاءني وفي يده قدح من ماء بارد وهو يقول: إن قلت إن إبليس إلٰهي أسقيك هذا الماء، فكنت أقول لا أقول، واشهد يا أبا نصر فإني أقول أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد

(1) هكذا في النسخة، ولعله يقصد "وجال به في البلد".

(2) قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: 16].

جاء في هامش النسخة "قال رسول الله ﷺ «يعقد الشيطان» [أي يعقد الشيطان] العقد جمع عقدة، وهي ما يعقد عليك، «على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على [. . .] ليل طويل فارقد» يعني يحبب النوم إليه، ويقول له كلما أراد أن يقوم ارقد فإن الليل طويل وليس وقت القيام بعد، فيأمره، «فإن استيقظ فذكر الله» أي فمن خالفه وذكر الله وأعاذ به من الشيطان «انحلت» أي انفتحت عقدة، «فإن توضأ انحلت» عقدة ثانية، «فإن صلى انحلت عقدة» ثالثة [فهو نوم] الحديث.

إن إحدى العقد تمنعه عن ذكر الله، والثانية عن القيام [. . .] والوضوء، والثالثة عن الصلاة، فإذا خالفه في جميع ذلك «فأصبح نشطا طيب النفس» أي ذا فرح وطيب القلب وحسن الحال لأنه خلص من قيد الشيطان وحصل على رضى الرحمن، «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» أي وإن أطاعه ونام حتى تفوته صلاة الصبح أصبح خبيث النفس محزون القلب كثير الغم متحيرا في أمره؛ لا يحصل مراده فيما يقصده من أموره لأنه تقيد بقيد الشيطان ومبعد من رضى الرحمن. مصابيح باب التحريض على قيام الليل.

أن محمداً رسول الله، ثم مات على المكان(1).

وقد حكى عن أبي زكريا الزاهد وهو من زهاد سمرقند [رحمه الله](2) وكان له صديق في الله تعالى يقال له [شاوه](3) الكش، فحضر أبو زكريا الوفاة فأتاه شاوه وهو في سكرات الموت، فوضع رأسه على ركبته ولقنه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، فأعرض بوجهه عنه ولم يقلها، وقال له الثانية فأعرض بوجهه ولم يقل، وقال في المرة الثالثة لا أقول لا أقول، فغشي عليه شاوه الزاهد وجعل يبكي يقول: هذا خاتمة زاهدنا فكيف نحن؟ فلما مضى ساعة ووجد أبو زكريا خفة في نفسه ففتح عينه فقال: هل قلتم لي شيئا؟ قالوا: عرضنا عليك الشهادة ثلاث مرات فأعرضت وجهك في المرتين وقلت في الثالثة لا أقول لا أقول. قال: أتاني إبليس ومعه قدح من ماء بارد فوقف على عيني وحرك القدح وقال: ألا تحتاج إلى الماء؟ قلت: بلى. قال: قل عيسى بن الله؛ فأعرضت عنه، ثم أتاني عن شمالي فأعرضت عنه كذلك، ثم أتاني من قبل [رجلي](4) وقف بحذائي وحرك القدح فقال: ألا تحتاج؟ قلت: بلى. قال: قل هو ثالث ثلاثة. قلت: لا أقول مرتين. فضرب القدح على الأرض وولى هاربا، فأنا رددت قول إبليس لا قولكم، فاشهدوا أني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم خرجت روحه.

سئل عيينة(5) عن الحكمة في أن الناس يعيشون بعضهم مسلمين ويموتون كفاراً، وبعضهم يعيشون كفاراً ويموتون مسلمين، وبعضهم يعيشون كفاراً ويموتون كفاراً، وبعضهم يعيشون مسلمين ويموتون مسلمين، فهم أربعة أقسام؟

---

(1) ذكر الشيخ سي بن ناجي ـ وهو أحد علماء مدينة مسعد بالجزائر ـ في دروسه: أنه عند التلقين يستحسن أن لا نقول له قل لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله لأنه قد يقول لا أقول، ولكن نكرر التشهد عند أذنه حتى يتذكره، فنقول فقط: "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله".

(2) غير واضحة في النسخة، وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة "شاده"، وقد تكرر في المواضع القادمة باسم "شاوه" كما سيأتي. ولم أجد له ترجمة.

(4) في النسخة "رجل".

(5) في النسخة "عن عيينة"، ولعله يقصد "سفيان بن عيينة".

فقال: هذا من وقت الذرية لما أخرج الله ذرية آدم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم وقفوا بين [يدي][1] الجبار في عرفات بمكة، فقال لهم الرب: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وخروا لله ساجدين بعضهم ولم يسجد بعضهم؛ فصاروا قسمين، فلما رأى القسم الذي لم يسجد القسم الذي سجد قالوا: إن هؤلاء سجدوا لله تعالى فخر بعضهم من القسم الذي لم يسجدوا موافقة للقسم الأول.

فلما رفع الساجدون وهو القسم الأول رؤوسهم من السجود ورأى المتخلفين الذين لم يسجدوا فندم بعضهم من القسم الأول وقالوا: هؤلاء ما سجدوا فلِمَ سجدنا نحن؟، فصاروا أربعة أقسام: قسم سجدوا وما ندموا قط، وقسم سجدوا ثم ندموا لسجودهم، وقسم ما سجدوا أولاً ثم سجدوا وما ندموا بسجودهم، وقسم ما سجدوا وما ندموا بترك سجودهم.

فالأولان يعيشون مسلمين ويموتون مسلمين، والثاني هم الذين يعيشون مسلمين ويموتون كفاراً، والثالث يعيشون كفاراً ويموتون مسلمين، والرابع يعيشون كفاراً ويموتون كفارا.

وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: 172] معناه من قال: "بلى شهدنا" فهو من الذين يعيش مسلماً ويموت مسلماً، ومن اقتصر بقوله "بلى" فهو كافر ويخرج من الدنيا كافرا.

وقيل إن مؤذنا بعد أذان أربعين سنة [رأى من][2] المنارة امرأة نصرانية فافتتن بها، فبلغ دارها ودخل عليها واستخطبها، فقالت أنا لك ولكن ارجع إلى ديني، فرجع الشقي وشد الزنار وشرب الخمر، وكانت المرأة في الغرفة فقالت انزل واصعد مع أبي فاقعد بيننا، فلما هم بالنزول سقط من السلم ومات نصرانيا ـ فنعوذ بالله من ذلك ـ.

و[حكى أبو][3] محمد الإمام أنه خرج ثلاثة من الزاهدين حاجين متوكلين

(1) ساقطة من النسخة.
(2) في النسخة "فرأى في".
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

بغير زاد، فنزلوا قرية فيها نصارى، فوقع بصر واحد منهم على امرأة وتعلق بها قلبه، فلما صار وقت ذهابهم قال لصاحبيه: أنا لا أقدر الارتحال، فذهبا وتركاه، فخطبها فقالوا إن صبوت عن دينك إلى ديننا فهي لك وإلا فلا ، فصبأ الشقي فتنصر وتزوج بها وولد له منها ولدان؛ وعاشا حتى توفي على النصرانية، فمضى سنين فرجع صاحباه إلى تلك القرية فتفحصا عنه، فقيل لهما إنه تنصر وتوفي على النصرانية، فبلغا إلى مقبرته فوجدا فيها امرأته وولديه على قبره يبكون، فبكيا ووضعا عند ولديه وامرأته صلاحية ودينه السابق ورشده، فلما سمعت المرأة ذلك أسلمت مع ولديها. فسبحان الله حيث مات المسلم على الكفر ومن كان كافراً مات على الإسلام، فوجب أن يخاف الإنسان عاقبة أمره، ولذلك قال عمر ﵁: من لم يخف عاقبة أمره وخاتمته أنه كيف يكون حاله يُخاف عليه فوات دينه.

باب في ترك الذنب مخافة الله تعالى وهو العاشر

يد المودع يد أمانة بالاتفاق ما لم يتعد، فإن تعدى ضمن بالاتفاق، ولو [دفع][1] الوديعة [ليمنعها من][2] في صاحبه ويصرفها إلى نفسه ثم خاف الله تعالى فندم وأعادها إلى مكانها ثم هلكت لا ضمان عليه لأنه تاب فانقلب أميناً، فالشارع لا يجوز أن يكون خائناً بعد التوبة والخوف، فكيف أرحم الراحمين؟

وكذا الوكيل والمستأجر يدهما يد أمانة، فإن نوى التعدي ثم تاب عاد أميناً، وكذلك الشريك.

وإذا قصد المسلم الزنا، أو شرب الخمر، أو السرقة، أو ترك الصلاة وندم ولم يفعل ذلك الذنب له الجنة بتركه لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعَات: 40-41][3].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن راقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن أشفق عن النار [لها][4] عن الشهوات»[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «من أصبح وهمه التقوى عن المعاصي من خوف الله تعالى ثم أصاب من ذلك ـ يعني من المعاصي ـ شيئاً عفى الله تعالى عنه»[6].

وعن عبد الصمد بن حسان المروِّ الروذيّ رحمه الله أنه قال: كنت عند سفيان

---

(1) في النسخة "رفع". (2) في النسخة "... في".
(3) في النسخة (فأما) بدل (وأما).
(4) في النسخة "نهى".
(5) انظر "شعب الإيمان" ج7 ص370، و"مسند الشهاب" ج1 ص226.
(6) في المصادر جاء بلفظ «غفر الله له». انظر "كنز العمال" ج3 ص89.

الثوري[1] سمع منه الأحاديث وما كان يجلس للعامة، فقلت: رحمك الله لو انبسطت وجلست فيأتيك الشريف والوضيع فيستفيدون منك ويحملون عنك، فقال سفيان: هل تعقل منصوراً وإبراهيمَ وعلقمة؟ فقلت: أما منصور فإمام ثقة، وإبراهيم النخعي[2] إمام من أئمة المسلمين، وعلقمة بن قيس[3] من أفاضل عبد الله بن مسعود ﵁.

ثم قال سفيان: حدثني منصور بن معمر عن إبراهيم النخعي عن عبد الله بن مسعود ﵁ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق جنات عدن، ودعا جبرائيل عليه السلام وقال له انطلق فانظر ماذا خلقت لعبادي وأوليائي، فذهب جبرائيل عليه السلام وجعل يطوف في تلك الجنان، فأشرفت إليه جارية من الحور العين في بعض تلك القصور؛ فتبسمت إلى جبرائيل فأضاءت جنات عدن من ثناياها، فلم يرها جبرائيل فخر لله ساجداً ظن أن النور من رب العالمين، فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك، فرفع رأسه فنظر إليها فقال: سبحان الله الذي خلقك. فقالت الجارية: يا أمين الله أتدري لمن خلقت؟ قال: لمن خلقت؟

---

(1) سفيان الثوري (161 هـ) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) وغير ذلك.
من كلامه: ما حفظت شيئا. فنسيته. ولابن الجوزي كتاب في مناقبه. انظر "الأعلام" ج3 ص104.

(2) النخعي (96 هـ) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. من أهل الكوفة. مات مختفيا من الحجاج.
قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماما مجتهدا له مذهب. ولما بلغ الشعبي موته قال: والله ما ترك بعده مثله. انظر "الأعلام" ج1 ص80.

(3) علقمة بن قيس (62 هـ) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل: تابعي، كان فقيه العراق. يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله. ولد في حياة النبي ﷺ وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون. وسكن الكوفة، فتوفي فيها. انظر "الأعلام" ج4 ص248.

قالت: إن الله تعالى خلقني لمن آثر رضا الله على هوى نفسه خوفاً من عقابه وطلباً لمرضاته»[1].

ثم قال لي: أوَيُخدع اللبيب العاقل عن مثل هذا يامرو الروذي؟

وعن الحسن البصري[2] رحمه الله قال: كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاب رجع ليلة من المسجد فاستقبلته امرأة جميلة وعرضت نفسها، فتبعها حتى وقف على بابها ثم ذكر هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعرَاف: 201][3] الآية وخر مغشياً عليه حتى خرجت نفسه، وأخبر عمر رضي الله عنه بذلك بعدما دفنوه، فجاء إلى قبره فنادى يا فلان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 46]، فأجابه الشاب من قبره: قد أعطانيهما الله يا عمر.

وقيل: كان الفضيل بن عياض[4] أولاً قاطع الطريق، فكان وقتئذ في ناحية ما واضعاً رأسه في [حجر][5] غلام إذ ظهرت القافلة، فلما دنوا علموا أن فضيلاً ههنا مع غلمانه لأجل أن [يقطعهم][6]، فقالت طائفة منهم وهم ثلاثة نفر للباقين: إن أذنتمونا نرمي إليه سهم الله تعالى، فإنه رجل عالم لعل أن ينفع، فقالوا لهم ارموا، فقرأ أحدهم بأعلى صوته قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ

---

(1) لم أجد له تخريجاً.

(2) الحسن البصري (110 هـ): الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة، توفي بالبصرة. انظر "الأعلام" ج2 ص226.

(3) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].
جاء في هامش النسخة "الطائف وسوسة الشيطان. صحاح".

(4) الفضيل بن عياض (187 هـ): الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. انظر "الأعلام" ج5 ص153.

(5) في النسخة "حجرة". (6) في النسخة "يقطعنا".

لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحَديد: 16]، فصاح فضيل صيحة وخر مغشياً عليه، فظن الغلام أنه أصابه سهم فجعل يطلبه في جسده، فلما أفاق قال: يا غلام أصابني سهم الله.

ثم قرأ الثانية قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذّاريَات: 50]، فصاح فضيل أشد من الأولى. ثم لما أفاق قرأ الثالث: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: 54] فصاح صيحة شديدة، فلما أفاق قال لخادمه وحشمه ارجعوا كلكم فإني نادم على ما فرطت في جنب الله ـ أي في حق الله ـ ودخل خوفه في قلبي، فمن اليوم لا يهنأ لي طعام ولا شراب وتركت ما كنت فيه، ثم فرق أمواله وبلغ إلى الوالي مشدوداً يديه وقام بين يديه وقال: عليّ حدود فأقم عليّ، فإني ندمت على ما فعلت وأصابني سهم الله وخوفه.

فقال الوالي: نحن محجبون ممن يخاف الله تعالى. فتوجه إلى مكة حتى بلغ بقرب من نهروان، فاستقبله هارون الرشيد فقال: يا فضيل إني رأيت في المنام كأنَّ منادياً ينادي بأعلى صوته إن فضيلاً خاف الله واختار خدمته فأحبوه، فصاح صيحة وقال: إلٰهي بكرمك وكبريائك تحب عبدا مذنبا كان هاربا من بابك منذ أربعين سنة. فمن يخاف الله بعد الأربعين يحبه، فكيف من يكون خائفاً أبداً مدة عمره؟

عن الشيخ الإمام أبي محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحكى أن رجلاً خرج ليلة وأخذ بيد امرأة، وخلا بها في موضع، فقالت: انظر هل يطلع علينا أحد؟ فقال: لا ترانا إلا النجوم. فقالت: إن الذي خلقنا والنجوم يطلع علينا، ألا تخاف منه ولا تستحي منه؟ فتركها وأناب وتاب، ولما توفي رآه في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بترك ذنبي.

وقد حكي أيضاً أن واحداً تعلق قلبه بواحدة من القافلة، فوجد فرصة عليها، قالت له: انظر هل في القافلة يقظان؟ فطاف بها فقال: هم نيام بأجمعهم. فقالت: ربكم هل نام؟ فقال: إن الله لا ينام. فقالت: تخاف منهم وهم لا يضرونا ولا تخاف الله؟ فتاب الرجل. فلما مات رآه في المنام فسُئل فقال: غفر الله لي بترك الذنب.

وعن سهل بن عبد الله التستري[1] رحمه الله: أنه قال ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيبه، لأن أعمال البر يعملها الأبرار والفجار من أهل الأديان كلها، ولكن من المناهي لا تجتنب إلا [بنبي][2] أو ولي.

وقال ابن عيينة[3] رحمه الله: للخائف علامتان: أحدهما أن لا يؤذي أحداً من الخلق مخافة الله، والثانية أن يترك جميع المعاصي.

وعن معقل بن سنان[4] رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «ما من يوم إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل في شهيد اعمل في خيراً أشهدكم يوم القيامة واغتنم فإني إن مضيت لم ترني إلى يوم القيامة، وفي الليلة كذلك»[5]، فعلينا أن نخاف من شهادتهما.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم إلا وملك ينادي من قبل المشرق أيها الناس مهلاً مهلاً فإن الله ذو سطوات وذو نقمات، فإن خفتم سطواته ونقماته فداووا قروحكم، [فلولا][6] رجال خشع، وصبيان رضع، وشيوخ ركع، وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا حتى [تذوقوا به][7] مهلاً من الله مهلاً»[8].

---

(1) سهل التستري (283 هـ): سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في (تفسير القرآن) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك. انظر "الأعلام" ج3 ص143.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) سفيان بن عيينة (198 هـ): سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير). انظر "الأعلام" ج3 ص105.

(4) معقل بن سنان (63 هـ) معقل بن سنان بن مظهر الأشجعي: صحابي، من القادة الشجعان. كانت معه راية قومه يوم حنين ويوم فتح مكة. وسكن الكوفة. وقدم المدينة، وكان موصوفاً بالجمال. انظر "الأعلام" ج7 ص270.

(5) انظر "كنز العمال" ج15 ص795.

(6) في النسخة كأنها "فلو".

(7) غير واضحة في النسخة، وهذا أقرب شكل لها.

(8) انظر "تفسير القرطبي" ج3 ص260، و"سنن البيهقي" ج3 ص345.

الباب الحادي عشر
في تفويض الأمر إلى الله تعالى

ولو قال الرجل وكلتك في مالي ففي القياس لا يصير وكيلاً وفي الاستحسان[1] يصير وكيلاً بالحفظ، والأصل أن وكل من تكلم بكلام مشتمل وأمر الآخر بذلك الكلام أمراً فإنه ينصرف إلى الأقل المتيقن لأن الأكثر مشكوك والأقل متيقن، فالأخذ بالأقل أولى كما لو قال [فوضت][2] إليك أمر مالي يحتمل الأنواع، فأقل الأنواع حفظ له فجعلناه حافظاً له لما له بقوله إن لم يظهر، ولو قال: [فوضت] إليك أمر عيالي في بيتي كان وكيلاً بالنفقة إلى عياله لأنها أقل التصرفات وأسهلها.

ولو قال: [فوضت] إليك أمر دوابي صار وكيلاً بالرعي والحفظ، ثم لأنه أقل التصرفات.

ولو قال: فوضت إليك امرأتي صار وكيلاً بالطلاق لأنه [لا أمر][3] له فيها إلا هذا ولكن يختصر[4] في المجلس كقوله: أمرها في يدك، حتى إذا قام عن المجلس بطل الأمر. كذا بخلاف ما لو قال: وكلتك في طلاقها، فله أن يطلقها متى شاء.

ولو قال لامرأته: فوضت أمرك إليك، صارت وكيلة في طلاقها واختص في المجلس.

وكذلك لو قال: وكلتك في طلاقك، اختص على المجلس لأنه تفويض لا توكيل، لأن الإنسان لا يصير وكيلاً إلى نفسه.

ولو أن إنساناً ادخر شيئاً من الدنيا للغد يجوز، ولو أنفق دنياه ولم يدخر

(1) القياس والاستحسان من المباحث الأصولية، تراجع في كتب أصول الفقه.
(2) في النسخة "فوضعت"، وسوف أصححها تلقائيا في المواضع القادمة.
(3) في النسخة "لامر". (4) لعل الأصل "يختص".

للغد وتوكل على الله فهو أحسن وفوض أمره إليه فهو أولى كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطّلَاق: 2-3][1] الآية.

وقد حكى في هذه الآية أن رجلاً كان في سفينة فسمع صوتا من البحر يقول: من يعطني عشرة آلاف دينار اعلمه كلمة ينتفع بها، فألقى الرجل العشرة فنودي أن واظب قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطّلَاق: 2] الآية، فقال له أهل السفينة: إن هذه الآية في القرآن فضيعت عشرة آلاف دينار، فقال الرجل: لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

فما مضى إلا قليلاً إذ عصفت الريح واشتدت حتى انكسرت السفينة وغرق أهلها، فبقى الرجل في لوح منها، فأخرجته الريح إلى جانب البحر وهو يواظب قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الطّلَاق: 4] إلى آخره، فخرج من البحر ببركة قراءتها.

فرأى قصراً مشيداً وعند بابه امرأة جالسة، فسألها فقالت: إني امرأة من البصرة وكان أبي يحملني مع نفسه في الأسفار لغيرة كانت لأجل، فكنا في سفينة في هذا البحر؛ فانكسرت السفينة فغرق أهلها وخرجت أنا إلى هذا القصر يخرج إليّ كل يوم إبليس من الأبالسة ينظر إلي ملياً وينصرف إلى البحر وأنا لا أقدر الذهاب، فقبل أن تتم الكلام خرج إبليس كالطود العظيم، فنظر إلى الشاب والشاب لا يزال يقرأ هذه الآية وإبليس يتقرب مرة بعد مرة ويذوب إبليس مثل الثلج في الشمس والنار والشاب يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطّلَاق: 2] حتى صار إبليس رماداً بحول الله وقوته، فبقي الشاب مع المرأة فوجدا سفينة، فركبا وبلغا البصرة، فخرجت المرأة إلى عشائرها وقصت عليهم القصة، فعرفوها وزوجوها من هذا الشاب وأكرموهما.

---

(1) قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطّلَاق: 2-3].

فأخرج الرجل صدفا كان وجده في البحر فإذا فيه من اللآلئ والجواهر، فباعها بمئتين وعشرين ألف دينار، ووجد في داخل الصدف عشرة آلاف دينار كانت له، فهذا بركة قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فهذا بركة مجرد قراءتها، فكيف من عمل بها وقرأها؟

قيل إن موسى عليه السلام لما خوف بفرعون ـ عليه اللعنة ـ فوض أمره إلى الله تعالى كما حكى الله، فقال عنه: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: 44] فقال الله تعالى: لما فوضت أمرك إلي فإنك من الآمنين، فالله تعالى ما فعل بفرعون وقومه ـ عليهم اللعنةـ معلوم، فكل من يفوض أمره إلى الله ينصره كما نصر موسى عليه السلام على خصمائه.

ويدل على ذلك حديث يعقوب عليه السلام حين أرسل يوسف مع إخوته وما فوض أمره إلى الله تعالى، بل قال ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: 13]، وأخذ يعقوب من أولاده موثقا، ففعلوا بيوسف إخوته ما هو مشهور.

ولما سألوا منه ابن يامين حين قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يُوسُف: 63]، وقال يعقوب مجيبا لهم ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: 64]، فلما فوض أمر ابن يامين إلى الله تعالى رده الله تعالى إليه مع يوسف عليه السلام، ثم عاتبه الله تعالى يا يعقوب لما فوضت أمر يوسف إلى إخوته فعلوا به ما فعلوا، وفوضت أمر ابن يامين إليّ رددت عليك يوسف عليه السلام.

ويدل على ذلك ولادة موسى عليه السلام كذلك أن فوضت أمه [أمره][1] إلى الله تعالى، فرباه في حجر عدوه، وكانت ترضعه أمه ولم يشعر به أحد.

وقد قيل: لِمَ أحرق الله لسانه ولم يحرق يده حين أخذ من الجمرة؟ فقال أهل الإشارة: إن موسى عليه السلام كان يأخذ من لحية فرعون ـ عليه اللعنة ـ فحفظ الله يده، وكان يدعوه بلسانه بابا فأحرقه الله لكي يزول من لسانه ذلك الإثم.

(1) ساقطة من النسخة.

وقيل: إن موسى عليه السلام لما فوض أمر قومه إلى أخيه فاتخذوا عجلا، ونبينا عليه السلام فوض أمر أمته إلى الله تعالى فبعده انتشر دينه بين الآفاق.

وقد روي عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ لم [يحرس][1] بأصحابه ليلاً ونام آخر الليل، وفوض الانتباه إلى صلاة الفجر إلى بلال، فنام بلال فلم يوقظهم إلا حر الشمس، فعاتبه الله تعالى وقال: يا محمد فوضت أمرك إلى بلال ففاتت منك الصلاة، ولو فوضت إليّ ما فاتتك عن وقتها.

وقيل إن آدم عليه السلام لما تناول من الشجرة وأخرج من الجنة إلى الدنيا قال: يا رب لم عاقبتني وإنما أكلت من الشجرة طمعا في الخلود في جوارك؟ قال الله تعالى: يا آدم طلبت الخلود من الشجرة لا مني، فطالبت معنا سوانا ففارقتنا.

عن الإمام أبي محمد يحكي عن عبد الله بن المبارك رحمهم الله قال: إن شابا من مرو استأذن والدته فأذنت له، ثم قامت وصلت بركعتين وقالت: اللهم إني أستودعك ابني. ولما كان في بعض الطريق يمشي مع القافلة إذ هو برجل فقال له: يا فتى إن ههنا طريق إن صحبتني سبقنا القافلة بثلاثة أيام فنستريح حتى تبلغ القافلة، فعدلا حتى سارا مرحلتين، فهبطا على واد فيه قتلى، قال له: يا فتى أترى هؤلاء؟ قد قتلتهم أنا، ولكن ضع ما معك. قال: ويحك اتق الله فإن لي أما كبيرة السن وليس لها أحد غيري. قال: ضع ما معك ولا بد من قتلك. قال: فخذ دابتي ومتاعي وخلِّ سبيلي. فقال: إني لا أستحل مال أحد حتى أهرق دمه. فناشده الله غير مرة فأبى. قال له: فأذن لي حتى أتوضأ وأصلي ركعتين، فتوضأ وصلى ركعتين، فنادى الشاب في سجوده: يا قريب غير بعيد إذ سمع منادياً من السماء لبيك لبيك، ثم نادى الثانية فقال: يا قريب غير بعيد إذ سمع صوتاً أقرب من ذلك لبيك لبيك ثلاثاً، ثم نادى الثالثة: يا قريب غير بعيد إذ سمع صوتاً أقرب، فإذا هو ملك من الملائكة على فرس شهباء[2] بيده حربة من نور ونادى

---

(1) في النسخة كأنها "يحرس"، ولعل الراجح ما بينته والله أعلم.

(2) جاء في هامش النسخة "الشهباء البياض لا [. . .] لون آخر، وقيل لا يخالطها سواد".

اللص وقد [اخترط][1] سيفه، فصاح به وقال: مه[2] يا عدو الله، فارتعد فوقع السيف من يده، فطعنه بالحربة طعنة وقتله ثم قال: خذ فرسه ومتاعه حلالاً لك، ثم قال: وحيث ناديت وقلت يا قريب غير بعيد كنت في السماء السابعة، فلما ناديت ثانية أجبتك من السماء الدنيا، وفي الثالثة أجبتك من فوقك كما رأيت، اذهب فانصرف فإن الله تعالى إذا استُودع شيئاً رده.

(1) في النسخة "احترط".
اخترط: في البكاء لج فيه واشتد والعنقود وضعه في فيه وانتزع عرجونه عاريا من حبه والسيف استله من غمده. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص474.
(2) مه: اسم فعل أمر معناه اكفف. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص699.

الباب الثاني عشر
من فوات الجنة

وإذا أذن الرجل في صلاته فهو على وجهين: إما أن يكون ذلك من وجع أو خوف من النار أو اشتياقاً إلى الجنة، فإن كان من وجع أو من تذكر خسران أصابه في الدنيا فسدت صلاته لأنه يصير من كلام الدنيا يفسد الصلاة لقوله عليه السلام: «ألا إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها من كلام الناس شيء، إنما هو التسبيح والتحميد والتهليل وقراءة القرآن»(1).

وإن كان من خوف النار أو اشتياقاً إلى الجنة فلا يفسد لأنه من أعمال الصلاة، لأن الخوف من أفعال الصلاة لقوله عليه السلام: صلِّ صلاة مودع كأنك تموت(2)، فبان أنه من أعمال الصلاة فلا يفسد، كما لو بكى فيها من خوف النار، ولو تأوه فكذلك [التفصيل](3).

ولو قال: آه، ذكر في الجامع الصغير(4): أنه إن كان من خوف النار لا يفسد الصلاة، وإن كان من وجع أو من مصيبة فسدت صلاته عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وهو قياس قول محمد رحمه الله(5).

وروى أصحاب الإملاء عن أبي يوسف(6) رحمه الله أنه قال: لا تفسد الصلاة في

---

(1) انظر "سنن النسائي" ج1 ص198، و"الدراية في تخريج أحاديث الهداية" ج1 ص175.

(2) وجدته برواية «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا واجمع الإياس مما في يدي الناس». انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج5 ص412، و"مسند الشهاب" ج2 ص93.

(3) في النسخة "التفضيل".

(4) هناك عدة كتب بهذا العنوان. انظر "إيضاح المكنون" ج1 ص354، والراجح أن المقصود هو "الجامع الصغير" لمحمد بن الحسن الشيباني (187 هـ). انظر "كشف الظنون" ج1 ص563.

(5) انظر "الجامع الصغير" لعبد الحي اللكنوي ص92، وهذا "الجامع الصغير" ليس هو المقصود لأن مؤلفه من المتأخرين (1304 هـ) إلا أنه من علماء الحنفية رحمهم الله.

(6) أبو يوسف (182 هـ) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، =

الأحوال كلها. ولو دعا المصلي فقال: اللهم اكسني ثوباً أو زوجني فلانة أو [اردد بني][1] فسدت صلاته، ولو قال: اللهم عافني، أو أكرمني، أو أنعِم علي، أو أصلح أمري، أو اغفر لي أو ما أشبه ذلك لا تفسد صلاته بهذا كله.

وأصل هذا أن كل دعاء يشبه كلام الناس فهو كلام يفسد الصلاة، وكل دعاء لا يشبه كلام الناس فهو دعاء لا يقطع الصلاة.

وفيه قول آخر وهو أن كل دعاء له أصل في القرآن وهو ذكر لا يقطع الصلاة، وما [لا][2] أصل له في القرآن فهو كلام يقطع الصلاة، والرزق والعاقبة له أصل في القرآن لقوله تعالى ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ [البَقَرَة: 286]، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المَائدة: 114] لم يقطع الصلاة، وقول اكسني وما أشبهه لا أصل له في القرآن فيفسد صلاته.

ولو قال: نجني من النار أو أدخلني الجنة لم يفسد الصلاة لأن الله أوحى إلى عبده محمد ﷺ أن ينذر الخلق ويخوفهم حتى يستعيذون به من النار كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشّورىٰ: 7].

قوله ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ أنزلنا عليك يا محمد قرآناً بلسان العرب. ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ معناه لتنصح أهل مكة ومن حولها من أهل المدائن، وتمنعهم عن الحرام وتخوفهم شديد اليوم. الذي ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الجَاثيَة: 26] يعني لا شك فيه، وهو اليوم الذي يؤمر ببعض العباد إلى الجنة وبعضهم إلى السعير.

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاةُ بكى، فقيل:

= أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه "الرأي" وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي " قاضي القضاة " ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه "الخراج" وغير ذلك. انظر "الأعلام" ج8 ص193.

(1) غير واضحة في النسخة.

(2) ساقطة من النسخة، وقد أثبتها حتى يتسق المعنى. والله أعلم.

ما يبكيك وقد صحبت رسول الله ﷺ وشهد لك بالجنة. فقال: بعد المسافة والعقبة الكؤود[1] وقلة الزاد أبكاني.

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن شابا كان يجتهد في زمانه في الطاعات حتى قالت له أمه: يا بني أرى الناس يأكلون ويشربون وأنت لا تأكل ولا تشرب، الناس ينامون و[يضحكون][2] ويدخلون ويخرجون وأنت لا تنام ولا تضحك ودخلت بيتا ولا تخرج قط؟ قال: يا أماه إني أطلب داراً لو نلتها صرت أنا وأهل بيتي من السعداء، وأتقي دارًا لو نجاني الله تعالى كنت من الفائزين، ولو أدخلني الله تعالى فيها كنت من الأشقياء.

فلما مضى [أيام][3] جاءت أمه إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقالت صحبت رسول الله ﷺ وتعلمت منه العلوم ما لم يتعلمه أحد، وإن لي ابنا يتعب نفسه من الجهد، فاذهب إليه وانصحه. فذهب عبد الله إلى الشاب وبلغ إليه مع أمه، فلما وقع بصره على الشاب قال: يا شاب إن لله تعالى عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولوالديك عليك حقا فأد حق الله وارفق بنفسك وبر بوالدتك. قال: يا ابن مسعود هل رأيت فارسين يستبقان؟ قال: نعم. قال: أيهما يسبق؟ قال: الذي وسطه أدق. فقال الشاب: أنا أدق وسطي لأسبق على جواز الصراط. فعرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه عارف أواب. قال: [حبيبي][4] اعمل وخف من النار فإن أهل النار فيها يأكلون وعليها ينقلبون، وجريحهم لا يداوى، ومريضهم لا يعاد، وكسرهم لا يجبر. فصاح الشاب وخر مغشياً عليه، فقالت العجوز: أتيت بك ناصحا لا منذرا متلفا ولا قاتلاً؛ اذهب قد قتلت ابني.

وعن علي وابن عباس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا: قال النبي عليه السلام يوم الاثنين في سلخ[5] ربيع الأول «من لم يكن له هم ثلاثة فليس منا: هم

---

(1) الكأداء: الشدة ويقال عقبة كأداء صعبة المرتقى. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص459.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة "اياه".
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(5) أي مضي الشهر وآخره. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص915، 916، و"لسان العرب" ج3 ص24.

هول المطلع أنه يخرج من الدنيا مسلماً أم كافرا؟، وهم سؤال منكر ونكير بعدما عاين حالهما؟، وهم أنه يؤمر به يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار؟»[1].

وعن مالك بن دينار ﷺ أنه كان يصلي الليل ثم يناجي ربه الله تعالى وهو يقول: إلٰهي خلقت دارين وخلقت لكل دار أهلها، فلا ادري من أي الدارين أنا؟ اللهم حرم شيبة مالك على النار.

حكي أن زوج رابعة العدوية[2] لما مات استأذن عليها الحسن البصري ﷺ وأصحابه، فأذنت بالدخول عليها وأرخت سترا وجلست وراءه، فقال لها الحسن وأصحابه: مات بعلك ولا بد لك من زوج وقد انقضت عدتك، فاختاري من هؤلاء الزهاد. قالت: نعم وكرامة، ولكن من أعلمكم فأزوجه من نفسي؟ قال الحسن البصريﷺ. فقالت له: إن أجبتني عن أربع مسائل فأنا بك[3]. قال: سليني إن وفقني الله تعالى أجبتك.

قالت: ما تقول لو مت أنا وخرجت من الدنيا، أمت مسلمة أو كافرة؟ قال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله.

قالت: ما تقول إذا وضعت في القبر ويسألني منكر ونكير، أأقدر على جوابهما أم لا؟ قال: هو أيضاً غيب، لا يعلم الغيب إلا الله.

قالت: ما تقول إذا حشر الناس يوم القيامة وتطايرت الكتب، أيُعطى كتابي بيميني أو بشمالي؟ قال: هذا غيب لا يعلم الغيب إلا الله.

قالت: إذا نودي في الخلق يوم القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير، أكنت في أهل الجنة أم في أهل النار؟ فقال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله.

قالت: سميت نفسك عالماً ولست بعالم. ثم قالت: يا حسن من كان في غم

---

(1) لم أجد له تخريجاً.

(2) رابعة العدوية (135 هـ) رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر. قال ابن خلكان: وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى الطور. انظر "الأعلام" ج3 ص10.

(3) هكذا في النسخة، ولعل الأصح "لك".

هذه الأربع أيحتاج إلى زوج؟ ثم قالت: يا حسن أخبرني على كم قسم الله العقل بين الرجال والنساء؟ قال: على عشرة أجزاء، جزء للنساء وتسعة أجزاء للرجال.

قالت: وعلى كم قسم الشهوة بينهما؟ قال على عشرة أجزاء، تسعة للنساء وجزء واحد للرجال.

قالت: أنا أملك نفسي بتسعة أجزاء من الشهوة وجزء واحد من العقل، وأنت لا تقدر بجزء واحد من الشهوة وتسعة أجزاء من العقل؟ فبكى الحسن وخرج من عندها.

وعن سعيد بن المسيب[1] رضي الله عنه قال: كتب محمد بن سيرين[2] إلى صديق له كتابا فقال: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنك يا أخي كيف تغير من نفسك وبعملك والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائدة: 27]، ويقول ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: 88-89]، ويقول ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ﴾ [المَائدة: 109][3] الله ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المَائدة: 109] يعني ماذا أجابكم قومكم؟ ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المَائدة: 109] من شدة هول مسألة الرب، فتذهب عقولهم وتتحير قلوبهم من شدة ما ينزل بهم، ويقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: 56]، ثم [ها][4] هو التقريب معلوم فافهم.

---

(1) سعيد بن المسيب (94 هـ) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة. انظر "الأعلام" ج3 ص102.

(2) ابن سيرين (110 هـ) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي.من أشراف الكتاب.مولده ووفاته في البصرة.نشأ بزازا،وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا) ذكره ابن النديم. انظر "الأعلام" ج6 ص154.

(3) قال الله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: 109].

(4) في النسخة "ما"، ولعل الراجح ما بينته.

الباب الثالث عشر
في منادى الموتى وندامتهم ومنادى القبر

وإذا كبر الإمام في العيد زيادة على التكبيرات المعروفة وهي ثلاث عشرة عند ابن عباس ﷺ، وتسع عند ابن مسعود ﷺ، وإحدى عشرة في الفطرة عن علي بن أبي طالب ﷺ، وعشر عند الحسن البصري ﷺ هل يتابعه المأموم؟ فهو على وجهين: إن سمع من المنادي يتابعه في ذلك وإن كثرت التكبيرات؛ لأن الغلط يحتمل من المنادي، وإن كان من الإمام لا يتابعه لأنه لا يتيقن زيادة التكبير.

ولو أن رجلاً وجد لقطة[1] أو أخذ عبداً آبقاً فعليه أن ينادي ويقول: عندي لقطة فمن رأيتموه يطلبه فدلوه عليّ، وإن ترك النداء والتعريف ثم هلكت يضمن.

ومن نادى في إخراج الشبهات والحرام من يده في الدنيا لا يحتاج إلى المنادي في العقبى، لأن النداء في الدنيا ينفع والنداء في العقبى لا ينفع كما قال الله تعالى حكاية عن أهل النار حيث يقول: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: 77].

والدليل على أن الموتى لهم منادي ندامة بما عملوا في الدنيا والدليل ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت يوضع على سريره فيخطى له ثلاث خطوات إلا وينادي نداء سمع ما شاء الله غير الثقلين يقول: يا أخوتاه ياخدمتاه يا أحباء يا حملة نعشاه لا [تغرنكم][2] الحياة الدنيا كما غرتني، ولا [تلعب][3] بكم الدنيا والزمان كما لعبت بي، خلفت ما جمعت

---

(1) لقط الشيء لقطا أخذه من الأرض فهو لاقط ولقاط ولقاطة والمفعول ملقوط ولقيط. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص586. أي يقصد الشيء الساقط والمفقود الذي يوجد على الطريق في الأرض.

(2) في النسخة "يغرنكم".
(3) في النسخة "يلعب".

لورثتي ولم يحملوا من خطيئتي شيئاً»[1].

وقد روي عن كعب ﷺ أن النبي عليه السلام قال: «لا يمر أحد في المقابر إلا وينادي أهل القبور يا غافل لو علمت ما نحن نعلم لذاب لحمك وجسدك كما يذوب الثلج في النار»[2].

وعن عبد الله بن عمر التميمي ﷺ أنه قال: ليس ميت يموت إلا نادته حفرته: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت لله مطيعا في حياتك فأنا عليك الرحمة، وإن كنت عاصيا فأنا عليك النقمة، أنا البيت الذي من دخلني مطيعا خرج مني مسرورا، ومن دخلني عاصيا خرج مني مثبوراً.

وعن عائشة ﵂ أنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجري ونام، ونظرت إلى وجهه الجميل وكث لحيته فرأيت فيها سبعة عشر بيضا، فقلت لعل أن يخرج هو من الدنيا قبلي، فسال دمعي على خده[3] وتقاطر على وجهه، فانتبه وقال «ما الذي أبكاك يا أم المسلمين؟». وقصصته ما وقع في قلبي، فقال لي «أية حالة أشد على الميت؟ قلت: لا يكون حالة أشد عليه من خروجه من داره. فقال عليه السلام: أشد حالة على الميت حين يدخل الغسال داره ليغسله، فيخرج من أصبعه وينزع ثيابه فعند ذلك ينادي روحه حين يرى نفسه عاريا بصوت تسمعه الخلائق غير الثقلين يقول: يا غسال بالله عليك أن [تنزع][4] ثيابي في رفق فإني الساعة قد استرحت من مخالب ملك الموت. فإذا صبّ عليه الماء صاح كذلك، فإذا رفعه المغتسل إلى الكفن ويشد موضع قدميه يقول: بالله عليك يا غسال لا تشد رأس الكفن حتى يرى وجهي أهلي وأولادي وقرابتي كنت أحبهم فإن هذه آخر رؤية يروني، فإذا اخرج الميت من الدار نادى بالله عليك يا حملة عرشي أن لا تعجلوني حتى أودع داري التي بنيتها ونقشتها وأهلي ومالي وأولادي وعشيرتي فإني لا ألقى أهلي ومالي وأولادي وعرشي وأحبائي إلى يوم القيامة، فإذا رفعت الجنازة ينادي بالله عليكم أن لا تعجلوني حتى أسمع صوت

(1) انظر "كنز العمال" ج15 ص596.
(2) لم أجد له تخريجاً.
(3) لعل الأصح "خدي".
(4) في النسخة "ينزع".

أولادي يقدون خلف جنازتي و[عرشي][1] التي تبكي علي صوت والدي الذي تقوس ظهره بموتي ووالدتي شدت وسطها بالمنديل لفراقي، ثم يقول: لا تؤذوا صبياني وأيتامي ولا تنهروهم. فإذا صُلى عليه ورفعت جنازته من المصلى ورجع بعض أصدقائه وقومه يقول: يا أخوتاه كنت أعلم أن الميت ينساه الأحباء لكن لا بهذه السرعة، رجعتم علي قبل أن يدفنوني ونسيتموني بهذه السرعة. فإذا وضع في لحده وحثي عليه التراب وسوي اللبن ينادي: يا وارثاه تركت الكثير من المال فلا تنسوني بكسرة من الخبز علمتكم القرآن والأدب فلا تنسوني بالدعاء؛ فإني صرت محتاجاً إلى كسيرة خبزكم ودعائكم»[2].

(1) في النسخة "عرسي"، والله أعلم بالصواب.

(2) لم أجد له تخريجاً.

الكسرة: القطعة المكسورة من الشيء ومنه الكسرة من الخبز (ج) كسر. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص490. وما زالت هذه اللغة وغيرها من الكلام الفصيح متداولاً بمعانيه في قبيلة أولاد نائل وخصوصا منطقة مدينة مسعد بالجزائر.

الباب الرابع عشر
في رفع الحاجة إلى الله تعالى

إذا قرأ الإمام اسم النبي عليه السلام فصلى رجل خلفه على النبي عليه السلام لا تفسد صلاته.

وإذا قرأ الإمام آية فيها ذكر الجنة فقال من خلفه اللهم أدخلني الجنة لا تفسد صلاته.

ولو قال في صلاته: اللهم ارزقني الجنة جاز ولا تفسد صلاته لقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: 114]، ولقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

قال محمد بن نعيم: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة. وقيل: ادعوني تذللا أستجب لكم تفخرا.

وقال ابن عيينة في الآية تنبيه أنه ينبغي للعباد أن يرفعوا حوائجهم إلى الله تعالى.

عن أبي حازم[1] أن النبي عليه السلام قال لابن عباس ﵄: «ألا أعلمك كلمات تنتفع بها؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» يعني تصدق على الفقراء في حال غناك يوسع الله عليك الرزق في حال فقرك وشدتك.

ثم قال ﷺ: «فإذا سألت فاسأل الله، ولو جهد الخلق أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله

---

(1) سلمة بن دينار (140 هـ) سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له الأعرج: عالم المدينة وقاضيها وشيخها. فارسي الأصل. كان زاهدا عابدا. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (ما رأيت أحدا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم) أخباره كثيرة. انظر "الأعلام" ج3 ص113.

عليك لم يقدروا، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرح مع الكرب وإن مع العسر يسرا»[1].

قال الفقيه أبو الليث أبو الحسن عن ابن الحسن النورجاز[2] ﷺ يحكى في عامة أن أمير البصرة غضب على ابن أخ الزياد المنقري وحبسه وقيده، فشفع إليه أهل البصرة مراراً كثيرة فلم يشفع لأحد، فرأى الزياد ليلة في المنام كأن قائلا يقول: إلى متى تشفع إلى الأمير؟ سل حاجتك من الله تعالى فإنه يستحي من عبد إذا رفع يديه وسأله حاجته أن لا يجيبه ويرده خائبا، فاسجد لله تعالى وسل حاجتك من الله تعالى. قال زياد: فانتبهت وتوضأت وصليت وبدأت سورة الأنعام وقرأتها كلها في ركعتين، ثم قمت إلى الركعتين الأخيرتين فإذا قارع يقرع الباب فخففت الصلاة وخرجت، فقلت: من هذا؟ قال: أنا ابن أخيك افتح الباب. فقلت: ما وراءك؟ ومعه رجلان. قال: يا عم كنت في السجن وأنا مقيد، فأيقظني السجان وحل القيد وحملني إلى الأمير، فقال الأمير: أنت ابن أخ الزياد المنقري؟ قلت: نعم. قال: [قمت][3] علي يومي وليلتي كما رقدت ينبهني شخص ويقول اقضِ حاجة الزياد المنقري، فاذهب إلى عمك. قال زياد: الحمد لله الذي إذا سألناه حاجة قضى حاجتنا في الساعة بغير شفاعة أحد. وهذا ليس ببعيد فإنه يقول ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غَافر: 60].

ومنها أن النبي عليه السلام كان يسأل من الله تعالى الإسلام لعمر ﷺ، فحين هم عمر إلى أذية رسول الله متقلدا سيفه فمشى حتى أن [بلغ][4] الأبطح،

---

(1) جاء في أغلب الروايات بلفظ (الفرج) بدل (الفرح) انظر مثلا "المستدرك على الصحيحين" ج3 ص623، و"شعب الإيمان" ج2 ص27. إلا في "سبل السلام" جاء بنفس اللفظ ج4 ص176.

(2) لم أجد لهما ترجمة، وكذلك بالنسبة للأعلام الذين تجاوزت عن ترجمتهم لم أجد لهم ترجمة.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) ساقطة من النسخة.
الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ومنه أبطح مكة. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص127.

فرأى عجلا يذبح، فتكلم العجل بلسان ذلق[1] يا أهل مكة ألا تصدقون رجلاً يدعوكم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأنه عبده ورسوله؟، فتفرق عنه القوم. فمضى عمر مرعوباً[2] معجبا حتى أتى بأناس من خداعة وهم في مخاصمة، فتحاكموا إلى صنم يقال [له][3] ثهم فإذا هاتف يهتف من جوف الصنم: يا أيها الناس ذو الأجسام ما أنتم [وطائش][4] الأحلام لا ترفعوا الحكم إلى الأصنام فالحكم لله على الأنام على الخلائق، أما ترون ما أرى أمامي من ساطع منور الظلام قد لاح للناظرين من تهام حتى بدى للناظرين [الشام][5]، قد حكم مهذب الأنام محمد ذو الغرة والكرام، يأمر بالصلاة والصيام والبر والعطف على الأيتام، ويرد الناس على الآثام فبادروا جدا إلى الإسلام.

فلما رأى ما رأى مع ذلك مضى بعزمه، فلقيه رجل فقال له: إلى أين؟ فقال: إلى محمد ﷺ أريد [قتله][6]، فقال له: أختك وختنك صبوا عن دينهما؛ فهذا أولى. فجاء يطلب، فبلغ دارهما وعندهما خباب يعلمهما الإسلام، فلما [أحس][7] خباب من عمر توارى في البيت، فدخل عليهما وهما يقرآن سورة طه، فوثب عليهما وهما يقولا أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فوقع على عمر الهيبة بعد ذلك، فسكن وقال: أعطوني هذا الكتاب. فقالت أخته: لا يمسه إلا المطهرون وأنت نجس قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]، فقام عمر رضي الله وتوضأ وأخذ الكتاب فقرأ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [طه: 1-2][8] إلى قوله تعالى: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6]، فقال: أوَ ربّكم يعلم ما في السموات وهو الذي [أرسل][9] محمداً ﷺ؟ فخرج خباب وقال: أبشر يا عمر فلعل الله أجاب دعوة

---

(1) ذلق: اللسان ذلاقة كان حادا طلقا. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص652.
(2) في هامش النسخة "مخوفاً".
(3) في النسخة "لهم".
(4) في النسخة "وطاليس".
(5) مترددة في النسخة بين "الشام" و"الشم".
(6) في النسخة "قتلي".
(7) في النسخة "احسن".
(8) قال الله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: 1-6].
(9) في النسخة "ارسله".

نبيه ورسوله ﷺ في حقك، فقال عمر ﵁: دلوني على محمد. فانطلق حتى أتى الدار التي فيها رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه وهم في وجل من عمر، فدق الباب فقال رسول الله «افتحوا الباب فإن عمر عند الباب»، فما قدر أحد أن يخرج، فخرج رسول الله عليه السلام وعمر بالباب متقلدا سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «ألم يأن لك يا عمر أن تؤمن بالله؟» فسقط السيف من يده ووقع على رجليه، فقال: اعرض عليّ الإسلام، فعرض النبي عليه السلام فأسلم، ففرح المؤمنون وخرجوا مستبشرين، فذهبوا [بإسلام][1] إلى الكعبة والكفار منتظرون إلى عمر أن يجيء برأس محمد، فلما رأوهم من بعيد ظنوا أن عمر جاء بهم فظفرنا[2] وبلغنا إلى ما كنا نرجوا.

فلما قدموا رجع الأمر غير ما اعتقدوا، فهزموا وتفرقوا وتشتتوا، فسل عمر سيفه وضرب أعناقهم وكسر أصنامهم، ثم سأل معجزة، فقال رسول الله ﷺ: «يا هبل ـ وهو صنم ـ من ربك؟ ومن أنا؟» فقال: ربي الله خالق السموات والأرض وأنت محمد رسول الله، أفلح من صدقك وخاب من كذبك.

فصعد عمر السطح فصاح بلسانه وأعلى صوته: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، [فحينئذ][3] قوي الإسلام ببركة دعاء رسول الله ﷺ[4].

قيل [رفع أهل بغداد في قصة إلى][5] علي بن موسى يشكون عن كف الأمطار وغلاء السعر لينظر في أمورهم، فكتب في القصة: لست سماء فأسقيكم ولا بأرض فأكفيكم، ارجعوا إلى بارئكم يكفيكم.

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن الفضل رحمهم الله: إن رجلاً مديونا طولب وما كان له شيء فيقضي به ديونه، فاضطر فاستقرض من جميع أصدقائه

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) الراجح أن الناسخ أسقط كلمة هنا مثل "قالوا".
(3) في النسخة "فحين". (4) انظر "كنز العمال" ج12 ص553.
(5) في النسخة "افعوا اهل بغداد قصة ال "، ولا معنى قريب ولفظ صحيح إلا ما بينته، والله أعلم بالصواب.

فما أجابوه فعجز، فدخل مسجدا وصلى ركعتين في جوف الليلة ثم رفع وجهه ويديه إلى السماء وقال: إلٰهي أتيت بابك بعد اليأس من عبادك وأنت لا تخيب رجاء الراجين إليك وتعلم أنه لا يقضي حاجتي إلا أنت، اللهم إنك تعلم أن عليّ ديوناً لا بد من قضائها ولا طاقة بي في قضائها، اللهم فاقض عني ديوني من خزانتك ويا مغيث من استغاث بك ومعطي من يسألك وواصل من وصل بك ومقرب من يقربك يا مغيث كل مستغيث.

قال: فلم يتم دعاءه إذ سمع نداء من باب المسجد خذ يا عبد الله من عند الله رزق الله، فخرج فإذا برجل راكب وفي يده صرة فيها ألف دينار، فقال له: خذها واقض ديونك، وإذا فنى هذا فأنا فلاناً بن فلان فاطلبني، فقال له: أطلب من يعطيك.

وروي أن رجلاً أخذه السلطان وحبسه فما تركه حتى أخذ منه خطا بأداء ذلك القدر إلى الأجل المعلوم، فذهب الرجل إلى جميع ما كان يعرف من الأصدقاء ليعينوه بإزالة الظلم وكشف ما به من الضر فما وجد أحداً يعينه وحل أجله، فدخل المسجد مغموماً وصلى ركعتين ثم رفع يديه إلى السماء: إلٰهي أنت وأنا[1] وكل يعمل بما يشاكله، أنت الكريم وأنا اللئيم فما حضرت بابك إلا بعد يأسي من عبادك، وأنا معترف بوحدانيتك وقوتك وغناك، فارحم الضعيف الفقير بإزالة الظلم عنه فإنه لا يقدر على ذلك أحد غيرك يا رؤوف يا رحيم.

فلما فرغ من دعائه سمع صوتاً يقول: يا عبد الله أبطأت لكن أتيت بقلب سليم ومعاذير بليغة، ورفعت حاجتك إلى من بيده قضاء الحاجات للعباد، وتيقنت أنه لا يقضي حاجتك إلا هو. [فخر][2] الرجل لله ساجدا، فلم يرفع حتى سمع صوت رجل يقول: يا عبد الله خذ [خطك][3] واعف عنا، فإذا هو السلطان الظالم وبيده خطه ويقول: خذ [خطك] واعف عني ونجني من صاحب السيف الذي خلف يقودني إليك ويأمرني برد الخط عليك وإزالة الظلم عنك وإلا فيقتلني

(1) جاءت في النسخة مكررة. (2) في النسخة كأنها "فخرج".

(3) في النسخة مترددة بين "حظك" و"حقك" و"خطك"، وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائياً.

إن لم تعف عني، فأخذ الرجل خطه وقال: الحمد الله الذي لا ينسى من ذكره ودعاه ورفع حاجته إليه في ظلمة الليل.

قيل تفقد سليمان عليه السلام الهدهد هو أحسن الطيور فاختلف فيه، قال بعضهم نزل سليمان عليه السلام بمفازة ليس فيها ماء وضاق وقت الصلاة فخاف فواتها وكان الهدهد أعرف الطيور [بالماء][1] فطلبه لأجل علمه.

فالنكتة أن سليمان عليه السلام مع نبوته احتاج إلى الهدهد لسبب علمه، وما استنكف سليمان عليه السلام بتفقده وميزه من بين سائر الطيور، فكيف العالم؟

وقال بعضهم إنما طلبه لأنه كان له صوت طيب ويسبح الله بألحان طيبة، فاشتاق إلى صوته فتفقده.

فالنكتة أن النبي عليه السلام اشتاق إلى تسبيح غير مكلف، فكيف أن لا يشتاق سكان السموات إلى تسبيح عبد مكلف موحد؟

وقال بعضهم وهو علي بن أبي طالب ﷺ: إن سليمان كان يعطي رزق كل طير بيده، فلما هم أن يعطي رزق الهدهد فما وجده، فقال لأعذبنه عذاباً شديدا، وقد شق عليه أن [لا][2] يطلب رزقا غيره فقال ذلك.

والنكتة أن سليمان عليه السلام مع عجز عبوديته قد تأذى أن لا يطلب غيره، فكيف القادر الرزاق أن لا يغضب حين يسأل عبده غيره وهو ضامن لأرزاق العباد؟

قال بعضهم إن الطيور كانت [تظل][3] سليمان عليه السلام وقت مسيره من الشمس، فوقعت الشمس من موضع الهدهد فقال: لأعذبنه عذاباً شديداً فالنكتة أن سليمان عليه السلام مع عجزه أوعد الهدهد بتقصيره مرة مع عذره، فكيف القادر أن لا يوعد عبده بتقصيره مدة عمره وبارتكاب [معاصٍ][4] كثيرة.

---

(1) في النسخة "ماء".

(2) جاءت في النسخة فوقها خط، لعل الناسخ أراد محيها.

(3) في النسخة "يستظلون".

(4) ساقطة من النسخة، ولعل هذه الكلمة أو ما في معناها ساقط من النسخة.

ثم في قوله عليه السلام: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النَّمل: 21] اختلف في كيفيتها، فقال علي ﷺ: لأعذبنه عذاباً أي [لأفرقن][1] وبين أهله فيذوق طعم الفراق، فلا يعود إلى فراق بغير سبب[2].

فالنكتة أنه أوعده بالفراق من زوجته مع أنه لو فقد الأهل يوجد بدله إلا أن الإنسان لو فارق الحق لم يجد رضا مولاه يوم القيامة أفلا يكون عذاباً شديداً وخسراناً ظاهر؟ ـ اللهم أعِذنا[3] من ذلك.

قيل إن واحداً من الزهاد مر بباب بعض الوزراء وهو مشدود ليس فيه أحد عليه غيره؛ وكان قد رآه قبل ذلك مراراً بحشم كثير وبأس شديد، فسأل فقالوا إن الوالي غضب عليه، فقال الزاهد هذا غضب المخلوق فكيف غضب الخالق؟ ثم لما أوعد سليمان الهدهد وأخبروه بذلك فقال: هل عقب قولا آخر؟ قيل له: قال عليه السلام أو ليأتيني بسلطان مبين. فصار مغتما يدعو ربه ويلتجأ إليه لكي يظهر عليه حجة حتى ينجو من وعيد سليمان عليه السلام، فألهمه الله تعالى حتى رأى عرش بلقيس وقومها، وفرح بذلك على أنه وجد عذرا.

فالنكتة أن غير المكلف طلب عذرا لكي ينجو من المخلوق والمكلف لا يطلب عذرا لمعاصيه لكي ينجو من غضب الخالق، فلما رجع الهدهد إلى سليمان قال إني [أحدثك عن][4] امرأة تملكهم. فلم يلتفت سليمان إلى كلامه. فقال: أوتيت من كل شيء. فلم يلتفت إلى كلامه. فقال: ولها عرش عظيم. فلم يلتفت إلى كلامه. فعلم الهدهد أنه اخبره بخبر الدنيا فلم يقبل عذره، فاشتغل بعذر فيه ذكر من الله تعالى فقال: وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فأثر ذلك على سليمان فتغير لونه واحمر وجهه واصفر لونه.

---

(1) في النسخة "لافرقنه".

(2) جاء في هامش النسخة "كنتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو جعله في القفص. كشاف".
وجاء في الهامش "[أضيق] السجون معايش الاضرار".
وجاء كذلك "النصيحة [سهلة] والمشكل قبولها. أمها الولد" والظاهر أن هذه ملاحظات من الناسخ.

(3) جاء في هامش النسخة "احفظنا". (4) في النسخة "أحدث".

فالمقصود أن المخلوق سمع عبادة لغير الله فغضب، فكيف الرب أن لا يغضب إذا عُبد غيره.

ثم لما قويت حجة الهدهد عند سليمان عليه السلام فرح بنجاته من يد سليمان.

ثم النكتة أن غير المكلف إذا التجأ إلى الله تتيسر الحجة عند المخلوق لغيبة ولفقده، فكيف العبد إذا تاب إلى الله أفلا ينقذه من يد الشيطان وسطوته(1)؟

فلما أرسله سليمان عليه السلام بالكتاب إلى بلقيس وحل الكتاب كان يتبختر بين الطيور؛ وكانوا يشرفونه ويعظمونه(2) بحمل كتابه، فالمؤمن أولى أن يعظم مما في قلبه من الإيمان.

ثم لما وصل(3) وألقى الكتاب على صدرها فأخذت الكتاب وقالت: إني ألقي إليّ كتاب كريم وقرئ كتاب كريم.

وقيل في التفسير: يعني كريم ما فيه وكان فيه لا إلٰه إلا الله [وأي](4) هو أكرم من لا إلٰه إلا الله وهو مخلص الإيمان والتوحيد.

فالنكتة أن كتابا فيه مرة لا إلٰه إلا الله صار كريما وسمي كريما، فكيف المؤمن وهو يقول كل يوم مراراً لا إلٰه إلا الله أن لا يصير كريما عند الله؟

وقيل: إن واحداً رأى سليمان عليه السلام [في](5) حالة جلاله وعظم شأنه فقال تعجبا: لقد أوتي إلى داود ملكا عظيما، فسمع سليمان قوله فقال: والذي نفسي بيده إن تسبيحة واحدة في ديوان أحدكم يوم القيامة أعظم قدرا من ملكي هذا، فطوبى للمؤمن ما له عند الله تعالى، وحق المؤمن أن يكون في جميع أحواله متوجها إلى الله ولا يسأل غيره.

---

(1) في هامش النسخة "وسوسة".
(2) في هامش النسخة "عطف تفسير".
(3) في هامش النسخة "وصل الهدهد إلى بلقيس".
(4) في النسخة "وانى".
(5) ساقطة من النسخة.

وقيل إن قارون حين أخذته الأرض قال ثلاث مرات: [أغثني][1] يا موسى فلم [يغثه] حتى ابتلعته الأرض، فعاتب الله تعالى موسى عليه السلام وقال: إن قارون لو استغاثني مرة فبعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأغثته. فالواجب أن يكون العبد راجعا إلى الله تعالى في جميع أحواله.

(1) في النسخة كأنها "اغنتني"، وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا.

الباب الخامس عشر
في إصلاح النفس والقلب بمسائله [وعظاته][1]

وإذا صلى الرجل الوتر في المسجد يجوز ولكن الأفضل أن يصلي في بيته لوجهين:

أحدهما: أن النبي عليه السلام كان يصلي في البيت وقد تواترت الأخبار بذلك.

والثاني: أنه في البيت يكون أبعد عن الرياء وأقرب إلى الإخلاص، وكذلك الحكم في ركعتي الفجر.

وقد روي في الأخبار أن النبي عليه السلام قال: «من صلى [ركعتي][2] الفجر في بيته كثر خير أهل بيته ولم يكن له منازعة بينه[3] وبين أهله، وخرج من الدنيا حين يخرج وهو مسلم»[4].

ولو رد المودع الوديعة في ملأ[5] من الناس فإنه يجوز، ولو [ردها][6] خفية هو أفضل كما قال يحيى بن معاذ الرازي[7] حين سئل عن العدل والصلاح فقال: من اؤتمن سرا فأداه سرا فهو عدل.

ثم إن الله تعالى خلقك فلم يكن بينكما أحد، ورزقك فلم يكن بينكما أحد، وعلمك ما لم تعلم ولم يكن بينكما أحد فكذلك يحب عبده أن يعبده وليس بينهما

---

(1) في النسخة "واغطائه".
(2) في النسخة "ركعتين".
(3) في النسخة "وبينه".
(4) لم أجد له تخريجاً. والراجح أن نص الحديث الشريف ينتهي هنا. والله أعلم.
(5) جاء في هامش النسخة "في جماعة".
(6) في النسخة كأنها "رده".
(7) يحيى بن معاذ (258 هـ) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته. من أهل الري. أقام ببلخ، ومات في نيسابور. له كلمات سائرة. انظر "الأعلام" ج8 ص172.

أحد، ولهذا إن رجلاً مذنبا لو لم يتب بقلبه لم تنفعه توبة بلسانه [الفساد][1] ستره. أما ترى أن رجلاً من أجرى كلمة الكفر على لسانه عند الإكراه لم يضره إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، فإنما المعتبر القلب لا اللسان، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البَقَرَة: 8-9].

وعن أبي أيوب الأنصاري أن النبي عليه السلام قال: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله تعالى أصلح الله فيما بينه وبين العباد، ومن افسد سريرته أفسد الله علانيته فيما بينه وبين خلقه»[2].

وعن محمد بن إسحاق[3] ﷺ صاحب المعاد قال: «أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى قل لعبادي من كانت سريرته مثل علانيته فهو مؤمن حقا، ومن كانت سريرته أحسن من علانيته فهو ولي حقا، ومن [كانت][4] سريرته أشر من علانيته فهو عدوي حقا».

وعن منصور بن محمد يروي بإسناد إلى نعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور شبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيها، ألا إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد فإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[5].

وعن أبي محمد أن رجلاً قال لعمر بن عبد العزيز قال: إذا كان الله معك فممن تخاف أنت؟ فقال: زدني. قال: إذا لم يكن الله معك فممن ترجو الرحمة؟ قال: زدني. فقال: لا تكن ممن يحب الصالحين ولا يتبعهم، ولا تكن من

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) انظر "مصنف ابن أبي شيبة" ج7 ص162، 217، و"كنز العمال" ج3 ص25.
(3) هناك أكثر من عالم عرف بهذا الاسم إلا أني لم أجد لأحدهم كتاب يسمى المعاد.
(4) في النسخة "كان".
(5) انظر "معجم ابن الأعرابي" ج3 ص489، و"الترغيب والترهيب" ج2 ص350.

مبغضي الفاسقين وتعمل أعمالهم، ولا تكن من الذين يلعنون الشياطين في الملأ ويطيعونه في الخلاء. قال: كفاني وبكى وانصرف.

وعن محمد بن نعيم ﷺ يحكى عن معاذ النسفي قال: قلت لحاتم الأصم ﷺ إن الناس يمدحونني فهل أعرف أن مدحهم صدق؟ قال: نعم بثلاثة أشياء: أحدها: أن لا تجد في قلبك شيئاً من عرض الدنيا له منزلة، والثاني أن لا يرهب قلبك من الموت، والثالث أن لا تستحي من [سرك][1] إن أعلنته.

عن سهل بن عبد الله الصوفي التستري قال: كان في بعض الصالحين [من][2] يغسل موتى الصوفية، فقال غسلت ميتاً يوماً وأدرجته في كفنه، فسمعت هاتفاً من زاوية البيت يقول: إنه غسل باطنه في حياته وأنت غسلت ظاهره بعد وفاته فاجتمع الغسلان فصار نورا على نور، وأنتم تحملون الميت إلى القبور ونحن نحمل الروح إلى السيد الغفور، وأنتم زينتم البدن بالثياب ونحن زينا الروح بالثواب فطوبى لمن أناب وتاب وغسل باطنه.

حكي أن عبد الله بن المبارك ﷺ رأى فرسا يباع في السوق بأربعين درهما، فقال ما أرخصه!. قيل له عيوب وهو أنه لا يعدو خلف العدو ويقف حتى يدركه العدو ويصهل في موضع يحتاج فيه إلى السكوت. قال: فإذا هو غالي بذلك القدر فتركه و[اشتراه][3] تلميذه، فلما كان يوم الحرب بارز هذا الفتى وعمل الفرس عملاً حسناً، فقال عبد الله لتلميذه: أليس هذا الفرس هو الذي وضعوا به عيوباً؟ فقال: نعم، ولكن لما اشتريته قلت في أذنه أيها الفرس تركت الذنب الذي ما في السر فطهرت سري فصرت بريئا من العيب؛ فاترك أيضاً أنت ما يضعون بك من العيوب، فتحرك رأسه ثلاث مرات، فما رأيت بعده عليه من العيوب، فعرفت أن العيب كان من الصاحب لا من الفرس، فالفرس لا يرضى بصاحبه المعيب ولا يطاوعه لأجل فساد سره، فكيف الخالق أن يرضى من عبده مع كونه عيباً؟، وكيف يجيبه عند فساد سره؟ فالله تعالى يوفقنا لإصلاح ضمائرنا.

---

(1) في النسخة كأنها "شرك".
(2) ساقطة من النسخة.
(3) في النسخة "اشترى".

الباب السادس عشر
في ذكر العلماء السوء والقرَّاء

وإذا فتح الرجل الصلاة وكبر لها ولم يحضر النية حتى قرأ الفاتحة؛ هل يكون شارعا في الصلاة أم لا؟ قال هذا على وجهين: إما أن يكبر مع نية الصلاة أو يكبر بغير نية شيء، فإن كبر مع نية الصلاة كان شارعا في النافلة، وإن كبر بغير نية شيء فهو لاغ وليس بشارع في الصلاة، كمن أمسك عن الطعام والشراب يوماً كاملا في غير رمضان بغير نية شيء لم يكن ذلك صياماً [فهذا كذلك][1].

فإن كبر للصلاة ونوى الصلاة إلا أنه لم ينوِ أية صلاة هي حتى قرأ الفاتحة ثم تذكر أنه لم ينوِ الصلاة التي عليه من الظهر والعصر أو غيرها لا يجزيه عما عليه إلا بالنية، لأن النية والاستقبال في الابتداء من شرط صحتها فلم يوجد ذلك.

ولو أن رجلاً وجد لقطة أو عبداً آبقاً فأخذ لنفسه هو غاصب يجب عليه الضمان إذا هلك عنده، فلو أخذه لصاحبه ليرده نظر فإن أشهد عند الأخذ لا ضمان عليه إذا هلك عنده بالاتفاق، وإن لم يشهد ضمن عند أبي حنيفة ومحمد[2] رحمهما الله.

ولو وجد لقطة ولم يرفعها بل نوى الجناية وما رفعها فلا ضمان عليه، فلو رفعها لنفسه ثم نوى أن يدفعها إلى صاحبها ثم هلك لم يبرأ عن الضمان لأنه

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) الراجح أن المقصود:
الشيباني (189 هـ): محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة.أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط.ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به. له كتب كثيرة في الفقه والأصول. انظر "الأعلام" ج6 ص80.
ومعلوم عند الأحناف رحمهم الله أن أبا يوسف ومحمداً يسميان الصاحبين.

غاصب، والغاصب لا يبرأ بمجرد النية.

ولو نوى المسلم أن يكفر بعد ألف سنة فهو كافر من ساعته، ولو نوى الكافر الإسلام لا يصير مسلماً إلا بالشروع فيه، وهو إتيان كلمة الشهادة، لأن الإسلام عمل فلا يصير عاملاً بمجرد النية، كصاحب الإبل السائمة إذا نوى أن تكون إبله للتجارة لا تصير للتجارة ما لم يعرض البائع لأنه عمل، ولو نوى صاحب إبل التجارة أن تكون إبله سائمة انعقد الحول من وقت نيته لأنه ترك العمل فكفته النية، فكذا هنا لا ينبغي للمسلم أن يكون في لسانه غير ما في قلبه حتى لا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النّحل: 116-117][1] الآية، يعني لا تقل أيها العامل إن هذا حلال وهذا حرام ثم تأخذ الحرام ولا تبال فيكون في قلبك خلاف ما يظهر لسانك حتى قال جعفر بن عبد الصادق[2] رحمهما الله: نزلت هذه الآية في علماء السوء.

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله عليه السلام: «ويل لأمتي من علماء السوء يتخذون بهذا العلم تجارة لأنفسهم لا أربح [الله][3] تجارتهم»[4].

وعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «في جهنم واد [يفزع][5] منه جهنم، وفيه جب يفزع منه ذلك الوادي، وإن في ذلك الجب حية يفزع [منها][6] ذلك الجب. قيل: لمن هذا يا رسول الله؟ قال: لفسقة حملة العلم والقرآن»[7].

وعن ابن عباس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان

---

(1) وجاء في هامش النسخة "وفيه وعد شديد لمن أفتى بغير دليل".
(2) الراجح أن المقصود "جعفر الصادق". (3) في النسخة "إلا".
(4) انظر "كنز العمال" ج10 ص205. (5) في النسخة "يفرغ".
(6) في النسخة "منه".
(7) أقرب رواية وجدتها هي قول النبي ﷺ: "تعوَّذوا بالله من جب الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم تتعوَّذ منه جهنم كل يوم مائة مرة ومائة، قيل: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: القراء المراؤون بأعمالهم". انظر: "الترغيب والترهيب" ج1 ص33، و"المعجم الأوسط" ج3 ص261.

يعلمون القرآن ويحفظون حروفه ويضيعون حدوده، فويل لهم مما حفظوا وويل لهم مما ضيعوا، وإن أولى الناس بهذا القرآن من يرى أثره عليه وإن لم يكن جمعه، وإن أبعد الناس منه من جمعه ولم يرَ أثره عليه»[1].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع لأن في الكلام تزينا وزيادة لا يرى على صاحبه إلا الإثم والخطأ والمستمع شريك المتكلم وفي الاستماع سلامة وتعلم»[2].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «يأتي على الناس زمان يأكلون بألسنتهم ـ يعني العلماء ـ كما تأكل البقر بألسنتها»[3] وهم أبغض خلق الله.

وعن مسيب بن واضح ﷺ أنه قال: كنت مع عبد الله بن المبارك في طريق الروم فقال: يا مسيب ما جاء فساد العامة إلا في الخاصة، قلت: يرحمك الله يا أبا عبد الرحمن فلم؟ قال: لأن [أمة][4] محمد ﷺ خمس طبقات: أوله العلماء، والثاني الزهاد،والغزاة، والتجار، والولاة.

فأما العلماء فهم ورثة الأنبياء، والزهاد عمود الأرض، والغزاة جنود الله في الأرض، والتجار أمناء، فالولاة وهم الرعاة. فإذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فالجاهل بمن يقتدي؟ فإذا كان الزاهد راغبا، فالتائب بمن يقتدي؟ فإذا كان الغازي مرائياً فمن يظفر بالعدو؟ فإذا كان التاجر خائناً فكيف يؤتمن الخائن؟ فإذا كان الوالي ذئباً فمن الرعية يحفظها؟

وقال محمد عبد الله بن سهل ﷺ: بلغني أنه إذا فعل قراء آخر الزمان وعلماؤها ثلاثة أشياء عاقبهم الله تعالى بثلاثة أشياء: إذا تركوا حراسة القلب عاقبهم برفع الهبة، وإذا اشتغلوا بالنزهة واللذة عوقبوا برفع المودة في قلوبهم،

---

(1) انظر "كنز العمال" ج10 ص212.

(2) انظر "الموضوعات" لابن الجوزي ج1 ص265، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص120.

(3) وجدته حديثاً نبويًّا شريفًا بغير زيادة "وهم أبغض خلق الله"، ولعل الزيادة هي من شرح وكلام عبد الله بن مسعود ﷺ. انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج1 ص184، و"كنز العمال" ج3 ص837.

(4) الراجح أن هذه الكلمة أو ما في معناها ساقط من النسخة.

وإذا اشتغلوا بالذنوب فلم يتوبوا عوقبوا بالعداوة[1]، لم يقبل منهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهلكوا.

وعن سفيان الثوري ﷺ قال: «إذا رأيت العالم يحب الأغنياء فاعلم أنه صاحب الدنيا، وإذا رأيته يأتي باب السلطان فاعلم أنه لص»[2].

وقال مكحول الشامي ﷺ: «القرآن والفقه رفعة في الدنيا، فمن تعلم القرآن والفقه رفع في الدين ثم إذا أتى باب السلطان [بالغاً][3] إليه وطمعاً فيه ورغبة إلى ما في يده [خاض][4] في جهنم بقدر خطاياه».

(1) جاء في هامش النسخة زيادة قد تكون تابعة لنص الكتاب في هذا الموضع وهي "وإذا اشتغلوا بالعداوة".

(2) وهذا يظهر جليا في عصرنا الحالي.

(3) في النسخة "بلغا"، ولعل أصل الكلمة المرادة شيء آخر.

(4) في النسخة كأنها "خاص".

الباب السابع عشر
في الورع وذكر الورعين

ولو أن رجلاً شك في طلوع الفجر في شهر رمضان أنه طلع الفجر أو لم يطلع جاز له أن يتسحر لأنه على يقين من الليل وشاك في النهار واليقين لا يزول بالشك، ولكن الورع أنه لا يتسحر لقوله عليه السلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1].

ولو أن مسلماً أكره بالكفر فلا بأس أن يجري لفظة الكفر إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، والأفضل أن لا يجري ويعطي[2] نفسه حتى يقتل.

ويجوز للرجل أن يجيب دعوة الفاسق لأن له ملكاً كما للمتقي، والأفضل أن لا يجب لأنه عسى أن لا [يتقي][3] عن الشبهات والحرام لفسقه كما قال الشيخ أبو بكر أحمد بن سعد يقول: أعطاني الله تعالى أربعة أشياء: اللسان، واليد، والحلق، والرجل فشاركت الناس فاسقهم وتقيهم في اليد واللسان، فكما [أكلم][4] الفاسق كذا التقي؛ وكما أصافح البر كذا الفاجر، ولا أشاركهم في الحلق والرجل؛ لا آكل الطعام إلا الحلال، ولا أمشي إلا إلى رجل تقي صالح.

وقيل لم يبلغ العبد درجة المتيقن حتى يدع ما لا بأس به حذر ما به بأس[5]، ومن لم يكن له ورع يصده عن معاصي الله تعالى إذا خلا لم يقبل الله تعالى شيئاً من عمله.

وعن عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على ما يتابعون؟ قال عليه السلام: على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا [تسرقوا][6]، ولا

---

(1) سبق تخريجه.

(2) هكذا جاءت في النسخة ولعل الأصل "يعصي".

(3) في النسخة كأنها "تبقى".

(4) في النسخة "اتكلم".

(5) هذا حديث للنبي ﷺ. انظر "إحياء علوم الدين" ج2 ص413.

(6) في النسخة "تسرفوا".

تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن أتى بعد الإيمان بشيء من ذلك فما قمتم عليه الحد كان الحد كفارته، ومن ستره الله تعالى فحسابه على الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ومن تورع و[اتقى][1] ولم يأتِ بعد الإيمان بشيء من ذلك ضمنت له الجنة حتى يدخلها خالداً مخلداً»[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «من أصبح وهمه التقوى عن المعاصي ثم أصاب من ذلك شيئاً غفر الله له ذلك»[3].

عن أبي الحسن محمد بن الحسين ﷺ أنه قال: اشترى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ قميصا بثلاثة دراهم ممن كان لا يعرفه أنه علي، فلما لبسها جاوز كماه عن يديه قدر شبر، فقال للبائع: اقطع الزيادة. فقال: يعيب الثوب. فقال: الثوب ثوبي. فقطع الزيادة فرآه إنسان فقال: [علي][4] إنه مجنون. فقال علي ﷺ: الحمد لله الذي أكمل إيماني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتم إيمان امرئ مسلم حتى يقول الناس إنه مجنون»[5].

ثم اختلف الناس في قطعه الزيادة، فقال بعضهم إنما قطعها لأن طول الكم عادة الشيطان والمترفين[6] فكره أن يتشبه بهم.

وقال بعضهم: وهو أحسن إنما قطع لأجل أن لا يحاسب في العقبى إذ هو غير محتاج إليها في ستر أعضائه والزهد والورع ينبغي أن يكون مثل ذلك، فإن كنت ممن يحبه فاتبعه حتى تكون معه يوم القيامة، فإن «المرء مع من أحب» وهذا قول النبي عليه السلام[7].

ويروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: التقي من يحاسب مع نفسه كل يوم كما

---

(1) في النسخة "التقى".

(2) انظر "صحيح البخاري" ج4 ص1857، و"صحيح مسلم" ج5 ص126، و"المعجم الأوسط" ج1 ص283.

(3) سبق تخريجه.

(4) في النسخة "من علي"، الراجح ما بينته، والله أعلم.

(5) لم أجد له تخريجاً.

(6) جاء في هامش النسخة "تكبر"، "مرحين" مرادفة لكلمتي "الشيطان"، "المتفرفين".

(7) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2283، و"صحيح مسلم" ج8 ص43.

يحاسب شريكه. قال الشيخ: معناه ـ والله أعلم ـ أنه يحاسب مع نفسه فيقول: ماذا فعلت اليوم خيراً وشرا؟ وماذا قدمت إلى الآخرة؟ وماذا أكلت أنه من الحرام أو الحلال؟ وماذا لبست من الحرام والحلال فهذا هو التقوى والورع.

قيل ينبغي أن يكون المؤمن مثل النحل فإن النحل يأكل طيباً فيكون روثها شفاء للناس، فإن المؤمن إذا أكل طيباً فأولى أن يكون وجوده شفاء الخلق ونزوله الجنة كما قال الله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: 133].

حكي أن سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ اللهُ دخل يوماً على عبد الله بن المبارك رضي الله عنه فقال له: لم لا تمنع جواريك عن أعين الناس؟ قال عبد الله: كيف ذلك؟ قال سهل: إني رأيتهن على السطح فلما وقع بصرهم عليّ ضحكن فقلن جاءنا سهلنا ثلاث مرات. فقال عبد الله لما خرج سهل من عنده: قد دنا موته إذ ليس لي جارية وأهلي لا تصعد السطح، فهن حوراء أرسلها الله إليه فبشرنه بوصوله إليهن، فمات سهل عن قريب. فلما كان سهل من المتقين بشره الله تعالى بالكرامات حال حياته، فكيف أن لا يدخله الجنة[1].

وحكى عن السدي[2] رَحِمَهُ اللهُ أن هارون الرشيد كان يسأل منه إن سمع حديثاً يخبره، فسمع وقتا من فارس [. . .] وهو من جملة قطاع الطريق أنه أخذ امرأة حسنة وأجلسها في مجلسه، فلما أخذ الشرب منه ناول يده إليها فقالت: اتق الله ولا تفضحني يحفظ الله نساءك، فتركها. فلما طال الأمر وأثر عليه السكر فتطاول، فكانت تحتال فلم ينفع، قالت له اصبر فإني أعطيك دواء تنفع به مدة عمرك وتصير آمناً من خصمك، فقال: ما هو؟ فقالت دواء لو تخلطه على نفسك

(1) جاء في هامش النسخة: "روي أن سهلاً قرأ هذه الآية في صلاته فجعل يحرك فمه كأنه يمضي شيئا، فقيل له بعد الفراغ [اتشرب] أم تقرأ ؟. فقال والله لو لم أجد لذته عند قراءته [كله. . .] عند شربه ما قرأته. س س".

(2) السدي (128 هـ) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. انظر "الأعلام" ج1 ص317.

لم يجر عليك السلاح، وإن كنت تجربه فأنا أسطح رقبتي وأنت تضرب عنقي بسيفك، ففعل الرجل كذلك فحزت رقبتها وبلغت إلى جوار الله تعالى؛ وكان ذلك خوفاً من معصية الله تعالى، فلما رأى الرجل ذلك صاح وعلم ما كانت إرادتها، فتاب هو وصار من أعبد الناس[1].

حكي أن السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصف هذا الحديث عند هارون الرشيد فاستحسنه وتنبه غاية الانتباه، وكل من سمعه تاب ورجع إلى الله تعالى.

ثم المقصود أن المرأة خافت من عقاب الله فاختارت عقاب الدنيا فوصلت إلى الراحة، وبسبب تقاها تابوا وقد آمن العصاة، فهذه ببركة الورع والخوف والتقى، فيوفقنا الله بذلك.

(1) في هذه الفقرة أخطاء كثيرة صححتها تلقائياً من غير الإشارة إليها.

الباب الثامن عشر
في محبة الله تعالى بمسائله

وإذا قال الرجل لامرأته أنت طالق إن شاء الله وأنت طالق في أمر الله أو في حكم الله أو في رضى الله أو في محبة الله لم يقع الطلاق، لأن الله تعالى لم يشأ الله ولم يرضَ ولم يحب الطلاق كما قال عليه السلام: «ما خلق الله تعالى أحب إليه من العتاق والنكاح ولا خلق الله تعالى حلالاً أبغض إليه من الطلاق»[1]، فالله تعالى يحب الواصلة لا القطيعة، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجّ: 11][2]، يعني إذا كانت [النعمة][3] تواترت عليه والبلايا مرفوعة عنه يقول هذا دين حسن والتمسك به واجب، وإن أصابه خسران في ماله وأهله ارتد عن دينه [فينقبض][4] عليه العيش في الدنيا ويعذب في الآخرة.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: يا داود من أكل شبعا فلا يصلح لخدمتي، ومن نام أجمع الليل لا يصلح لجنتي، ومن لا يحب من أحبني لا يصلح بمحبتي.

عن أبي الحسين النوري رحمه الله أنه كان واقفاً على جبل فأتاه شاب فقال: دلني على ماء أتوضأ به وأصلِّي ركعتين ثم أموت. قال الحسين: الموت ليس في يدك. قال. نعم أعلم، ولكن اشتقت لنبي الله تعالى وإن الله [لا][5] يمسك حبيبه على الشوق طويلا، فقال له: خُلق في هذا الجبل عين ماء، فذهب وأبطأ الانصراف،

(1) انظره بدون رواية «النكاح» في "سنن الدارقطني" ج4 ص35، و"سنن البيهقي" ج7 ص361.

(2) وجاء في هامش النسخة "على إيمان ظاهر وكفر باطن [. . .]".

(3) غير واضحة في النسخة.

(4) في النسخة "فينقض".

(5) ساقطة من النسخة، وقد أضفتها حتى يتسق المعنى، والله أعلم.

فذهب إليه أبو الحسين فإذا هو قد فارق الدنيا في سجوده، فدفنه ثم نبشه بعد أيام لينظر حاله، فضحك الميت في وجهه فقال له: أتضحك بعد الموت؟ فقال الميت: أما تعلم أنه لا يُميت حبيبه بل ينقله من دار العمل إلى دار الكرامة.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال النبي عليه السلام: «كان داود النبي يقول: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي بلغني حبك، اللهم اجعل حبك إليَّ أحب من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»(1).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب الله فليحبني، ومن أحبني فليحب أصحابي، ومن أحب أصحابي فليحب القرآن، ومن أحب القرآن فليحب المساجد فإنها أفنية الله وأبنية أذن الله في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمونة أهلها؛ مزينة مزين أهلها؛ محبوبة محبوب أهلها هم في صلاتهم والله في حوائجهم؛ هم في مساجدهم والله تعالى من ورائهم»(2) يعني رحمة على [قضائهم](3).

وحكي عن واحد من الخلفاء رأى في المنام كأنه يدخل على رسول الله ﷺ في مسجده فقال له: أدِمْ على قولك حببني في قلوب عبادك، فإن أولياء الله لا يحبون إلا بعد أن يحبهم الله تعالى.

---

(1) انظر "سنن الترمذي" ج5 ص522، و"كنز العمال" ج2 ص195.
وجاء في هامش النسخة "وروى أبو [وائل] عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه ذات يوم «[أيعجز] أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا ؟. قالوا: وكيف ذلك؟. قال: يقول كل صباح ومساء: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا بأني أشهد أنك أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك [لك] وأن محمدا عبدك ورسولك وإنك إن [تكلني] إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، و[إني] لا [أثق] إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهدا توفنيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش، وإذا كان يوم القيامة نادى مناد إن الذين لهم عند الله عهدا فيدخلون الجنة» نقل الكشاف ومن [البسيط] وغيره".
انظر "الكشاف" ج4 ص120.

(2) انظر "تفسير القرطبي" ج12 ص266.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

كان أبو يزيد البسطامي[1] يقول في مناجاته في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: 54] لست أتعجب من حبي لك فإن العبد لا محالة يحب مولاه، وإنما أتعجب من حبك العبد الحقير المقصر، ثم يقول: إلٰهي كما أنت لا تشبه المخلوقين فكذلك أفعالك لا تشبه أفعال المخلوقين، إنهم إذا أحبوا عبداً أنعموا عليه وأنت إذا أحببت عبداً جعلته عرضاً للبلاء، وذلك لأن الله تعالى يعلم أن مؤنة الدنيا توجب نعمة الآخرة.

مرض ذو النون المصري[2] رَحِمَهُ اللهُ فعاده زاهد فقال: من لم يتلذذ بحبه لم يصبر على ضربه، فقال ذو النون: من لم يتلذذ بضربه لم يصدق في حبه.

حكي عن وهب بن منبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: بكى شعيب عليه السلام حتى ذهبت عيناه فرد الله بصره، ثم بكى حتى ذهبت عيناه فرد الله بصره، ثم بكى حتى ذهبت عيناه فرد الله بصره ثالثاً، فأوحى الله تعالى إليه إن كان بكاؤك من خوف فقد أمنتك، وإن كان للجنة فقد [أجبتك][3]، وإن كان من خوف النار فقد حرمتها عليك. فقال: إلٰهي ليس بكائي من مخافتك ولا رجاء من الجنة ولا خوفاً من النار؛ بل بكائي شوقاً إليك وحباً للقائك ورضاك عني، فأوحى الله تعالى يا شعيب ابكِ ثم ابك فقد حق لك البكاء؛ فوعزتي وجلالي وارتفاع مكاني بهذه المحبة التي أحببتني أخدمتك نبيّاً من أنبياء وصفياً من أصفيائي عشر سنين وهو موسى عليه السلام[4].

---

(1) أبو يزيد البسطامي (261 هـ) طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر. نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها. ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية. انظر "الأعلام" ج3 ص235.

(2) ذو النون المصري (245 هـ) ثوبان بن إبراهيم الاخميمي المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض: أحد الزهاد العباد المشهورين. من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) وتوفي بجيزة مصر. انظر "الأعلام" ج2 ص102.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) جاء في هامش النسخة "دعاء أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [قال أبو الدرداء]: قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في [مجلسه]. فقال ما كان الله ليفعل ذلك. فقيل له ذلك ثلاثا.=

وحكي عن ربيع بن خثيم[1] أنه كان لا ينام وكانت تقول ابنته: نم ليلة يا أبت. فقال: إني أخاف البيات، فوقتئذ قالت له ابنته: من أفضل خلق الله عليك؟ قال: محمد ﷺ. قالت: بحقه أن تنام الليلة هذه. قال ربيع: إلٰهي تعلم أن السهر عندي أحب إلي من النوم لكن شفع إلى حبيبك فأنام، فلما نام رأى أن ميمونة [الزنجية][2] تكون امرأتك؛ وهي في البصرة، فلما أصبح خرج إلى البصرة ومشى حتى بلغ [فسأل عنها][3] فقالوا: كيف [تصنعها][4] وهي مجنونة ترعى دوابنا وأغنامنا ولا تتركنا كل ليلة في النوم من الصياحة؟ قال الربيع: هل تفهمون ما تقول؟ قالوا: أكثر ما تقول هجع الناس ونام ما لقيني لا ينام. فقال الربيع: هذا ليس من أقوال المجانين دلوني عليها، فدلوه إلى جانبها، فلما بلغ إليها وهي تصلي وأغنامها ترعى والذئاب في حافتها يحفظن الأغنام، فلما فرغت من صلاتها سلم عليها، فقالت: السلام عليك يا ربيع. فقال: وكيف عرفتني ولا عهد لنا؟ فقالت: إن الذي أخبرك في المنام عني أخبرني عنك، ولكن وعدك في الآخرة. فقال لها: [منذ][5] كم ترعى الذئاب غنمك؟ فقالت: منذ تعلق قلب الراعي بالمولى وأنا [اختار حبه][6] في الآخرة والأولى، ثم قالت: اقرأ لي شيئاً

= فقال ما كان الله ليفعل ذلك. ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حيث دنت من دارك قال: قد علمت. فقيل له: ما [ندري] أي قوليك أعجب؟. قال إني سمعت رسول الله يقول «من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء» وقد قلتهن، وهي «اللهم أنت ربي لا إلٰه إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل ذي شر ومن شر كل [دابة] أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم» نقل من إحياء العلوم".

(1) الربيع بن خثيم (65 هـ): ابن عائذ الإمام القدوة العابد أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام. قال له ابن مسعود: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين. وله مناقب وأخبار كثيرة انظرها في "سيرة أعلام النبلاء" ج4 ص258.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة "فسألها".
(4) غير واضحة في النسخة، ولعلهم يقصدون: كيف تصنع الزواج بها.
(5) غير واضحة في النسخة.
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

من القرآن، فقرأ الربيع ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المُزّمل: 12-13][1]، فشهقت شهقة ثم خرت ميتة، فإذا بجماعة من النساء قد جئن وقلن: نكفنها، فقال لهن الربيع: وكيف عرفتن أنها ماتت؟ قلن: كنا نسمع في دعائها اللهم لا تمتني إلا بين يدي الربيع، فلما سمعنا حضورك علمنا إجابة دعائها.

ومن فضائل الربيع أنه كان في سفينة [فاتهم][2] بلؤلؤة، فصاح ونظر إلى البحر فخرجت هوام البحر تأخذ كل واحدة لؤلؤة بفمها، فقال لهم الربيع: من له مثل هذه الخزينة يسرق؟ فخجل القوم واعتذروا له.

قيل خلق الله صنفان: أولياء، وأعداء. فالأولياء مشغولون بالطاعات وتحصيل الدرجات، والأعداء بالأكل والشرب واللباس.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: والله لا تكون مؤمناً حتى تكون محبا، ولا تكون محبا حتى تحب من أحب الله وتبغض من أبغض الله.

عن عبد الله بن الفضل رحمه الله أن مسلماً وكافراً كانا يصطادان السمك في البحر، وكان يرزق الكافر ويحرم المسلم فتعجب الملائكة، فأوحى الله تعالى إليهم يا ملائكتي انظروا إلى زينة المسلم في الجنة، فنظروا ما فيها من القصور وألوان العطايا فقالوا: هذا له خير من جميع دنياه. ثم قال الله تعالى انظروا إلى ما أعددت للكافر في النار، فنظروا فخروا سجدا لما رأوا من ألوان العذاب. فقالوا: أنت أعلم فتجاوز عنا.

وقيل مرض يعقوب بن الليث[3] رضي الله عنه وما نفعه الأطباء، فبعث إلى سهل بن عبد الله التستري رحمه الله وأحضروه، فلما جلس عنده قال: اللهم إنك أريته ذل

---

(1) وجاء في هامش النسخة "شوك [يمسك] في [الحلق] لا يدخل ولا يخرج. نقل أبو الليث".

(2) في النسخة "فانهم".

(3) الصفار (265 هـ): يعقوب بن الليث الصفار، أبو يوسف: من أبطال العالم، وأحد الأمراء الدهاة الكبار. كان في صغره يعمل الصفر (النحاس) في خراسان ويظهر الزهد. انظر "الأعلام" ج8 ص201.

المعصية فأره [عز][1] الطاعة. قال: فبرأ من مكانه وقام من مضجعه، فأمر له بالهدايا فلم يقبل وقال: إن الذي ضمن الأرزاق قادر أن [يغنيني][2] عن نفقة يعقوب، فالله تعالى يعيننا حتى نتبع أثرهم.

(1) في النسخة "عنده". انظر القصة في "وفيات الأعيان" ج2 ص429، "وحلية الأولياء" ج10 ص210.
(2) في النسخة كأنها "يغثني".

الباب التاسع عشر
في فضل الصلوات على النبي عليه السلام[1]

إن الصلوات على النبي عليه السلام في الصلاة فرض عند الشافعي رحمه الله واجب عندنا فلا تفسد الصلاة بتركها، فلو أن الإمام قرأ في صلاته قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: 28-29] وقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عِمرَان: 144] فصلى من خلفه لا تفسد صلاته، لكن الأفضل أن يسكت بحرمة الصلاة، وإنما لم تفسد صلاته لأن الصلاة على النبي عليه السلام مأمورة في الصلاة كما تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله إلى قولك: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. وكيف تفسد الصلاة والله تعالى يأمرنا بالصلاة عليه فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟

(1) جاء في هامش النسخة "﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 64] يعني اليهود والنصارى، ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المَائدة: 15] كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى عليه السلام بأحمد في الإنجيل ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورىٰ: 30] مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه [. . .] عن كثير منكم، فلا يؤاخذكم بحرمة.
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المَائدة: 15] يعني القرآن، فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز. والمراد بالنور محمد ﷺ.
﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [المَائدة: 16] أي من اتبع رضاه بالإيمان منهم ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المَائدة: 16] أي طريق السلامة من العذاب .﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المَائدة: 16] من [. . .] الكفر إلى الإسلام .﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [هُود: 105] أي بإرادته أو بتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المَائدة: 16] طريق هو أقرب الطريق إلى الله ومؤد إليه لا محالة، أي يوفقهم إلى دين الإسلام الذي هو [طريق] الجنة.
[قاضي. . . الكتاب] أنزله الله تعالى على آدم إحدى عشرة ورقة فيها تسعة وعشرون حرفا وهي: ا ب ت ث ج ح خ إلى آخره، ثم صحف شيث خمسون ورقة، ثم صحف إدريس ثلاثون ورقة، ثم التوراة، ثم الإنجيل، ثم الزبور، ثم القرآن. «تحفة المجالس».

عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزَاب: 56] معناه إن الله يغفر لنبيه عليه السلام [ورحم][1] عليه والملائكة يستغفرون له ويدعون له بالرحمة، فاستغفروا له أيها المؤمنون وسلموا على نبيكم محمد ﷺ، وسلموا لأمره ونهيه بما يأمركم به وانزلوا على حكمه وقضائه.

وقال مجاهد: «الصلاة من الله التوفيق والعصمة، وصلاة الملائكة الاستغفار والعون، وصلاة الأمة الاتباع والسلام».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء محجوب حتى يصلَّ عليّ»[2].

وعن علي ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد، فإذا فعل ذلك انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء، فإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء»[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خرج من عندي جبرائيل عليه السلام آنفا، فخبرني عن ربي جل وعلا ما على الأرض مسلم صلى عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا، فأكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة، فإذا صليتم فصلوا على المرسلين فإني رجل من المسلمين»[4].

ثم قال عليه السلام: «أيما مسلم لم يكن له صدقة فليقل في دعائه: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فإنه له زكاة»[5].

وعن كعب [الأحبار][6] وجدت في بعض ما أنزل الله تعالى على موسى

---

(1) في النسخة كأنها "ورهم".
(2) انظر "شعب الإيمان" ج13 ص2، و"كنز العمال" ج2 ص78.
(3) انظر "كنز العمال" ج2 ص88.
(4) انظر "المعجم الكبير" ج5 ص99، و"معجم ابن عساكر" ج1 ص64.
(5) انظر "كنز العمال" ج4 ص5.
(6) في النسخة "الاخبار".
كعب الأحبار (32 هـ): كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة=

عليه السلام: إذا أحببت أن [أكون][1] أقرب إليك من كلامك فأكثر الصلاة على محمد عليه السلام.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ أنه قال: أوتي برجل إلى النبي عليه السلام وقد اتهم بسرقة جمل، فأنطق الله الجمل وقال إنه بريء من سرقتي ولكن سرقني هذا الرجل نسبة إلى رجل آخر، فقال النبي عليه السلام للرجل «ما فعلت اليوم حتى أعطاك الله تعالى هذه الكرامة؟ فقال: قلت اللهم صلِّ على محمد حتى لا تبقى صلاة، وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة، وسلم على محمد حتى لا يبقى السلام. فقال عليه السلام: نجوت به ـ ثلاثاً ـ»[2].

وعن محمد بن علي رضي الله عنهما وإنما سمي ابن الحنفية وهي جارية علي رضي الله عنهما نسب إلى الأم كرامة للحسن والحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن صلى عليّ في يومه مائة مرة قضى الله تعالى [له][3] مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا»[4].

عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيت قوله جل ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزاب: 56] الآية إن هذه من العلم المكنون، لولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم به. ثم قال: إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذلك الملكين آمين»[5].

وعن أبي كاهل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا كاهل من صلى عليَّ ثلاث مرات حبّاً لي وشوقاً إلي كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوب ذلك اليوم وذنوب تلك الليلة»[6].

= في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين. انظر "الأعلام" ج5 ص228.

(1) في النسخة "تكون". انظر "البحر المديد" ج5 ص112.

(2) انظر "المعجم الكبير" ج5 ص141. (3) ساقطة من النسخة.

(4) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص111، و"كنز العمال" ج1 ص505.

(5) انظر "المعجم الكبير" ج3 ص89، و"تفسير القرطبي" ج14 ص233.

(6) انظر "المعجم الكبير" ج18 ص361.

وعن الحسين قال سمعت أبا هريرة يقول: ما من أحد يصلي على النبي عليه السلام مرة واحدة إلا ويقضي[1] الله ملكاً يبلغ تلك الصلاة إلى قبر النبي عليه السلام أسرع من طرفة عين، فيقول الملك: يا محمد إن فلان بن فلان وفلانة بنت فلان يقرئاك السلام، ويقول النبي عليه السلام من الفرح بلغه عني عشرا وقل له: لو كان لك من العشرة واحدة لدخلت معي الجنة كالسبابة والوسطى وحلت لك شفاعتي.

وعن الحسن البصري ﷺ أنه قال: رأيت نوح بن مريم[2] في المنام فقلت له: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي. فقلت له: بأي خصلة؟ قال: ما ذكرت حديثاً عن النبي عليه السلام إلا وصليت عليه، فغفر الله لي بذلك.

وعن عبد الله بن أبي حفص الكبير قال: مات وراق بالكوفة فرأوه في المنام، فقيل ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ربي. فقيل: بماذا؟ فقال: بإلحاقي الصلاة عقيب اسم النبي عليه الصلاة والسلام، فمن يكتب صلاته بالقرطاس يجد الغفران، فكيف أن لا يغفر الله تعالى لقائلها لساناً وقلبا.

وروي عن النبي عليه السلام أنه كان جالساً في المسجد ودخل عليه شاب فعظمه وأجلسه بجنبه فوق أبي بكر الصديق ﷺ، وحسب النبي عليه السلام أن أبا بكر تأذى فاعتذر إليه فقال «يا أبا بكر إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا أحد يصلي عليّ أكثر منه، فإنه يقول كل غداة وعشي: اللهم صلّ على محمد بعدد من صلى عليه؛ وصل على محمد بعدد من لم يصل عليه؛ وصل على محمد ما [تحب][3] أن يصلى عليه؛ وصل على محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه؛ وصل على محمد كما ينبغي الصلاة عليه فلذلك أجلسته أعلى منك»[4].

---

(1) جاء في هامش النسخة كلمة مترددة بين "مسلط" و"سلط".

(2) ابن أبي مريم (173 هـ): نوح بن يزيد (أبي مريم) بن جعونة المروزي، القرشي بالولاء، أبو عصمة: قاضي مرو. ويلقب بالجامع، لجمعه علوما كثيرة. وكان مرجئا، مطعونا في روايته الحديث. انظر "الأعلام" ج8 ص51.

(3) في النسخة "تجب".

(4) انظر "تفسير حقي"ج11 ص123.

وعن سعيد بن أبي الهلاك[1] كان يقول: أربعة أبخل الناس، وأكسل الناس، وأخذل الناس، وأعجز الناس: فأما أبخل الناس فرجل ذكر عنده النبي عليه السلام فلم يصل عليه، وأكسلهم رجل سمع الأذان فلم يجبه، وأخذلهم من دعي [ليعين][2] على خير فلم يعن، وأما أعجزهم فرجل يعجز من أن يدعو لنفسه؛ فإذا عجز لنفسه فهو لغيرها أعجز[3].

وعن علي ﷺ أنه قال: من صلى على النبي عليه السلام مائة مرة يوم الجمعة يعطى من النور يوم القيامة ما لو أعطي جميع أهل الدنيا لوسعتهم.

(1) لم أجد له ترجمة، وقد يكون الناسخ حرف الاسم.
(2) في النسخة كأنها "اليمين".
(3) جاء في هامش النسخة "[. . .] قيل كان في زمن النبي ﷺ رجل له بنت [فسماها الموءودة. . .] لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله [. . .] وكانت تكثر من الصلاة على النبي عليه السلام، فلما [سمعتها] أمها ضربتها ضربا شديدا، فخرجت من الدار وهي تبكي وتقول [يا حبيبي يا محمد يا حبيبي] يا رسول الله، فلما شاع خبرها في البلد اجتمعت سادات العرب إلى [أبيها. فقال: ما مرادكم ؟. فقالوا: نحب أن تأخذ منا ثلاثة آلاف دينار] وتذبحها وتحرقها وترمي رمادها إلى الرياح ونستريح ممن يذكر محمداً في البلاد، فقال لهم نضربها ليلا ونهارا لعل أن تترك الصلاة على محمد ﷺ، فلم يجدها [. . .] على ذلك ولم تزل تكثر الصلاة على النبي عليه السلام، فأخذها أبوها وأركبها على ناقة ومر على صبيان يلعبون فقالوا لها يا موءودة انزلي العبي معنا. فقالت لهم ليس للعب خلقنا [. . .] من الأرض، فأنزلها عن الناقة ومد يده إلى السكين فذبحها وجمع الحطب وقدح النار وأحرقها ورمى رمادها إلى الرياح وأراد أن يرجع إلى منزله، فسمع مناديا ينادي من قبل الله تعالى: يا ملائكتي انزلوا من السماء لتحضروا [. . .] الموءودة، وقال كشف الله تعالى عن بصر أبيها فرأى الملائكة ينزلون من السماء أفواجا فوقع مغشيا على وجهه، فلما أفاق مضى إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال «وعليك السلام ما يبكيك ؟. فقال: يا رسول الله أذنبت ذنبا عظيما. قال له النبي عليه السلام: وما ذنبك ؟. فقص عليه القصة، فبكى النبي حتى بكى المهاجرون والأنصار لبكائه، ثم قام النبي فتوضأ وصلى ركعتين ثم قال: إلٰهي وسيدي ومولاي أسألك بجلال وجهك [. . .] ما حملوا من رماد الموءودة يا من يقول للشيء كن فيكون، فما استتم كلامه حتى حملت الرياح رماد الموءودة ووضعته بين يدي رسول الله، فقال: إلٰهي وسيدي [أسألك أن تحييها» فما] استتم دعاءه [إلا] وهي تقول: السلام عليك يا رسول الله. مجموعة".

وعن زيد بن رفيع[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ في كل يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان [فيتصافحان][3] ويصليان على النبي عليه السلام إلا أنهما لم ينصرفا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم وما تأخر»[4]، فالله تعالى يرزقنا من شفاعته.

(1) زيد بن رفيع جزري (نحو 130 هـ): ، كان فقيها ورعا فاضلا.انظر "لسان الميزان" ج2 ص506، و"التذييل على كتب الجرح والتعديل" ص111.
(2) لم أجد له تخريجاً.
(3) في النسخة "فيصافحان".
(4) انظر "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب" ص15، و"شعب الإيمان" ج6 ص471.

الباب العشرون
في شرف النبي عليه السلام

ولو قال أنا بريء من رسول الله يكون يميناً لأنه لما تبرأ من رسول الله ﷺ فقد تبرأ من الإسلام، لأن الإسلام إنما يتم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت والبعث والجنة والنار وأن يرى محمداً عليه السلام أفضل الأنبياء والرسل وأشرفهم، وإذا تبرأ منهم ولم ير له فضلاً على جميع البشر من الجن والإنس وغيرهما من المخلوقين فقد أدخل نقصاً في إيمانه؛ فجميع هذا يدل على شرفه وفضله، وكذلك يدل عليه قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] معناه من بين أظهركم آدمي مثلكم، وقد قرأ بنصب الفاء "من أنفسكم" يعني من أعز قومكم وأكرمها عندكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ شديد عليه ما [أثمتم][1] وأقمتم على الكفر، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يعني على إيمانكم وطاعتكم، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني مشفق بهم عطوف عليهم.

ومن شرفه أن الحسن البصري رحمه الله يحكي بإسناده الصحيح أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: أن يا موسى أكثر الصلاة على محمد فوعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاع مكاني ما من أحد يأتيني يوم القيامة وهو جاحد بأحمد إلا أدخلته ناري ولو كنت أنت ونوح نجي الله وإبراهيم خليل الله عليهم الصلاة والسلام.

ومن فضله عليه السلام أن الأشجار والجبال كن يسلمن عليه كما قال علي رضي الله عنه كنت مع رسول الله ﷺ فخرجنا إلى بعض نواحيها خارجاً من مكة بين الجبل والشجر، فما مر على جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[2].

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) انظر "سنن الدارمي" ج1 ص25.

وعن زيد بن ربيع[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «اتخذ آدم عليه السلام خاتما ونقش فيه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: بينما رسول الله ﷺ يحث الناس على الصدقة إذ جاء أعرابي متمسكا بخطام[3] ناقة، فقال: يا رسول الله ﷺ هذه الناقة صدقة لله تعالى ورسوله، فنظر إليها رسول الله ﷺ فأعجبته، فقال: «يا عمر إذا بعتم الناقة في الصدقات فاشتروها»، فكان رسول الله ﷺ يركبها في غزواته، قال: فخرج النبي عليه السلام ذات ليلة والناقة باركة، فلما مر النبي عليه السلام بها قالت: السلام عليك يا زين القيامة وخير البشر ويا فاتح باب الجنان ويا شافع الأمم ويا قائد المؤمنين إلى الجنة ويا رسول الله رب العالمين، والتفت إليها رسول الله ﷺ وقال: «وعليك السلام»، فقالت: يا رسول الله إني كنت لرجل من قريش يقال له اغضب، فهربت منه فوقعت في المغارة، فكان إذا غشى الليل استوحش الذئاب ثم نادى [بعضهم][4] بعضاً لا تؤذوها فإنها مركب محمد ﷺ، فلما أصبحت وأردت أن ارتع نادتني كل نبت وشجر إليّ حتى وقعت إلى ما ههنا، [فلبي][5] إليك حاجة وهي أن تسألني ربك أن يجعلني مركباً من مراكبك في الجنة كما جعلني في الدنيا، وإن أنت مت قبلي أوصيت بأن لا يركب أحد عليّ بعدك، فقال النبي عليه السلام: «قضيت حاجتك».

فلما توفي النبي عليه السلام أوصى فاطمة رضي الله عنها أن تحسن إليها فلا يركبها أحد، فكانت فاطمة رضي الله عنها تعلفها وتحسن إليها، حتى كانت ذات ليلة فخرجت فاطمة رضي الله عنها في مثل ما خرج النبي عليه السلام وهي باركة فمرت بها، فقالت

(1) لم أجد له ترجمة، ولعله يقصد "زيد بن رفيع" الذي سبق ترجمته.
(2) وجدته برواية «سليمان» بدل «آدم». انظر "كنز العمال" ج11 ص498، و"تفسير القرطبي" ج15 ص200.
(3) الخطام: الزمام وما وضع على خطم الجمل ليقاد به. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص510.
(4) في النسخة "بعضها" والراجح ما بينته، والله أعلم بالصواب.
(5) في النسخة كأنها "قلبي".

الناقة: السلام عليك يا بنت رسول الله، والله ما ساغ لي علف ولا شراب منذ توفي النبي عليه السلام، وقد حضر أجلي وأنا ذاهبة إلى أبيك فهل من أمر ورسالة إليه؟ فبكت فاطمة رضي الله عنها واعتنقت رأسها، فنفقت الدابة ورأسها في حجر فاطمة، فلما أصبحت كفنوها وحفروا لها ودفنوها، ثم نبشوا عنها بعد سبعة أيام فما وجدوا في الحفرة منها جلداً ولا عظماً.

وفي هذا الحديث فوائد وهي أن السباع والنبات يعرفن قدر النبي عليه السلام حتى عظمن مركبه عليه السلام، فكيف المؤمن أن لا يعظمه؟ والناقة أبت أن لا يركبها أحد بعدما ركبها النبي عليه السلام، فالمؤمن أولى أن لا يرضى باتباع الشيطان بعدما تبع سنن النبي عليه السلام.

والآخر أن الناقة تجد الجنة بحبها إياه وتعظيم السباع والنبات، فكيف المؤمن أن لا يجد الجنة ورضى الله بحبه إياه في قوله عليه السلام: «أنا أولهم خروجا إذا بعثوا ولواء الحمد بيدي»[1].

قال أبو أحمد[2] الجرجاني رضي الله عنه: ما دام يكون لواؤه عليه السلام مضروبا في عرصات القيامة والمؤمن تحت ظله لم يعذب أهل النار، فإذا صارت إلى الجنة مع المؤمنين أخذوا أهل النار من العذاب، فينادون نحمد لواء محمد عليه السلام إذا كنا في راحة من وجوده فإذا زال اللواء أخذنا من العذاب، وأهل الجنة يقولون: كيف لا نحمد [هذا اللواء][3] إذ دخلنا ببركته في الجنة، فأهل الجنة يحمدونه وأهل النار كذلك يحمدونه، فسمي لواء الحمد إذ يقربها الولي والخصم.

(1) انظر "الدر المنثور" ج8 ص376، و"سنن ابن ماجة" ج2 ص1440.

(2) لم أجد له ترجمة، ولعله يقصد "أبو أحمد"، وهناك ثلاثة علماء معاصرين للمؤلف عرفوا بهذا الاسم هم: ابن عدي (365 هـ)، والغطريفي (377 هـ)، وابن عبدك (360هـ). انظر "الأعلام" ج4 ص103، ج5 ص311، ج6 ص274.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها. وجاء الضمير العائد على "اللواء" مؤنثا، ولقد صححت ذلك تلقائيا مثل "يحمدها" جعلتها "يحمده". والله أعلم.
اللواء: العلم وهو دون الراية (ج) ألوية. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص616.

وعن حذيفة ﷺ قال: سمعت النبي عليه السلام يقول «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً أين ما أدركت الصلاة تيممت وصليت، وأيدت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت [. . . من] كنز العرش لم يعط نبي قبلي ولا يعطى أحد بعدي»[1].

قال بعضهم: الحكمة في قوله عليه السلام: «جعلت لي الأرض طهورا» أن الحكمة في طهورية التراب أن السماء كانت تفتخر على الأرض قبل مولد النبي عليه السلام، فكانت تقول: إن العرش فيّ، والحملة فيّ، وتسبيح الملائكة فيّ، والشمس والقمر والنجوم فيّ وأنت خالية، والأرض منكسة لم ترفع رأسها حتى ولد النبي عليه السلام وهو محمد ﷺ فرفعت رأسها وافتخرت وقالت: إن كنت فخرت بالعرش فمن نور محمد، وإن فخرت بالشمس والقمر فخلقت من نور محمد، وجميع ما تفتخرين به فخلقت لأجل محمد ﷺ؛ وهو على ظهري وشريعته تنتشر [على][2] ظهري، وحياته ومماته على ظهري.

فلما سمع الله تبارك وتعالى افتخارها به عليه السلام قال الله تعالى: يا أرض لما فخرت بعبدي وحبيبي وصفي جعلتك مطهراً ومسجداً.

فالمؤمن إذا افتخر به وشكر الله تعالى إذ رزقه من حرمته فالأولى أن يطهره الله تعالى من الذنب والمعاصي ويمدحه إذ عده من خير أمة؛ وهو قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عِمرَان: 110].

ألا يُرى أن الوليد بن المغيرة المخزومي ـ لعنة الله عليه ـ سماه ساحراً ـ ترب الله فاه ـ، فاغتم النبي عليه السلام ولف رأسه بدثار ثوب وملاءة كليم[3]، فنزل جبرائيل عليه السلام بيده السورة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثِّر: 1][4] إلى

(1) انظر "المعجم الأوسط" ج7 ص278. (2) ساقطة من النسخة.
(3) الدثار: الثوب الذي يكون فوق الشعار والغطاء. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص564.
ملاءة: الملحفة وما يفرش على السرير. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص685.
الكلم: الجرح. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص509.
(4) قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدَّثِّر: 1-7].

قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾ [المعَارج: 5][1] فسماه الله تعالى الوليد بن المغيرة بعشرة أسماء مكان اسم واحد، سماه كذاباً، وحلافاً، ومهيناً، وهمازاً، ومشاء بنميم، ومناعاً[2] للخير، ومعتد، وأثيماً، وعتلاً، وزنيماً وقد ذكر كلها في هذه السورة[3] فكانت تتلى إلى يوم القيامة، فمن يكون أفضل ممن يجيب الله عنه ويرد كلام خصمه ويناظر عنه ويبغض الله تعالى [مبغضه ويهجره][4] ويحب محبته، فالله تعالى يرزقنا من شفاعته.

(1) ومن الملاحظ أن الآيتين من سورتين مختلفتين، ولعل الناسخ أخطأ في الكتابة.

(2) جاء في هامش النسخة ملاحظات متفرقة بعضها غير مفهوم، منها "مناع يعني بخيلا لا يشفع بماله لنفسه ولا [. . .] على غيره [. . .]"، "الحلاف مكثار الحلف. أبو الليث".

(3) وهذه ليست سورة المدثر ولا سورة المعارج، بل هي قوله تعالى في سورة القلم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [القَلَم: 7-8].

(4) في النسخة "مبغظة"، وكلمة "يهجره" جاءت في النسخة مترددة بين "يهجوه" و"يهجره".

الباب الحادي والعشرون
في النجاة من النار بشفاعة[1]

وإذا فاتته سنة الفجر لا قضاء عليه عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله، وقال محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أحب إليّ أن يقضيها بعد طلوع الشمس قبل الزوال، فإذا لم يقضيها حتى زالت الشمس سقطت عنه بالاتفاق.

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: يقضيها في أي وقت شاء [لها، وقيل إنها][2] سنة كسنة سائر الصلاة فلا يقضيها عند فواتها؛ فكذا هنا.

ولمحمد أن المقتدي لو حضر في الغد والمؤذن أقام فإنه يشتغل بسنة الفجر ثم يدخل صلاة الإمام، وفي سنة الظهر إذا شرع الإمام في الصلاة لا يشتغل بالسنة وكذا في الجمعة، والفرق أن سنة الفجر مؤكدة بخلاف سائر السنن لكثرة الأخبار الواردة فيها كقوله عليه السلام: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»[3]، وكقوله عليه السلام: «صلوا ركعتي الفجر لو طردتكم الخيل»[4] ـ الخيول ـ، فلما وردت هذه في سنة الفجر كان الاشتغال بها أولى ما لم يخف فوت جماعة الفجر كلها.

فلو دخل الإمام في صلاة الفجر فإن كان الإمام في صلاة الفجر في الركعة

---

(1) جاء في هامش النسخة "قال «لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا [العتل] الزنيم. فقيل يا رسول الله وما الجواظ ؟. وما الجعظري ؟. وما العتل الزنيم ؟. [فقال]: أما الجواظ فالذي جمع ومنع، وأما الجعظري فاللفظ الغليظ، وأما العتل الزنيم فالشديد [الخلق] رحيب الجوف». [. . .]".
"لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده. كشاف".

(2) في النسخة كأنها "لهما أنه"، وأضفت كلمة "قيل" حتى يستقيم المعنى، والله أعلم بالصواب.

(3) انظر "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم" ج4 ص121، و"سنن الترمذي" ج2 ص275.

(4) انظر "سنن البيهقي" ج2 ص470، و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص405.

الأولى اشتغل سنة الفجر؛ فإذا فرغ شرع في صلاة الإمام، فإن كان في الركعة الثانية ينظر فإن قرأ سورة طويلة يعلم الرجل أنه يدرك قبل أن يركع الثانية صلى الرجل سنة الفجر ثم يدرك الإمام، فإن علم أنه تفوته الجماعة بالكل دخل مع الإمام في صلاته، وكل ذلك في سنة الفجر بخلاف سائر السنن.

ولو شرع في سنة الظهر ثم وجد جماعة فالأفضل أن يقطعها ويدخل صلاة الإمام، وإن كان قد صلى ركعة من الأربع يلحق إليها ركعة ثم يقطعها ويدخل صلاة الإمام.

وعند الشافعي رَحِمَهُ الله يتم الركعة ويسلم ويدرك الجماعة، وإن كان قد شرع في الفريضة الوقتية على ظن أنه صلى في هذا المسجد وقام إلى الثانية ثم أقيمت رجع إلى القعدة وقعد وسلم وشرع في صلاة الإمام بخلاف النافلة. والفرق أن النافلة إذا أتمها لا يفوته فضل الجماعة، والفريضة إذا أتمها ثم يدخل صلاة الإمام تكون صلاته مع الإمام نفلا فيفوته فضل الجماعة.

وأما السنن فقبل الفجر ركعتان، وقبل الظهر أربعا وبعده ركعتان، وقبل العصر أربعا وروي ركعتان، وبعد المغرب ركعتان، وبعد العتمة كذلك ثم الوتر.

وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «من صلى قبل العصر أربعا لم يدخل النار أبداً ولا يدخل ريح النار في منخريه»[1] ثم قال عليه السلام: «لا ينال شفاعتي من ترك سنتي»[2]، وحاجتنا إلى شفاعته أكثر فإنه لا شفاعة لأحد يوم القيامة قبل شفاعة نبينا محمد ﷺ، فإذا شفع محمد عليه السلام فحينئذ يأذن الله تعالى الشفاعة للأنبياء والرسل والأولياء والصالحين والشهداء والصديقين.

ويدل على شرفه عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحِجر: 89] لأن الله تعالى لم يرض من عبده أن يقول إني أو أنا أو عندي أو نحن لأن هذه الكلمات دالة بالقدرة [المؤبدة][3] والقدرة البالغة إنما تكون لله

(1) انظر "كنز العمال" ج7 ص382. (2) انظر "بريقة محمودية" ج4 ص167.
(3) في النسخة كأنها "البيدة"، وجاء في هامشها "أي المستقلة"، ولعله يقصد القدرة الدائمة والمطلقة، والله أعلم بالصواب.

تعالى، ألا يرى أن الملائكة قالوا ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: 30][1] فأنكر الله تعالى قولهم و﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30] ثم أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام وكان ذلك ذلة منهم.

وقال فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات: 24] فأغرقه في الماء، وقال قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القَصَص: 78] فأمر الأرض فابتلعته، فلما بلغ الأمر إلى محمد ﷺ قال: يا محمد أنت لست كمن قبلك من المخلوقين ولا كمن معك ولا كمن بعدك، أنت أعز الخلق وأفضلهم قل أنت ﴿إِنِّي﴾ وأنا كما أمره بقوله تعالى ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحِجر: 89] فأنت حبيبي، فكما أقول ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: 14][2] فكذلك قل أنت ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحِجر: 89].

وقيل ما فائدة قوله تعالى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إذ يكفي واحد منهما في المعنى، فما فائدة التكرار بقوله تعالى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا﴾؟

قال أبو نصر: "إني" القديم الذي لم أزل، و"أنا" بمعنى أنا الباقي بلا أجل.

وقال الشيخ أبو حامد: "إني" أي الغفور لذنوبكم الماضية، و"أنا" أي الرحيم لذنوبكم الباقية.

وقال أبو نصر بن عيينة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحِجر: 89] يعني قل إني المعلم للمؤمنين أحكام الدين، وقل أنا شفيع العاصين يوم الدين.

وقال أبو حامد: "إني" بمعنى قل يا محمد إني لناصح أصحابي الذين صحبوني، وقل "أنا" الشفيع لإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني وما صحبوني.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: كنا جلوساً عند النبي عليه السلام في

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30].

(2) وفي النسخة (إني) بدل (إنني)، وسوف أصححها في المواضع القادمة في هذه الفقرة تلقائيا.

مسجده إذ أخذه ثقل الوحي، وكان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه حتى كان [تتفرق][1] أعضاؤه فنكس رأسه ثم رفعه ليخبرنا، فأخذه ثقل الوحي ثانيا فنكس رأسه ثم رفعه ليخبرنا، فأخذه ثقل الوحي ثالثا فنكس رأسه ثم رفعه ليخبرنا، فأخذه ثقل الوحي رابعا فنكس رأسه ثم رفعه وخر ساجدا، فسجدنا معه [و][2] أطال السجود، فلما رفع رأسه من السجود قلنا يا رسول الله تخبرنا بما كان من الوحي أربع مرات، قال عليه السلام: «أتاني جبرائيل عليه السلام في المرة الأولى وقال: الله تعالى يقرئك السلام ويقول يا محمد إن شئت أدخلت ثلث أمتك الجنة بغير حساب ولا عذاب وإن شئت أعطيت لك الشفاعة في جميع مذنبي أمتك، وأشار إليّ جبرائيل عليه السلام فقال اختر الشفاعة فاخترت، فلما رجع جبرائيل عليه السلام وقصدت أن أخبركم فرجع إليّ من ساعته وقال: إن الرب يقرئك السلام ويقول إن شئت أدخلت أمتك ثلثا بغير حساب ولا عذاب وإن شئت أعطيت لك الشفاعة في جميع مذنبي أمتك فاخترت الشفاعة، [فوهبت][3] أن أخبركم به، فرجع من ساعته فقال: إن الرب يقرئك السلام ويقول: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضّحىٰ: 5]»[4].

وقوله: ﴿فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ [طٰه: 130] معناه يا محمد إنهم لو آمنوا بي وبك وصلوا الخمس وأدوا الفرائض واستعملوا سنتك أعطيت لك من الشفاعة حتى ترضى فيقول: كفاني.

عن جابر الأنصاري ﷺ أنه قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر يوماً فقال «من أنا؟ قلنا: رسول رب العالمين. قال: لست عن هذا أسألكم. قلنا: محمد بن عبد الله عبد المطلب. قال: لست أسألكم عن هذا. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر» يعني لا أقول على جهة الفخر بل أقول على جهة

(1) في النسخة كأنها "يتغرق"، ولعل الأصل "تتعرق".
(2) ساقطة من النسخة.
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها. وجاء في الهامش " قصدت".
(4) وجدت الحديث مختصرا في "المعجم الكبير" ج18 ص58، و"مسند الشاميين" ج3 ص76، والظاهر أن الحديث ينتهي هنا، والله أعلم.

الإخبار عنه، «وأنا أول من [تنشق عنه][(1)] الأرض ولا فخر، وأنا أولهم خروجا من القبر ولا فخر، وأنا أول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأنا أول شافع وأنا أول مشفع ولا فخر؛ لا أزال أشفع فأشفع وأشفع حتى تطاول اللعين أن يصيبه من شفاعتي»[(2)].

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحِجر: 2][(3)] قال ابن عباس: يحبس طائفة في هذه الأمة على الصراط حتى يدخل محمد ﷺ الجنة وهو أول من يدخل الجنة من الأنبياء عليهم السلام وأمته تدخل كذلك قبل الأمم، فإذا دخل رسول الله ﷺ الجنة قال الله تعالى سوقوا هؤلاء [الموقوفون][(4)] إلى النار وسلموهم إلى مالك، فإذا رآهم مالك عليه السلام قال: يا معشر [الأشقياء][(5)] من أنتم؟ ومن أمة من؟ لقد ظننت أن لم يبق فيمن يدخل النار أحد وكل يأتونني مقيدون ومغللون بالسلاسل مسحوبون على وجوههم مسودة الوجوه مزرقة العيون فلا أرى على أرجلكم الإنكار ولا على أيديكم الأغلال ولا أرى وجوهكم مسودة ولا أعينكم مزرقة تمشون على أرجلكم فمن أنتم؟

قالوا: لا تسألنا يا مالك فإنا نستحي أن نخبرك ولكن من حملة القرآن، ونحن من صوام شهر رمضان، ونحن الحجاج والغزاة، ونحن المؤدون للزكاة، ونحن المكرمون للأيتام، ونحن المغتسلون من الجنابة، ونحن المصلون للصلوات الخمس فيقول مالك: يا معشر الأشقياء أما منعكم القرآن عن معاصي الله تعالى؟ قالوا: يا مالك لا توبخنا فالآن نجونا من توبيخ الله تعالى ومسائلته، [فبينما هم][(6)] كذلك إذ نادى منادٍ من قبل العرش يا مالك أدخلهم الباب الأعلى من النار، وهم على شفير جهنم. فيقول مالك: يا معشر الأشقياء قد سمعتم

---

(1) في النسخة "ينشق يعني".
(2) انظر "المعجم الوسيط" ج5 ص202.
(3) الحجر: 2. وجاء في هامش النسخة "وفيه بيان من كان موقوفا على الصراط في هذه الأمة".
(4) في النسخة "والموقوفون".
(5) في النسخة كأنها "الأشياء"، ولعل الأصح ما بينته، والله أعلم.
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائياً.

الكلام وفهمتم المقال. فيقولون: نعم، ولكن أمهلنا ساعة ننوح على أنفسنا. فيقول مالك: مالي إلى ذلك سبيل، فيأتيه النداء من قبل العرش يا مالك ذرهم يبكون على أنفسهم ثم ينوحون على أنفسهم، [فيقولون:][1] كيف نصبر في النار ولم نكن نصبر على حر الشمس؟ كيف نصبر على لباس القطران وكنا أخرنا ألين الثياب؟ كيف نصبر على أكل الزقوم[2] فشرب الحميم وكنا اعتدنا أطيب الطعام وأبرد الشراب؟ [فبينما هم] ينوحون إذا أتاهم النداء من قبل العرش يا مالك أدخلهم الباب الأعلى من النار، فيخرج إليهم ملائكة غلاظ شداد خلقوا بلا قلوب يرحمون بها، فيتعلق بكل إنسان ألوف من الزبانية، فحينئذ يرفعون أصواتهم جميعاً: يا محمداه، يا أبا القاسماه، يا أبا الأرامل واليتامى، يا فخر القيامة، يا فاتح باب الجنة، يا مغلق باب النار على أمتك، يا شفيع الأمم نحن ضعفاء أمتك لا صبر لنا على حر النار أغثنا بشفاعتك يا مالك نحن أمة محمد ﷺ.

فيتوجه مالك إلى الجنة ويضع يديه على أذنيه كالمؤذنين عند الأذان ينادي بأعلى صوته يا محمد إنك تتنعم في الجنة وأمتك الضعفاء يستغيثون من النار فأغثهم فإنهم ضعفاء لا صبر لهم على حر النار، فإذا أتى الخبر إلى محمد صلى الله عليه والسلام [يثب][3] من سريره ويركب البراق ويقول: يا براق عجل فإن أمتي ضعفاء لا يصبرون على حر النار ويرفع قدميه ويضع عند شفير جهنم، فإذا سمع أصواتهم بكى وبكوا، ويبلغ محمد عليه السلام إلى ساق العرش ويخر لله تعالى ساجداً ويستشفع، فيشفعه الله تعالى فيهم وينجون من النار بشفاعته عليه السلام، [فيتمنى][4] أهل النار وهم الكفرة أن يكونوا من أمة محمد ﷺ، فهذا قول الله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2][5].

---

(1) في النسخة "فيقول".

(2) جاء في هامش النسخة "الزقوم شجرة تنبت من [قعر] النار، فما من دركة من دركات النار إلا وفيها غصن من أغصانها، وثمرة كشبه رأس الحية [مملوءة] بالسم، فيأكل أهل النار منها فيسيل كل ما في [بطنه تحته] ص".

(3) في النسخة كأنها "يثبت".

(4) في النسخة "فيتمنون".

(5) انظر "التذكرة" للقرطبي ص501.

الباب الثاني والعشرون
في وزر من آذى مسلماً وفضل من أحسن إليه

وإذا اشترى الرجل دبرتين[1] متلازقين والشفيع جوار بأحدهما دون الآخر قال أبو يوسف رحمه الله: يأخذ الدبرتين جميعاً بالشفعة، وقال محمد رحمه الله: يأخذ [الشيء][2] هو في جواره.

لأبي يوسف أن الشفعة إنما تثبت لدفع ضرر المنازعة، والمنازعة تكون في هذا قائمة.

ولو اشترى كرمين متلازقين والشفيع جوار في أحدهما دون الآخر ذكره في الأصول يأخذ الذي له فيه الجوار ولا يأخذ الثاني، وهو قول محمد رحمه الله. وقال أبو يوسف في رواية كما قال في الأصول وفي رواية قال يأخذها جميعاً، وذكر العلة كما ذكره في المسألة الأولى.

وإذا اشترى دارين متلازقين والشفيع جوار في أحدهما دون الآخر فإنه يأخذ التي فيها الجوار ولا يأخذ الثانية لأنه حيث يأخذ إنما يأخذ بالجوار ولا جوار له في الثانية ولا يأخذها.

والشفعة تثبت بالآثار دون القياس لقوله عليه السلام: «جار الدار [أحق][3] بشفعته»[4].

---

(1) جاء في هامش النسخة "قال الليث [والنحل] دبر العسل، الواحدة دبرة".
الدبر: المال الذي لا يحصى كثرة، وجماعة النحل والزنابير. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص561.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة كأنها (حق).
(4) انظر "المعجم الكبير" ج7 ص226، و"كنز العمال" ج7 ص6، و"شرح مسند أبي حنيفة" ص217.

والشفعة إنما تجب لدفع الضرر وإزالة الأذى كحد القذف والسرقة والقصاص، وذلك لدفع الضرر كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: 179]، والأفضل أن يترك ولا يأخذ الشفعة لما قال أبو حفص الكبير البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاث أمر بهن ولا أفعل أمر بدخول الحمام نهاراً ولا أدخل الحمام إلا ليلاً، ومن سبقه الحدث في صلاته أمر بأن يتوضأ وينصرف ويبني على صلاته ما لم يتكلم؛ ولو سبقني الحدث أستقبل الصلاة ولا أبني عليها، ويجوز أخذ الدار والأرض الشفعة لكن لا آخذ شيئاً بالشفعة مخافة أذى مسلم والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58].

أخبر الله تعالى أن أذى المسلم إثم وبهتان والإثم حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: 33]، يدل عليه ما روي عن أبي مالك كعب بن عاصم الأشعري رحمهم الله يقول: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع في وسط أيام الأضحى «أليس هذا اليوم حرام؟ قالوا بلى يا رسول الله. فإن حرمتكم بينكم إلى يوم القيامة كحرمة هذا اليوم، ثم أنبئكم من المسلم؟، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأنبئكم من المؤمن؟، المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم، وأنبئكم من المهاجرين والأنصار؟، والمهاجر من [هجر][1] السيئات وهجر ما حرم الله عليه»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بابان من الخير ليس فوقهما ثالث: الإيمان بالله والإحسان إلى خلق الله، وبابان من الشر ليس فوقهما ثالث: الإشراك بالله ونعوذ بالله والإساءة إلى خلق الله تعالى»[3].

وعنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى مسلماً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار»[4] يعني يتبدل مكانه من الجنة إلى النار.

---

(1) مترددة في النسخة بين "يهجر" و" هجر" .

(2) انظر "المعجم الكبير" ج19 ص175. (3) لم أجد له تخريجاً .

(4) الظاهر أن الحديث ينتهي هنا، ولقد وجدته في كتب الحديث بدون رواية «فليتبوأ مقعده من النار». انظر مثلاً "المعجم الأوسط" ج4 ص60، و"العهود المحمدية" ص294.

وعن أبي هريرة ﵁ أنه قال: نظر رسول الله ﷺ يوماً إلى الكعبة عام حجة الوداع [وقال][1] «ما أعظم حرمتك، وحرمة المسلم أعظم من حرمتك»[2].

وعنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام وفي قلبه غش لأخيه المسلم نام وأصبح في سخط الله حتى يتوب، فإن مات على ذلك مات على غير الإسلام»[3].

وعن علي ﵁ أن رجلاً قال له سمعت رسول الله ﷺ يقول «من نفع مسلماً بقدر خلال[4] أدخله الله به الجنة»[5]، فبكى علي ﵁، فقال له الرجل: يا علي أروي لك حديثاً مثل هذا وتبكي؟ فقال علي ﵁: أبكاني أنه إذا نفعه هذا القدر استوجب الجنة، فإذا آذاه وضربه بذلك القدر دخل النار واستوجبها.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة في مواقيتها. قال: قلت ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: بر الوالدين. قال: قلت ثم ماذا يا رسول الله؟ قال أن [يسلم][6] الناس من لسانك ويدك»[7].

وروي عن ابن عباس ﵁ أنه كان استند إلى جدار الكعبة قبل أن يكف بصره ونظره ملياً[8] ثم قال: ما أشرفك وما أعظم حرمتك وأكرمك على الله تعالى لكن لو هدمتك سبع مرات كان أحب إلي من أن أؤذي مسلماً مرة واحدة[9].

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) انظر "المعجم الأوسط" ج1 ص214، و"مصنف ابن أبي شيبة" ج5 ص435.

(3) لم أجد له تخريجاً.

(4) الخلال: عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع والعود الذي يتخلل به. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص526.

(5) لم أجد تخريجاً كذلك.

(6) في النسخة "سلم"، ولعل الراجح ما بينته حسب ما جاء في المراجعين القادمين، والله أعلم بالصواب.

(7) وجدته بدون رواية (ويدك). انظر "المعجم الكبير" ج10 ص19، و"المسند" للشاشي ج2 ص285.

(8) جاء في هامش النسخة "أي ساعة مسيرة".

(9) فما بالنا بمن ينتهك حرمات المسلمين ويسفك دماءَهم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

وروى أبو محمد الإمام أن أبا بكر الوراق الترمذي[1] رحمهم الله كان يقول: لو أن أحداً استوجب ثواب الله بدون طاعة الله تعالى لرجوت أن يكون هو المحسن إلى خلق الله تعالى، ولو أن أحداً استوجب النار وعقاب الله تعالى بدون معاصي الله تعالى مع اجتنابه من الكبائر لخفت أن يكون المسيء إلى خلق الله تعالى.

قال الحكماء: أربعة من الذين عقوبتهن ذهاب الدين عند النزع ـ ونعوذ بالله ـ الاستخفاف بالصلوات الخمس، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأذى المسلم.

وقيل في الحكمة «حسن العمل ترك أذى المسلم والزهد والعبادة تحمل أذى الناس».

قال أبو الفضل محمد بن نعيم ﷺ يقول: سمعت معاذ النسفي ﷺ يقول: سمعت رجلاً يقول لحاتم الأصم: أوصيني يا أبا عبد الرحمن. قال: احفظ نفسك من أربعة: لا تؤذي الذي يحتاج إلى رضاه لا محالة، ولا تهدم موضعاً تحتاج إلى عمارته ـ وهي الجنة ـ، ولا تقل بلسانك شيئاً تحتاج إلى معذرته في العقبى، ولا تؤذي في أمور الدنيا مسلماً تعذب في ظلمة القبر.

قال يحيى بن علي المصنف: كان سهل بن عبد الله التستري رحمهم الله رجلاً زاهداً حتى سمعت الفقيه الزاهد أبا إسحاق إبراهيم بن إسحاق[2] رحمهم الله يقول: بلغني عن محمد بن علي الصانع التستري رحمهما الله أنه قال: كنت أحب أن أضيف سهلاً وكنت لا [. . .] عليه بذلك، قال: فكنت أعمل في السوق يوماً إذ أتاني بسهل يشتري خبز البر الحواري[3]، ثم ذهب إلى حانوت

---

(1) أبو بكر الوراق: محمد بن عمر الحكيم أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب. انظر "طبقات الصوفية" ص71.

(2) الحربي (285 هـ) إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق: من أعلام المحدثين. أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محلة فيها. كان حافظا للحديث عارفا بالفقه بصيرا بالأحكام، قيما بالأدب، زاهدا، أرسل إليه المعتضد ألف دينار فردها. تفقه على الإمام أحمد، وصنف كتبا كثيرة. انظر "الأعلام" ج1 ص32.

(3) جاء في هامش النسخة "اسم مكان"، والظاهر أنه ليس كذلك بل هو نوع من الخبز.

آخر واشترى لحم الحمل المشوي.

قال: وتركت ما أنا فيه، قال: فخرج من الباب التستري ودخل المسجد يعرف بمسجد [الفانين][1] ووضع ما معه من الطعام وصلى ركعتين، ثم خرج فتبعته فإذا نحن في سوق مهيأ لم أره قط، فدخل مسجداً في ذلك السوق فإذا فيه مريض نائم في آخر المسجد، فسلم عليه فاعتذر إليه أنه أبطأه وأطعمه ذلك الخبز واللحم، ثم خرج ففقدته ولم أقف على أثره، فبقيت في ذلك السوق على باب ذلك المسجد متحيراً، فجاءني صبي وقال: مالي أراك متحيراً؟ وتكلم بلسان غير لسان أهل بلدي. فقلت: ما شاء الله وبكيت. فقال لي الصبي: أتبكي وأنت شاب؟ قلت: أيها الصبي كيف لا أبكي وقد فقدت نفسي في بلدي؟ قال: أية بلدة بلدتك؟ قلت: تستر؟ قال: ما سمعنا تستر في آبائنا الأولين، فإذا أتى شيخ يقول: مالي أراك تبكي؟ فقصصت عليه القصة.

فقال الشيخ: لا تبكي ومن ههنا إلى بلدتك تستر مسيرة شهرين للراكب المجد، وعليّ طعامك وشرابك وماء وضوئك، لا تفارق أنت المسجد حتى يرجع ذلك [الرجل][2] فإنه يأتي إلى هذا المريض كل يوم ضحوة النهار ويتعاهد وينصرف ولا يدري من هو.

قال: فمكثت فيه إلى الغد حتى رجع الشيخ وأطعم المريض، فلما جلس عند المريض لزمت باب المسجد، فلما فرغ وهم بالانصراف تعلقت بذيله فقلت: الله الله وقصصت عليه قصتي معه، فتبسم ثم قال على شرط أن لا تخبر أحداً بما رأيت حتى أن أخرج من [الدنيا][3]، فحلفت له بذلك [فعقد][4] اليمنى على يده اليسرى وقال لي: غمض عينيك، فغمضتها، فمشينا ساعة ثم قال لي: افتح عينيك، ففتحتها، فإذا أنا بباب حانوتي تستر.

فبان أنه كان ليلاً في الزهد والتقوى، وهو كان يقول: ثلاثة أشياء تجب على

(1) غير واضحة في النسخة، وهذا أقرب شكل لها.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) في النسخة "الدين".

(4) في النسخة كأنها "فعقده".

المسلم: الثبات في الحسنات، والاكتساب من الحلال، وترك أذى المسلم.

فسُئل هو: ما مقدار التقوى على أذى المسلم؟ قال مقداره كأنك لابس فرو الثعلب فمررت على حائط رجل فأصاب فروك حائطه الخشن، فلو علمت أنه يتأذى منك بذلك القدر فاجتهد أن لا يصيب ثوبك حائطه.

فبلغ قوله زاهداً آخر فقال: إنه وسع في هذا الأمر، لكن لو علمت أنه يتأذى بالنظر إلى حائطه فلا تنظر.

قال الإمام أبو حمد: بال زاهد يوماً فلم يجد مدرة، فاستنجى بحائط رجل، ثم ندم فبكى على ذلك أربعين سنة، فبلغ ذلك إلى صاحب الحائط فجعله في حل حتى سكت.

سئل ابن عيينة: ماذا يفترض على المسلم إذا أصبح؟ قال: يفترض عليه شيئان: أحدهما [يعرف][1] أنه لا يقدر على إتيان جميع الطاعات ولكن يقدر أن يمتنع عن جميع المعاصي؛ فينوي أنه لا يعصي الله تعالى اليوم، والثاني لا يقدر أن ينفع الناس كلهم ولكن يقدر أن يمتنع من آذاهم؛ فينوي أن لا يؤذي أحداً من المسلمين، فإن ترك أذى المسلم طاعة وحسنة وأذاه معصية، حتى قال أبو القاسم السمرقندي الحكيم رَحِمَهُ اللهُ[2]: «وزن الإحسان إلى المسلم فإن بإزاء الإيمان لا الإيمان، ووزن الإساءة إلى المسلم فكان بإزاء الكفر لا الكفر».

---

(1) في النسخة "يصرف".

(2) السمرقندي (345 هـ) إسحاق بن محمد بن إسماعيل، أبو القاسم، الحكيم السمرقندي: قاض حنفي. من كتبه (الصحائف الإلهية). انظر "الأعلام" ج1 ص296.

الباب الثالث والعشرون
فيما يجب لنفسه ويجب للناس

لو ظهر فسق الشهود عند القاضي ينبغي أن يقول للمشهود له زد في الشهود ولا يقول إنهم فسقة، لأن فضيحة المسلم حرام لقوله عليه السلام: «من اطلع على عورة أخيه المسلم فسترها أدخله الله الجنة»[1]، وفي رواية «ستر الله تعالى عليه عوراته يوم القيامة»[2].

ولو أن رجلاً تحمل الشهادة لرجل على رجل لم يسعه أن يمنعها عند الحاجة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البَقَرَة: 283]، ولأنه لا يجب أن يمتنع شاهد بشهادته له [كذا][3] أيضاً وجب أن لا يحب[4] لغيره، ويدل عليه قصة آدم عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: 30] لما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام [صور][5] صورته من طين لازب، ثم تركه أربعين سنة من سنين الآخرة جسدا لم ينفخ فيه الروح؛ وذلك قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسَان: 1][6] وكان يمر عليه إبليس ـ عليه اللعنة ـ ويضمر أنه لو فضل علي لا أطيعه والقصة مشهورة، إلا أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فأبى إبليس ـ عليه اللعنة ـ أن يسجد له وكره أن يحب لآدم عليه السلام ما كان يحب لنفسه فوجد اللعنة.

ثم لما دخل آدم عليه السلام الجنة ونهاه الله تعالى عن الشجرة فأراد إبليس ـ عليه اللعنة ـ أن يخرج آدم عليه السلام من الجنة وكان لا يريد هو ذلك فوسوسه

---

(1) انظر "المعجم الأوسط" ج2 ص132، و"كنز العمال" ج3 ص251.

(2) انظر "كنز العمال" ج3 ص248. (3) في النسخة كأنها "كذى".

(4) الناسخ حرف الكلمة أو أنه أسقط كلمة في هذا الموضع.

(5) في النسخة "صورت".

(6) وجاء في هامش النسخة شرح لبعض كلمات الآية: "يعني قد أتى على آدم. تفسير أبو الليث، "مدة"، يعني: أربعين سنة".

حتى أخرج، وقد أُخرج هو كذلك إلا أن آدم عليه السلام يدخل الجنة مع ذريته من الأنبياء والصالحين، وقد لعن هو حُرم ولن يفلح إذا أبدا، وكل ذلك كان مما لا يحب للغير ما أحب لنفسه[1]، فينبغي للعاقل أن يحب للغير ما يحب لنفسه.

وعن الحسين أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ مني هذه الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة: قلنا نحن يا رسول الله. فأخذ بيده [فعقد][2] فيها خمسا، فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ [بما][3] قسم الله تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما [تحب][4] لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[5].

عن أبي الفضل [البرمقدري][6] بإسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا جلوساً في مسجد مع رسول الله ﷺ، فجاء رجل متوضئ يتقاطر الماء عن أعضائه ولحيته، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل الذي أقبل»، فدخل الرجل المسجد وصلى صلاة خفيفة وخرج، فرجع في اليوم الثاني والثالث فكان يقول النبي عليه السلام مثل ما قال في حقه في اليوم الأول، فتبعته وكنت أحفظ[7] عنده ثلاثة أيام ولياليها، فما رأيت عليه بغير الفرائض في مواقيتها، فقلت له: يا ابن الأخ إن رسول الله ﷺ شهد لك بالجنة والرسول لا يشهد إلا بالحق ولا أدري بك غير الفرائض، فما شأنك؟ قال: لا أعرف لنفسي طاعة ولا عملاً يدخلني الله به الجنة غير شيئين: أحدهما التمسك على كلمة الحق لا إلٰه إلا الله محمد

(1) ويمكن أن نقول أن رأس كل بلاء هو الحسد، فكل مصيبة وشر إذا تأملته إلا وترى من ورائه الحسد. والله أعلم.
(2) في النسخة "فعقده".
(3) في النسخة كأنها "مما".
(4) في النسخة "يحب".
(5) انظر "شعب الإيمان" ج7 ص78، و"المعجم الأوسط" ج7 ص125، و"سنن الترمذي" ج4 ص551.
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(7) هكذا جاءت في النسخة على حسب ما يبدو، والمعروف أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان ضيفا عنده في هذه المدة ليرى تصرفات الرجل.

رسول الله، والثاني أحب للناس ما أحب لنفسي وأكره لهم ما أكره لنفسي.

قال عبد الله بن عمر: وأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال رسول الله عليه السلام: «شهدت له بالجنة»[1].

روي عن وهب بن منبه أنه قال: [لقي][2] ذو القرنين ملكاً من الملائكة فقال له عظني: قال له الملك: لا تهتم لغد واعمل في اليوم لغد، وإن أتاك الله مالا وسلطانا فلا تفرح به، وإن صرفه عنك فلا تيأس[3] عليه، وكن حسن الظن بالله تعالى، وضع يدك على قلبك فيما أحببت أن تصنع لنفسك فاصنع بأخيك؛ وما كرهت أن تصنع لنفسك فاكره لأخيك، ولا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على [المؤمن][4] حين يغضب، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً للقريب والبعيد ولا تكن جباراً عنيداً.

وعن جابر بن حياة رضي الله عنه قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى الحسن البصري رضي الله عنهما: سلام عليك، أما بعد فإني ابتليت بأمر عظيم وقد شغلني [عن][5] كل ما أنا فيه، فإن لم [يتداركني][6] الله تعالى برحمة هلكت؛ ولا أدري كيف الخلاص منه، فعظني بموعظة موجزة لعل الله أن ينفعني بها، وأنا أسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا وإياكم من الفائزين برحمته والسلام.

قال جابر: فكتب الحسن البصري رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن بن الحسين إلى عبد الله بن عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه، سلام عليك، أما بعد: فقد فهمت ما كتبت به إليّ، فاعلم يا أمير المؤمنين أن من اتقى الله اتقاه الناس، ومن خاف الله تعالى خاف الناس منه، ومن استحيا الله تعالى استحيا منه الناس، ومن اجترأ على الله اجترأ عليه الناس، ومن تعجل الأمن دخل الخوف على نفسه غداً، ومن تعجل الخوف أدرك الأمن غدا والنجاة مع الحذر

(1) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج3 ص166، و"الترغيب والترهيب" ج3 ص348.
(2) في النسخة "لقن".
(3) في النسخة "يقاس".
(4) في النسخة "المؤمنين".
(5) في النسخة "من".
(6) في النسخة "يتدارك من".

والبصر ملاك الأمر وفيه أعظم الأجر، فاستعن بالله يا أمير المؤمنين على أمرك يعينك الله وتوكل عليه يكفيك ولا تستعن بغير الله تعالى فيكلك إليه، يا أمير المؤمنين إنك قد ابتليت بأمر عظيم يتوجه الناس إليك في حوائجهم، فافتح بابك للضعيف والأرامل، وما تحب لنفسك فأحبّ لهم وما تكرهه لنفسك فاكره لهم ولا تفعل بهم، وقد حدثني عبد الله بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها بغير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك»[1].

فاعلم يا أمير المؤمنين أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا يُنسى، وأن لكل عمل جزاء إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر جعلنا الله تعالى وإياك من العالمين بكتابه؛ ووفقنا وإياك بطاعته؛ ورزقنا وإياك حسن العواقب في الدنيا والآخرة بمنه ورأفته إنه قريب مجيب.

وكان يوصي واحد لواحد من الخلفاء: أوصيك يا أمير المؤمنين أن تخشى الله تعالى في الناس ولا تخشى الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك فإن أحسن القول ما صدقه الفعل، ولا تخشى في الله لومة لائم.

(1) انظر "صحيح البخاري" ج6 ص2443، و"صحيح مسلم" ج5 ص86.

الباب الرابع والعشرون
في فضل الوضوء والطهارة

وإذا احتلم الرجل وحفظه ولم ير في فراشه بللا لا غسل عليه بالاتفاق لأن النبي عليه السلام قال: «الماء[1] من الماء»[2]، وكذلك المرأة في ظاهر الأصول لما روي عن أم سلمة أنها سألت رسول الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها[3] مثل ما يرى الرجل، فقال عليه السلام: «إن كان منها مثل ما يكون من الرجل فلتغتسل»[4].

وذكر في كتاب المنتقى عن أصحابنا أنهم قالوا تجب عليها ولا يجب على الرجل، والفرق أن مخرج ماء الرجل واحد يظهر على ثوبه لو خرج منه شيء، فحين لم يظهر ظهر بأنه لم يخرج منه شيء ولا غسل عليه، وأما المرأة فمخرجها اثنان مدورة وهي في الداخل ومطول وهو الطاف[5] المروي الظاهر، والحكم للمدور الداخل فيحتمل أنه خرج من المدور فلم يصل إلى المطول الظاهر لعلة، فكان عليها الغسل احتياطا والأخذ بهذا أولى.

وإذا وجد الرجل والمرأة في الفراش بللاً وهو أثر المني لا يعرف أنه مني أو مذي ولم يذكر الاحتلام قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله: عليهما الغسل، وقال أبو يوسف رحمه الله: لا غسل عليهما.

ولو أن رجلاً احتلم فأمسك رأس إحليله فلم يخرج منه المني على ذلك الفور ثم خرج بعدما كان سكنت شهوته وفترت آلته عليه الغسل عندهما وعند الشافعي رحمهم الله، وقال أبو يوسف رحمه الله لا غسل عليه، والأخذ بقولهم أولى.

---

(1) جاء في هامش النسخة "[أي] الغسل".
(2) انظر "صحيح مسلم" ج1 ص185، و"سنن الترمذي" ج1 ص186.
(3) جاء في هامش النسخة "[أي] من المني".
(4) انظر "الجمع بين الصحيحين" ج2 ص483، و"سنن الترمذي" ج1 ص209.
(5) هكذا جاءت في النسخة، وجاء في الهامش "[أي] الخارج".

وإذا جامع امرأته ثم اغتسل من ساعته قبل أن يبول ثم خرج منه بقية المني فعليه الغسل عندهما وعند الشافعي، وقال أبو يوسف رحمه الله: لا غسل عليه.

وإذا نام الرجل مع امرأة على فراش واحد فلما أصبحا وجدا بللا في فراشهما وعلما أنه أثر المني ولم يذكرا الاحتلام لا رواية فيه، إن المتأخرين قالوا ينظر إلى الماء إن وقع مطولا يغتسل الزوج دون المرأة لأن الرجل يخرج على سبيل الدفق فيقع طويلا، وإن كان مدورا تغتسل المرأة لأن ماءها يخرج على سبيل السيلان فيقع مدورا فكان الغسل عليها.

وقال بعضهم إن [كان][(1)] الماء أبيضَ ثخيناً[(2)] فهو ماء الرجل، وإن كان أصفر رقيقاً فهو ماء المرأة.

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الفضل: يغتسلان جميعاً احتياطا فهو أفضل.

وإذا باشر امرأته فانتشر لها وليس بينهما ثوب ولم ير شيئاً قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله: عليه الوضوء، وقال محمد رحمه الله: لا وضوء عليه[(3)].

قال داود الأصفهاني رحمه الله: يفترض الوضوء على كل من قام إلى صلاة محدثا كان أو متوضأ، وعند عامة الفقهاء لا يفترض الوضوء إلا على المحدث وهو المذهب، إلا أن الأفضل أن يتوضأ لكل صلاة محدثا كان أو غير محدث لظاهر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المَائدة: 6][(4)] الآية.

وقد أمرنا الله تعالى بذلك ليطهرنا من الذنوب بدليل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا [أخبركم بما يمحو][(5)] الله تعالى به

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) جاء في هامش النسخة "[أي] غليظ".

(3) انظر "تحفة الفقهاء" ج1 ص22.

(4) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المَائدة: 6].

(5) في النسخة "أخبرتكم بما يمحون".

الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة»(1).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثماني حجج، فقال لي رسول الله عليه السلام: «يا أنس أسبغ الوضوء تزد في عمرك، يا أنس صل الضحى فإنها صلاة الأوابين من قبلك، سلم على من لقيت من أمتي تكثر من حسناتك، يا أنس إذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك [يكثر خير](2) بيتك، يا أنس ارحم الضعيف ووقر الكبير ترافقني يوم القيامة»(3).

وعن أبي أمامة الباهلي: من توضأ للصلاة فأحسن خرج من الخطيئة كيوم ولدته أمه(4).

وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «من قرب طهوره للصلاة يراه واجبا لله عليه فمضمض فاه بالماء خرج من ذنوبه مع أول قطرة تقع من طهوره، فإذا غسل وجهه غفر له ما نظرت إليه عيناه، فإذا غسل يده تساقطت ذنوبه من أطراف أنامله، فإذا مسح برأسه غفر له ما سمعت أذناه، فإذا غسل قدميه سقطت ذنوبه ما [خطت](5) قدماه وإن [جلس](6) جلس سالما وإن قام إلى الصلاة فصلى يقبل منه»(7).

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول بعد فراغه من وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله إلا فتحت له ثمانية [من](8) أبواب الجنة من أيها شاء دخل»(9).

قال المصنف جزاه الله خيراً: سألت أبا الفضل محمد بن نعيم عن الحكمة من غسل الأعضاء الأربعة في الوضوء فرضا دون سائر الأعضاء، فقال: لأن

---

(1) انظر "موطأ مالك" ج2 ص224، و"سنن ابن ماجة" ج1 ص255.
(2) في النسخة "تكثر".
(3) انظر "شعب الإيمان" ج6 ص427، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص320.
(4) انظر "مسند الشاميين" ج4 ص140، و"سنن الدارمي" ج1 ص196، و"كنز العمال" ج7 ص301.
(5) في النسخة "خطأت".
(6) ساقطة من النسخة.
(7) انظر "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" ج4 ص50، و"مجلس في رؤية الله" ص32.
(8) ساقطة من النسخة.
(9) انظر "معجم ابن الأعرابي" ج1 ص144، و"كنز العمال" ج9 ص295.

الإنسان يعرف يوم القيامة بهذه الأربعة [أهو][1] من أهل الجنة أم هو من أهل النار؟؛ كما قال الله تعالى في الوجوه: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عِمرَان: 106]، في اليد ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحَاقَّة: 19]، وأما في الرأس قال النبي عليه السلام: «يتوج المتوضئ في الجنة بتاج لو استظل به أهل الدنيا [لاستظللوا][2]»[3]، وفي الرجل قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحَاقَّة: 30]، فأمر الله تعالى بغسل هذه الأعضاء الأربعة لكي تبيض وجوه [عباده][4] يؤتى كتابهم بيمينه لا بشمالهم ويتوج رأسهم وتنجو رجلهم من الأغلال.

وعنه أيضاً قال: سألت أبا الفضل البرمقدري عن الحكمة فيه قال: إنما وجب غسل هذه الأربعة وهن أطهر من سائر الأعضاء لأن الله تعالى منع آدم عليه السلام عن الشجرة [وتناولها، فصارت][5] هذه الأربعة مذنبة بالمشي من الرجلين، والتناول من اليدين، والتوجه من الوجه، ووضع اليد المذنبة على الرأس، فإن آدم عليه السلام لما [أذنب][6] وضع يده على أم الرأس، فأمر الله تعالى غسل هذه الأعضاء ومسح الرأس بالوصول اليد المذنبة إلى الرأس، فاكتفى بالمسح دون الغسل لأن جنايته أخف لكي يزول عنها الإثم ويطهرن من نجاسة الذنب. فقلت: ما أذنب الفم بالمضغ والابتلاع حتى يفترض المضمضمة؟

فقال: إنما كان بعد إتمام الذنب، والآخر أنه ما كان ممنوعا عن الأكل بل ممنوعا عن القربة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البَقَرَة: 35]، والآخر أنه لم يفترض غسله لأجل التطهير لأن فيه مطهراً له وهو اللسان بقوله "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله"، ألا يُرى أن الكافر لما لم يقل بلسانه "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله: من صدقه سمي نجساً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التّوبَة: 28][7]، والمؤمن إذا قال ذلك يطهر جميع بدنه؛ فكيف الفم؟ فلا يحتاج تطهيره بالماء فلم يجب.

---

(1) في النسخة "هو".
(2) في النسخة "لاستظلت".
(3) لم أجد له تخريجاً.
(4) في النسخة "عبادي".
(5) في النسخة "وتناول فصار".
(6) في النسخة "اذم".
(7) في النسخة (إن) بدل (إنما).

يقول المصنف: قلت إن حواء [ابتدأت][1] بالذنب وما عوقبت حتى يتناول آدم عليه السلام وكانا ممنوعين، فلما [تناولاها][2] عوقبا.

قال: الأصل في الشرع أن اثنين إذا منعا عن شيء وجعل لهما جزاء فلو تفرد أحدهما بإتيانها لم يستحق [الجزاء][3] كمن قال لعبدين: إذا دخلتما الدار فأنتما حران فدخل أحدهما لا يعتق ما لم يدخل الثاني، فإذا دخل الثاني عتقا جميعاً. وآدم وحواء كانا ممنوعين عن الشجرة فلم يوجد بتناول حواء تتمة الشرط فلا تستحق [جزاء] حتى يتناول آدم عليه السلام.

وذكر محمد بن نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ حكمة أخرى في تطهير هذه الأعضاء دون غيرها، وذلك [أن][4] أفضل الأعضاء في البدن هذا الوجه، فالأصل في البدن قد قال الله تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: 64] والمراد به الوجه، فالله تعالى أمر بغسله شكرا لما صنع [بكيانك][5]، وأمر بغسل اليدين لأن الإنسان مخصوص باليد دون سائر الحيوان فيتميز الطيب من الخبيث والمنتفع من الضار ليقع غسلهما شكرا، وأمر بغسل الرجلين لأن البهائم يمشون على أربع منكوسا وسوى الله صورة الإنسان فما نكسه فيكون غسلهما شكرا، وأمر بمسح الرأس ليكون المسح شكرا لله تعالى لما وضع عنه السيف عند الإسلام ولمحل العقل فيه وبه تحصل معرفة الله تعالى ورسوله وشرائع الإسلام[6].

---

(1) في النسخة كأنها "ابتذرت". (2) في النسخة "ناول اليها".

(3) في النسخة "الا جزاء"، وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا في هذه الفقرة وذلك حتى يستقيم المعنى. (4) ساقطة من النسخة.

(5) في النسخة "بمكانك"، ولعل الأصح ما بينته والله أعلم.

(6) جاء في هامش النسخة "كان يعقوب في [. . . يوسف] وذلك أن يعقوب كان يذكر حسنه وجماله، وكان يذكره ليلا ونهارا ولا يذكر سوى يوسف من أولاده، وكان يريد أن يصور حسنه وهيئته مثل المشاهدة فلم يقدر، فقال كان لقرة عيني يوسف جماله وحسن وهيئة وليس له أشباه فأين [تلك] التصورات مني؟. فنودي من [سره] أن يا يعقوب ليوسفك أشباه وأمثال كثيرة ولكن أشكل عليك، فلتتخذ حبيبا لا مثل له، ولا شبه له، ولا ضد له، ولا ند له، ولا ولد له، ولا وزير ولا شريك له، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ثم قال يعقوب: إلهي ما علامة الذين اتخذوك حبيبا؟ وما علامة الذين اتخذتهم عدوا؟ =

. . . .

= فنودي يا يعقوب كل من كان على الصلاة حريصا وراغبا فهو الذي اتخذني حبيبا، وكل من كان تاركا للصلاة كسلانا على [إقامتها] فذلك علامة أن [أتخذه] عدوا.
قال رسول الله عليه السلام: «سلموا على اليهود والنصارى ولا تسلموا على اليهود من أمتي. قيل: يا رسول الله من اليهود من أمتك؟. قال: [هو تارك] الصلاة». أنيس الجليس".

الباب الآخر من فضائل الوضوء بمسائله وعظاته
وهو الخامس والعشرون

اختلف الناس في الماء المستعمل بأن الماء المستعمل ما هو؟ قال علماؤنا كل ماء غسل به الوضوء على جهة العبادة محدثاً كان الغاسل أو غير محدث فهو ماء مستعمل.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: إذا توضأ فالماء الأول مستعمل وما وراء ذلك لا يصير مستعملاً.

وقال زفر رحمه الله[1]: إن المتوضئ أو المغتسل محدثاً أو جنبا فالماء يصير مستعملاً وإلا فلا، وإذا صب الماء على رأسه للتبرد لم يصر مستعملاً في ظاهر الأصول إذ ليس فيه عبادة.

وقال الطحاوي[2] في مختصره: يصير مستعملاً إذا[3] غسل ثوبه النجس والماء يصير نجسا، فإن غسله بعد ما صار الثوب طاهراً فالماء طاهر، فإن كان الثوب في الأصل طاهراً لم يصر الماء مستعملاً بغسله بالاتفاق.

---

(1) الراجح أن المقصود:
زفر بن الهذيل (158 هـ) زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، من تميم، أبو الهذيل: فقيه كبير، من أصحاب الإمام أبي حنيفة. أصله من أصبهان. أقام بالبصرة وولي قضاءها وتوفي بها. وهو أحد العشرة الذين دونوا (الكتب) جمع بين العلم والعبادة. وكان من أصحاب الحديث فغلب عليه (الرأي) وهو قياس الحنفية، وكان يقول: نحن لا نأخذ بالرأي ما دام أثر، وإذا جاء الأثر تركنا الرأي. انظر "الأعلام" ج3 ص45.

(2) الطحاوي (321 هـ) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا. ورحل إلى الشام وتوفي بالقاهرة. من تصانيفه (شرح معاني الآثار) في الحديث و(المختصر) في الفقه، وشرحه كثيرون. انظر "الأعلام" ج1 ص206.

(3) في النسخة "وإذا".

ولو قيل إن الماء الذي غسل به العضو وإن كان ألف مرة محدثاً كان أو غير محدث يصير مستعملاً ولا كذلك في غسل الثوب، فلماذا قلنا إن المتوضئ ينوي العبادة كل مرة وقوله عليه السلام: «الوضوء على الوضوء نور على نور»(1) بخلاف ذلك.

قال أبو حنيفة رحمه الله: الماء المستعمل نجس وحكمه حكم النجاسات.

وقال أبو يوسف رحمه الله: الماء المستعمل نجس لكنه خفيف كبول ما يؤكل.

وقال محمد رحمه الماء: المستعمل طاهر غير طهور، وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله وبه المذهب(2).

وفي سؤر الهرة قال أبو حنيفة رحمه الله في الجامع الصغير: أكره أن يتوضأ به.

وقال أبو يوسف: لا بأس بذلك لأنه قال عليه السلام: «إنها من الطوافين والطوافات عليكم»(3)، فلما كان كذلك جاز كالفأرة والحية لا بأس بسؤر هؤلاء.

ويجوز التوضؤ بنبيذ التمر عند أبي حنيفة رحمه الله بثلاثة شرائط: أن لا يوجد ماء، وأن لا يكون مطبوخا، وأن لا يكون مرا لأبي حنيفة رحمه الله قوله عليه السلام حين خرج ابن مسعود ليلة الجن، قال ابن مسعود رضي الله عنه: خط رسول الله لي خطا وقال «لا تفارق الخط فإن فارقت فإنك لم تلقاني إلى يوم القيامة»، فلما كان قريبا من طلوع الشمس رجع متغيرا لونه، فقال عليه السلام: «هل عندك ماء أتوضأ به. قال: لا إلا نبيذ التمر. فقال عليه السلام: تمرة طيبة وماؤها طهور»، فأخذه وتوضأ وصلى الفجر(4)، فقد سماه ماء وتوضأ به عند عدم الماء، فبان أنه يجوز الوضوء، والأحوط أن يجمع بين التوضؤ به والتيمم كما قال محمد، لأن جواز

---

(1) انظر "إحياء علوم الدين" ج1 ص262، و"المقاصد الحسنة" ص704، و"الترغيب والترهيب" ج1 ص98.

(2) انظر هذه الأقوال الثلاثة في المذهب الحنفي في "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، وحاشية الشبلي" ج1 ص24.

(3) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص263، و"مسند أحمد بن حنبل" ج5 ص309.

(4) انظر "المنهيات" للحكيم الترمذي ص5.

الصلاة متعلق بالوضوء وبما يقوم مقام الوضوء مثل التيمم لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: 6][1] إلى قوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: 6].

قال بعض المفسرين: أراد تطهير النجاسة الحكمية.

وقال بعضهم: أراد التطهير من الذنوب والخطايا، فإن الغسل من الجنابة والوضوء من الحدث محط الخطايا حطًّا ويكفر الذنوب بدليل ما جاء عن مجاهد عن جابر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة»[2].

وعن خالد بن حميد[3] رضي الله عنه قال: بلغنا أن امرأة كانت تخبز على عهد عيسى عليه السلام فسمعت الأذان فتركت الخبز واشتغلت بالصلاة، فجاء الشيطان على صورة امرأة وقال: يحترق خبزك، فلم تلتفت إلى كلامها وقالت في نفسها: إن الذي أصلي له يحفظ خبزي، فلما لم تلتفت أخذ رضيعاً لها وألقاه في التنور، فقال لها: وقع صبيك في التنور. فقالت في نفسها مثل ما قالت أولاً ولم تلتفت، فلما أيس إبليس عليه اللعنة ترك الصبي في التنور وخرج ودخل زوجها ونظر في التنور فرأى الصبي يلعب بالجمرات، فتركه وذهب إلى عيسى عليه السلام وأخبره بذلك، فحضر عيسى عليه السلام معه داره ورأى الصبي في التنور يلعب وشجرة رمانة قد خرجت ثمارها يأكل منها الصبي مصاً والجمرة [عقيقاً][4] ولؤلؤا يلعب

---

(1) قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

(2) انظر "الجامع الصغير وزيادته" ص675.

(3) خالد بن حميد (169 هـ) المهري المصري، كان واعظا عالما كبير القدر. انظر "تاريخ الإسلام" للذهبي ج10 ص163.

(4) العقيق: حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص يكون باليمن وبسواحل البحر المتوسط. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص139.

بها الصبي، فقال عيسى عليه السلام عليّ بامرأتك، أي ائت [بها][1] علي، فأتى بها إليه، فسألها ما شأنك حيث أكرمت بهذه الكرامة؟ فقالت: يا روح الله مذ عقلت أحفظ ثلاثاً وأستعملها: ما ذهب عني وضوء إلا وقد هيأت الماء بوضوء آخر، ونظرت إلى الموتى ما جاء إليهم من الأحباء فاحتملوا فاحتملت أنا من الخلق كذلك، وكل حاجة رُفعت إلي وقدرت على قضائها قضيتها لوجه الله تعالى. قال عيسى عليه السلام: هذه أفعال الأنبياء، ولو كانت هذه المرأة من الرجال شهدت أنه نبي، لكن لا نبوة للنساء.

وروي في الخبر الطويل أن جبرائيل عليه السلام جاء إلى النبي عليه السلام بصورته العظيمة، فضرب بجناحه الأرض فنبع منها عين ماء، فقال: قم يا محمد ﷺ فانظر وتعلم ما جئتك من ربك وأمرك به تعالى خذه، وضرب جبرائيل عليه السلام بيده في العين يغسل يديه ثلاثاً، ثم تمضمض فاه ثلاثاً، ثم استنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً إلى المرفقين، ثم مسح رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما مرة واحدة، ثم غسل رجليه حتى أنقاهما، ثم قام فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له و[أنك][2] رسوله بالحق بعثك، فقال: يا محمد افعل كما فعلت وقل كما قلت، فقام النبي عليه السلام فتوضأ مثل وضوء جبرائيل وقال مثل مقالته، فقال: يا محمد ﷺ قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويغفر لمن يصنع مثل صنعتك ذنوبه حديثها وقديمها؛ سرها وعلانيتها؛ عمدها وخطأها وحرم لحمه ودمه على النار؛ ونجاه من غضبه وعقابه يوم يلقاه[3].

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) في النسخة "انه".

(3) جاء في هامش النسخة "[من الحسان] عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غرست له نخلة في الجنة» يعني غرست له نخلة بكل مرة قالها، وإنما خص النخل من الأشجار لأنها أنفع الأشجار وأطيبها. [. . . باب ثواب التسبيح] والتهليل".

الباب السادس والعشرون
في فضل من أذن وسمع الأذان وأجابه

وإذا أذن المؤذن لصلاة الفجر قبل طلوع الفجر لا يجوز، وعليه الإعادة في قول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله.

وقال أبو يوسف والشافعي رحمهما الله يجوز في الفجر خاصة[1]، ولأبي حنيفة أن بلالا ﷺ أذن قبل طلوع الفجر ففرك النبي عليه السلام أذنيه وقال له «ألا إن العبد قد نام وإذا طلع الفجر [فاعد][2] الأذان»، فمضى بلال وجعل يقول: ليت بلالا لم تلده أمه[3].

ولا أذان في عشر صلوات: في صلاة النافلة ليلاً كانت أو نهاراً فرادى أو جماعة، والوتر، والتراويح، والعيدين، وصلاة الطواف في الكعبة، وصلاة بالنساء جماعة أو فرادى إلا أن يكون معهن رجال، وصلاة كسوف الشمس، وصلاة خسوف القمر، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الجنازة.

وقال في كتاب المجرد[4]: لو كان القوم مجتمعين في بيت أو كرم فأرادوا جماعة إن أذنوا وقاموا فحسن، وإن تركوا الأذان وأقاموا جاز، وإن تركوه جاز بغير إثم ولا إساءة لأن الأذان لاجتماع الناس وههنا لا يجتمع أكثر منهم، والإقامة لإعلام وقت الجماعة لمن هو يتكاسل دخول المسجد وانتظار الإمامة، وههنا كلهم مجتمعون.

---

(1) انظر "تبيين الحقائق" ج1 ص93.

(2) في النسخة "فاعاد"، والراجح ما بينته ليظهر المعنى، والله أعلم بالصواب.

(3) وجدته بدون زيادة «وإذا طلع الفجر فاعد الأذان». انظر "سنن أبي داود" ج1 ص209، و"سنن البيهقي" ج1 ص384.

(4) الراجح أنه يقصد: المجرد في فروع الحنفية، للإمام أبي القاسم إسماعيل بن الحسن بن عبد الله البيهقي، إلا أنه لم يذكر له تاريخ وفاة. انظر "كشف الظنون" ج2 ص1593.

والأصل في هذه المسائل إن كان [موضع][1] أدى فيه حق الأذان، [و][2] جاز ترك الأذان فيه مثل القرية والبلدة، إذا أذن في منادتها فقد أدى فيها حق الأذان؛ فإذا صلى قوم فيها بجماعة في بيوتهم أو كرومهم أو قريب منها بحيث يبلغ صوت المؤذن إليها بغير أذان جاز ولم يكره، وكل موضع لا يؤدى فيه حق الأذان مثل المفازة التي لا يبلغ أذان المؤذن تكن الجماعة بغير أذان.

والأذان سنة ثبتت بالرؤيا كما قال محمد بن إبراهيم [البخاري][3] رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناده أن محمداً ﷺ أطاع الله تعالى وعبده حتى أعز الله الإسلام بعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأسلم، ثم خرج شاهرا سيفه مقاتلاً الكفرة حتى استخلص منهم البيت وكسر الأصنام، واتفق المؤمنون على أن يقيموا الجماعة وأن يجعلوا للوقت علامة، فقال بعضهم: نضرب البوق والطبل، وقال بعضهم: هذا فعل اليهود، وقال بعضهم نضرب نارا، فقالوا: فعل المجوس، ولم يتفقوا على جميع ما قالوا وتفرقوا.

يقول عبد الله بن زيد الأنصاري: نمت تلك الليلة متفكرا فإذا أنا بين اليقظة والنوم إذ أقبل رجل عليه بردان أخضران، فقام على حرم الحيط فأذن الأذان المعروف، ثم جلس هنيهة ثم قام وأقام مثل الأول إلا أنه زاد فيه قد قامت الصلاة.

فلما أصبحت أتيت النبي عليه السلام فأخبرته بذلك، فقال عليه السلام: «علمها بلالا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه أندى صوتاً منك»، وفي قول «أمد»، ثم جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي عليه السلام وذكر كذلك، ثم جاء أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخبر النبي عليه السلام بذلك الترتيب[4].

---

(1) جاءت غير واضحة في النسخة.

(2) ساقطة من النسخة، وأضفتها ليستقيم المعنى، والله أعلم.

(3) في النسخة كأنها "النجاري".

(4) انظر "سنن البيهقي" ج1 ص391، و"سنن ابن ماجة" ج1 ص232، و"صحيح ابن خزيمة" ج1 ص189.

وروي عن جعفر بن محمد الصادق[1] رضي الله عنه أنه قال: الأذان أجل من أن يثبت بالرؤيا، بل لُقن النبي عليه السلام ليلة المعراج غير أنه نسي فتذكره حين ذكره عبد الله بن زيد. يدل على صحة ما قال جعفر بن محمد الصادق رواية محمد بن نعيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لما أراد الله أن يعلم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم الأذان أتاه جبرائيل بدابة وهي البراق، وركبها حتى انتهى إلى الحجاب فخرج ملك فقال النبي عليه السلام لجبرائيل من هذا؟ فقال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا ولم أر هذا الملك غير ساعتي، فقال له الملك: الله أكبر الله أكبر، فنودي أن صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدوني، فقال الملك: أشهد أن لا إلٰه إلا الله مرتين، فنودي أن صدق عبدي، فقال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله مرتين، فنودي أن صدق عبدي أنا أرسلت محمداً رسولاً، فقال الملك: حي على الصلاة مرتين، فنودي حي على الفلاح مرتين، فنودي أن صدق عبدي حيث دعا إليّ عبادي أنا دعوتهم إلى بابي؛ أفلح من أجاب داعي الله، فقال: الملك الله أكبر الله أكبر، فنودي أن صدق عبدي أنا الله لا إلٰه إلا أنا، ثم نودي يا محمد أكمل الله لك الشرف على الأولين والآخرين، ثم علم رسول الله بلالا رضي الله عنه بعدما رآه عبد الله بن زيد في المنام، قال: فمن أذَّن وأقام فله أجر ذلك الذي علم أبا بكر وعمر وعبد الله بن زيد رضوان الله عليهم[2].

---

(1) جعفر الصادق (148 هـ) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صداعا بالحق. مولده ووفاته بالمدينة. انظر "الأعلام" ج2 ص126.

(2) انظر "مسند البزار" ج1 ص328، و"مجمع الزوائد" ج2 ص86، و"الدر المنثور" ج5 ص220.

وجاء في هامش النسخة "والقبلة خمس العرش والكرسي والبيت المعمور والكعبة بيت المقدس، فالعرش قبلة حملته والكرسي قبلة [. . .] والبيت المعمور قبلة أهل السماء، والكعبة قبلة المسلمين، والبيت المقدس كان قبلة بني إسرائيل [. . .]".

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: 33] الآية، معناها ليس أحد أحسن قولا ممن يدعو [عباد][1] الله إلى طاعته وعبادته.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [البَقَرَة: 62][2] يعني صلى بعد الأذان قبل الإقامة بسنة سنها رسول الله ﷺ في كل صلاة.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: 33] يعني أقر بالإسلام وافتخر به وشهد بوحدانيته في أول أذانه وآخره، قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت الآية في شأن المؤذنين.

وعن أبي [عمر وزران][3] الكندي قال: سمعت أبا سعيد الخدري وأبا هريرة رضي الله عنهما قالا سمعنا رسول الله ﷺ يقول «ثلاث يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حتى فراغ الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأم به القوم وهم راضون، ورجل أذَّن ودعا به الخلق إلى الله تعالى ابتغاء وجه الله تعالى، ورجل مملوك ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن طلب الآخرة»[4].

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله عليه السلام: «من أذَّن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه بكل مرة ستون حسنة، وبإقامته بكل مرة ثلاثون حسنة»[5].

وعن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا أذَّن المؤذن فتحت له أبواب السماء [فاستجيبت][6] له الدعوة، وإذا أخذ في الإقامة لم ترد دعوته [تلك][7]».

---

(1) في النسخة "عبادة".
(2) جاء في هامش النسخة "وخدمته بأذانه وإقامته".
(3) غير واضحة في النسخة، وهذا أقرب شكل لها.
(4) انظر "شعب الإيمان" ج2 ص348، و"كنز العمال" ج15 ص832.
(5) انظر "سنن ابن ماجة" ج1 ص241، و"سنن البيهقي" ج1 ص433.
(6) في النسخة "فاستجب".
(7) في النسخة "ذلك" والله أعلم بالصواب، وجدته بروايات أقربها هي «إذا أذن المؤذن فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء، فإذا كان عند الإقامة لم ترد دعوة» انظر "كنز العمال" ج7 ص685، و"مسند أبي يعلى" ج7 ص142. =

قال سمعت أبا الحسن علي بن مسعود يحكي عن أبي شجاع ﵁ يقول: زاد الماء ببغداد في أيام [. . .][1] حتى أشرفت على الغرق، قال فحدثني أبو منصور عيسى بن موسى الزاهد العابد قال: رأيت في النوم في إحدى تلك الليالي كأني واقف على [الجسر][2] والماء يرتفع وأنا أقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله ذهبت بغداد وغرقت" إذ جاء إنسان حسن الصورة وقع في قلبي أنه ملك من ناحية قطيع الربيع ثم استقبله آخر من ناحية الكرخ، فقال الذي جاء من ناحية الكرخ للذي جاء من ناحية الربيع: ما الذي أمرت [به][3]؟ قال: أمرت بتغريقها كلها ثم نهيت عن ذلك. فقال الآخر: [ولما][4] كان هكذا رفعت ملائكة الليل إلى الله تعالى ـ وهو أعلم بذلك من جميع خلقه ـ أن افتض ببغداد البارحة سبعمائة فرج حرام، فغضب الله تعالى وأمرني بتغريقها، ثم نهت ملائكة النهار إلى الله تعالى في صبح هذا اليوم بسبعمائة أذان بغداد من سبعمائة مؤذن، فعفى الله تعالى من هؤلاء ووهب مسيئهم بمحسنهم بشفاعة سبعمائة مؤذن أذنوا.

قال أبو شجاع: قال أبو منصور صاحب الرؤيا: فانتبهت من النوم خائفاً وأتيت البقعة فإذا الماء نقص ولم يزل ينقص ذلك حتى انتهى الماء إلى حده من بركة الأذان.

وعن عيسى بن طلحة عن النبي عليه السلام أنه قال: «المؤذنون أطول أعناقاً يوم القيامة»[5].

= وجاء في هامش النسخة "عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﵁ أنه قال سأل النبي ﷺ عن أول من يدخل الجنة فقال «الأنبياء، ثم الشهداء، ثم المؤذنون مؤذنو مكة، ثم مؤذنو مسجدي هذا، ثم مؤذنو مسجد بيت المقدس، ثم مؤذنو سائر المؤذنين على قدر أعمالهم [مجموع]".

وجاء في الهامش "قال المؤذن يغفر مدى صوته"، "المدى الغاية، يريد بهذا [تكميل] المغفرة، يعني إذا كان صوته أبعد [تكون مغفرته] أكثر [. . .]".

(1) في النسخة كأنها "يمرورية".

(2) مترددة في النسخة بين "الجسر" و"بحر".

(3) في النسخة "بهذا".

(4) في النسخة "ولم"، والظاهر أن الناسخ أسقط كلمة في هذا الموضع.

(5) في النسخة (أعناق). انظر "شعب الإيمان" ج3 ص117. =

فإن قيل: فما فائدة قول الخبر وطول العنق عيب على الإنسان؟ قلنا: لا تكون أعناقهم طوالا بل تكون أعناق نجائبهم[1] أطول من نجائب سائر أهل الجنة ليعلم أهل الجنة أنهم المؤذنون ونالوا ما نالوا بأذانهم في الدنيا.

وقال أبو يوسف الأديب الزاهد جوابا آخر وهو أن يكون أكثر الخلائق يوم القيامة منكوسي رؤوسهم مما يصيبهم من الأهوال؛ وهم يرفعون رؤوسهم، فصاروا أطول الناس أعناقاً.

[قال][2] أبو فضل البرمقدري رحمه الله: يوضع لهم في طريق الجنة كراسي ويقال لهم: اصعدوا عليها كما صعدتم لأجلنا المنارات المرتفعة، فكما رفعتم ذكرنا في دار الهوان فالآن يرفع اسمكم في دار العز والبقاء.

= وجاء في هامش النسخة " لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس شهد له يوم القيامة"، "يعني من سمع صوت المؤذن من القريب والبعيد من الجن والإنس وغيرهم من الحيوانات والجمادات [إلا] شهدوا له بسماع صوت أذانه. والغرض من إنطاق من يسمع صوت المؤذن من القريب والبعيد [أن] يشهدوا له و[تكرمة بين أهل العرصات. . .]".

وجاء في الهامش "وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه من قال يغفر للمؤذن مد صوته وله أجر من صلى معه من غير أن ينقص من أجرهم شيء. نقل من الشمس المضيئة".

(1) جاء في هامش النسخة " يقال له رجل نجيب أي كريم. صحاح" .

(2) ساقطة من النسخة.

الباب السابع والعشرون
في فضل من سمع الأذان وأجابه

رجل حضر وقت الإقامة يدخل مع الإمام في صلاته وتسقط عنه السنة لقوله عليه السلام: «إذا خرج الإمام فلا صلاة إلا المكتوبة»[1].

والنافلة تكره في عشرة أوقات غير ركعتي الفجر بالاتفاق دون الفائتة بعد طلوع الفجر وقبل الصلاة، وبعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر قبل اصفرار الشمس، وعند خطبة الجمعة، وعند أذان الجمعة وهو الأذان الذي يؤذن عند المنبر فإنه هو [المعتبر][2]، وعند الإقامة يوم الجمعة، وعند الخطبة في العيدين، وعند ثلاث خطب في الحج.

وثلاثة أوقات لا تجوز الصلاة فيها نافلة أو فائتة عند طلوع الشمس حتى ترتفع، واختف الناس في ارتفاعها، قال الإمام أبو بكر محمد بن الفضل ﷺ: إذا قدر الناظر إلى قرصها فهو على الطلوع، وإذا لم يقدر فقد ارتفعت وحلت الصلاة.

وقال الفقيه أبو جعفر ﷺ: يوضع طست[3] في أرض مستوية، فإن وقعت في حيطانه فهو على الطلوع، وإن وقعت في وسطه فقد طلعت وحلت الصلاة.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن الفضل: ينظر إلى رؤوس الجبال الأشجار والحيطان، فإن كانت الشمس فيها محمرة أو صفراء فهو على الطلوع،

---

(1) وجدته بروايتين هما قوله ﷺ «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»، و«لا صلاة لمن دخل المسجد والإمام قائم يصلي، فلا ينفرد وحده بصلاة ولكن يدخل مع الإمام في الصلاة». انظر "صحيح ابن خزيمة" ج2 ص169، و"كنز العمال" ج7 ص424.

(2) في النسخة كأنه "المتبرع"، وكان الطحاوي رحمه الله يقول: المعتبر هو الأذان عند المنبر بعد خروج الإمام. انظر "العناية شرح الهداية" ج2 ص416.

(3) الطست: إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه يغسل فيه (معرب تشت بالشين) يؤنث ويذكر. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص14.

وإن ابيضت فقد طلعت فتحل الصلاة.

والثاني عند الزوال.

والثالث إذا اصفرت الشمس حتى تغرب والعبرة لاصفرار قرصها لاصفرارها على رؤوس الأشجار لقوله عليه السلام: «إذا اصفرت الشمس فلا صلاة إلا عصر يومه»(1).

ويكره السلام في خمسة مواضع، عند خطبة الجمعة ولو سلم لم يستحق الجواب، وعلى قوم هم مشغولون بالصلاة، وعلى قوم يقرأون القرآن، وعلى قوم هم عند مذاكرة العلم، ولو سلم يأثم المسلّم لكن يستحق الجواب، وعلى قوم يؤذنون أو يقيمون والباقون يجيبون الأذان. وهذا دليل على شرف الأذان إذ يكره السلام لكي [لا](2) يشتغل خاطر المؤذن بالجواب.

وكذا يدل على شرف الأذان قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: 17-18](3) اختلف الناس في معنى هذه الآية، قال بعضهم: معناها يا محمد أمرتك بالأذان عند كل صلاة، فمن أجابك في هذا الأذان فأتى المسجد لأداء ما افترضت فقد اتبع أحسن الأقوال ووجبت له الجنة والشفاعة، ثم مدحهم فقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: 18] بالإيمان والصلاة والعبادة، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: 18](4) يعني ذوي العقول الكاملة حيث اتبعوا داعي الله وفعلوا ما أمروا به، فهذا دليل على فضل الأذان(5).

---

(1) انظره برواية أخرى في "صحيح أبي داود" ج1 ص83، و"سنن البيهقي" ج1 ص444.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: 17-18].

(4) في النسخة (فأولئك).

(5) جاء في هامش النسخة "اختلف الناس في معنى هذه الآية، قال بعضهم: معناها بشر يا محمد عليك السلام عبادي الذين إذا سمعوا دعوتك [وهي كلمة] الحق لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله آمنوا بك واتبعوا هذه الدعوة وأجابوا إليها وقالوها طيبة بها أنفسهم بالرحمة والمغفرة والرضوان [. . .]". =

وعن الأعرج عن أبي هريرة ﵁ قال رسول الله عليه السلام: «أربع من الجفاء أن يبول الرجل قائماً، وأن يكثر مسح جبهته قبل الفراغ من الصلاة، وأن يصلي في سبيل يقطع صلاته ـ يعني يصلي على قارعة الطريق ـ، وأن يسمع النداء فلا يجيب»(1).

وعن أبان عن أنس بن مالك ﵁ قال رسول الله ﷺ إنه إذا أذَّن المؤذن تزينت الحور العين، فإن أقام؛ يعني قال "قد قامت الصلاة" وقال العبد: "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على حبيبك محمد عبدك ورسولك وزوجنا من الحور العين" قلن اللهم زوجه إيانا، وإذا لم يقل شيئاً قلن بعضهم لبعض: ارجعن فليست له فينا حاجة(2).

وعن محمد بن نعيم يروي عن عثمان بن الزبير ﵁ قال: مات سالم بن عبادة فحزن أبوه حزناً شديداً، فقيل له في ذلك، قال: والله لا أحزن على فراقه ولكنه مات على حالة سيئة، فلما مضى مدة بعد دفنه جاء رجل إلى أبيه فقال: رأيت ابنك في المنام فقلت ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بي. قلت: بماذا؟ قال: مررت بمؤذن وأنا قاصد إلى المعصية وهو يؤذن، فوقفت حتى شهدت معه الأذان، فلما فرغ المؤذن أثنيت الله وحمدته ثم برحت. فلما وضعت في قبري دخل عليّ ملكان غليظان وقصدا يعذبان، فإذا منادٍ ينادي أمسكا عن عذابه لا يحمل من الرحمن الرحيم أن يعذب عبداً في بطن الأرض يشهد على ظهرها أذان المؤذن وشهد بالوحدانية ويسمع الأذان من أوله إلى آخره ابتغاء مرضاة الله تعالى، فأمسكا عن عذابي ونوديت إن الله تعالى غفر لك لاستماعك أذان مؤذن [أي فلان](3).

= وجاء في الهامش "علامة لدخول وقتها [ليحضر] عبادي المؤمنون والمسلمون إلى فنائي وبيوتي يتضرعون لي ويخضعون ويؤدون ما افترضت عليهم من الخدمة، فمن أجابك في هذا الأذان وأتى بيتا من بيوتي فقد اتبع أحسن الأقوال ووجبت له الجنة والشفاعة والرؤية مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [. . .]".

(1) انظر "سنن البيهقي" ج2 ص285، و"كنز العمال" ج16 ص68.

(2) انظر "المجالسة وجواهر العلم" ص60، 527.

(3) في النسخة "إلى فلان"، ولعل الناسخ أسقط كلمة هنا أو أنه ذكر اسم المؤذن فناداه بفلان. =

قال الفقيه - يعني المصنف-: سمعت أبا عبد الله الحدادي ومحمد بن نعيم يحكيان عن أبي القاسم الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: بلغنا أن زبيدة[1] كانت في مجلس شراب وعند المغنيات أخذ المؤذن في دارها بالأذان، فتقدمت إليهن بالإمساك ليفرغ المؤذن من الأذان، وشهدت بمثل ما شهد به المؤذن، فلما توفيت رآها بعض الصالحين في المنام فقال لها: يا زبيدة ما حالك؟ قالت: غفر لي ربي؟ قال لها: بسبب الحياض التي حفرت بين مكة والمدينة؟ قالت: لا، فإنها كانت أموالاً مغصوبة فجعل ثوابها لأربابها، ولكن كنت في مجلس شراب فأمسكت عن الخمر حين أخذ المؤذن في الأذان؛ فقال الله تعالى لملائكته أمسكوا عن عذابها، فلو لم يكن التوحيد في قلبها راسخا عند الصحوة ما ذكرتني عند السكر، فغفر لي بذلك.

قال سمعت أبا عبد الله المطوعي يقول: سُئل بعض الحكماء عن الحكمة في الأذان للصلاة، فقال: الحكمة فيه أن الأذان يشبه أحوال القيامة، فالأذان للصلاة يشبه نفخة إسرافيل حيث يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

= وجاء في هامش النسخة "ويحكى عن الإمام أبي بكر [الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ] أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قال المؤذن الله أكبر فقال العبد الله أكبر الله أكبر إلى آخره ثم قال رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا جزى الله محمدا عنا خير الجزاء ما هو أهله دعوة الحق ودين الحق وكلمة الإخلاص سمعنا وأطعنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته ونجا من النار وفاز مع الفائزين» [من الشمس المضيئة]".

(1) زبيدة بنت جعفر (216 هـ) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر: زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه. من فضليات النساء وشهيراتهن. وهي أم الأمين العباسي. اسمها (أمة العزيز) وغلب عليها لقبها (زبيدة) قيل: كان جدها (المنصور) يرقصها في طفولتها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة! فغلب ذلك على اسمها. وإليها تنسب (عين زبيدة) في مكة: جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان، شرقي مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة. وقال ابن جبير في كلامه على طريق الحج: (وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة، هي آثار زبيدة ابنة جعفر، انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق). توفيت ببغداد. انظر "الأعلام" ج3 ص42.

﴿يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68][1] فكما أن الخلق يوم القيامة يصيرون منتظرين بحكم الله تعالى فكذلك المؤذن ينادي إلى الله تعالى والعبد يصلي رجاء رحمة الله.

وقيل القيام في الصلاة يشبه قيام الخلائق من قبورهم كما قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفّفِين: 6]، والقراءة في الصلاة تشبه قراءة الكتب بين يدي الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسرَاء: 14]، فمن أحسن القيامة والقراءة في الصلاة يأمن في القيامة وقت قيامه وقراءته الكتاب.

والركوع يشبه خضوع الخلائق لرب العالمين كما قال: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].

والسجود يشبه سجود أهل القيامة لله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القَلَم: 42][2].

والتشهد يشبه الجثو بين يدي الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجَاثيَة: 28].

والسلام يشبه تفريق الخلائق كما قال الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشّورىٰ: 7]، فكذا حال المصلي حتى يسلم من الصلاة، إما أن يكون مستحقا للثواب أو مستحقا للعقاب.

وقال بعضهم: الحكمة في الأذان أن المؤذن إذا أذَّن يغفر له وللمستمع ما بينه وبين الله من الصغائر، فإذا صلى غفر له وللمصلي معه من الكبائر ما علا من ذنوبه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 135] يعني الصلوات الخمس في الجماعة.

(1) الزُّمر: 68. جاء في النسخة (فإذا نفخ) بدل (ثم نفخ).

(2) القلم: 42. وجاء في هامش النسخة "[أي] ذلت خضعت واستسلمت، ومنه قيل [. . . أي] ذل، وقال طلق بن حبيب هو السجود. تفسير بسيط".
وجاء كذلك "[أي] باركت على [. . .] وهي جلسة المخاصم بين يد الحاكم ينتظر القضاء".

الباب الثامن والعشرون
في فضل التكبيرة الأولى في أي وقت تدرك

قال علماؤنا التكبيرة الأولى فريضة حتى إذا صلى ولم يكبر التكبيرة الأولى لا تجوز صلاته.

وقال أبو بكر الأصم البلخي رحمه الله: هي سنة وليست بفريضة، ويصير شارعا فيها [. . .] قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 3] وقال النبي عليه السلام: «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير»[1] ذكرهما معا، والوضوء فريضة فالتكبير كذا فريضة لكنها ليست من الصلاة.

وقال زفر رحمه الله: [هي من][2] الصلاة لنا أنه ذكر شرع لابتداء العبادة على جهة الشروع فيها، فوجب أن يكون لها.

وإذا كبر المقتدي قبل الإمام لا يصح شروعه في صلاة الإمام في الروايات كلها لأنه [تبع خلف المتبع][3] وهذا سبق.

واختلفت الروايات أنه هل يصير شارعاً في صلاة نفسه أم لا؟

قال في كتاب الصلاة: يصير شارعاً في صلاة نفسه لأنه نوى نيتين: نية الصلاة ونية المتابعة، فلغت نية الاقتداء بحصولها قبل الإمام وبقيت نية الصلاة فصار شارعاً في صلاة نفسه، كمن نوى رمضان تطوعا صار شارعاً في الفرض، وجه نوادر الصلاة أنه نوى الاقتداء ولم يصح منه فصار لغوا فبقيت الصلاة بغير نية فلم يصر شارعاً في الصلاة[4].

---

(1) انظر "سنن الترمذي" ج1 ص8، و"سنن ابن ماجة" ج1 ص101.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة "تبع التبع خلف المتبوع"، ولعل الأصح ما بينته.

(4) جاء في هامش النسخة "وحكي أن أبا حنيفة [رحمه الله. . .] رأى رب العزة تعالى في الدنيا تسعاً وتسعين مرة، فقال إن رأيته تمام المائة لأقول يا رب بعزتك وجلالك=

واختلف الناس في وقت التكبيرة الأولى للمقتدي أنه متى يكبر حتى يصير مدركا لفضلها؟ لا رواية في الأصل لكن روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: يكبر مقارنا مع الإمام، فإذا تأخر لم ينل فضلها.

وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله: يكبر عقيب تكبيرة الإمام بلا فصل.

لأبي حنيفة رحمه الله أن التكبيرة الأولى ركن لا يصح إلا بها، فوجب أن يكون فعل المقتدي بها مقارنا مع الإمام كالقيام والركوع والسجود، واختلف المتأخرون فيه، قال بعضهم: ينبغي أن يقول المقتدي "الله" حين يقول الإمام "أكبر" حتى ينال فضلها.

وقال بعضهم: إذا أدركه في نصف الفاتحة صار مدركا لفضلها.

وقال بعضهم: إذا أدركه في قوله "آمين" فقد نال فضلها.

وقال بعضهم: إذا أدركه في الركوع فقد نال فضلها لأنه صار مدركا للركعة.

وقال الإمام أبو بكر بن[1] محمد بن الفضل: لا أنظر إلى هذه الأقاويل كلها بل أنظر إلى المقتدي إن كان ممن يتأسف على فواتها نال فضلها وإن لم يدرك شيئاً من الجماعة، وإن كان ممن لا يتأسف على فواتها لم ينل فضلها وإن حضر قبل الأذان ومكث حتى كبر معه مقارنا.

وحكي أن رجلاً نام يوم التروية عند الظهيرة في طريق عرفات، ولم ينتبه حتى طلعت الشمس من يوم النحر، فلما انتبه حسب أنه يوم عرفة فجعل يعدو إلى عرفات لأن لا يفوت حجه، فاستقبله رجل في الطريق فقال له: إلى أين تعدو

= [تنجي] الخلائق يوم القيامة، قال فرأيته فقلت: يا رب بعزتك وجلالك [تنجي] الخلائق يوم القيامة، فقال تعالى: من قال بالغداة والعشي سبحان الله الأبدي الأبد سبحان الله الفرد [الصمد] سبحان الله رفع السماء بغير عمد سبحان الله باسط الأرضين بلا سند سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد. من الضياء المعنوي على مقدمة [الغرنوي] في الباب الأول في [آخر] فصل مناقب أبي حنيفة [رحمه الله]، وكذا جواهر الأخبار وكذا منازل الآداب".

(1) الراجح أن "بن" هنا زيادة من الناسخ، لأن هذا العلم قد مر معنا باسم "محمد" وليس "بن محمد".

يا هذا؟ قال: إلى عرفات. فقال: يا هذا اليوم يوم النحر والناس بمنى وقد مضى يوم عرفة. فقال الرجل: أواه وقد أخذ بالبكاء والويل بفوات وقوفه. فقال: بم بكاؤك وويلك؟ قال: لما فاتني من الحج. فقال له الرجل: لا تتأسف ولكن يغني تأسفك هذا باثنتين وسبعين حجة لي نافلة، فإن تأسفك هذا بفواتها أعظم ثوابا عندي من حجتي اثنتين وسبعين، وقال المتأسف: لا أبيع. قال الشيخ: فعلم أن الندم الحقيقي بالفوات أفضل من الإدراك.

ويدل عليه أيضاً أن سعيد بن المسيب(1) صلى أربعين سنة جميع الصلوات في الجماعة، وفاتته يوماً صلاة الفجر في الجماعة فدخل المسجد ووقف كالمصاب في زاوية المسجد، فنودي أيها العبد الصالح صل ولك أجران أجر المصيبة وأجر الصلاة، فبان على صحة ما ذكرناه.

فاختلف الناس في المصلي [متى](2) يرفع يديه عند تكبيرة الافتتاح؟ عند أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: يرفع يديه أولاً ثم يكبر.

وعند بعض علمائنا أنه يرفع مقارنا للتكبير.

وقال بعضهم: يرفع عند قوله "الله"، ويرسل مع قوله "أكبر" لأن الرفع ركن [و](3) الإرسال ركن.

ويدل على التكبيرة الأولى وفضلها قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 3] وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عِمرَان: 41] ولا ذكر أفضل من ذكر يعقبه عبادة.

قال الشيخ الإمام أبو حامد [النسوتي](4) حين سُئل عن قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ

---

(1) سعيد بن المسيب (94 هـ): سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة. انظر "الأعلام" ج3 ص102.

(2) في النسخة كأنها "حتى".

(3) ساقطة من النسخة، وأضفتها حتى يستقيم المعنى والله أعلم بالصواب.

(4) مترددة في النسخة بين ""النسوي" و"النسوتي".

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: 133] عن المتقي، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من قدر حتى قال "لا إلٰه إلا الله" وصلى الصلوات الخمس في مواقيتها، وذكر الله تعالى في السراء والضراء فهو مُتقٍ.

يدل عليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «من صلى أربعين صباحا يدرك التكبيرة الأولى في صلاة الفجر مع الإمام كتب له براءتان من النفاق والنار»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تولى أذان مسجد من مساجد الله تعالى يريد وجه الله سبحانه أعطاه الله تعالى ثواب أربعين ألف شهيد، وأربعين ألف نبي، وأربعين ألف صديق، ويدخل الجنة بشفاعته أربعين ألفا ممن استوجبوا النار، ومن حافظ على الجماعة حيثما كان ومع من كان يا أبا هريرة مر على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة مع السابقين، ووجهه أضوء من القمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم وليلة حافظ عليها ثواب ألف شهيد. يا أبا هريرة ومن حافظ على الصف الأول يدرك التكبيرة الأولى من غير أن يؤذي أحداً من المؤمنين أعطاه الله مثل ثواب المؤذن في الدنيا والآخرة»(2).

روي عن عبد الرحمن بن عوف أنه خرج إلى تجار حضروا من مصر بأربعمائة إبل مع أثقالها وفاتت عنه التكبيرة الأولى، فلما فرغ من صلاته تصدق بتلك الأربعمائة من الإبل في سبيل الله تعالى، ثم قال يا رسول الله فعلت هكذا هل نلت ثواب التكبيرة الأولى؟ قال عليه السلام: «لا. قال: يا رسول الله جعلت ما كان عليها من الأمتعة في سبيل الله، هل نلت ثوابها؟ قال: لا يا عبد الرحمن، لو كانت الدنيا بأسرها(3) وما فيها من الأموال لك فجعلتها في سبيل الله ما نلت

---

(1) انظر "كنز العمال" ج7 ص565. وجاء في هامش النسخة "قال صلى الله عليه وسلم «من جلس مجلسا يكبر فيه لفظه فقال قبل أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفارة ما بينهما. [كواشي. . .]".

(2) انظر "مسند الحارث ـ زوائد الهيثمي" ج1 ص309، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص309.

(3) جاء في هامش النسخة "بجميعها".

فضلها»[1].

وعن حاتم الأصم البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه فاتته يوماً التكبيرة الأولى من صلاة الفجر، فلما فرغ من صلاته دخل بيته وجلس كالمصاب وفتح بابه فأذن للناس بالدخول عليه معزين إياه، فلم يعزه أحد حتى دخل وقت الظهر وكان له ابنان، فقال: يا عجبا لو مات أحد ابني هذين لدخل علي جميع أهل بلخ ونواحيها معزين، وإنه فات عليَّ اليوم ما هو أعز علي من ابني هذين ومن الدنيا وما فيها ومن نفسي ولم يعزني أحد، وامصيبتاه في أمر الدين كيف أهان الناس!.

قال سمعت جدي أبا جعفر محمد بن عبد الله الزاهد رحمهم الله كنت أواظب جماعة أبي عبد الله بن أبي حفص الكبير ففاتتني يوماً التكبيرة الأولى من صلاة الفجر، فلما سلم قمت إلى قضاء ما سبق وهي ركعة واحدة فرآني، فلما فرغت من صلاتي وقمت نادى فجئت عنده، فلم يتكلم بعد النداء حتى طلعت الشمس وحلت الصلاة، فقام وصلى ركعتين ثم قعد وقال لي: السلام عليك يا أبا جعفر. فقلت: وعليك السلام ما الأمر؟ قال: لو فات عنك مالك لكان أحب إلي مما فاتك من فضل التكبيرة الأولى، فإني سمعت أبا حفص الكبير يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا حنيفة يقول: سمعت حماد يقول: سمعت إبراهيم النخعي يقول: سمعت علقمة يقول: سمعت عبد الله بن

---

(1) قال ﷺ: «التكبيرة الأولى يدركها أحدكم مع الإمام خير من ألف بدنة يهديها»، وفي رواية «خير من إبل ألف». انظر "الترغيب في فضائل الأعمال" لابن شاهين ج1 ص122، 125.

وجاء في هامش النسخة "وروي أن أبا أمامة الباهلي دخل على رسول الله عليه السلام باكيا، فقال له رسول الله عليه السلام «لماذا تبكي يا أبا أمامة؟. قال: لم لا أبكي يا رسول الله وقد جئت من مصر بألف جمل وحملها حنطة وأربعين غلاما، فلما بلغنا مكة فخرج علينا المشركين فغاروا وذهبوا [بمالي كله] ولم يصل إلي حبة واحدة من حنطة، فقال له النبي عليه السلام: يا أمامة دخلت علي باكيا حزيناً حتى ظننت أن [التكبيرة] الأولى قد [فاتت] منك. قال أبو أمامة الباهلي: يا رسول الله التكبيرة الأولى خير من ألف جمل وحملهم [من] الحنطة وأربعين غلاما؟. قال رسول الله ﷺ: لو كان ما بين المشرق والمغرب [جمالا] وحملهم الذهب والفضة [وقمت] على رجليك عشرة آلاف سنة وتصدق بيمينك الذهب وشمالك الفضة ما نلت فضل [التكبيرة] الأولى".

مسعود ﷺ يقول: سمعت النبي عليه السلام يقول «سمعت الله تعالى يقول: ما من أحد تفوته تكبيرة الافتتاح من صلاته في جماعة إلا ندم يوم القيامة ندامة تكون عليه أشد من الموت أربعين ألف مرة ومن فزع يوم القيامة أربعين ألف مرة لما يرى من الثواب بما حافظ عليها وأدركها»[1].

(1) لم أجد له تخريجاً.

الباب التاسع والعشرون
في الصلاة وفضلها

وإذا افتتح الصلاة بغير لفظة التكبير مثل قوله "سبحان الله" وما أشبهه صار شارعاً بمثل هذه الألفاظ عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله.

وقال أبو يوسف والشافعي رحمهما الله: هو على وجهين: إما أن يعلم أن الصلاة إنما تفتح بالتكبير أو لا يعلم، فإن علم لا يجوز.

وقيل إن المصلي إذا فرغ من الصلاة دعا الله تعالى وسأل حاجته فإن الله يجيبه ويخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه، ويدل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هُود: 114][1] أدوا الصلاة وأتموها بأركانها، وقوله: ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هُود: 114] يعني حدي النهار بكرة وعشيا، صلاة الفجر والظهر والعصر.

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هُود: 114] يعني وساعات من صلاة المغرب والعتمة.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: 114] يعني أنّ ثواب صلاة العتمة يكفر من الخطايا والذنوب.

﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: 114] يعني الصلوات الخمس كفارة وتوبة للتائبين النادمين من أمة محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هُود: 115] يعني يا محمد اصبر ومر أمتك بالصبر على أداء الصلوات حضرا وسفرا، صحة وسقماً، صيفاً وشتاء، ربيعاً وخريفاً، ليلاً ونهاراً.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعني ثواب المصلين[2].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هُود: 114-115].

(2) جاء في هامش النسخة "وعن الفضيل أنه قال لو أحسن الرجل الإحسان كله ولو كان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين [...]".

قال ابن عباس ﷺ: نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن عزية الأنصاري أنه كان يبيع التمر في حانوته، فأتته امرأة تبتاع تمراً [فأعمته][1] ـ يعني استحسنها ـ وقال لها: إن في البيت تمراً أجود من هذا فانطلقي معي حتى أعطيك منه، فانطلقت المرأة معه فأراها تمراً أجود مما كان في الحانوت، ثم قال لها: في السطح أجود من هذا فاصعدي معي أعطيك منه، فصعدت معه فوثب عليها وصنع بها ما يصنع الرجل بأهله غير أنه لم يجامعها ولكن أنزل، ثم ندم على ما صنع، فاغتسل ثم أتى رسول الله ﷺ وهو في المسجد فسأله عن ذلك.

فقال رسول الله عليه السلام: «لا أدري بما أرد عليك حتى يأتيني فيك شيء من الله تعالى»، فبينما هم كذلك إذ حضر وقت العصر وأذن بلال وأقام وصلوا العصر، فلما فرغ رسول الله عليه السلام من صلاته والرجل معه خلف سارية يصلي من ورائها حياء من رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل بتوبته، وقرأ على رسول الله ﷺ هذه الآية، فلما قرأها رسول الله قال عمر ﷺ: يا رسول الله هذه خاصة أم عامة؟ فقال «لا، بل عامة»[2].

يدل عليه ما روى وهب بن منبه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في بعض ما أنزل الله تعالى من الكتاب أن أعمال البر كلها مع الصلاة، فإن قبلت من عبد الصلاة [قبل][3] منه سائر عمله، وإذا ردت عليه الصلاة [رد][4] عليه سائر عمله، وإنما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، ورفض الشهوات لمرضاتي، ولم يصر ـ أي لم [. . .] ـ على الذنب من مخافتي، ولم يتعظم على عبادتي، وأكرم الفقراء، وأعطى المساكين، وأطعم الجائع، وكسا العاري، ورحم الصغير، وضم اليتيم، وآوى الغريب فذلك الذي إذا سألني أعطيته، وإذا دعاني أجبته، وإذا أقسم عليّ أبررت قسمه، وأجعل له في الظلمة نوراً في الجهالة علماً[5].

---

(1) في النسخة "فاعمها"، واقرب شكل لما هو مراد "اعمته" أي ذهبت ببصيرته ولم يهتد إلى خير. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص167.

(2) جاء في أغلب المراجع باسم "عمور بن غزية"، انظر الخبر في "الكشاف" ج3 ص131.

(3) في النسخة "قبلت". (4) في النسخة "ردت".

(5) انظر "كنز العمال" ج15 ص910، ج7 ص278.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «افترض الله على العباد الصلوات الخمس، فمن توضأ كما أمر الله وصلى كما [أمر، له][1] على الله عهد أن يدخله بذلك الجنة»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ في كتاب الأربعين أن رسول الله ﷺ ضرب لنا مثلاً فقال «مثل الصلاة وأعمال البر كرجل عمد فأتى مراغة[3] فأثار عليه منها حتى امتلأ ترابا ودنسا، ثم عمد إلى غدير[4] عظيم من ماء طيب فاغتسل فذهب التراب والدنس، كذلك الصلوات الخمس [تغسل][5] من العبد إذا صلى لله تعالى من قلبه خطيئة ما بين يديه، فإن مات في ليلة تلك مات شهيداً»[6].

وعن معاذ وجابر ﷺ قالا: لما أسري رسول الله ﷺ وعرج به ليلة المعراج إلى السموات رأى في السماء الدنيا ملائكة قياما منذ خلقهم الله تعالى يذكرون الله ولا يركعون ولا يسجدون، وفي السماء الثانية ملائكة ركعا خلقهم الله تعالى لا يرفعون رؤوسهم، وفي السماء الثالثة ملائكة سجدا لله تعالى لم يرفعوا رؤوسهم إلا حين سلم عليهم [النبي][7] رفعوا رؤوسهم وردوا عليهم ثم سجدوا ثانية إلى يوم القيامة؛ فلذلك صارت السجدة في كل ركعة اثنتين، وفي السماء الرابعة ملائكة متشهدين، وفي السماء الخامسة ملائكة مسبحين ذاكرين، وفي

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) انظر الحديث برواية أخرى في "مسند الشاميين" ج3 ص247.

(3) التمرغ: التقلب في التراب. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص649.

(4) الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص201. وما زالت هذه الكلمة وغيرها من الكلام السابق الفصيح متداولا كما أسلفت في مناطق أولاد نائل خصوصا مدينة مسعد بالجزائر، ولقد أخبرنا الأستاذ والشيخ الفاضل الدكتور الحاج شريفي، أنه في رحلته للبحث عن بعض الكلمات الفصحى قصد بادية منطقة أولاد نائل (ولاية الجلفة).

(5) في النسخة "تغتسل"، والله أعلم بالصواب.

(6) جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا هل يُبقي من درنه شيئاً». قالوا لا يبقى من درنه شيئاً قال «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا». انظر "صحيح البخاري" ج1 ص197، و"صحيح مسلم" ج2 ص131.

(7) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

السماء السادسة ملائكة مهللين مكبرين، وفي السماء السابعة ملائكة مسلمين يقولون "يا سلام" منذ خلقهم الله تعالى.

قالا: فهم قلب رسول الله واشتهى أن يكون له ولأمته عبادة يجمع فيها هذه الأشياء كلها، فعلم الخلاق همه وهو أعلم به من قبل أن يهم النبي عليه السلام، فجمع له فضل عبادة ملائكة السموات كلها في صلاة واحدة وأكرم بها نبيه محمداً ﷺ.

قالا: فمن قام في صلاته بقلبه وأعضائه وأدى أركانها بركوعها وسجودها نال ثواب ملائكة السموات السبع صلوات الله عليهم أجمعين[1].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: ما حضرت صلاة قط إلا نادت الملائكة: يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها لأنفسكم فاطفؤها.

وقيل إن العبد إذا صلى ركعتين يقول الله: عبدي مع ضعفك وقلة حياتك أتيت بألوان [من الطاعات][2] قياما، وركوعا، وسجودا، وقراءة، وثناء، وتهليلا، وتحميدا، وتكبيرا، وتمجيدا، وسلاما وأنا مع قوتي لا يحمل مني أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم، أوجبت لك الجنة [الجوارها][3] ونعيمها، وأعفو عنك الشر وأقبل منك الخير برحمتي، فأنا أجد من أعذبه من الكفار ومردة الشياطين وأنت لا تجد ربا غيري يغفر لك سيئاتك.

وسئل واحد من العلماء وهو ابن عيينة لم وجبت الصلوات الخمس خمساً في أوقات مختلفة؟ فقال: لأن الله تعالى يظهر في كل وقت قدرة جديدة، فيجب على العبد أن يأتي بخدمة جديدة يذهب بظلمة الليل عند انفجار الفجر ويأتي بضوء النهار، وعند الزوال يتم ضياء الشمس ويكثر حرارتها ليطبخ ثمار الصيف، وعند العصر يقلل ذلك لئلا يفسد عليهم أشياءهم، وعند المغرب يذهب بالشمس

---

(1) جاء في هامش النسخة "قوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: 115] فقال عليه السلام «والذي نفسي بيده لو أن رجلا مؤمنا قرأ هذه الآية على جبل لزال» من [سورة. . .]". انظر "كنز العمال" ج1 ص589.

(2) في النسخة "بالطاعات".

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

ويأتي بظلمة ويحل للصائمين الإفطار، وعند العتمة يبيح الاستراحة والنوم فعليك أيها العبد شكر واجب لكل نعمة جديدة وما صنع الرب في حقك.

وقال الفقهاء: جميع هذا ظهر بالشرع ولا سؤال على الشرع.

قال الفقيه رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت أبا الفضل البرمقدري: لم كانت صلاة الفجر ركعتين؟، والظهر والعصر والعشاء أربعا؟، والمغرب ثلاثا؟ قال: للشرع. فقلت: زدني. فقال: قالت الحكماء لأن كل صلاة صلاها نبي من الأنبياء عليهم السلام في وقتها، فادخر الله تعالى لأمة محمد ﷺ لينالوا فضل أولئك الأنبياء عليهم السلام، فأما صلاة الفجر إنما كانت ركعتين لأن أول من صلاها أبونا آدم عليه السلام لما خرج من الجنة أظلم عليه الليل ولم يكن رأى قبل ذلك ظلمة؛ فخاف خوفاً شديداً فلما انشق الفجر صلى ركعتين شكرا لله تعالى ركعة لنجاته من الظلمة والثانية شكرا لرجوع ضوء النهار؛ فأمرنا الله تعالى بذلك ليذهب بهما عنا ظلمة المعاصي وينور بها علينا نور الطاعات[1].

وأما صلاة الظهر لأن أول من صلاها إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح الولد ونودي لقد صدقت الرؤيا وكان النداء عند الزوال، فنظر إبراهيم عليه السلام وكان في أربعة أحوال: حال الفداء، والنداء، والرضاء، والوفاء. أما الفداء فقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافات: 107]، وأما النداء قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصَّافات: 104]، وأما الوفاء قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصَّافات: 105][2]، وأما الرضاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافات: 80] لما سماه الله تعالى من المحسنين فيلزم من ذلك رضاه؛ فصلى إبراهيم أربع ركعات ركعة لكل حالة شكراً.

وأما صلاة العصر فإن أول من صلاها يونس عليه السلام حين أنجاه الله تعالى من بطن الحوت وكانت النجاة عند العصر، فصلى أربعا تطوعا له شكرا

(1) جاء في هامش النسخة " عن رسول الله ﷺ أنه قال «من قرأ [إذا السماء انفطرت] كتب الله له بعدد كل قطرة [تنزل] من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة. كشاف" انظر "الكشاف" ج7 ص250.

(2) قال الله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافات: 105].

لما نجا من أربع ظلمات: ظلمة البطن، وظلمة الماء، وظلمة الزلة، وظلمة سخط الله فلكل حالة ركعة، فأوجب الله تعالى تلك الصلاة على أمة محمد عليه السلام لكي ينجو من ظلمة المعصية، وظلمة النار، وظلمة وسواس الشيطان، وظلمة سخط الرب.

وأما صلاة المغرب فإن أول من صلاها عيسى عليه السلام حين أخبره الله تعالى مع أن قومك يدعوني ثالث ثلاثة، فصلى حينئذ ثلاث ركعات تنزيها لنفسه؛ وكان بعد غروب الشمس، فالركعة الأولى لنفي الألوهية عن نفسه، والثانية لنفيها عن والدته، والثالثة لإثبات الألوهية لله، ألا ترىٰ أن الأوليين متصلتان والثالثة منفردة لأن الله تعالى هو الفرد، فإذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المَائدة: 116][1] إلى آخره، فيقول عليه السلام ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المَائدة: 116] وهو قول الله تبارك وتعالى، وتشهد له الصلاة بالبراءة حين يقول الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المَائدة: 119] فعند ذلك يهون عليه الحساب وينجيه من النار ويؤمنه من الفزع الأكبر، [فأتى][2] الله تعالى بهذه الصلاة لكي يحصل لنا هذه الثلاثة: هون الحساب، ونجاة من النار، والأمن من الفزع الأكبر.

وأما العتمة فأول من صلاها موسى عليه السلام حين ضل الطريق عند خروجه من مدين وكان في غم المرأة، وغم أخيه هارون، وغم عدوه فرعون عليه اللعنة، وغم أولاده فنجاه من ذلك كله، وسمع منادياً ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: 12] كما قال الله تعالى، يعني أنا هاديك، وكاشف كربتك، وجامع بينك وبين أخيك، وناصرك على عدوك. فلما سمعها وكان ذلك الوقت وقت العشاء الأخير، فصلى أربع ركعات لكل عطية وفرحة ركعة شكرا، فأوجب علينا الله تعالى لكي يصير هذه سبباً لحصول [. . .] لهمومهم ولنصرتهم على إبليس اللعين

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: 116].

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

ومقامهم مقام الأنبياء عليهم السلام، ولا شك أن العبد إذا أدى هذه الفريضة كما ينبغي يحصل له ذلك.

قال مصنف الروضة رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل يحكي أن ثابت البناني قال: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل اخترت الجنة أو الصلاة؟ اخترت الصلاة بأن أصلي ركعتين، لأن في الصلاة رضاء الله تعالى وفي الجنة رضائي؛ ورضاء الله أولى في الطلب.

الباب الثلاثون
في الوقار والخشوع في الصلاة

فإذا عبث المصلي بشيء من ثيابه أو جسده أو لحيته أو بشيء من الحصى كره له ذلك ولم تفسد صلاته لما روي عن النبي عليه السلام أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[1] ولم يأمر بإعادة الصلاة، فظهر أنه مكروه ولكنه محسوب.

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: أربع من الجفاء أن تبول قائما، وأن تمسح جبهتك من التراب قبل أن تفرغ من الصلاة، وأن تسمع النداء فلا تجيب، وأن تصلي في الصحراء بغير سترة أو بغير خشبة تركزها بين يديك[2].

ويكره للمصلي أن يتربع في الصلاة لأنها جلسة الجبابرة بدليل ما روي عن النبي عليه السلام أنه كان يأكل متربعا[3] على المائدة، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول إنما أنت عبد [كل][4] كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد، فرفع رسول الله ﷺ المائدة ووضع السفرة على الأرض وجثا وقال: «بلى أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وأجلس كما يجلس العبيد»[5].

ويكره للمصلي أن يضع يده [على خاصرته][6] وكذا خارج الصلاة؛ لأنه روي أن أهل النار إذا حزنوا وضعوا أيديهم على خاصرتهم، وروي أن الشيطان

---

(1) انظر "كنز العمال" ج8 ص197، و"مصنف عبد الرزاق" ج2 ص266.

(2) سبق تخريجه.

(3) تربعت: الجالس يثني قدميه تحت فخذيه مخالفا لهما. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص673.

(4) في النسخة "لك" والراجح ما بينته والله أعلم بالصواب.

(5) انظر "مسند أبي يعلى" ج8 ص318، و"مجمع الزوائد" ج8 ص582.

(6) في النسخة "حاصرته" والراجح ما بينته والله أعلم.

لما أخرج من الجنة اختصر فلذلك كره.

ويكره للمصلي أن يلتفت يمنة ويسرة لما روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نهى عن الالتفات في الصلاة، فقال «تلك خلسة [يختلسها][1] الشيطان من صلاة العبد»[2].

وعن النبي عليه السلام: «إذا قام العبد إلى الصلاة أقبلت رحمة الله تعالى، فإذا التفت العبد يقول الله تعالى: عبدي رحمتي التي أقبلت إليك خير لك مما تلتفت إليه»[3].

ويستحب للمصلي أن يكون منتهى بصره إلى موضع سجوده لما روي أن النبي عليه السلام كان يصلي شاخصا بصره إلى السماء، فلما نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1-2] رمى ببصره إلى الأرض إلى موضع سجوده[4].

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] إن الفلاح على وجهين: أحدهما النجاة في الدنيا من الغم والهم في المعيشة وفي الآخرة النجاة من النار، والثاني الفلاح وهو البقاء في الجنة.

وعن كعب الأحبار أنه قال: لما خلق الله تعالى الجنة قال لها تكلمي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] إلى آخره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «صل صلاة مودع ولك الجنة»[5]، يعني صلِّ كأنك تموت بعدها وتدخل الجنة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مكيال فمن وفى

---

(1) في النسخة "يخلسها".

(2) انظر "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" ج17 ص391.

(3) وجدته برواية «ما التفت عبد قط في صلاته إلا قال له ربه: أين تلتفت يا ابن آدم أنا خير لك مما تلتفت إليه». انظر "شعب الإيمان" ج 3 ص138، و"كنز العمال" ج7 ص503.

(4) انظر "الإيمان" لابن تيمية ص26.

(5) لم أجد له تخريجاً برواية «ولك الجنة»، بل وجدته من وصايا الرسول ﷺ. انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج5 ص412، و"المعجم الكبير" ج4 ص154.

وفي له، ومن طفف فقد سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفِّفِين: 1][(1)].

وعن معاذ النسفي ﷺ يقول: بلغنا أن النبي عليه السلام قال: «لعن الله جسدا قائما بين يدي الله تعالى ليس معه قلبه»[(2)].

قال سمعت محمد بن نعيم يقول: بلغني أنه لما نزلت الصلوات الخمس صاح إبليس ـ لعنه الله ـ حتى اجتمع إليه جنوده، فقالوا مالك يا سيدنا؟ فقال ـ لعنة الله عليه ـ نزل اليوم لمحمد ﷺ وأمته الصلوات الخمس ما لو فعلوا من الصلاة إلى الصلاة كانت صلاتهم كفارة لما بينهم. قالوا ما حيلتنا؟ قال اشغلوهم عن مواقيتها فإن هذه الرحمة تنزل عليهم في ميقات الصلوات، فإذا أخروها عن مواقيتها لم يصيبوا تلك الرحمة.

عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي عليه السلام أنه كان يقول «من توضأ [فأبلغ][(3)] الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني، ثم يصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور [ففتحت لها][(4)] أبواب السماء حتى ينتهي [بها][(5)] إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها، وإذا لم يتم بها وضوءها ولا ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت ـ يعني الصلاة ـ ضيعك الله كما ضيعتني، ثم [يصعد][(6)] بها إلى السماء

---

(1) انظر "سنن البيهقي" ج2 ص291، و"كنز العمال" ج8 ص200.
وجاء في هامش النسخة "وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار. فقيل له: إن [ابنك] كيال ووزان. فقال: أشهد أنهما في النار. الكشاف". انظر "الكشاف" ج7 ص251.
وجاء في الهامش "﴿ٱلَّذِينَ﴾ أي هم الذين، ﴿إِذَا ٱكۡتَالُواْ﴾ أي اشتروا، ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي من الناس، ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾ أي يتمون الكيل والوزن، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ﴾ أي باعوهم الطعام بالليل، ﴿أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ أي باعوهم إياه بالوزن، ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ أي ينقصون الكيل والوزن. تفسير أبو الليث".

(2) لم أجد له تخريجاً.

(3) في النسخة "فبالغ".

(4) في النسخة "فتحت له".

(5) في النسخة "به".

(6) في النسخة "يصعد".

وعليها ظلمة فغلقت دونها أبواب السماء ثم [تلف][1] كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها»[2].

وعن نافع بن رافع الأنصاري ﷺ أن النبي عليه السلام كان جالساً في المسجد ودخل أعرابي فصلى صلاة خفيفة والنبي يكلؤه[3] ولا يشعر به وسلم على النبي عليه السلام وأراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «صل فإنك لم تصل»، فصلى ثلاث مرات يقول [له][4] «صل فإنك لم تصل، فقال: يا رسول الله ﷺ جهدت جهدي فعلمني الصلاة، فقال عليه السلام للأعرابي: إذا أردت الصلاة فتطهر كما أمرك الله تعالى، ثم [استقبل][5] القبلة وقل الله أكبر من نية خالصة، ثم اقرأ ما معك من القرآن، ثم اركع وسوي ظهرك حتى يستقر كل عضو منك وقل سبحان ربي العظيم ثلاثاً، ثم ارفع رأسك واستوِ قائما حتى يطمئن منك كل عضو، ثم انحط إلى السجود حتى يستقر كل عضو منك ساجدا، ثم ارفع رأسك واستوِ جالساً حتى [يطمئن][6] كل عضو منك، ثم اسجد السجدة الأخرى، ثم اصنع في ثانيك كما صنعت في الأولى، فإذا فعلت هذا فقد [تمت][7] صلاتك فإذا أنقصت من هذا أنقصت صلاتك. ثم قال: يا أعرابي إذا فعلت كما علمت كتب الله لك براءتين براءة من النار وبراءة من العذاب وقبلت صلواتك»[8].

وعن عكرمة عن ابن عباس ﷺ: ركعتان مقتصدتان [خير][9] من قيام الليلة والقلب ساه[10].

---

(1) في النسخة "يلف"، والله أعلم بالصواب.
(2) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص143، و"كنز العمال" ج7 ص316-317.
(3) كالأه: راقبه. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص503.
وجاء في هامش النسخة "[أي] ينظره".
(4) في النسخة "لها".
(5) في النسخة "استقبلت".
(6) في النسخة "تطمئن".
(7) في النسخة "تم".
(8) انظر "صحيح البخاري" ج1 ص263، و"صحيح مسلم" ج2 ص10، و"سنن البيهقي" ج2 ص372، و"سنن أبي داود" ج1 ص318.
(9) في النسخة "خير له".
(10) انظر "كنز العمال" ج8 ص201، و"الزهد" لابن المبارك ص97.

وقال سمعت ابن عيينة يقول: كان شداد الحاكم البلخي ﷺ مر يوماً على المسجد ومؤذن يؤذن [وبإزاء][1] المسجد حانوت رجل معدل، فلما فرغ المؤذن من الأذان اشتغل المعدل بجمع المتاع الذي بين يديه ولفها ليخرج إلى الصلاة، فلما كان من الغد جاء المعدل وشهد على رجل بحق، فرد شداد شهادته فقال: إنك مستخف في أمر الصلاة حيث ما كنت معدا للصلاة حتى اشتغلت بعد الأذان.

قال سمعت أبا الحسن المفسر النورجاني يذكر في عامته عن شداد بن الحكيم أنه كان لا يقبل شهادة من يصلي بغير رداء، ويقول: إنه لو قصد باب ملك من ملوك الدنيا لبس أحسن ثيابه ويتردى؛ وإن صلى فهو يذهب إلى باب الله سبحانه وتعالى أفلا ينبغي له أن يتزين بأحسن ثيابه ويتردى؛ فلما ترك استخف بأمر الصلاة فصار فاسقا لا تقبل شهادته.

قال سمعت محمد بن نعيم يقول: قال أبو العباس بن عطاء: قال العباس بن حمزة رحمهم الله: صليت خلف ذي النون المصري، فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال "الله" ثم بقي كأنه خشبة بلا روح إعظاما لربه، ثم قال "أكبر" فظننت أن قلبي ينخلع من هيبته تكبيره عند الافتتاح.

قيل إن زاهداً كان مشغولا بالصلاة، فجاء سارق فسرق رداءه من كتفه وجاء به إلى أصحابه، فلما نظر أصحابه إلى الرداء عرفوه فقالوا ردوه عليه فإنه لو فرغ من صلاة فلم يجد رداءه في كتفه دعا علينا فنهلك جميعاً بدعائه، فرد السارق رداءه ووضعه على كتفه فلم يعلم به من شدة اشتغال قلبه بالصلاة.

قال عبد الله بن الفضل: قال إبراهيم النخعي: إذا رأيت رجلاً يخفف الركوع والسجود أرحم على عياله من ضيق العيشة.

---

(1) في النسخة كأنها "وبجزاء".

الباب الحادي والثلاثون
في فضل الجماعة ووزر من تركها

وإذا أدرك الرجل الإمام في حال الركوع يكبر أولاً تكبيرة الافتتاح لقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 3] وأراد به التكبيرة الأولى ثم تكبيرة أخرى ويركع.

وقيل إن أبا يوسف رحمه الله كان يمشي مع هارون الرشيد فقال له صبي: أيدك الله [يا قاضي](1) ما تقول فيمن أدرك الإمام راكعاً يكبر تكبيرتين أو تكبيرة واحدة؟ فقال: واحدة. فقال الصبي: أخطأت يكبر تكبيرتين أحدهما للافتتاح والأخرى [للانحناء](2) إلى الركوع. فقال: أيها الصبي وأنا أخطأت. فإذا ركع بعد ذلك مع الإمام صار مدركاً للركعة لإدراك أكثرها.

وإذا كان مسبوقاً في صلاة الجنازة فأدرك الإمام عند التكبيرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة كبر معه وصار مدركاً للركعة وقضى ما فاته من التكبيرات، فإن أدركه بعد ما كبر الإمام الرابعة فاتته الجنازة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله، وإن أدركه ما بين التكبيرتين لا يكبر عندهما بل ينتظر حتى يكبر الإمام الثانية والثالثة أو الرابعة ويكبر معه، وقال أبو يوسف رحمه الله: يكبر حين جاء ولا ينتظر تكبيرة الإمام.

وإذا سلم الإمام لا يقوم المسبوق إلى قضائه حتى يعلم بفراغ الإمام من الصلاة بتوجه القوم أو بقيامه إلى النافلة، حتى حكي أن أبا جعفر الهندواني(3) رحمه الله بعث تلميذ إلى قرية ليجلس للعامة، فسئل [متى](4) يقوم

---

(1) في النسخة "القاضي".
(2) في النسخة "للانحطاء".
(3) محمد بن عبد الله الهندواني (362 هـ)، البلخي الحنفي، يقال له لكماله في الفقه "أبو حنيفة الصغير"، أخذ عنه جماعة وكان من الأعلام. انظر "تاج التراجم" لابن قطلوبغا ص265، و"تاريخ الإسلام" للذهبي ج8 ص207.
(4) في النسخة "من".

المسبوق إلى قضائه؟ فقال: إذا سلم الإمام. قيل: أخطأت. قال: إذا سلم لأحدى الجانبين. قيل: أخطأت. فقال: قبل السلام. قيل: أخطأت ونزل من سريره ورجع إلى أبي جعفر فجعل يقابله لم لم تعلمني هذه المسألة؟ قال أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علمتك حيث قلت: إذا علمت بفراغ الإمام من الصلاة غير أنك لم تشعر به(1).

وروى الحسن بن زيادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي حنيفة [رحمه](2) الله تعالى: أنه لا يقرأ المسبوق بسم الله الرحمن الرحيم.

وعن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: يتعوذ المسبوق ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وبه اختلف الفقهاء لأنه جاء أوان قراءته والله تعالى [يقول](3) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: 98].

وإذا أدرك الإمام في الركعة الثانية أو الثالثة صار مدركاً الجماعة وفضلها بالاتفاق، وإن أدركه في الركعة الرابعة قال أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع الصغير: لم

(1) جاء في هامش النسخة "اعلم انك [. . .] قصدت أن تأتي إلى الجماعة، فإذا بدأت تمشي وتخطو برجلك فتحرك عند ذلك يدك أيضا فكأن اليدين تقولان بلسان الحال يا ليتنا كنا رجلين حتى يذهب بنا إلى الجماعة، أو ياليتنا صرنا لسانا لكنا نقرأ القرآن ونوحد الله تعالى ونسبحه في [الصلوات] الخمس. فإذا كبر العبد التكبيرة الأولى وقف وهو ينظر إلى موضع سجدته تتمنى الأعضاء والجوارح كلها وتقول يا ليتنا صرنا عينا ناظرا إلى موضع السجدة لما فيه من الثواب أيضا.
اعلم أن الإمام إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه إلى أن تصل أنامله إلى شحمة أذنيه ويقول بصوت عال: الله اكبر، فليس ذلك أنه يكون ذلك لأجل أن يسمع الله تعالى لأن الله تعالى سميع عليم لا يحتاج إلى صلاة والإشارة، وإنما الحكمة في ذلك أنه يكون في الجماعة أعمى وأصم، فكان الله تعالى يقول: عبادي ارفعوا أيديكم عند التكبير حتى أرى من لا يعلم ويتعلم ويوافق الجماعة، وحتى يرى الأصم ويعلم قيام الصلاة، وارفعوا أصواتكم بالتكبير حتى يسمع العميان ويتابعكم، وسووا الصفوف وقفوا [متصلين] كيلا يدخل الشيطان بينكم.
وكذلك رفع صوت الحجاج بالتلبية والمؤذنين بالأذان والإقامة ليعلم الخاص والعام والجاهل والأعمى والبصير أن الإسلام حق والحق ظاهر لا يجوز إخفاؤه ودليله الأذان. أنيس جليس".

(2) ساقطة من النسخة. (3) ساقطة من النسخة.

يصل الظهر في الجماعة ولا ناله فضلها.

وقال محمد رَحِمَهُ اللهُ في الجامع الصغير: هو مدرك لها ونال فضلها ولكنه غير مصلٍّ في الجماعة.

والجماعة من فروض الكفاية وفيها فضل عظيم، وليست بفرض عند عامة العلماء والفقهاء حتى إذا صلى وحده جاز.

وقال داود وأحمد بن [حنبل][1] وإسحاق بن راهويه[2] وابن خزيمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: إن الجماعة فرض وليست بنافلة حتى إذا صلى وحده لم تجز صلاته، غير أنها وإن لم تكن فريضة فالواجب على المسلم أن يتعاهدها ويحفظها من أولها إلى آخرها لأن المدرك ليس كالمسبوق لقوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31]، اختلف الناس في الداعي، فقال أكثر المفسرين: أراد به الأنبياء عليهم السلام.

وقال بعضهم: المراد من الداعي المؤذن الذي يدعو إلى الجماعة والصلوات الخمس.

وعن عبد الرحمن الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صلى الفجر في الجماعة كانت له حجة وعمرة مبرورة متقبلة، ومن صلى الظهر في الجماعة كانت له خمس وعشرون صلاة وسبعون درجة ما بين الدرجتين مسيرة مائة عام في جنات الفردوس، ومن صلى العصر في الجماعة كان له كمن عتق أربعمائة رقبة من رقاب إسماعيل ثمن كل واحد منهم اثنا عشر ألفاً، ومن صلى المغرب في الجماعة كانت له خمس وعشرون صلاة وسبعون درجة ما بين كل [درجتين][3] مسيرة مائة عام في جنات عدن، ومن صلى العشاء في الجماعة كان كمن صادف

---

(1) في النسخة كأنها "خيل" والله أعلم بالصواب.

(2) ابن راهويه (238 هـ) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب بن راهويه: عالم خراسان في عصره. وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وله تصانيف منها (المسند). انظر "الأعلام" ج1 ص292.

(3) في النسخة "الدرجتين"، والله أعلم بالصواب.

ليلة القدر صيامها وقيامها ونجاه الله تعالى من النار»(1).

وعن جابر بن عبد الله قال: أتى [ابن](2) أم مكتوم النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله إن بيني وبين المسجد فيه نخيل ولا [قائد لي](3)، فقال عليه السلام: «أتسمع النداء؟ قال: نعم. قال النبي عليه السلام: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»(4)، قال سمعت أبا بكر البرمعذري يرويها بإسناد له.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبرائيل عليه السلام مع سبعين ألف ملك بعد صلاة الظهر، فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام وأهدى إليك هديتين لم يهدهما أحداً قبلك. قلت: يا جبرائيل عليه السلام وما تلك الهديتان؟[قال](5) الوتر ثلاث ركعات. قال: قلت ومالي ولأمتي في الوتر؟ قال: ومن صلى الوتر يا محمد يكرمه الله تعالى بثلاث خصال: يتم له بالركعة الأولى تقصير صلاة يومه ذلك كلها، والثانية يحفظه الله تعالى على الإسلام ويخرجه من الدنيا مسلماً، والثالثة يثقل الله تعالى يوم القيامة [ميزانه](6) الخير ويرزقه شفاعة نبيه محمد ﷺ.

والهدية الثانية الجماعة في [الصلوات](7) الخمس في أوقاتها. يا محمد ﷺ تكبيرة يدركها الرجل مع الإمام خير من الدنيا وما فيها وخير له من حجة وعمرة، وركوع يركعه المؤمن مع الإمام خير له من مائة ألف دينار يتصدق [به](8) على المساكين، وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام خير من مائة عتق رقبة، والمؤمن إذا أحب الجماعة في المسجد لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من أنهار الجنة [ويأكل](9) من ثمارها، ويشفع في مائة ألف من أهل بيته.

---

(1) انظر "شعب الإيمان" ج7 ص138، و"كنز العمال" ج3 ص760.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) في النسخة "قائدي".

(4) لم أجده بهذه الرواية، وجاء في سنن البيهقي برواية «ما أجد له رخصة». انظر "سنن البيهقي" ج3 ص58، و"مسند أحمد بن حنبل" ج3 ص423. وفي حديث آخر قال ﷺ «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد».انظر "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص373، و"سنن البيهقي" ج3 ص57.

(5) في النسخة "وقال".

(6) في النسخة "ميزانيه".

(7) في النسخة "الصلاة".

(8) ساقطة من النسخة.

(9) في النسخة "ويأكلها".

يا محمد ﷺ من أدرك صلاة الفجر في الجماعة خير له من ألف غزوة مع نبي من الأنبياء، والمؤمن إذا صلى الفجر في الجماعة كتب الله تعالى بكل ركعة ثواب اثني عشر صديقا؛ فلو مات إلى وقت الظهر مات شهيداً، وإذا صلى الظهر في الجماعة كتب الله تعالى بكل ركعة ثواب الصديقين واثني عشر شهيداً؛ ولو مات إلى وقت العصر مات شهيداً، وإذا صلى العصر في الجماعة كتب الله تعالى بكل ركعة ثواب حجة وعمرة؛ ولو مات إلى وقت المغرب مات شهيداً، وإذا صلى المغرب في الجماعة كتب الله تعالى له ثواب من حج واعتمر في تلك السنة؛ ولو مات إلى وقت العشاء مات شهيداً، وإذا صلى العشاء في الجماعة كتب الله له بكل ركعة ثواب عتق سبعين رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام؛ ولو مات إلى وقت الفجر مات شهيداً»(1).

قال الفقيه رحمه الله: سمعت أبا سهل يحكي عن سهل البصري قال محمد بن واسع رحمهم الله يوماً لجلسائه: لم يبق من العيش إلا ثلاثة: الصلاة في الجماعة يرزق فضلها ويكفي سهوها، والكفاف في العيش ليس لأحد من الناس عليك فيه منة ولا لله فيه تبعة [يعني](2) الحساب، وأخ يحسن المعاشرة.

---

(1) لم أجد له تخريجاً. وجاء في هامش النسخة "[. . .] الشيطان بعيد من الجماعة كما أن الذئب لا يأكل الغنم المجتمعة لطلوع الراعي عليها، ويستولي الشيطان على من فارق الجماعة. كما أن الذئب يأكل الشاة المنفردة من الأغنام والراعي للجماعة نظر الله للجماعة وحفظه [. . .] لقوله عليه السلام «يد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار». مصابيح. باب الجماعة وفضلها"، "لأن الشيطان بعيد عن الجماعة كما أن الذئب لا يأكل الغنم المجتمعة لاطلاع الراعي عليها. مصابيح".
"قال أبو هريرة [رضي الله عنه] أوصاني خليلي - يعني رسول الله بثلاث أو ثلاث خصال: صيام ثلاثة أيام من كل شهر - يعني أيام البيض، وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام. مصابيح. باب الوتر".
وجاء في الهامش كذلك "عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال «المساجد سوق من أسواق الآخرة من دخلها كان ضيف الله قراه المغفرة و[تحفته] الكرامة فعليكم [بالرتاع]، قيل يا رسول الله وما [الرتاع]؟. قال: الدعاء»". انظر هذا الحديث الأخير في "كنز العمال" ج7 ص580.
وجاء كذلك "[. . . أبو حميد وأبو أسيد رضي الله عنهما] إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك [. . .]".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

قال سمعت أبا عبد الله المطوعي يحكي عن الحسن البصري ﵁ قد جاء رجل من أهل البصرة إلى عبد الله بن عباس ﵁ فسأله شهرا عن الرجل يصلي الليل ويصوم النهار فلا يشهد جمعة ولا جماعة، قال عبد الله بن عباس ﵁: هو في النار.

قال في كتاب اللطيف عن عبد الله قال: لا يعذر المرء في أربعة أشياء في الآخرة: من ملك الزاد والراحلة وصحة النفس ولم يحج حتى مات، ومن أذنب ذنبا ولم يتب حتى مات، ومن وضع المائدة يأكل وجاء السائل فمنعه ولم يعطه، ومن سمع الأذان ولم يتبع بغير عذر.

وقال عليه السلام: «من صلى خلف الإمام بحياله رجع بمائة صلاة، ومن صلى عن يمين الإمام في صف الأول رجع بخمس وسبعين صلاة، ومن صلى في يسار الإمام في الصف الأول رجع بخمسين صلاة، ومن صلى في المسجد مع الإمام رجع بخمس وعشرين صلاة»[1].

قال سمعت الزاهد الفقيه إبراهيم بن إسحاق رحمهما الله يقول: جاء عن الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي رحمهم الله أنه كان لو كاتب فغلط في حرف فافتتح له الفضل ثلاثاً فلم يفهم الكاتب ذلك، فقال له الفضل: يا نبطي. فغضب الكاتب وكسر القلم، [فسبه][2] وقال: افعل بي ما شئت لا أنت ولا أنا بعد هذا، فسمع يحيى بن خالد ذلك فلام ابنه الفضل، ثم دفع إلى الكاتب مائة ألف درهم وقال له: إن لم تكن معه فكن معي، قال فعزل الفضل ودفعوه إلى هذا الكاتب لما عرفوا من المغاضبة بينهما يحاسبه، فدخل على الكاتب صديق له فقال: عليك أن لا تؤذي الفضل فإن له عليك أيادي، فبكى الكاتب وقال: كيف أقصر في حق رجل كتب إلي وكيله بمثل هذه الرقعة وأخرج رقعة فيها مكتوب: يا فلان الوكيل اشتغلت مع الخليفة ففوت صلاة العصر في الجماعة وتصدق عني بمائة ألف درهم كفارة عما فات مني من الجماعة[3].

---

(1) انظر "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة" ج2 ص142.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) جاء في هامش النسخة "عن أنس بن مالك [قال] ما في [صباح] ولا رواح إلا ينادي=

قال الفقيه ﷺ: ليس على النساء خروج إلى الجماعة بل عليهن ملازمة البيوت وأداء الصلاة في قعر بيوتهن في أوقاتها، يدل عليه ما سمعت الفقير أبا نصر الجوالقي يروي بإسناد له عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي عليه السلام أنه دخل المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان فرأى خيمة مضروبة، فقال عليه السلام: «لمن هذه؟ فقالوا: لعائشة وحفصة ﷺ. فقال النبي عليه السلام [. . .] خير مساجد النساء قعر بيوتهن»[1] فأمر برفع الخيمة. فبان أن المنزل لهن كالمسجد للرجال، وكما أن [للرجل ثواباً][2] في أداء بالجماعة كذلك [للنساء ثواب][3] في أداء الصلاة في أوقاتها.

وعن أبي حازم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسة لا يطفئ نيرانهم ولا يموت ديدانهم ولا يخفف عنهم من عذابها مشرك بالله تعالى، وعاق لوالديه، والزاني بحليلة جاره، ورجل سلم أخاه المسلم إلى سلطان جائر، ورجل أو امرأة سمع المؤذن يؤذن فلم يجب من غير عذر»[4] يعني أخرت الصلاة في الجماعة بغير عذر، هذا بعض فضائل الجماعة.

= بقاع الأرض بعضها بعضا يا جارة هل [. . . ذاكرا لله تعالى]، هل مر بك اليوم عبد يصلي عليك، فمن قائلة لا ومن قائلة نعم، فإذا قالت: نعم، رأت لها بذلك فضلا عليها. في الشفا الباب [الرابع والعشرون]".

وجاء كذلك "عن أبي هريرة أحب البلاد إلى الله مساجدها. البلاد جمع بلد وهو الموضع يعني أحب المواضع إلى الله المساجد لأنها مواضع الصلاة والذكر، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها، يعني أبغض المواضع إلى الله الأسواق لأنها مواضع الغفلة والحرص والطمع والخيانة مما يسود القلوب. قال ابن عباس ﷺ إنما كانت كذلك لأنها بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض".

(1) هناك كلمة غير واضحة جاءت في النسخة كأنها (البر ترين بهذا)، لكني لم أجدها في متون الحديث، انظر "سنن البيهقي" ج3 ص131، و"مسند أحمد بن حنبل" ج6 ص297.

(2) في النسخة "الرجل ثياب".

(3) في النسخة "النساء ثياب لهن".

(4) انظر "تفسير حقي" ج3 ص75.

الباب الثاني والثلاثون
في فضل من صلى التطوع في الليالي

وإذا تطوع الرجل بعد غروب الشمس فهو على وجهين: إما أن يخاف فوات الجماعة أو لا، فإن لم يخف جاز بالاتفاق بغير كراهة[1]، وقال نصر بن يحيى: أكره ذلك مخافة أن يفوت الجماعة.

وإذا أراد الرجل أن يصلي التطوع في الليل فهو مخير بالاتفاق إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء أربعا، وإن شاء ستا بتسليمة واحدة.

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأفضل أن يصلي أربعا لما روي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي بعد العشاء أربعا لا تسأل عن طولهن وحسنهن[2].

ولأن في هذه العبادة العناء والمشقة أكثر والله تعالى يقول ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: 16][3] يعني تركوا المضجع لطيبه ووقفوا بين يدي الله تعالى في صلاة طويلة بتضرع وخشوع.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [السَّجدَة: 16][4] يعني يصلون إلى الأسحار ويسألون الأمان من عقابه ﴿وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعرَاف: 56] يطمعون أن الله تعالى يقبل صلواتهم

---

(1) لعله يقصد بالاتفاق هنا الاتفاق داخل المذهب الحنفي، لأن المالكية مكروه عندهم التنفل قبل صلاة المغرب. انظر "مواهب الجليل" ج2 ص62، و"شرح مختصر خليل" للخرشي ج7 ص466.

(2) انظر "مختصر قيام الليل" لمحمد بن نصر المروزي ص153، و"سنن النسائي" ج1 ص165.

(3) قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: 16-17].

(4) في النسخة "يدعوا".

وحسناتهم ويرزقهم رحمته وغفرانه.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البَقَرَة: 3] مع قيامهم في الليل تصدقوا من أموالهم وأدوا زكاتها وأكرموا الأيتام طلبا لمرضاة ربهم، فلا جرم إذا فعلوا ذلك فقد أعد لهم ربهم ما ذكر في هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: 17] معناه اوجب لهم الوعد وقبلت طاعاتهم وعفوت عن سيئاتهم وأعددت لهم بعد رضائي عنهم في الجنة ما تقر به أعينهم مكافأة لما فعلوا من قيامهم الليالي[1].

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد سهل الساعدي رحمهم الله قال رسول الله ﷺ: «شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام أنه قال: «من صلى بعد العشاء ركعتين وأربعا بعدها عدلن له بمثلهن ليلة القدر»[3].

وعن شريك بن أبي المنير وعبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن [حزام][4] رضي الله عنهم قالا: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله عليه السلام عشر سنين فلم يقل لي شيئاً فعلته لا تفعله، ولم يقل لي شيئاً لم أفعله لم لم تفعله؟[5].

وقال لي «يا أنس إني موصيك بوصية فاحفظها أكثر الصلاة في الليل يحبك الحفظة، وإذا دخلت على أهلك فسلم [عليهم][6] يزيد الله تعالى في بركاتك،

(1) جاء في هامش النسخة "قام النبي ﷺ من الليل حتى [تورمت] قدماه، فقيل له: لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟. قال «أفلا أكون عبدا شكورا»".
وجاء في الهامش عند الآية "قيل أرادوا به الصدقة المفروضة، وقيل عام في الواجب والتطوع [...]".

(2) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص360، و"شعب الإيمان" ج7 ص349.

(3) انظره بروايات أخرى منها «أربع ركعات قبل أن يخرج من المسجد» انظر "شرح مسند أبي حنيفة" للملا علي القارئ ج1 ص269.

(4) مترددة في النسخة بين "حزام" و"ضرام" و"خرام".

(5) انظر "المعجم الأوسط" ج9 ص91.

(6) في النسخة "عليه".

و[إن][1] استطعت أن لا تأوي على فراشك إلا على طهارة فافعل ذلك فإن [مت][2] مت شهيداً، وإذا خرجت من أهلك فسلم على من لقيت يزيد الله تعالى في حسناتك، ووقر كبير المسلمين وارحم صغيرهم أكن وأنت في الجنة كهاتين وشبك بين السبابة والوسطى»[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «ركعتان في نصف الليل خير من الدنيا وما فيها»[4].

قال سمعت الإمام أبا محمد يروي في عامته بالفارسية عن عمر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «من صلى في الليل وأحسن الصلاة أكرمه الله تعالى بتسعة أشياء خمس في الدنيا وأربع في الآخرة، أما الخمسة التي في الدنيا يحفظه من آفات الدنيا، ويظهر أثر طاعته في وجهه، [ويحببه][5] إلى قلوب الصالحين والى الناس أجمعين، ويغلق لسانه عن الباطل والبهتان ويطلق في الحكمة، والخامسة يجعله حكيما ـ يعني يرزقه الله تعالى الفقه ـ. وأما الأربعة التي في العقبى أولها يحشر من القبر مبيض الوجه، والثاني ييسر عليه الحساب، والثالث يمر على الصراط كالبرق اللامع، والرابع يعطى كتابه بيمينه»[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا كان الرجل في فلاة أو في منزل خال من أعين الناس فقام يصلي باهى الله تعالى به الملائكة قال: انظروا إلى عبدي لا يصلي إلا لي»[7].

قال سمعت الحاكم أبا نصر الحدبي يروي عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام أنه قال: «من استيقظ في الليل فأيقظ امرأته وصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[8].

---

(1) ساقطة من النسخة والله أعلم بالصواب.
(2) في النسخة كأنها "قلت" والله أعلم بالصواب.
(3) وجدته برواية أخرى ببعض ألفاظها مختلفة، انظر "مسند أبي يعلى" ج7 ص273.
(4) لم أجد له تخريجاً.
(5) في النسخة "ويحبه".
(6) لم أجد له تخريجاً.
(7) لم أجد له تخريجاً كذلك.
(8) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص461، و"سنن البيهقي" ج2 ص501، و"سنن النسائي" ج1 ص413.

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري يحكي عن أبي حنيفة رضي الله عنهما أنه جعل الليل أثلاثا ثلثا للتدريس؛ وثلثا للصلاة؛ وثلثا للنوم، فمر يوماً بصبيان يلعبون فقال أحدهم: يا أيها الصبيان هذا الرجل لا ينام؛ جميع الليل يصلي إلى الصباح، فبكى أبو حنيفة فقال: يا نفس اتق الله فإن الناس يظنون بخلاف ما أنت فيه، ثم لم ينم بعد ذلك ليلاً حتى روي عنه أنه صلى صلاة الفجر بطهارة العشاء أربعين سنة[1].

قال سمعت الفقيه الزاهد أبا نصر أحمد بن الضحاك الجوالقي رحمهم الله يروي عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يقرأ في صلاة الليل في ركعة واحدة، فقيل له أتقرأ القرآن كله في ركعة واحدة؟ فقال: هذا وترى.

وكذا يجوز عند الشافعي رحمه الله الوتر بركعة واحدة.

(1) جاء في هامش النسخة "أبو حنيفة كان يرتدي برداء قيمته أربعمائة دينار ويقول لتلاميذته إذا رجعتم إلى أوطانكم فعليكم بثياب نفيسة وإياكم [والثياب] الخسيسة فإن الناس ينظرون إليكم بعين الرحمة فهو مع زهادته وورعه كان يوصيهم بهذا. [ومحمد] بن الحسن كان يلبس الثياب النفيسة، فقيل له في ذلك، فقال: لي نساء وجوارٍ فأزين نفسي كيلا ينظرن إلى غيري. مجموعة". انظر "المحيط البرهاني" ج5 ص191.

الباب الثالث والثلاثون
في فضل السجود

وإذا سمع الرجل السجدة الواحدة [مررا من][1] طاهر، أو جنب، أو حائض، أو صبي، أو بالغ، أو مسلم، أو كافر وقرأها بنفسه فهو على وجهين: إما أن يكون في مجلس واحد أو في مجالس، فإن كان في مجلس واحد أو في مسجد أو بيت يكفيه سجدة واحدة لأن المسجد كله مجلس واحد، بدليل أنه لو مشى من صف إلى صف لم تفسد صلاته بحيث لو قرأها قائما ثم جلس فقرأها ثانيا يكفيه سجدة واحدة لأن [المكان][2] واحد، بدليل أنه من قال لامرأته اختاري وهي قائمة فجلست ثم اختارت نفسها صح ويكون ذلك مجلس الجواب.

وكذا إذا قرأها قاعدا ثم قام وقرأها في مكانه ثانيا يكفيه سجدة واحدة.

وإذا قرأها في الصلاة في الركعة الأولى، ثم قرأها في الركعة الثانية وهو على الأرض أو على الدابة فهو على وجهين: إما أن يكون يسجد للأولى أو لم يسجد، فإن لم يسجد يكفيه سجدة واحدة بالاتفاق، فإن كان يسجد للأولى فعليه الأخرى استحساناً وهو قول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله.

وقال أبو يوسف رحمه الله وهو القياس، يكفيه سجدة واحدة ذكرها في الجامع الكبير.

وإذا قرأها وسجد ثم عمل عملاً كثيراً مثل أن نام مضطجعا أو أكل شبعاً أو شرب حتى روى أو تكلم كثيراً ثم قرأها ثانية يكفيه واحدة قياساً وعليه أخرى استحساناً عندنا لتبدل المجلس بالعمل الكثير.

وإن عمل بينهما عملاً قليلاً مثل أكل لقمة أو نام قائما أو شرب مجة واحدة أو تكلم كلمة واحدة يكفيه واحدة لأن المكان واحد وعليه أخرى قياس.

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

لو قرأها على الأرض ثم ركب مكانه ذلك ثم قرأها ثانية كان عليه سجدتان بالاتفاق، لأن الركوب عمل كثير بخلاف النزول كما في الصلاة.

وأما إذا كان في مجلسين أو في موضع صحراء أو في سكة أو مغارة يجب عليه في كل مرة سجدة واحدة.

وسجدة التلاوة واجبة تصير دينا على المستمع والقارئ إذا لم يأتها عندنا، وقال الشافعي: سنة لا تصير دينا لنا قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: 24].

قال النبي عليه السلام: «سجدها داود النبي عليه السلام شكرا ونحن نسجدها أمراً»[1] أخبر عليه السلام أنه أمر والأمر من الله تعالى واجب.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحَجّ: 77] والركوع أن تضع الكف على الركب وتقول "سبحان ربي العظيم" ثلاثاً بلسان مع قلب حاضر، وإذا فعلت ذلك شبهت نفسك إلى البهائم وهو أذل حالا وأصغر، وإذا ذل الإنسان نفسه عند خالقه بالطاعة في الدنيا [أعزه][2] الله تعالى في الآخرة.

والسجود أن تضع جبهتك على الأرض مكشوفا وتقول "سبحان ربي الأعلى" ثلاثاً، فإذا فعلت ذلك يباهي الله تعالى بك ويقول: يا عبد سميتني أعلى فجازيتك بمثله إذا قلت: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عِمرَان: 139] من الأعلى.

وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم [السجدة فسجد][3] اعتزل الشيطان يبكي ويحثي التراب على رأسه ويقول أُمر ابن آدم بالسجدة فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»[4].

(1) لم أجده بهذه الرواية، ووجدت رواية «سجدها داود توبة ونسجدها شكرا». انظر "سنن النسائي" ج1 ص331، و"المعجم الكبير" ج12 ص34.

(2) في النسخة كأنها "اغر". (3) في النسخة "بالسجدة فيسجد".

(4) انظر "صحيح مسلم" ج1 ص61، و"سنن البيهقي" ج2 ص312.

وعن أنس بن مالك وجابر رضي الله عنهما قالا: خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما مر [بعذق][1] فقطع فلما كان مقطوعا قد هاج ورقه وبيد رسول الله ﷺ قضيب، فضربه فجعل يناثر ورقه وقال عليه السلام: «إن مثل هذا كمثل أحدكم إذا قام إلى الصلاة جعلت خطاياه فوق رأسه، فإذا خر ساجداً تناثرت عنه كما تناثر ورق هذا [العذق]»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام كان إذا دخل البيت يصلي أينما وجد، فقلت له: إني أجلس وأنا حائض وتأتي الوليدة من السوق وقد وطئت الأذى فتمشي حيث تسجد، أفلا تعزل لك مكاناً في البيت لا نقربه نحن إذا فنصلي فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة رضي الله عنها ما أعجبك؟ إن المؤمن إذا سجد لربه طهر موضع جبينه إلى سبع أرضين»[3].

قال المصنف رحمه الله وهو علي بن يحيى[4]: إذا كانت السجدة تطهر إلى سبع أرضين من النجاسات أفلا تطهر أنفس المؤمن من الذنوب؟، فطوبى لساجد مخلص في سجوده.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدم رسول الله ﷺ رجل من الأنصار سبع سنين، فقال عليه السلام: «إن لهذا الرجل علينا حقا، ادعوه ليرفع إلينا حاجته. فدعوه فقال رسول الله ﷺ: ارفع إلينا حاجتك». وكان ذلك في غسق من الليل، فقال: أستشير نفسي يا رسول الله حتى أصبح؛ فاستخار الله تعالى، فلما أصبح أتاه فقال: يا رسول الله عليك السلام أسألك الشفاعة يوم القيامة، فقرأ عليه السلام قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27][5] الآية.

---

(1) في النسخة "بعذف" وسوف أصححه تلقائيا في الحديث.
العذق: كل غصن له شعب وقنو النخلة وعنقود العنب أو إذا أكل ما عليه. وعذق النخلة عذقا قطع سعفها. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص84، 85.

(2) انظر "مسند الشاميين" ج1 ص417، و"كنز العمال"ج8 ص7.

(3) انظر "أحاديث مختارة" للذهبي ص116.

(4) يقصد المؤلف نفسه: أي علي بن محمد أبو الحسن الزندويستي البخاري.

(5) قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: 27].

قال سمعت الإمام أبا محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يروي مع عامته أن داود النبي عليه السلام رأى الشيطان فقال له: ياعدو الله في أي وقت تظفر على عباد الله تعالى؟ قال ـ عليه اللعنة ـ: في ثلاثة أوقات: إذا سكروا، وإذا غضبوا، وإذا خلوا بامرأة حرام. فقال عليه السلام: وفي أي وقت تحبهم؟ قال ـ عليه اللعنة ـ: إذا عملوا عمل قوم لوط، وإذا ربوا. قال داود عليه السلام: وفي أي وقت تبغضهم؟ قال ـ عليه اللعنة ـ: إذا سجدوا لله تعالى سجدة(1).

سمعت أبا الفضل البرمعذري يحكي عن أبي [. . .] قال: قال مجاهد: أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد ألا سمعته يقول الله عز وجل ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العَلق: 19].

وقال سفيان: لا يرى الشيطان أغيظ من أن يراه ساجداً لله تعالى، لأنه أمر بالسجود ولم يفعل وفعل ابن آدم.

سمعت الإمام أبا بكر يروي في عامته عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سئل فقيل له: ما ثواب من يسجد لله سجدة؟ فقال: إن أردت أن تعرف ثوابه فانظر إلى عقابه لو سجد لغير الله ألا يستحق له النار؟ بلى النار خالدا، فإذا سجد لله تعالى ألا يستحق له الجنة؟ بلى له الجنة.

وسمعت أيضاً يروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: يؤمر بمذنبي أمة محمد عليه السلام إلى النار يوم القيامة، فيقول لهم مالك خازن النار: من أنتم فلم يأتِ قوم أبيض وجوه منكم ولا أطيب رائحة منكم؟ فيقولون: نحن أمة محمد ﷺ، فيدخلون النار، فيقول مالك: يا ناري خذي، يا نار انضجي، يا نار احرقي ومواضع السجود لا تقربي، فالفاسق المستحق في النار لا تحرق موضع سجوده فكيف المؤمن أن لا ينجو من النار بسبب سجوده؟!.

وقال سمعت الإمام أبا محمد يحكي [بالفارسية](2) في عامته عن أبي بكر الوراق الترمذي رحمهم يقول: ثلاث إذا قدرت عليهن أو على واحدة منهن

(1) انظر "مسند الشاميين" ج1 ص418. وجاء في النسخة (يثبت الذين).
(2) في النسخة "بالفاسية".

تمنيت الموت فرحا من ذلك: أولها إذا نزل بي ضيف لم أدعه إلى ضيافتي [إلا][1] وقدمت إليه الطعام فجعل يأكل وأنا أسمع مضغه، والثاني إذا قدرت على قول "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله"، والثالث إذا قدرت على السجود لله تعالى وأقول: أنا الذي قدرت على هذه السجدة لربي جلَّ وعلا.

(1) هذه الكلمة أو ما في معناه ساقط من النسخة، وأضفتها حتى يستقيم المعنى.

الباب الرابع والثلاثون أيضاً
في فضائل السجود

الحائض إذا سمعت السجدة ثم طهرت؛ أو صبي ثم بلغ؛ أو كافر ثم أسلم فلا قضاء عليهم، والجنب والمحدث إذا سمع السجدة أو تلاها بنفسه ولم يطهر فعليهما القضاء. والفرق أن هؤلاء ليسوا من أهل الصلاة والسجدة وأنهم معذرون لأن عذرهم لا من جهتهم بل من الله تعالى بخلاف الجنب والمحدث.

وإذا سمع آية السجدة من [. . .] أو طوطي فلا سجدة عليه[1] لأن قراءتهما أو كلاهما ليس بقراءة ولا كلام بدليل أن من خلا بامرأته ومعها طوطي أو [. . .][2] صحت الخلوة.

وكذا إذا سمع السجدة من النائم لا سجدة عليه لأن قراءته ليست بقراءة بدليل أن طلاقه ليس بطلاق وعتقه ليس بعتق.

وقال بعضهم عليه السجدة بدليل أنه لو [قام][3] في الصلاة وقرأ فيها وهو قائم احتسب القراءة من القرآن من الصلاة فكانت قراءته قراءة فكان على السامع السجدة.

والمصلي إذا سمع السجدة من المصلي وكل واحد منهما يصلي صلاة نفسه لا يسجد لها ما دام في الصلاة، فإذا فرغ السامع من الصلاة سجد لها.

وغير المصلي إذا سمع السجدة من المصلي سجدها في ساعته.

والخطيب إذا تلاها أو سمعها من غيره وهو على المنبر يخطب للعيد أو

---

(1) انظر "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" ج1 ص206. وجاءت هكذا في كتب الفقه الحنفي ولم أجد لها شرحا في المعاجم، إلا أن حقي قال: إن الطوطي هو الببغاء وهو طائر أخضر. انظر "تفسير حقي" ج10 ص23.

(2) جاءت في الموضع الأول كأنها "العقف" وفي الثاني كأنها "عقوق".

(3) في النسخة "نام"، والله أعلم بالصواب.

الجمعة فإن شاء سجد وسجد معه السامعون وإن أخر إلى أن يفرغ من الخطبة جاز لما روي عن عمر ﷺ أنه تلاها على المنبر وهو يخطب، فنزل وسجد ثم صعد وأتم الخطبة، وقرأ في الجمعة الثانية السجدة فهيأ الناس للسجود وقال: لا تبرحوا مكانكم فإن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء، يعني لم يكتب تعجيلها علينا [إلا أن](1) نشاء التعجيل يدل عليه قوله تعالى في آخر سورة النجم(2)، وسبب نزول هذه السورة ما روي عن محمد بن كعب القرظي قال: جلس رسول الله ﷺ في ناد عظيم من أندية قريش، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ينفرون عنه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النّجم: 1] حتى بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: 19-20] ألقى الشيطان عليه كلمتين فقال عليه السلام: «تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترجى» يعني الأصنام، فتكلم بهما رسول الله ﷺ ثم قرأ ما بقي من السورة، فسجد رسول الله ﷺ في آخر السورة وسجد القوم معه، وكان الوليد بن مغيرة شيخا كبيرا لا يستطيع، فرفع ترابا إلى جبهته وسجد عليه، وقالوا: قد عرفت أن الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده، فأما إذا جعلت معها نصيب فنحن معك.

فلما [أمسى](3) رسول الله جاءه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة، فلما بلغ إلى الكلمتين اللتين ألقاهما الشيطان قال: ما جئتك بهاتين. فقال رسول الله ﷺ: افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل [. . .] فيهما، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 73-75] فمازال رسول الله ﷺ [مهموما](4) مغموماً من شأن الكلمتين حتى أنزل الله تعالى عليه الآية التي في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ

(1) في النسخة "الان".
(2) قال الله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النّجم: 62].
(3) في النسخة كأنها "أمر". (4) في النسخة كأنها "مهتماً".

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأية: 52]. قال: فسر عنه وطابت نفسه وعلم أن الأنبياء عليهم السلام [كلهم][1] لقوا ذلك، فأعاد قراءة سورة النجم بدون الكلمتين على أصحابه، ثم سجد وأمرهم بالسجود لله تعالى، ثم قال عليه السلام: «من سجد لله تعالى سجدة ينجيه الله تعالى من النار ويدخل النار كافراً لم [يسجد][2] لله تعالى»[3].

قال سمعت أبا عبد الله المطوعي ﵁ في عامته بالفارسية يحكي عن الحسن البصري ﵀ أنه قال: إن الله تعالى غفر لأقوام بسجدة واحدة بغير وضوء ولا يتوجه إلى القبلة في مكان نجس ببدن نجس، قيل: من هم يا سعيد؟ قال: سحرة فرعون إنهم لما رأوا الآيات والعلامات حين ألقى موسى عليه السلام عصاه علموا أن هذا الدين حق وما نحن فيه باطل وقعوا لله ساجدين، فغفر لهم كفرهم بسجدة واحدة بلا طهارة ولا قبلة، فكيف حال من سجد لله تعالى طاهراً في مكان طاهراً إلى القبلة؛ ألا يغفر لهم؟!.

فلما [لم يسلم سحرة لفرعون قال][4] عليه اللعنة: "لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف". قولوا: جزاء أيدينا القطع فاقطعها لأنا رفعناها إليك. ولما قال فرعون عليه اللعنة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71] قالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾ [طه: 72][5] إن شئت فاقطع الأيدي، وإن شئت فاقطع الرجل وهذا جزاء أعضائنا التي استعملناها في خدمتك

---

(1) غير واضحة هل هي من النص أم في الهامش.
(2) في النسخة "يسجدوا".
(3) لم أجد الحديث برواية «من سجد لله تعالى سجدة ينجيه الله تعالى من النار ويدخل النار كافرا لم يسجد لله تعالى»، ووجدت هذه الزيادة بروايات مختلفة. انظرها في "كنز العمال" ج7 ص307، أما حديث الغرانيق السابق فيرجع إليه مثلاً في "تفسير الخازن" ج3 ص260، "الدر المنثور" ج6 ص68، و"نصب المنجنيق" ص21.
(4) في النسخة "اسلم سحرة إلى فرعون".
(5) قال الله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: 71-72].

دون الله تعالى، ثم [التقريب][1] أن جزاء الأعضاء التي استعملت في الكفر لغير الله تعالى في الدنيا القطع، فكيف أعضاء المؤمن إذا استعملها في خدمة[2] الله تعالى؟!.

قال سمعت ابن عيينة [قال:][3] إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل تؤمنوا بي وتصدقوني وإلا أرسلت عليكم عذاباً من السماء، فصدقه البعض وكذب البعض، وأمر الله تعالى ملائكته أن يقلعوا جبلاً من جبال الدنيا ويوقعوه عليهم، فلما رأوا جبلاً من بعيد [انقلع وصعد][4] إلى الهواء حتى [وقع][5] بحذائهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعرَاف: 171]، فلما رأوا ذلك أيقنوا أنه يقع عليهم فسجدوا على خد واحد وعين واحدة؛ إذ كانوا ينظرون بالعين الثانية إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم، فصرف الله تعالى ذلك العذاب عنهم بسجدة سجدوها لله تعالى مكرهين على خد واحد، فكيف حال من يسجد لله تعالى كل يوم وليلة مراراً طائعاً على جميع وجهه ويعفر[6] وجهه بالتراب بين يدي الله تعالى؛ ألا يغفر له؟! بل يغفر له بلا شك.

قال رأيت في كتاب محمد بن يوسف الفقيه الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول فيه: لما خلق الله تعالى الأرض خلق لها سكاناً وهم من بني الجن من نار بين السماء وبين [الكلة][7] الرقيقة، وقال اهبطوا إلى الأرض واسكنوا فيها، فنزلوا وأفسدوا

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) في النسخة "غير خدمة"، وحذفت "غير" حتى يتسق المعنى.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) في النسخة "انقلعت وصعدت".
(5) في النسخة "وقعت".
(6) عفره عفراً مرغه في وجه الأرض والتراب أو دسه فيه وضرب به الأرض. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص127.
(7) في النسخة "الكلمة".
الكلة: ستر رقيق مثقب يتوقى به من البعوض. انظر "المعجم الوسيط"ج2 ص508.
قال حقي "الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولا ترى السماء إلا من وراء تلك الكلة". انظر "تفسير حقي" ج14 ص444.

وعصوا وسفكوا الدماء، فأنزل الله تعالى ناراً من السماء فأحرقهم إلا إبليس إذ سأله من الله تعالى ملك من السماء فوهبه له الله تعالى، ألا يرى أن الله تعالى يقول ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: 50]، ثم خلق الله تعالى في الدنيا ثانيا والثالث مثلهم ففعلوا مثل ذلك فأهلكم الله تعالى، وأنزل الله تعالى بعدهم أربعة وعشرين ألفا من الملائكة وجعلهم سكان الأرض وجعل بينهم إبليس اللعين فأمرهم بالأمر والنهي، فلما سكنوا طابت لهم الدنيا [لحق][1] عبادتهم في الدنيا، فلما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: 30][2] شق عليهم إذ كانوا يعبدون في السماء أشد من عبادتهم في الدنيا، فقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 30] كما أفسد الجان ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البَقَرَة: 30].

قال ابن عباس ﵄: هلك أربعة أنفس بأربع كلمات: الملائكة "بنحن" كما قالوا وقد ذكروا، وقارون "بعندي" كما قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القَصَص: 78]، وإبليس اللعين بأنا كما قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [صٓ: 76]، وفرعون بـ "لي" كما قال ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزّخرُف: 51].

فلما قالت الملائكة ذلك تركهم على تلك الحال حتى أراد الله تعالى أن يخلق آدم، فبعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام إلى الأرض وقال له: ارفع منها قبضة من التراب حتى أصور منها، وقال: إن استغاثت بك فأغثها، فاستغاثت الأرض فقالت: بحق الله عليك أن لا ترفع فلعل الله يخلق منها خلقا فيهوله فيعذبهم في النار، فرجع ولم يرفع، وهكذا إسرافيل وميكائيل حتى بعث الله عزرائيل عليهم السلام ولم يقل له: إن استغاثت فأغثها، فجاء عزرائيل فاستغاثت الأرض، فقال: أمر الله بالحفظ أولى من أمرك، فضرب يده فأخذ قبضة من وجه الأرض أربعين ذراعاً، فذهب به إلى الله، فشكت الأرض إلى الله فقالت: يا

(1) في النسخة "لحقه".

(2) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30].

ربّ نقص مني. فقال الله على [أن][1] أرد عليك أحسن وأطيب، فمن ثم يحنط الميت بالمسك والغالية، فأمر الله تعالى أن يصبوا الماء على الطين، فصبوا وكان الطين كالرمل، ثم أمر أن يصبوا من بحر الأحزان على الطين وهو بحر تحت العرش، فمن ثم لا يتم أمر لبني آدم إلا من حزن[2].

فصور الله جسد آدم عليه السلام بلا كيف، فكان جسده بين الطائف ومكة أربعين سنة كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسَان: 1] يعني أربعين سنة، والحين على ستة أوجه: يكن ستة أشهر لقوله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 25]، ويكون الحين ثلاثة أيام لقوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الذّاريَات: 43]، ويكون الحين يوماً واحداً لقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصَّافات: 174]، ويكون الحين الموت لقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [صٓ: 88]، ويكون الحين أربعين سنة لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسَان: 1]، ويكون الحين ليلة واحدة لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الرُّوم: 17].

ثم لما أراد الله تعالى أن يدخل في جسد آدم الروح فأدخلها من قبل الرأس وذلك من غاية كرم الله تعالى لكي يبتدأ من الشكر فيكسب، بخلاف الموت فإن الموت يبتدأ من الرجل لكي [ينتبه][3] قبل أن يصل الموت إلى الدماغ وهو موضع العقل.

فلما بلغ روحه إلى العين فتح عينيه، فأمر الله تعالى أن يفتحوا أبواب السماء إلى العرش ففتحت، فرأى آدم عليه السلام "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله" مكتوب حول العرش، فألهمه حتى قال: من ذا الذي اسمه مقرون باسمك؟ قال الله تعالى: نبي من أنبيائي وولد من أولادك لولا هو ما خلقت الجنة والنار والعرش والكرسي والدنيا والآخرة، ولولا هو ما خلقتك يا آدم.

(1) ساقطة من النسخة. انظر هذا الخبر في "تفسير حقي" ج1 ص115.
(2) ولعل كلمة حزن المتكررة هنا حرفها الناسخ، والله أعلم بالصواب.
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

فلما بلغ روحه إلى سرته فتعجل وجلس، فقال الله تعالى: خلق الإنسان عجولاً[1].

ولما بلغ إلى قدميه ولم يجد منفذا فرجع إلى رأسه فعطس آدم، فألهمه الله تعالى حتى قال "الحمد لله رب العالمين"، [فقال الله تعالى:][2] رحمك ربك ولهذا خلقك.

ثم أمر الله تعالى للملائكة أن اسجدوا لآدم سجدة التحية لا سجدة التعبد، فسجدوا إلا إبليس فإنه أبى كما قال الله تعالى عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البَقَرَة: 34]، فكأنه رأى أن الله تعالى لا يأمر بالحكمة وعد نفسه أعظم من آدم، فقال الله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [صٓ: 78].

ثم التقريب أن السجدة التي كانت للتحية لا بوجه التعبد، فلما لم يأت بها فوجد اللعنة، فكيف السجدة لله تعالى وقد أمر الله عباده بالسجود له، فإن لم يأت بها الإنسان ألا يستحق الذم؟!.

قال سألت ابن عيينة رضي الله عنه وقلت: لما كانت السجدة اثنتين في الصلاة والركوع واحداً؟ قال: لأن الله تعالى خلق آدم من تراب وجعل مرجعه ومرجع أولاده إلى التراب كما قال الله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55]، فللتخليق الأول سجدة، ولإخراجه من التراب ثانيا سجدة أخرى كلاهما شكرا.

وسألت أبا الفضل البرمعذري رضي الله عنه [لأي شيء تكون][3] السجدة؟ فقال: إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا إلا إبليس، فلما رفعوا رؤوسهم عن السجود علموا أن الشيطان ما سجد وحرم واستحق اللعنة سجدوا لله ثانياً شكراً لما وفقهم الله بالسجود، فلذلك أوجب الله تعالى علينا

---

(1) قال الله تعالى ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11].

(2) ساقطة من النسخة. انظر هذا الخبر في "تفسير حقي" ج1 ص116.

(3) في النسخة "أي كون".

السجدتين. وقيل: إن أحب الطاعات لله تعالى عن عبادة[1] السجدة، فأمر في كل ركعة بسجدتين دون سائر الأركان.

قال سمعت أبا الفضل بن محمد بن نعيم رحمهم الله يقول: كان الأمير إسماعيل بن أحمد [الساماني][2] مريضا، فلما دنا موته أمر الخازن أن يجيء إليه بالصندوق الذي عليه خاتمه، فظنوا أن فيه نفائس فأحضره، ففتحوه فإذا فيه تراب لا غير، فسألوه عن التراب فقال: كلما سجدت لله تعالى أخذت من موضع سجودي ترابا وأجعله في الصندوق هذا [فها هي][3]، فإذا أنا مت فاتخذوا من التراب لبنة وضعوها في القبر تحت خدي لعل الله يصرف عني عذاب القبر بحرمتها ويتجاوز عن سيّئاتي، قال: ففعلوا ذلك، فرأوه في المنام فقيل له ما فعل الله بك؟ قال: صرف الرب عزوجل عني عذاب القبر بحرمة ذلك التراب، وقال: لا [يحمل][4] من فضلي أن أعذب عبداً وضع خده ساجداً وأحضر شاهداً، فصرف عني العذاب بحرمة اللبنة. فهذه حرمة التراب التي سجد به فكيف النفس التي هي ساجدة لله تعالى من طوية[5] راضية طيبة ونفس مطمئنة وقلب سليم؟!.

---

(1) لعل الأصل "من عباده".

(2) في النسخة كأنها "السماماني".

(3) في النسخة كأنها "فما هي".

(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(5) الطوية: الضمير. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص47.

الباب الخامس والثلاثون
في وزر من أخَّر الصلاة عن وقتها

إذا خرج الولد من بطن أمه أقل من النصف أو النصف وتقارب مضى وقت الصلاة ذكر في كتاب النوادر[1] فقال يحفر [له][2] حفرة مقدار ما خرج من الولد ويجعل الولد في تلك الحفيرة [و][3] تجلس على رأس الوطيس[4]، وتجعل الخارج من الولد فيه وتصلي بالإيماء ولا يباح لها تأخير الصلاة، فإن خرج منها أكثر من النصف سقطت عنها الصلاة وصارت نفساء لأن حكم الأكثر حكم الكل.

ولو خرج جميع الولد وفي بطنها ولد آخر تتوضأ في وقت كل صلاة وتصلي عند محمد وزفر رحمهما الله.

وقال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله: سقطت عنها الصلاة، وهو على اختلاف بينهم أن المرأة إذا ولدت ولدا وفي بطنها ولد آخر أن النفاس من الولد الأول عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد وزفر رحمهم الله من الولد الأخير، واتفقوا أن العدة تنقضي من الولد الأخير.

ولو أن رجلاً غرق في الماء فخاف وقت الصلاة وهو حي عاقل والماء يمر به وهو يقدر أن يؤمر بالصلاة وأخر حتى مات بعد خروج الوقت لقي الله تعالى وعليه تلك الصلاة.

والمختفي عن السلطان يباح له أن لا يخرج إلى الجماعة والجمعة ولكن لا يباح له تأخير الصلاة عن وقتها.

---

(1) لعله يقصد "النوادر" لأبي يوسف. انظر "الأعلام" ج8 ص193.

(2) في النسخة "لها".

(3) في النسخة "أو".

(4) الوطيس: حفيرة يختبز فيها ويشوى والمعركة ويقال حمي الوطيس جدت الحرب واشتدت. انظر "الأعلام" ج2 ص1007.

والأسير في أيدي الكفار إذا وجد مكاناً أو ماء أو تراباً لا يباح له تأخير الصلاة عن وقتها.

وكذا العبد المشغول بخدمة المولى المسلم أو الكافر لا يباح له تأخير الصلاة عن وقتها، وأصل ذلك قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البَقَرَة: 238].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من حافظ على هذه الصلوات في مواقيتها كانت له نوراً ونجاة وبرهاناً من النار، ومن لم يحافظ عليهن في مواقيتها لم تكن له نوراً ولا نجاة ولا برهاناً من النار، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبيّ بن خلف لعنهم الله»[1].

قال: حدثنا أبو الفضل بإسناد له عن عمر رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام أنه قال: «ليس بين الإيمان والكفر إلا ترك الصلاة، ثم قال: من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر»[2].

قال الفقيه علي بن يحيى المصنف رحمهما الله: معناه والله أعلم أن يتركها إنكارا وجحودا، وأما إذا لم يتركها إنكارا كان منه ذما ولم يكن منه كفرا؛ وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النِّسَاء: 92][3] إلى قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النِّسَاء: 93] ذكر الله تعالى الخلود في النار عند العمد.

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفره وعطشت، فغلب علي ذلك فأخبرت النبي عليه السلام فقال «اذهب إلى هذا

---

(1) انظر "كنز العمال" ج7 ص277، و"مسند الشاميين" ج1 ص152.

(2) انظر "شرح ابن بطال" ج16 ص126، و"كنز العمال" ج7 ص279.

(3) قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: 92-93].

الجبل وأقرئه مني السلام وقل له يسقيك»، قال فذهبت إليه وبلغت الرسالة، فنطق بإذن الله تعالى وقال: منذ نزلت هذه الآية ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التّحْريم: 6] بكيت حتى فقد ماء [العين][1]، فرجعت وأخبرت بذلك فأخذ النبي عليه السلام الحاجة [الماسة][2] فرأى عليه السلام ثلاثة أشجار متفرقة، فقال لي «اذهب إلى هذه الأشجار الثلاثة وأقرئها مني السلام لتجتمعن فأواري عورتي»، ففعلت ذلك فانقلعت الأشجار واجتمعت وصارت منكوسة وأدخلت بعض رأسها ببعضها، فدخل رسول الله ﷺ وقضى حاجته، فلما خرج ذهبت كل شجرة إلى موضعها وثبتت كما كانت.

فبينما [نحن كذلك إذ][3] بناقة معقولة فنادت إلى النبي عليه السلام فقالت: السلام عليك يا نبي الله. فقال عليه السلام: «وعليك السلام، من أعقلك؟» فقالت: أهلي اشفع إليهم حتى يحلوني، فدعاهم وأمرهم بحلها، فقالوا إنا عقلناها خوفاً [منها][4] لأنها قصدت هلاكنا، فأخبرها بذلك فقالت: لا أقصد قتلهم لكني أرحم عليهم لأنهم يشتغلون بالحديث في وقت العتمة فيؤخرونها عن وقتها وربما يتركونها، فأنا أخوفهم بغدوي إليهم وقصدي [توبيخي إياهم][5] حتى يقوموا من خوفي فيصلونها في وقتها، فنهاهم رسول الله ﷺ [عن][6] قبح فعلهم وخوفهم وأمرهم بحل الناقة، ففعلوا وقبلوا فانصرف عنهم[7].

قال مقاتل بن حيان: إقامة الصلاة المحافظة على أوقاتها، وإسباغ الوضوء منها، وإتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي عليه السلام فهذه إقامتها.

وقال أبو حفص البخاري: إذا نوديت الصلاة والقوم في عمل أو بشغل فإن تركوا العمل وصلوا في الوقت جماعة أو فرادى بارك الله تعالى في أعمالهم

---

(1) في النسخة "عين". (2) في النسخة كأنها "المساسة".
(3) في النسخة "إذا نحن" والله أعلم بالصواب.
(4) في النسخة "عنها". (5) غير واضحة في النسخة.
(6) في النسخة "من".
(7) انظر خبر الجبل في "تفسير حقي" ج15 ص449.

والله أعلم بأمر صلاتهم، يعني في قبولها.

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري رحمه الله يروي عن كعب بن سعيد رضي الله عنه يقول: ما من أهل قرية أو أهل بيت لا يواظبون على الصلوات الخمس في الجماعات في مواقيتها وهم ثلاثة نفر فصاعدا إلا [تسلط عليهم الشياطين][1] يواكلونهم ويشاربونهم ويضاجعونهم على فراشهم، ثم قرأ ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ [مَريَم: 83] فهذه عقوبات مؤخريها عن وقتها.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من جمع بين صلاتين أو أخّر عن وقتها فهو كبيرة»[2].

وقيل من [استهان][3] بالصلوات الخمس واستخف بهن أهانه الله تعالى عند أهل بيته قبل موته.

كما حكى أبو حفص الكبير رحمه الله [أنه][4] اجتاز قرية فإذا أهلها يغسلون ثيابهم، فقال: مالكم تغسلون اليوم ثيابكم؟ قالوا: لأن شهر رمضان قد تقارب. فلما اجتاز بهم إذا هو بشيخ كبير مريض قد [. . .] الذباب، فقال في نفسه عسى كان هذا مستخفا بالصلاة، فرجع وقال لأهل القرية: لم لا تترحمون على هذا الشيخ المريض؟ فقالوا: لا رحمه الله ليس هو من أهل أن يرحم عليه فإنه ما كان يصلي، فبان أن من استخف بأمر الصلاة وأهانها وأخر وقتها أهانه الله تعالى قبل الموت على خلقه.

وقال رسول الله ﷺ برواية ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: «إن لكل شيء وجها وإن وجه دينكم الصلاة فلا [تشينوا][5] وجه دينكم»[6].

---

(1) مترددة في النسخة بين "سلط" و"تسلط"، وفي النسخة "الشيطان".
(2) وجدته برواية «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر». انظر "المعجم الكبير" ج11 ص216، و"سنن الدارقطني" ج1 ص395.
(3) في النسخة "اهان".
(4) ساقطة من النسخة.
(5) في النسخة "تشنو".
(6) انظر "تلخيص المتشابه في الرسم" ج2 ص810.

الباب السادس والثلاثون
في وزر من مشى بالنميمة

وإذا أم صاحب الجرح السائل للأصحاء جازت صلاة الإمام وفسدت صلاة القوم، فإن كان في المأمومين مثل الإمام يصح اقتداؤهم دون الأصحاء.

وكذا المستحاضة والمرأة إذا أمّت الرجال والنساء صحت صلاة النسوان دون الرجال.

وكذا العريان والصبي إذا أم البالغين في الفريضة أو الواجب مثل الوتر لم يجز اتفاقا، وإذا أمهم في التراويح قال محمد المقاتل الرازي رحمه الله ونصر بن يحيى البلخي وعامة الفقهاء رحمهم الله يجوز.

وقال محمد بن سلمة البلخي رحمه الله: لا يجوز ذلك لعامة العلماء [لأن][1] حسين بن علي رضي الله عنهما كان يؤم عائشة رضي الله عنها وهو صبي.

وإمامة المجنون لا تجوز بالاتفاق، والأخرس إذا أم الأمي جازت صلاته دون الأمي بخلاف الأمي إذا أم الأخرس أكره حالا من الأمي، فإن الأمي يفتتح الصلاة بالتكبير والأخرس بالنية.

والماسح على الخفين إذا أم الغاسل جازت بالاتفاق، والمتيمم إذا أم المتوضئين قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله يجوز، وقال محمد وزفر لا يجوز لهما إن هذه طهارة تبقى في الوقتين ويجوز بها أداء الفرضين، يعني الظهر والعصر كل صلاة في وقتها، فوجب أن تجوز الإمامة كالوضوء.

وأما إذا أم القاعد القائم قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله تجوز صلاة الكل، وقال محمد والشافعي رحمهما الله تجوز صلاة الإمام وفسدت صلاة المقتدي، ولأبي حنيفة رحمه الله أن القعود بدل كالمسح على الخفين وإمامة الماسح

---

(1) في النسخة "إن".

للغاسل تجوز فكذا هنا. والذي عليه المكتوبة من يوم وليلة إذا أم وهو ذاكرها لا تجوز صلاته ولا صلاة القوم عندنا، وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تجوز صلاته وصلاة القوم.

و[إذا][1] كان عليه وتر فأم الناس في صلاة الغداة وهو ذاكر وفي الوقت سعة لم تجز صلاة المقتدي ولا صلاته عند أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ لأن الوتر فرض عنده عملاً لا قولا، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله تجوز صلاة الوتر لأن الوتر نافلة عندهم.

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ المسافر إذا اقتدى بالمقيم في صلاة فاتتهما لا يجوز عندنا، وعند الشافعي تجوز صلاتهما جميعاً، ولو كان المسافر هو الإمام جازت صلاتهما بالاتفاق.

وصاحب الظهر إذا اقتدى بصاحب العصر أو صاحب الظهر الأمسية بصاحب الظهر اليومية جازت صلاة الإمام وفسدت صلاة المقتدي عندنا، وعند الشافعي يجوز لهما جميعاً.

قال الفقيه رَحِمَهُ اللهُ [و][2] حفظه الله: اعلموا أن تسعة نفر تجوز إمامتهم والأفضل أن يؤم غيرهم: العبد، وولد الزنا، والأعمى، والفاسق، والأعرابي، و[الفاسق][3]، والمزني، والذي يؤم وقومه له كارهون، والنمام. وأصل ذلك ما روي عن النبي عليه السلام: «يؤمكم خياركم فيما بينكم وبين ربكم»[4]، والفاسق والمزني والنمام ليسوا بخيارنا.

ويدل عليه ما روي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: أربعة يصلون ولا تجاوز صلاتهم تراقيهم: المرأة الناشزة عن زوجها، والعبد الآبق، وإمام قوم وهم له كارهون، والنمام والفتان أشر خلق الله تعالى.

فإذا كان النمام أشر خلق الله تعالى فكره إمامته ألا يرى أن الله تعالى قال

---

(1) ساقطة من النسخة. (2) ساقطة من النسخة.

(3) في النسخة "العبد" وتكرر هذا في الأول، ولقد صححت ذلك حسب السياق القادم.

(4) انظر "المقاصد الحسنة" ص486.

في شأن الوليد بن المغيرة لنبينا عليه السلام ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القَلَم: 10-13] فجعل الله تعالى النمامة صفة بعدوه وعدو نبيه عليه السلام وعدو المؤمنين، ولا صفة للمسلم أشر من صفة عدو الله ورسوله، فدل أن النمام أشر خلق الله تعالى.

ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة ﷺ وعن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون من شراركم [بيننا][(1)]؟ قلنا: لا. قال: ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»[(2)] يعني النمام.

قال: حدثنا أبو بكر بإسناد له عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى بين اثنين بالنميمة سلط الله تعالى في قبره ناراً [تحرقه][(3)] إلى يوم القيامة»[(4)]، ثم قال: «ثلاث يفطرن الصيام وينقضن الوضوء ويهدمن العمل: النميمة، والغيبة، والنظر إلى محاسن المرأة»[(5)].

عن عمران [بن][(6)] الحصين يقول جاءت امرأة إلى النبي عليه السلام عشية العاشر من شهر رمضان فقالت: يا رسول الله إني صائمة جائعة فأطعمني من طعام الصدقة. فقال النبي عليه السلام: «ارجعي أنت جائعة ولست بصائمة لا طعام لك عندنا»، فرجعت ثم جاءت في اليوم الثاني في ذلك الوقت، فقال مثل ما قالت فأجابها النبي عليه السلام مثل ما أجابها أولا. قال عمران بن الحصين: كانت هذه المرأة نمامة، فلما قال لها عليه السلام مرتين ما قال قالت: أصوم ويسميني رسول الله جائعة، فأغلقت على نفسها الباب في اليوم الثالث فلم تخرج من بيتها حتى أمست وغربت الشمس، [و][(7)] جاءت إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إني صائمة جائعة فأطعمني من طعام الصدقة، فقال لها عليه السلام:

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) انظر "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم" ج3 ص97، و"كنز العمال" ج3 ص567.
(3) في النسخة "يحرقه".
(4) انظر "اللآلئ المصنوعة" ج2 ص305، و"بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث" " ج1 ص313.
(5) لم أجد له تخريجاً.
(6) ساقطة من النسخة.
(7) ساقطة من النسخة.

«بلى أنت صائمة جائعة ثلاث مرات، أطعمها يا أسامة»[1].

حكى عن حماد بن سلمة قال: باع رجل غلاما له مع البراءة من عيب النميمة، فقال المشتري ما يضرني ذلك، فقال ذات يوم لزوجة الرجل الذي اشتراه إن زوجك لا يحبك وإنه يريد أن [يستبدلك][2]، فقالت للغلام: ما الحيلة؟ قال لها: حيلتك أن تحلقي من شعرات رقبته فيحبك. فبادر الغلام إلى مولاه فقال: إن زوجتك تميل إلى غيرك وهي تريد قتلك ليلتك، فتناوم الرجل ودنت المرأة مع السكين لتحلق من شعره، فوثب الرجل عليها وأخذ السكين من يدها وقتلها، فأولياؤها رفعوا الأمر وحكم عليه بالقصاص بقتل الزوج[3]، فقتلا كلاهما بقول النمام.

عن معاذ بن جبل ﷺ قال قلت: يا رسول الله ما معنى قول الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النّبَإِ: 18]. قال: «يا معاذ سألت عن أمر عظيم، ثم دمعت عينا رسول الله عليه السلام فقال: يا معاذ يحشر من أمتي عشرة أصناف أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جملة جماعة المؤمنين وبدل [صور][4] بعضهم على صورة [القردة][5]، وبعضهم على الخنازير، وبعضهم منكوسة أرجلهم فوق وجوههم، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يعذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطوعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلوبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتنا من الجيفة، وبعضهم يسحبون في حياض من القطران هم أهل الكبائر والفخر والخيلاء.

وأما الذين أشد نتنا من الجيفة فهم أهل الشهوات واللذات والذين يمنعون حقوق الله تعالى من أموالهم، وأما المصلوبون على جذوع من النار فهم

(1) لم أجد له تخريجاً.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، وفي المراجع جاءت "يتسرى عليك".
(3) انظر "إحياء علوم الدين" ج3 ص158.
(4) في النسخة "صورهم".
(5) في النسخة "القردية" وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا.

الساعون بين الناس للسلطان، وأما المقطوعون فهم الذين يؤذون الجيران، وأما [من][1] يمضغون ألسنتهم فهم العلماء يخلف قولهم على أعمالهم، وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأموالهم، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما المنكوسة وجوههم فأكلة الربا، وأما الذين على صورة الخنازير هم أكلة السحت، وأما الذين على صورة [القردة] فالنمامون المغتابون بين الناس»[2].

قال سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل يروي في عامته عن الحسن البصري رحمهم الله قال: لما خلق الله تعالى الجنة قال الله تعالى: تكلمي، فقالت: سعد من دخلني وشقي من فارقني، فأوحى الله تعالى إليها أني حرمتك على ثمانية أصناف: المُصر على الزنا، ومدمن الخمر، والظالم، والديوث وهو الذي يرضى بفاحشة امرأته، والمتشبه بالنساء يعني في الأفعال واللباس وقد خلقته ذكرا، والمرأة متشبهة بالرجال يعني في الأفعال واللباس، والمغتاب، والنمام إلا أن يرجعوا ويتوبوا عما هم فيه[3].

عن عمر ﷺ أنه قال لكعب الأحبار ﷺ: قرأت الكتب وعرفت المعاني؛ فأي ذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: النميمة. قال: ومن القتل يا كعب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إنما يتولد القتل من النميمة، أولاً يكون النميمة ثم القتل.

قال عبد الله: تبع رجلاً رجل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إني جئتك للذي أتاك الله تعالى من العلم، أخبرني [عن][4] السماء ما أثقل منها، وعن الأرض ما أوسع منها، وعن الحجر ما أقسى منه، وعن النار ما أحر منها، وعن الزمهرير ما أبرد منه، وعن البحر ما غنى منه، وعن السم ما أرعف منه.

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) انظر "تفسير حقي" ج16 ص419، و"التذكرة" للقرطبي ص229. وجاء في هامش النسخة كتابة غير واضحة.

(3) وجدته بروايات منها (قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم). انظر "إحياء علوم الدين" ج3 ص155.

(4) في النسخة "من".

قال البهتان على البريء أثقل من السماء، والحق أوسع من الأرض، وقلب الكافر أقسى من الحجر، و[الحسد و][1] الحريص أحر من النار، والإياسة من القريب أبرد من الزمهرير، وبدن القانع أغنى من البحر، و[غيبة][2] الوشاة أرعف من السم[3].

قال الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أتاك إنسان فأخبرك أن فلاناً يقع أو فعل بمكانك كيت وكيت فعليك سبعة أشياء: أولاً أن لا تصدقه لأن النمام مردود القول والشهادة في حكم الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: 6][4] الآية، والثاني انهه عن ذلك لأنه ارتكب المعصية والنهي عن المنكر واجب كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 110][5] الآية، والثالث أن تبغضه لأجل الله تعالى لأن الله يبغض النمام، والرابع أن لا تظن بأخيك الغائب ظن السوء بقول النمام وإن ظن السوء إثم حرام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحُجرَات: 12]، والخامس أن لا تتجسس على ذلك الأمر فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: 12]، والسادس أن لا تخبر أحداً بما أتاك به هذا النمام فإن فيه إفشاء [السر][6] وذلك حرام، والسابع أن لا تشتغل بالمكافأة.

عن الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن نماما جاء إليه وقال إن فلاناً وقع فيك، فقال له الحسن: يا هذا ارتكبت ذنبا وأنا عامل معه بثلاثة أشياء: أولها أن لا أشكو عنه بين يدي أحد من خلق الله تعالى، والثاني أن لا أكافيه في الدنيا، والثالث لا أخاصمه في العقبى. ثم قال له: قم يا فاسق من عندي من مشى إلي بالنميمة

---

(1) في النسخة كأنها "حشو". (2) في النسخة "غيمة".

(3) انظر "فيض القدير" ج1 ص149.

(4) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجرَات: 6].

(5) قال الله تعالى ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 110].

(6) مترددة في النسخة بين "السر" و"الستر".

يمشي أيضاً مني إلى الغير.

عن الحسن البصري ﷺ أن نماما جاء إليه بالنميمة قال إن فلاناً وقع فيك، فقال له الحسن: متى؟ قال: اليوم. قال: أين [رايته][1]؟ قال: في منزله. قال: ما كنت تصنع في منزله؟ قال: كنت له ضيافة. قال: ماذا أكلت في منزله؟ قال: أكلت كيت وكيت حتى عد ثمانية ألوان من الطعام، فقال له الحسن: يا هذا قد وسع في بطنك ثمانية ألوان من الطعام أما وسعت حديثاً واحداً، قم من عندي يا فاسق فإني لا أكافيه أنت الذي قلت في لا هو؛ والله لا أدخل الجنة حتى أشفع له فيدخل معي الجنة.

وقال فيه واحد من يبلغك بشتم عن أخ فهو الشاتم لا من يشتمك، ذاك شيء لم يواجهك به إنما أنت الذنب على من أعلمك[2].

(1) في النسخة كأنها "ارانيه".

(2) جاء في هامش النسخة "واسم الغيبة وهو أن تتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقا تسمى غيبة وإن كان كذبا يسمى بهتانا. صحاح [الجوهري]". انظر "الصحاح" ج2 ص29.

الباب السابع والثلاثون
في وزر من اغتاب الصائم

إذا تقيأ في نهار رمضان وغيره هل يفسد صومه أم لا؟ ذكر في ظاهر الأصول يفسد صومه وهو قول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله، وقال أبو يوسف رحمه الله في نوادره لا يفسد صومه، فدل عليه قول [ابن][1] عباس و[أبي][2] أمامة الباهلي رضي الله عنهما أنهما قالا: الفطر مما دخل والوضوء مما خرج جعلا فساد الصوم بالدخول وههنا يخرج ولا يدخل، وظاهر الأصول ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: من قاء فلا قضاء عليه ومن استقاء فعليه القضاء، وهذا أولى بالأخذ لأنه خاص في بابه والذي ذكره[3] فهو عام.

قال: الغيبة تفطر الصيام، يعني يذهب أجر صومه، ويدل عليه قوله عليه السلام: «الغيبة تأكل صوم الصائم»[4].

وقال أيضاً عليه السلام: «من اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوءه، وإن مات على ذلك مات كالمستحل لما حرم الله تعالى»[5].

وعن مجاهد رضي الله عنه قال: خصلتان من حفظهما في صومه فقد سلم صومه: الغيبة والكذب.

والغيبة أعظم الذنوب بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: 12][6] إلى آخر الآية، ونزلت الآية في شأن رجلين من أصحاب النبي عليه السلام برواية ابن عباس رضي الله عنه وهو يقول: إن

---

(1) ساقطة من النسخة.
(2) ساقطة من النسخة.
(3) جاء في هامش النسخة "أبو يوسف".
(4) لم أجد له تخريجاً.
(5) انظر "روضة المحدثين" ج12 ص136.
(6) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحُجرَات: 12].

النبي عليه السلام يضع رجلين من أصحابه وقت الغزاة ويدفع لهما ثالثا ليخدمهما أفقر منهما، فهو [حينئذ][1] وضع النبي عليه السلام سلمان الفارسي تحت رجلين ليطبخ لهما قدرًا ويهيئ لهما طعاما، فجاء يومئذ ولم يهيئ لهما سلمان الفارسي طعاما عن أمراً حدث له[2]، فقالا اذهب إلى النبي عليه السلام وسل منه طعاما، فذهب وسأل منه طعاما لصاحبيه، فأرسله رسول الله إلى أسامة فما وجد عنده كذلك، فذهب سلمان وأخبرهما فقالا لو بعثناه إلى [بئر][3] سمحية يقول ليس فيها.

فلما دخلا على النبي عليه السلام فقال لهما «مالي أرى [خضرة][4] اللحم في أفواهكما؟» قالا: يا رسول الله ما أصابنا اليوم لكنا بعثناه إليك يسألك إداماً زعم أسامة أنه ليس عنده شيء، فقال لهما «إنكما قد اغتبتما وغيبته من خلفه أكل لحم أخيه ميتا، أتحبان أن تأكلا لحمه ميتا؟ قالا: لا والله يا رسول الله ما نحب ذلك، قال: فكما كرهتما أن تأكلا لحمه ميتاً فلا تغتباه، فإن من اغتاب أخاه المسلم من خلفه فقد أكل لحمه ميتا» ثم نزلت هذه الآية فيهما[5].

قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرازي بإسناد له عن جابر بن عبد الله الأنصاري رحمهم الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ [ارتفعت ريح][6] جيفة منتنة، فقال ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟». قالوا: [الله ورسوله أعلم][7] قال عليه السلام: «هذه ريح الذين يغتابون الناس من المؤمنين»[8].

وحدثنا أبو إسحاق بإسناد له عن أبي نصر عن جابر رضي الله عنهما أنه قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا، قالوا يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا؟ فقال عليه السلام إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه،

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) جاء في الخبر أنه غلبته عيناه فنام. (3) ساقطة من النسخة.
(4) في النسخة "حضرة".
(5) انظر "تفسير الخازن" ج4 ص182.
(6) في النسخة "ارتفع". (7) في النسخة "والله".
(8) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج3 ص351، و"مغاني الأخيار" ج1 ص280.

وإن صاحب الغيبة لا يغفر [له][1] حتى يغفر له صاحبها»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم إليه لحمه يوم القيامة ويقال له كله ميتاً كما أكلته حيا؛ فيأكله فيصيح، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحُجرَات: 12]»[3].

قال: حدثنا القاضي أبو نصر محمد بن عمر العرافي إملاء بإسناد له عن أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتاب أخاه المسلم حول الله قلبه إلى دبره يوم القيامة»[4].

قال: حدثنا أبو الفضل البرمعذري بإسناد له عن عكرمة أن امرأة قصيرة دخلت على النبي عليه السلام، فلما خرجت قالت عائشة ﷺ ما أقصرها وأطيب كلامها، قال عليه السلام: «اغتبتها، قالت عائشة: ما قلت إلا ما فيها، قال عليه السلام: ذكرت أقبح ما فيها، ثم قال: من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله ـ أي تبديل ـ عثراته يوم القيامة، ومن ذب عن أخيه فحقيق على الله أن يعتقه من النار»[5].

حكي أن رسول الله ﷺ كان في منزله وأصحابه في المسجد، فزيد بن ثابت يحدثهم بما سمع من رسول الله ﷺ، فأتى النبي عليه السلام بلحم فقالوا لزيد

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) انظر "كنز العمال" ج3 ص586، و"إحياء علوم الدين" ج3 ص141.

(3) وجدته من غير ذكر الآية الكريمة، انظر "المعجم الأوسط" ج2 ص182، و"الدر المنثور" ج7 ص572.

(4) وجدته برواية (جاره) بدل (أخاه). انظر "تنزيه الشريعة المرفوعة" ج2 ص384.

(5) وجدت الحديث الشريف على مقطعين وليس في رواية واحدة، وبدون ذكر لقصة عائشة ﷺ، انظر "كنز العمال" ج3 ص354، و"تحفة الأحوذي" ج6 ص49.
وجاء في هامش النسخة " عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من تشبه بقوم فهو منهم» يعني من شبه نفسه بالكفار في اللباس وغيره من المحرمات، فإن اعتقد تحليله فهو كافر وإن اعتقد تحريمه فقد أثم كذلك، من شبه نفسه بالفساق ومن شبه نفسه بالنساء في اللباس وغيره فقد أثم، أو شبه به بأهل التصوف وبالصلحاء فهو منهم. قال صاحب [المنخل] أي من شبه نفسه بطائفة في اللباس فهو معدود من زمرتهم. مجموعة".
وجاء في الهامش "الذب المنع والرفع. [صحاح]".

أدخل على رسول الله ﷺ وقل له [إننا لم نأكل][1] اللحم منذ كذا وكذا ليبعث لنا بشيء من ذلك اللحم، قال فلما قدم زيد من عندهم قالوا فيما بينهم إن زيدا لقي النبي عليه السلام كما لقيناه فكيف [يجلس][2] يحدثنا؟!. فلما دخل زيد على النبي عليه السلام وأدى الرسالة قال عليه السلام: «قل لهم قد أكلتم اللحم الآن»، فرجع إليهم فأخبرهم، قالوا والله ما أكلنا منذ كذا وكذا، فرجع إليه وأخبره، فقال عليه السلام: «إنهم أكلوا الآن»، فرجع إليهم وأخبرهم، فقاموا ودخلوا على النبي عليه السلام، قال النبي عليهم السلام: «قد أكلتم لحم أخيكم زيد [واثر][3] اللحم بين أسنانكم فابزقوا حتى ترون حمرة اللحم»، فتابوا ورجعوا عن ذلك واعتذروا إليه وقالوا [ما أردنا][4] بذلك الكلام إلا خيرا[5].

حكي أن واحداً من بعض الأنبياء عليه السلام رأى في المنام أن قيل له إذا أصبحت فأول شيء [لقيك][6] فكله، والثاني اكتمه، والثالث اقبله، والرابع لا تؤيسه، والخامس اهرب منه.

فلما أصبح استقبله جبل أسود عظيم فوقف وتحير هذا، فقال أمر ربي بأكل هذا، ثم رجع إلى نفسه فقال إن ربي لا يأمرني بما لا أطيق به، فلما عزم على أكله ومشى إليه ليأكله صغر ذلك الجبل فلما انتهى إليه وجده لقمة أحلى من العسل، فأكلها وحمد الله تعالى.

ومضى فاسقبله طشت[7] من ذهب قال أمرت بأن أكتمه، فحفر الأرض ودفنه ومضى، فالتفت فإذا له الطشت فوق الأرض، فدفنه ثانياً فمضى غير بعيد فالتفت فإذا هو على وجه الأرض، فدفنه ثالثا فخرج كذلك، فقال إني فعلت ما أمرت به.

فذهب فاستقبله طير خلفه بازي يريد أخذه، فقال: يا نبي الله أغثني فجعله

---

(1) في النسخة "انما لم يأكل".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة كأنها "واقر".

(4) في النسخة كأنها "ماردنا".

(5) لم أجد له تخريجاً.

(6) غير واضح في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(7) هو الطست وسبق شرحه.

في كمه، فجاء البازي فقال: يا نبي الله إني جائع وكنت في طلبه من الغداة حتى أردت أن آخذه فلا تؤيسني من رزقي، فقال في نفسه إني أمرت أن أقبل فقد قبلته ثم أمرت أن لا أؤيس الرابع وهو هذا البازي فكيف أؤيس، فأخذ السكين وقطع من فخذه قطعة لحم ورمى بها إلى البازي ثم أرسل الطير سليما، ومضى فإذا بجيفة منتنة فهرب منها ثم قال: يا رب فقد فعلت ما أمرتني فبيّن لي.

فقيل له أما الأول الذي أكلته فهو الغضب يكون في الأول كالجبل وعند الكظم [يكون][1] أحلى من العسل كما ذقت، والثاني العمل الحسن فإن كتمته فهو يظهر، والثالث فمن ائتمنك بأمانة فلا تخنه، والرابع إذا سألك إنسان حاجة فاجتهد في قضائها وإن كنت محتاجاً إليه، والخامس الغيبة فاهرب من الذين يغتابون الناس.

قيل ما الحكمة أن ريح الغيبة ونتنها كانت تبين في أول الأمة ولا تبين في زماننا؟

قيل إن الغيبة كثرت في زماننا وامتلأت الأنوف منها فلا تظهر الرائحة والنتن؛ كرجل دخل دار الدباغين فلا يقدر فيها لشدة النتن ساعة وأهلها يأكلون فيها طعما ولا تبين لهم الرائحة لامتلاء أنوفهم نتنا[2].

قال خرج أبو الليث البخاري رحمه الله حاجا فجعل في جيبه درهمين وحلف فقال: إن اغتبت في طريق مكة ذاهبا [جالسا][3] فلله علي أن أتصدق بدرهمين، قال فرجع إلى منزله والدرهمان في جيبه، فقيل له في ذلك، فقال: لأن أزني مائة مرة أحب إلي من أغتاب مرة واحدة.

قال أبو الفضل[4] الكبير [لو لم][5] في رمضان أحب إلي من أن أغتاب، ثم

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) جاء في هامش النسخة "روحي بروحك ممزوج ومتصل، فكل عارضة تؤذيك تؤذيني أزال الله عنكم كل آفة. كنون الجمع [. . .] الإضافة".

(3) هكذا جاءت في النسخة.

(4) الراجح أن الناسخ اخطأ هنا وأنه يقصد "أبو حفص الكبير" الذي سبق ذكره.

(5) في النسخة "ان اختم".

قال: من اغتاب فقيهاً جاء يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله، ومن اغتاب فقيهاً كمن اغتاب نبيّاً من الأنبياء؛ ومن اغتاب نبيّاً كان كمن قتل نفسه بغير حق، ومن أُغتيب فبلغه فشق عليه غفر له نصف ذنوبه. فينبغي لصاحب الغيبة أن [يستعين](1) الله تعالى ويتوب قبل [قيامه](2) من المجلس عسى يغفر الله تعالى ذلك.

كما روى سهل عن سهل [الساعدي](3) أن النبي عليه السلام [قال](4) «إذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستغفر الله تعالى فإنه كفارة»(5).

قالت سألت الإمام أبا محمد رحمهم الله إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المغتاب فيه هل تنفعه توبته؟ قال: نعم؛ فإنه تاب قبل أن يصير ذنبا، لأنها إنما تصير ذنبا إذا بلغت إليه.

قلت فإن بلغت إليه بعد توبته؟ قال: لا تبطل توبته بل يغفر لهما جميعاً المغتاب بالتوبة والمغتاب عليه بما لحقه من المشقة.

(1) غير واضحة في النسخة.
(2) في النسخة "القيامة".
(3) في النسخة "الساهدي".
(4) ساقطة من النسخة.
(5) لم أجد له تخريجاً.

الباب الثامن والثلاثون
في الاجتناب عن الشبهات والحرام
وإرضاء الخصم

والمودع إليه إذا استعمل دراهم الوديعة وربح فإن الربح له.

ولو أن رجلاً اشترى عبداً قيمته ألف درهم بألف درهم فلم يقبضه حتى قتله رجل خطأ عند البائع فالمشتري بالخيار، إن شاء قضى البيع واتبع القاتل وأخذ منه قيمة العبد ألفي درهم لأن الملك له ويطيب له الألف الواحدة وهو الثمن ولا يطيب له الألف الأخرى لأنه ربح ما لم يكن في ضمانه، وقد قال النبي عليه السلام لعتاب بن أسيد حين بعثه إلى مكة أميرا «انههم عن أربع عن بيع ما لم يقبض، وعن بيع وسلف، وعن بيع وشرط، وعن ربح ما لم يضمن»[1].

ولو شهد رجلان على رجل أنه كاتب عبده على ألفي درهم إلى سنة وقيمته ألف فقضى القاضي وجعله مكاتبا إلى سنة ثم رجعا فيضمنهما المولى قيمة المكاتب حالاً ثم يرجعان على المكاتب إلى سنة ولا يعتق المكاتب ما لم يؤد إليهما فإنهما قاما مقام المولى، ولا يعتق إلا بعد أدائه إلى المولى كذا، هذا فإن أدى عتق بأداء ويتصدقان بالفضل وهو الألف لأنه ربح ما لم يضمن، والولاء للمولى لأنه هو المعتق.

ومن اغتصب دابة ثم أجرها فإن رد الدابة على صاحبها فالأجر للغاصب ويتصدق به لأنه ربح [مال][2] خبيث لم يوجد من صاحبه الرضا بالتصرف فيه،

---

(1) وجدته بروايات منها انظر «انطلق إلى أهل مكة انههم عن أربع خصال: عن بيع ما لم يقبضوا، وعن ربح ما لم يضمنوا، وعن شرطين في بيع، وعن بيع وشرط». انظر "مسند أبي حنيفة" ج2 ص111، و"سنن البيهقي" ج5 ص339.

(2) في النسخة "قال"، والراجح ما بينته والله أعلم.

فلا يطيب ربحه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البَقَرَة: 188][1] الآية نهانا عزوجل عن تناول مال الغير؛ ومثل هذه الأرباح يدل عليه ما روى ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل لقمة من حرام لم يقبل [له][2] صلاة أربعين ليلة ولم يستجب دعاؤه أربعين صباحا، وإن لحما نبت بسحت فالنار أولى به»[3].

حدثنا أبو بكر بإسناد له عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصاب مالا من حلال فكف به وجهه ووصل به رحمه وقضى به دينه ومن [أفاض][4] به على جاره لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر، ومن أصاب مالا من حلال وكان [مفاخرا][5] مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان، ومن اكتسب مالا من حرام [طوقه][6] الله تعالى يوم القيامة ويدخله النار مع الداخلين ويكون في النار مع المنافقين»[7].

قال: حدثنا أبو الفضل البرمعذري بإسناد له عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين سئل عن علامة المؤمن فقال «أربع: أن يطهر قلبه من الكبر والعداوة، وأن يطهر لسانه من الكذب والغيبة، وأن يطهر عمله من الرياء والسمعة، وأن يطهر جوفه من الحرام والشبهة»[8].

قال سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم يروي بإسناد له عن عون بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان أخوان في بني إسرائيل قال أحدهما لصاحبه: ما أخوف عمل عملته؟ فقال: ما عملت عملاً أخوف مما مرت بين قراحى [سنبل][9]،

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 188].

(2) غير واضحة في النسخة هل هي مكتوبة أم ممحية.

(3) انظر "كنز العمال" ج4 ص15.

(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(5) في النسخة كأنها "مواخر".

(6) في النسخة "طوق"، والله أعلم بالصواب.

(7) انظر "شعب الإيمان" ج7 ص298، و"مسند إسحاق بن راهويه" ج1 ص353.

(8) انظر "تفسير حقي" ج11 ص464.

(9) في النسخة كأنها "سيل".

فأخذت [سنبلة][1] من أحدهما ثم ندمت؛ فلم أدر من أي قراحين أخذتها فألقيتها في إحدى القراحين، فأخاف أن يكون من الآخر فيعذبني الله بذلك. وقال الآخر: أخوف عمل عملته أني إذا قمت إلى الصلاة أخاف أن أكون أحمل على رجل فوق ما أحمل على الأخرى فيعاقبني الله بذلك، وكان أبوهما خلفهما يسمع ما يقولان، فقال: اللهم إن كانا صادقين فاقبضهما قبل أن [يفتتنا][2] قال فماتا جميعاً[3].

عن أبي الدرداء أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة ويقول الله بيني وبينك الحاكم، فيقول ما أعرفك، فيقول أنا أعرفك ألا تذكر يوم كذا إذا مررت بحائطي فأخذت منه تبنة[4] فتخللت بها ثم رميتها وأنا اليوم محتاج إلى منفعتها، رد علي حقي.

عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه عبد الله تعالى سنين كثيرة لم يجد حلاوة العبادة، فدخل على أمه وقال [يا أماه][5] جهدت جهدي ولست أجد حلاوة العبادة فانظري لي هل تناولت حراما؟ فقالت حين كنت في بطني صعدت السطح يوماً فوقع بصري على إجانة[6] في سطح جاري فيها أقط[7] فاشتهيته كما تشتهي الحامل، فتناولت من ذلك مقدار نملة وما قلت لجاري، قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: يا أماه ما هو إلا ذاك، فذهبت إلى الجار فأخبرته بذلك فجعلها في حل، قال أبو يزيد رحمه الله: فوجدت حلاوة الطاعة بعد ذلك.

قال المصنف جزاه الله تعالى عنا خيراً سمعت الإمام محمداً[8] يحكي في

---

(1) في النسخة كأنها "بسنة". (2) غير واضحة في النسخة.

(3) انظر "الورع" لعبد الله بن محمد القرشي البغدادي ص98.

(4) التبن: ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد درسه تعلفه الماشية، واحدته تبنة. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص172، و"لسان العرب" ج13 ص71.

(5) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(6) الإجانة: إناء تغسل فيه الثياب والحوض حول الشجرة. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص15.

(7) الأقط: لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص46.

(8) الراجح أنه يقصد "أبو محمد" الذي سبق ذكره.

عامته عن إبراهيم بن أدهم رحمهم الله أنه كان بمكة فاشترى من رجل تمراً فإذا هو بتمرتين في الأرض ما بين رجليه، فلم يدر من أين وقعت من تمراته أم من تمر البائع، فرفعهما فأكلهما وخرج وذهب إلى بيت المقدس وصعد الصخرة ودخل القبة، والعادة أن الخدم لا يتركون أحداً يبيت الليلة ثمة، فتوارى هو وبقي، فلما توسط الليلة نزلت الملائكة في القبة فقال واحد ههنا حس آدم وريحه، وقال أحد منهم هو إبراهيم بن أدهم زاهد خرسان، فأجابه آخر وقال: الذي يصعد منه كل يوم إلى السماء عمل متقبل؟ قال: نعم غير أن طاعته موقوفة منذ سنة ولم تستجب له دعوة منذ سنة. قال: ولم ذلك؟ قال: لمكان التمرتين عليه، فكان يسمع إبراهيم، فبقي متفكرا حتى تذكر أنه اشترى بمكة تمراً ووجد بين رجليه التمرتين.

قال: فتوجه إبراهيم إلى مكة حتى أتاها وبلغ الحانوت فإذا هو بفتى يبيع التمر، فسأله أن شيخا كان ههنا عاما أول يبيع التمر أين هو؟ فقال الفتى إنه كان والدي فمات رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فقص له القصة من التمرتين، فقال الفتى جعلتك في حل له [من][1] نصيبي؛ وأنت تعلم في حق أختي ووالدتي، فذهب إليهما واستحل منهما فجعلتاه في حل كذلك، ففرح إبراهيم وتوجه إلى بيت المقدس وفعل مثل ما فعل أولاً، فنزلت الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين فقال واحد في القبة حس آدم وريحه، فقال آخر هو إبراهيم بن أدهم وهو مثلنا في الطاعة بل هو أفضل منا وأكثر عبادة، قال آخر الذي لم يقبل له العمل ولا أجيبت دعوته منذ سنة؟ قال: نعم غير أنه أسقطه ما كان عليه من التمرتين وجعله صاحبها في حل وسعة في الحال، فقبل الله تعالى ما كان موقوفا من طاعته واستجاب دعوته ورضي عنه وأعاده إلى درجته التي كانت له، فبكى إبراهيم فرحا، فقال: يا نفس كلي طيباً تعيشي حميدا وتموتي حميدا ثم تُبعثي يوم القيامة حميدا، وكان لا يفطر بعد ذلك إلا بعد سبعة أيام بطعام يعلم أنه حلال بغير شبهة[2].

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) جاء في هامش النسخة قصة لعيسى عليه السلام مع أحد العميان، غير أن الكتابة في الهامش أصابها بلل فمحي بعضها وأصبحت غير واضحة.

سمعت الفقيه أبا نصر أحمد بن محمد التوفاغي يروي بالفارسية عن علي بن أبي طالب رحمهم الله أنه قال: من نظر إلى [الحلال][1] ولم يتناول منه ولم يتمنَّ أن يكون له لم يجد حلاوة الطاعة أربعين يوما، ومن نظر إلى الحرام واشتهاه وتمنى أن يكون له لم يجد حلاوة العبادة أربعين سنة، فكيف من طلب الحرام وتناوله بروايته؟!.

عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: إن أبينا آدم عليه السلام تناول من الشجرة المنهي عنها فأصابه ما أصابه من المحنة وهبط إلى الدنيا، فتقيأ فوقع [قيئه][2] إلى الأرض، فنبت بذلك الشجرة السم فكلأه، ثم تناولت منه الحية فصار ذلك فيها سما، فأصل السم من ذلك التقريب أن آدم كان منهيا عن تلك الشجرة فلما أكل وتقيأ وتولد السم منه، فما تعتقد أنت إن أكلت الحرام وبقي في بطنك؛ ألا يكون موجبا للنار؟!.

وقد روي كذلك عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: لما نزل آدم عليه السلام إلى الأرض وتاب وقبلت توبته وكان بقي في نفسه من قوة تلك الشجرة فجامع حواء بتلك القوة فتولد منه قابيل، وهو الذي قتل أخاه هابيل فأضره الحرام وإن كان قليلا، فكيف حال من كان عامة طعامه حراما أما يضره في الدنيا والآخرة؟!.

قال: سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم يقول: قال معاذ النسفي: بلغنا أن زيد بن أسلم ﷺ أخذ سمكة فحمل بها إلى السوق ليبيعها، فجاء غاصب فغصبها منه فبقي متحيراً، فلم يلبث [أن][3] وقعت الآكلة في يد الغاصب فأراد أن يقطعها، فهتف به هاتف يا هذا لا ينفعك قطعها إلا أن ترضي خصمك، فطلب خصمه فلم يجده، فكان يمشي في الأسواق والبلدان وينادي بأعلى صوته: يا معاشر المسلمين رحم الله من رآني واعتبرني فلا يأخذ مال أحد بغير حق فيبتلى

(1) في النسخة "الحرام" وهذا مخالف للسياق، ولقد صححته حسب اجتهادي والله أعلم بالصواب.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة "إذا".

كما ابتليت ويحرق [في][1] النار غداً.

وقال المصنف: سمعت الفقيه أبا حفص السفكردي[2] يحكي في عامته عن ثابت [البناني][3] ﷺ قال: كانت له ابنة وكان ثابت ينفق عليها، فقالت له يوماً: اتق الله يا أبت انظر حتى لا تنفق عليّ من حرام أو شبهة. وكان ثابت يومئذ شاباً لا يبالي من أين ينفق، فقال لها: يا ابنتاه إذا لم نجد الحلال فمن أين أنفق عليك؟ فقالت: يا أبت الصبر على الجوع خير من الصبر في النار. فأثر عليه قولها فتاب ثابت وبلغ حاله إلى ما بلغ من الزهد والورع، فورع الصغيرة أفاد الغير فكيف أن لا يفيد لصاحبه؟![4].

قال الفقيه نور الله حفرته رأيت في كتاب اللطائف يقول فيه: روي مع [الأخيار][5] أن الملائكة تتعجب من ثلاثة نفر: من المرأة حيث تنعش جنازتها بثوب بعد وفاتها بوصيتها وكانت لا تستر نفسها في حياتها وهي محل الشهوة، وعمن يسمر بعد صلاة [العتمة][6] ولم يشتغل بالعبادة وقد [أمضى][7] يومه

---

(1) غير واضحة في النسخة.

(2) لم أجد له ترجمة، لكن جاء ذكره في "كشف الظنون" ج2 ص1207، 1295.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، والظاهر أنه هو المقصود وذلك حسب ما جاء في أخباره في "حلية الأولياء" ج2 ص321.

(4) جاء في هامش النسخة "روي عن قتادة أن [دانيال] عليه السلام نعت أمة محمد عليه السلام فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا، ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليه الريح العظيم، ولو صلاها قوم ثمود ما أخذتهم الصيحة. ثم قال [قتادة] فعليكم بالصلاة فإنها [خلق] للمؤمنين حسن.

وروي عن النبي ﷺ: يجيء الإسلام يوم القيامة في أحسن صورة فيمر بالمؤمنين فيقولون أي مؤمن هذا ؟. ثم يمر بالصديقين فيقولون أي صديق هذا ؟. ثم يمر بالنبيين فيقولون أي نبي هذا ؟. ثم يمر بالملائكة فيقولون أي ملك هذا لم يكن نرى مثل هذا ولم نسمع حتى يقف بين يدي الله تعالى فيقول: اللهم أكرم من أكرمني وأهن من أهانني. فيقول الله تعالى: من الخلق فانظر من أكرمك وأكرمه ومن أهانك فأهنه ومن أكرمت فقد أكرمته ومن أهنته فقد أهنت عليه، فيحطوا رقاب الناس حتى يأتي عمر بن الخطاب فيعانقه أولا ثم الأورع فالأورع؛ ومن أهانه لم يعانقه. من حياة القلوب".

(5) في النسخة كأنها "الاخيار".

(6) في النسخة كأنها "الفقه".

(7) غير واضحة في النسخة.

يسمر، وعمن غصب أرض غيره بقدر شبر.

قيل إنك لن تفلح إلا بصلاح القلب كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: 89] وصلاح القلب لا يكون إلا بصلاح النفس، وصلاح النفس لا يكون إلا بصلاح الكسب فاتق الله في كسبك فإنه أعظم أمر دينك.

قال الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين رحمهم الله ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النّحل: 68][1] الآية، فلما أكلت طيباً حلالاً صار روثها ورزقها طعاماً للملوك وهو العسل حتى قال الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النّحل: 69]، فكذلك ابن آدم إذا أكل حلالاً لا يكون مقامه إلا الجنة.

قال سمعت الإمام أبا محمد يحيى في عامته بالفارسية عن سهل بن عبد الله التستري رحمهم الله وقد سئل فقيل له: أي الصفوف أفضل في الصلاة؟ قال: كُل حلالاً والبس حلالاً وقف أين شئت فأنت سعيد.

(1) قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النّحل: 68].

الباب التاسع والثلاثون
في التهيؤ لإجابة ملك الموت
وذكر ملك الموت في كل حال

ولو أوصى بثلث ماله لذي قرابته لم يكن لأبيه وابنه من ذلك نصيب بالاتفاق لأنهما ليسا بقرابته بل هما كنفسه، ولابن ابنه وجده نصيب في رواية الزيادات، قالوا وهو قول محمد [خاصة][1]، وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رضي الله عنهما لا نصيب لهما.

ولو أوصى لرجل ولقاتل نفسه لا يجوز للقاتل إلا أن يجيزه الورثة.

ولو أوصى لحربي ومسلم لم يجز للحربي مستأمنا كان أو غير مستأمن، أجازت الورثة أو لم تجز لأن هؤلاء من البر وقد نهينا عن برهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [المُمتحنَة: 9][2] الآية.

ولو أوصى أن يكفن في ثوبين لم يُراعَ شرطه لأنه خالف السنة.

ولو أوصى أن يكفن في خمسة أثواب أو ستة جازت وصيته ويراعى شرطه إن أحب الورثة لأنه زيادة على السنة.

ولو أوصى في قرب فلان الزاهد يراعى شرطه إن لم يضر مؤنة الحمل على الغير لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه لما دنت وفاته أوصى إلى ورثته فقال: إذا أنا مت فاحملوني في جنازتي إلى باب النبي عليه السلام فقولوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فخر البشر يا زين القيامة يا شفيع الأمة يا فاتح أبواب الجنان جاءك خادمك وحبيبك على الباب هل تأذن له الدخول؟، فإن انفتح الباب من غير فتح فضعوني مع النبي عليه السلام على يساره لعل الله يتجاوز عني بحرمة جوار النبي عليه

(1) في النسخة كأنها "حاصة".

(2) قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المُمتحنَة: 9].

السلام. فلما مات فعلوا ذلك فانفتح الباب بنفسه ونودي: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإن الحبيب مشتاق إلى الحبيب، فبان أنه يراعى وصيته في هذا.

وحكي أن رجلاً أوصى إلى ابنه عند وفاته بوصايا من أمواله، فقال الابن: لا أقبل [ذلك](1) ولا أنفذه، فقال له الأب: لم يا بني؟ قال له: لأنك بخلت في ملكك وتجود وتسخو في ملكي.

وقيل إن الابن قام إلى صندوق له فجعل يخرج الأموال، وقال أبوه: ما تصنع؟ قال: أتصدق بها. فقال: اصبر حتى أموت. فقال الابن: أتعجب منك لا تطيب قلبك بالتصدق مع أن إحدى رجليك في القبر فكيف أفعل وأنا صحيح البدن أكول وشروب ذو أمل وحرص؟!(2).

وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «من مات ولم يوصِ فقد مات ميتة الجاهل»(3) وموت الجاهل أن يموت بغير استعداد، فدل بأن التهيؤ للموت بالوصية واجب لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 180-181](4) الآية أي ما فعل الوصي سميع بما قال الموصي نسخت الوصية للوالدين، ولكل من يرث بآية المواريث [وبقية](5) الوصية في الثلث لمن لا يرث لقوله عليه السلام لسعد «الثلث كثير، لأن تدع أولادك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»(6).

---

(1) غير واضحة في النسخة.

(2) جاء في هامش النسخة "في الوصية ويجب أن يعلم أنه من لم يوصِ من ماله الثلث أو الربع أو الخمس [عند الموت] لا يبقى له [قيمة بعد الموت]، ويجب أن يعلم أن [ثواب] الوصية وصدقة الأحياء وهديتهم تصل إلى الأموات وينجو الميت من الأهوال والعذاب. أنيس جليس".

(3) لم أجد له تخريجاً.

(4) البقرة. وجاء جزء من الآية مكتوباً في الهامش وهو غير واضح إن كان تابعاً للنص أم في الهامش، ولقد نقلت الآية كاملة لتكون من النص. وجاء عن قوله تعالى (خيرا) شرح فيه "يعني مالاً".

(5) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(6) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2145، و"سنن النسائي" ج4 ص103.

ثم التهيؤ للموت واجب بدليل ما حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي عليه السلام: «أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خلقا. قال: أي المؤمنين أكيس؟ [قال:][1] أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم استعداداً أولئك الأكياس ثلاثا»[2].

قال حدثنا أبو الفضل محمد أحمد الواعظي بإسناد له عن أنس بن مالك يقول سألت عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام فقالت: «يا رسول الله أيدخل الجنة أحد من أمتك غير الشهداء؟ قال: نعم من يذكر الموت كل يوم عشرين مرة ويستعد له»[3].

روي أن رجلاً قال للنبي عليه السلام أوصني، فقال له «اذكر الموت يغنيك عما سواه، واشتغل باستعداده يغنيك عن عمارة الدنيا، وأكثر الدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك الدعاء، وأكثر الشكر فإنه زيادة»[4].

قال أبو الفضل معاذ النسفي قال أبو إسحاق الكبير: بلغنا أنه كان في بني إسرائيل أخوان ورثا من أبيهما ثلاثة آلاف دينار، فاشترى أحدهما بألف دينار عقارا والأخ الآخر تصدق بألف دينار، ثم اشترى الأول بألف خيولا [وغلمانا][5] وتزوج بأزواج، فقال الآخر إني أشتري كل ذلك من ربي عزوجل فتصدق بالألف الثانية، ثم الأول تجمل بألف دينار فقال الأخ الثاني أنا أريد التجمل في الجنة وهي دار البقاء فتصدق بالألف الثالثة فافتقر فما بقي في يده شيء، وكان الأخ الأول لا يعطيه شيئاً ويعده من المجانين.

فلما حل أجلهما كان الأخ الغني يمشي راكبا فجاء إليه ملك الموت أخذ عنان فرسه، وقال اسكن فأنا ملك الموت أقبض روحك، فقال أمهلوني حتى

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) انظر "شعب الإيمان" ج7 ص351، و"صحيح ابن ماجة" ج2 ص419.
وجاء في هامش النسخة "الكيس خلاف الحمق، والرجل كيس مكيس أي ظريف. صحاح".

(3) انظر "تذكرة الموضوعات" ص213، و"إحياء علوم الدين" ج4 ص290.

(4) انظر "عدة الصابرين" ص117.

(5) في النسخة كأنها "غلمة" ولعله يقصد "غلمانا" أو "غنماً" والله أعلم.

أزور أولادي، فقال لا مهلة، فقال الرجل حتى أصلح حالي وأوصي، فقال لا ثم قبض روحه على فرسه فسقط منكسا على حاله كما هي ـ فنعوذ بالله من تلك الحالة ـ.

ثم ذهب إلى الأخ الثاني فوجده في المسجد، فسلم عليه بالتلطف فأجابه، فقال من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك. فقال: يا ملك الموت مرحبا بك ادن مني واقبض روحي وقربني إلى جوار ربي وخالقي ورازقي ومحيي ومميتي فإني مهيأ لك أنتظر قدومك. قال: ملك الموت قم فأوص، قال: قد فعلت. قال: قم فودع أطفالك. قال: قد فعلت. قال: قم فصل ركعتين، فقام وصلى ركعتين فلما قضى صلاته قبض روحه وهو في الصلاة، فوفقنا الله وإياكم على مثل هذه الحالة وأعاذنا الله وإياكم من الأول.

وعن أبي بكر بن عبد الله المزني يقول كان ملك في الزمن الأول كلما يولد له ولد ذكر ويبلغ مبلغ الرجال لبس الصوف ويتزهد ويترك الملك، فولد له ولد ذكر فاجتمع عنده الوزراء والخلق وقالوا إنك كبرت ولا نريد أميراً إلا من ذريتك، فقال الملك فما تقولون وما تختارون؟ فقالوا اتخذ لولدك موضعا لا يطلع [عليه][1] أحد من الخلق، ففعل ووضع عنده حفاظا، فلما كبر تمنى أن يخرج من ذلك القصر والبستان فأذن له الأب إذ آمن فيه، فخرج فأول ما رأى شيخا [يسيل][2] لعابه على لحيته من غاية كبره، قال الفتى ما أصابه؟ قالوا أدركه الكبر فصار كما تراه، قال: هذا خاص أم للناس عامة؟ فقالوا لا ينفك [عن][3] كل أحد، فقال: عيشي لا خير فيه فلا بد من الاستعداد لهذه الحالة وهم إلى الإعراض عن الملك، فاحتالوا بحيل كثيرة حتى بقي على حاله.

ثم مضى مدة فخرج ثانياً في السنة الثانية فرأى رجلاً مريضا عليه قروح ومضطجعا كما هو عادة المريض، فسأل وقال هذا له خاصة أم للخلق عامة؟ قالوا: بلى عامة، فتنبه ثانياً ثم احتالوا حتى سكنوه.

(1) ساقطة من النسخة.
(2) في النسخة "فسئل".
(3) ساقطة من النسخة.

ثم خرج ثالثا فرأى جنازة [فيها][1] ميت، فسأل فقالوا إنه مات وانقضى أجله، فقال وإلى أين يحملونه؟ قالوا إلى القبر وهو موضع كلنا نصل إليه ونكون فيه حتى تقوم القيامة، قال لحملة الجنازة ضعوه حتى أسأله وأكلمه، فوضعوه فكشف وجهه فإذا شاب طري حسن الوجه، فقال يا شاب ما أصابك؟ فلم يرد عليه بشيء، فقال لأصحابه ما له لا يكلمني؟ فقالوا إنه ميت لا يقدر على الكلام إلا أن يحيه الله تعالى، فذهب فرأى قبره فقال هذا بيته إلى يوم القيامة؟ قالوا نعم، قال له خاصة أم للناس عامة؟ قالوا ما سمعت قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 26]، قال الفتى: الاشتغال بالاستعداد للموت وعمارة هذا البيت أولى بالاشتغال بما نحن فيه، ثم نزل عن دابته وولى هارباً من الدنيا وتوجه إلى العقبى، وترك أباه وما فيه وجعل ينادي لا عيش لمن آخره الموت وسكناه القبر، فمن يعرف الموت والقبر لا يستقر قلبه في الدنيا[2].

قال: سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم يقول [قال][3] يحيى بن معاذ الرازي الساعات ثلاثة: ساعة مضت، وساعة نحن فيها، وساعة مستقبلة، فعلى العاقل أن يجدد من في نفسه لكل ساعة ثلاث خصال: للساعة الماضية أن يقبل عظتها ويعتبر في سرعتها ويندم على ما فاته، وللساعة التي هو فيها أن يتم ما أمر ويرضى بما أعطي ويحذر من التسويف، وللساعة المستقبلة أن يكذب أمله ويقرب أجله ويتهيأ للموت.

قال: سمعت الإمام أبا محمد يحكي في عامته عن عمر بن عبد العزيز أنه سقي سما فمرض مرضاً شديداً، فدخل عليه طبيب فأخذ محبسته فقال يا أمير المؤمنين أرى فيه أثر السم، إيذن لي أصلح [دواء][4] لا يضرك السم، فقال والله والله لو علمت أن شفائي في مسي شحمة أذني ما مسستها حتى يكون موتي أسرع لأني تهيأت له منذ بلغت مبلغ الرجال.

قال: سمعت الإمام أبا محمد بن محمد الفضل يحكي عن بلال ﷺ لما

(1) في النسخة "فوقه".
(2) وهذه القصة تشبه قصة بوذا.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

أخذ في النزع اجتمع عليه أولاده وامرأته جالسة ما يلي رجليه وهي تقول واحزناه واويلاه، قال ففتح بلال عينيه فقال لها إلى متى تقولين واحزناه قولي واطرباه فإني قصدت إلى الأحبة محمد ﷺ وحزبه، فالحزن لمن بقي في الدنيا بعدهم ولمن قصدهم الطرب، فقالت يا بلال ألا تخاف الموت؟ قال اسكتي كيف أخاف وقد كنت أستعد له منذ أسلمت[1].

قال رجل لحاتم أوصني، فقال: كن آمناً برزقك محارباً لعدوك مستعداً للموت.

قال بعض العلماء الحكماء علاج القلب أربعة: العلم، والجوع، وحزن [للنجاة][2] في الآخرة، وحفظ الموت.

قال أبو الفضل قيل لأبي بكر الصديق ﷺ كيف أصبحت؟ قال أصبحت عبداً ذليلاً لرب جليل مستعداً للموت ناظرا له.

قال أبو حفص السفكردي قال رجل لإبراهيم [البسكري][3] كيف أصبحت؟ قال والله لا أدري كيف أصبحت إلا أني أعلم أن الموت أمامي ولا أدري الله تعالى راض أم عليّ ساخط؟

قال رجل للحسن البصري رحمه الله كيف حالك؟ فتبسم الحسن ثم قال: ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم وتعلق كل إنسان منهم بخشبة، فهم على أي حال؟ قال الرجل على حال شديد، قال الحسن حالي أشد من حالهم الموت يجري، والحياة سفينتي، والذنوب خشبتي فكيف يكون حال من وصفه هذا؟!.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم ﷺ كيف أصبحت؟ قال أصبحت في [أجل منقوص][4] وعمل محفوظ والموتى في [فنائنا][5] والنار من ورائنا ولا ندري ما يفعل بنا؟

---

(1) جاء في هامش النسخة "المراد من الخراب أصحاب رسول الله عليه السلام".

(2) في النسخة "النجاة" والله أعلم بالصواب.

(3) مترددة في النسخة بين "البشكري" و"البسكري".

(4) في النسخة "أحد منقوض". (5) في النسخة "قنائنا".

قال بعض الحكماء ينبغي للمكاسب حتى يكون مقتديا بالصالحين الذين اكتسبوا [ستاً:][1] أوله علم جامع بأمر الدنيا والآخرة حتى يكون عالماً بفرائض الله تعالى فيما أمر ونهى مجتنبا الحرام والشبهات، والثاني النصيحة للبر والفاجر والصغير والكبير، والثالث الثقة بالله تعالى في جميع ما يحتاج لنفسه في دنياه ودينه، والرابع تصحيح الحجة في الدنيا بما يسعى في أمر دنياه وآخرته ليوم الوقوف والعرض بين يدي الرحمن إذ يقال له من أين اكتسبت وفيما أنفقت وعلمك من أين تعلمت به فماذا عملت به، والخامس الإنفاق بما عنده في طاعة الله تعالى من غير إسراف وإقتار، والسادس التمني للموت في حال وحين حتى يأتيه ملك الموت لا يريد التأخير حتى يكون من أمر دنياه مفروغ وأمر دينه محكوم.

جاء رجل إلى حكيم فقال له علمني شيئاً، فقال له أيها الرجل أي علم تريد إن شئت علمتك علم الأحياء، أو علم الأموات، أو علم أصحاب الجنة، أو علم أصحاب النار؟ فقال أو تقدر على ذلك كله؟ قال: الحكيم: نعم، قال: علمني، قال: أما علم أهل النار فإنهم إذا دخلوها يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فَاطِر: 37]، فكلما يشتهون الخروج للعمل لا يزيدهم إلا عذابا، فقد أعطانا الله تعالى فعلينا أن نغتنم ذلك ونعمل قبل لكي لا ندخل.

وأما علم أهل الجنة فإنهم إذا دخلوا الجنة ويرون نعيمها ولذتها يرون أعلاهم تتجلى لهم منها كالكواكب الدرية، فيتمنون حياة الدنيا ليزيدوا في الأعمال الصالحة فيكونوا من أصحاب العليين، وما يتمنون فيها فنحن فيه، فواجب أن نغتنم ذلك ونعمل ما يتمنى ثمة.

وأما علم الموتى فانظر إذا وضع الميت في قبره ما يشتهي، لا يشتهي إلا ما أعطانا الله تعالى، يتمنى يوماً من الحياة الدنيا ليصلح به عمله، وكل ما يتمنى الميت في قبره فنحن له قادرون فعلينا أن نغتنم ذلك.

---

(1) ساقطة من النسخة، أو كلمة أخرى سقطت والله أعلم.

وأما علم الأحياء المبادرة والاستعداد للموت ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنَافِقون: 10][1] إلى آخرة السورة.

(1) قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنَافِقون: 10].

الباب الأربعون
في سكرات الموت ومرارته عند الموت

قال: ومن أكرهه السلطان بقتل أو قطع يد أو رجل أو غير السلطان في مفازة ليلاً أو نهاراً وفي العمران ليلاً على شرب الخمر وأكل الميتة يسعه تناولها ولا يهلك نفسه لأن النفس لها حرمة بدليل ما قاله ابن مسعود ﷺ لشاب ينصحه إن لنفسك عليك حقًّا فارفق بنفسك.

فلو قالوا له: لنضربنك سوطا أو سوطين لم يسعه أن يفعل ذلك، فإن كان هذا الإكراه من غير السلطان في عمران نهاراً فيها سكان يعينونه إن استعان بهم لم يصح الإكراه ولا يسعه إتيان ما أكره عليه عند أبي حنيفة ﷺ، وقالا[1] رحمهما الله إذا جاء من غير السلطان ما يجيء من السلطان من القتل وغيره يسعه إتيان ما أكره عليه.

ستة لا يصير الإنسان بها مكرهاً: الطلاق، والنكاح، والعتاق، والرجعة، والرضاع، والوطء من الرجل والمرأة فإنه يصير وطئا حتى يثبت عليه أحكام الوطء من الغسل وغيره.

ومن أكرهه السلطان بحبس أو قيد في عقود المعاوضات مثل البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغيرها سوى الستة التي ذكرناها صار مكرها ولا يصح ذلك عليه، لأن هذه العقود لا تصح إلا بالرضا والرضا ههنا معدوم فلم يصح لحديث علي وابن مسعود ﷺ موقوفا ومرفوعا عنه أنه قال: الحبس كره والقيد كره ومن أكره على أن يزني أو يقتل مؤمناً فالأفضل أن يعطي نفسه ولا يفعل لأن قتل المؤمن والزنا حرام لا يباح عند الضرورة كالاعتقاد بالكفر، ولأنه لما تناول هذه المحظورات عند الإكراه أن لا تلحقه المشقة وتعب النفس وذلك في تناولها أكثر في العقبى بدليل ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا تكرهوا

(1) والظاهر أنه يقصد الصاحبين محمداً وأبا يوسف.

[الشدة][1] بالنزع فإنه إنما يشتد على المؤمن يزيل عنه خطاياه ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا الموت»[2]، فترك إتيان المحظور لطلب نعيم الآخرة أولى من راحة قليلة في حياة لا يستقر بها والموت تحيد لا محالة كما قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [قٓ: 19].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ في النزع وجبرائيل عليه السلام جالس عند رأسه [يره][3] النبي عليه السلام ولا ينصره نحن[4] فسمعت النبي عليه السلام يقول «يا جبرائيل ـ عليه السلام ـ أنت صديقي وحبيبي تراني في هذه الشدة وأنت تعرض عني؟ فقال جبرائيل: يا محمد أنا صديقك وأنا عارف بمرارة النزع ولا يحب الحبيب أن يرى حبيبه في الشدة فلذلك أعرضت عنك»[5].

قال الشيخ المفسر الحسن بن محمد بإسناد له عن أبي ميسرة عن النبي عليه السلام أنه قال: «لو أن شعرة من وجع الميت لو وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا جميعاً، وإن في يوم القيامة سبعين هولاً، إن أدنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفاً»[6].

قال سمعت أبا الفضل محمد [بن][7] نعيم يروي عن الفضيل بن عياض قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت أريد أن أقبض روحك. قال: أنظرني حتى أستعد له، فرجع ملك الموت فقال الرب تبارك وتعالى لملك الموت قل لموسى ضع يدك على شاة ولكل شعرة تحت يدك سنة تعيشها، فأتاه ملك الموت فأخبره، قال: ثم ماذا؟ قال: الموت. قال: الآن فناوله ريحانة فشمها فقبض روحه. فرؤي في المنام فقيل له كيف

---

(1) في النسخة كأنها "شد" والله أعلم بالصواب.
(2) لم أجد له تخريجاً.
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(4) هكذا جاءت في النسخة والظاهر أن الناسخ أسقط كلمة هنا، أو زاد كلمة "نحن" والله أعلم.
(5) لم أجد له تخريجاً.
(6) انظر "تفسير حقي" ج1 ص242، و"إحياء علوم الدين" ج4 ص463.
(7) ساقطة من النسخة.

وجدت مرارة الموت؟ فقال: كما ينزع الشعر من الصوف المبلول.

وعن عمر بن عبد العزيز ﷺ أنه قال لواحد أكثر ذكر مرارة الموت فإنك لا تكثر ذكره عند واسع من العيش إلا ضيقه عليك ولا عند ضيق من العيش إلا وسعه عليك.

قال رجل لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق ـ رحمهم الله ـ أخبرني عن أعظم ساعة وأشدها ترد على ابن آدم في الدنيا والآخرة، فقال: أعظم ساعة ترد عليه في الدنيا عند خروج روحه إذا شخصت عيناه، [وانتشرت][(1)] منخراه، وتقلصت شفتاه، واضطربت وجنتاه، [وعرقت][(2)] جبينه، واشتد أنينه قد عاين ما قدم من أعماله وحزن على ما خلف من أمواله وبطل ما سلف من آماله، وقد [استرخت][(3)] مفاصله وتقطعت أوصاله وجافاه [أخاه][(4)] وتفرق عنه أقرباؤه وودعه ملكاه، إن يحلم لم يسمع وإن ندم لم ينفع وبقي متحيراً قد تغير عقله ويقلب قلبه ويمكن الشيطان من [احتباسه][(5)] وقوى من وسواسه، قد عانقته [الموت][(6)] وغلق عليه باب التوبة، ألم تسمع قوله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النِّسَاء: 18][(7)] إلى آخر الآية، وأفضل ما تكلم العبد به في ذلك الوقت بكلمة الإخلاص: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله.

وأما أعظم ساعة ترد عليه في الآخرة فإذا نفخ في الصور، وبعث من في القبور وعظم [العِلقُ][(8)] وعلق الخلائق في العرق وتعلق المظلوم بالظالم، وكان الشهود الملائكة والسائل الله تعالى، والعذاب في جهنم والنعيم في الجنة،

---

(1) في النسخة كأنها "والسرب". (2) في النسخة "وعرفت".
(3) في النسخة "استرحت"، والله أعلم بالصواب.
(4) في النسخة "اخاف"، والله أعلم بالصواب.
(5) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، ولعل المراد كلمة أخرى والله أعلم.
(6) غير واضحة في النسخة.
(7) قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاء: 18].
(8) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها. وجاء في هامش النسخة "العلق عجيب وداهية".

ووضعت كل ذات حمل حملها فريق في الجنة وفريق في السعير، وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً[(1)].

عن وهب بن منبه عن جده إدريس قال: إني وجدت في بعض الكتب أن عيسى عليه السلام قال لأمه إن هذه الدار دار فناء ودار زوال وانقطاع والآخرة دار بقاء، فتعالي يا أماه نأخذ من هذه الدار الفانية إلى الباقية، فانطلقا جميعاً إلى الجبل الأحمر وقال بعضهم إلى جبل لبنان، فكانا فيه يصومان النهار ويقومان الليل، أكلهما من ورق الأشجار وشربهما من ماء الأمطار فمكثا بذلك زمانا طويلا.

ثم إن عيسى عليه السلام هبط ذات يوم الجبل إلى بطن الوادي ليلتقط الحشيش والبقول لإفطارهما، فلما هبط جاء ملك الموت وهي معتكفة في محرابها، قال: السلام عليك يا مريم الصائمة القائمة، فغشي على مريم من هول ملك الموت، ثم أفاقت فقالت: من أنت؟ فإن جلدي قد اقشعر من صوتك واضطربت منك فرائصي وارتعدت جوارحي وطار عقلي وثبت من [مكاني][(2)] وتغير من مخافتك لوني وصرت مغشيًّا عليّ.

فقال: أنا الذي لا أرحم الصغير لصغره ولا أقر الكبير لكبره أنا الذي لا أستأذن على الملوك ولا أهاب الجبابرة، أنا مخرب الدور والقصور ومعمر

---

(1) جاء في هامش النسخة "يقال شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه. صحاح"، "الوجنة ما ارتفع من الخدين. صحاح".
وجاء في الهامش: "وبين الله تعالى حال المؤمنين المطيعين بقوله: ﴿وَسِيقَ﴾ أي ساق ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ حال عين جماعة جمع زمرة بمعنى أمة، أي فوجا فوجا سريعا في تفرقة بعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب اليسير وبعضهم بعد الحساب الشديد بحسب مراتبهم.
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ جواب إذا، أي [اطمأنوا] عند مجيئهم الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ الواو للحال، أي وقد فتحت أبوابها بدلالة قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [صٓ: 50]، وقيل هو جواب إذا والواو [زائدة] للإيذان بأنها كانت مفتحة قبل مجيئهم مكرمة لهم.
وقيل يساق الكفار إلى [النار...] وإهانة لهم، ويساق المؤمنون إلى الجنة سريعا ليصلوا إلى [المعد] لهم فيها تكرمة لهم بدار الكرامة والرضوان. شيخ شهاب الدين".

(2) في النسخة "مكان".

القبور، أنا المفرق بين الجماعات وبين الأخوة والأخوات والآباء والأمهات، أنا قابض الأرواح.

قالت: يا ملك الموت أزائر جئت أم داعيا؟ فقال: بل داعيا فاستعدي للموت. قالت: أفلا تأذن لي حتى يرجع حبيبي وقرة عيني وثمرة فؤادي وريحانة خلدي فأتزود منه ومن ريحه ويتزود مني ومن ريحي؟ قال لها: لم أؤمر بذلك، وإنما أنا عبد مأمور والله تعالى لا يجوز(1) في حكمه؛ والله ما أستطيع أن أقبض روح بعوضة حتى يكون ربي هو الذي يأمرني بذلك، فقد أمرني جل جلاله أن لا أزيل قدما عن قدم حتى أقبض روحك في موضعك هذا. قالت له: يا ملك الموت سلمت لأمر الله تعالى فامض لما أمرك الله، فدنا منها وقبض روحها وصعد بروحها إلى السماء.

وأبطأ عيسى عليه السلام في ذلك الوقت فلم [يأتها](2) حتى دخل العشاء الأخير، فلما صعد الجبل ومعه الحشيش والبقل نظر إليها وهي نائمة في محرابها، فظن أنها أدت الفريضة وسكنت إلى بعض الليل لتستعين به على العبادة، فوضع الحشيش واستقبل المحراب ولم يزل قائما حتى مضى ثلث الليل، فلما نظر إلى أمه [على](3) حالها جاء حتى وقف عليها فنادى بصوت حزين من قلب محزون: السلام عليك يا أماه قد هجم الليل وأفطر الصائمون ووقف العابدون، فمالك الليلة لا تقدمين على عبادة الرحمن جل جلاله؟ فرجع إلى نفسه فقال إن لكل رقدة حلاوة للعين حظا والله [لأدعن](4) أمي تتلذذ بنومها [ولأصلين عنها وردها](5).

---

(1) لعل الأصل "يجور"، وجاء في هامش النسخة "[أي] لن يرجع في حكمه. تفسير أبو الليث".

(2) في النسخة "يأته".

(3) ساقطة من النسخة.

(4) في النسخة "لا ادعهن".

(5) في النسخة "ولأصلين عنها في وردها". جاء في هامش النسخة "﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ﴾ [الزُّمَر: 73] أي ثمة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزُّمَر: 73] أي طهرتم من الذنوب وطابت لكم الجنة ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: 73] [حال] مقدرة، فإذا دخلوها ورأوا ما أعد لهم فيها أعجبوا سروراً". وجاء في هامش النسخة "وهجم الشدة، أي دخل. صحاح"، "والرقدة: النوم المضطجع، وأرقده أنامه. صحاح".

ثم استقبل المحراب فكبر ولم يأكل شيئاً يريد بذلك بر أمه بالإفطار معها، فلم يزل قائما حتى مضى الثلث الثاني من الليل [يفكر في][1] حالها، وجاء حتى أشرف عليها وناداها بصوت خفي وقلب مغموم: السلام عليك يا أماه، ثم ذكر أولاً فرجع واستقبل المحراب، فلم يزل قائما حتى طلع الفجر.

فلما دنا الفجر جاء إليها ووضع خده على خدها وفمه على فمها ووضع يده على مخرج نفسها وهو ينادي: السلام عليك يا أماه، حملتني في بطنها وأرضعتني من ثديها وأسهرت ليلتها وقد مضى الليل وأقبل النهار وهذه فريضة الرحمن قد حضرت فأديها، فبكت الملائكة فوق السموات وبكت الجن من حوله وارتعد الجبل وضج البكاء من تحته، فأوحى الله تعالى إلى الملائكة ما يبكيكم؟ قالوا إلهنا أنت أعلم بما ترى روحك وكلمتك، فأوحى الله تعالى إنه [. . .][2] وأنا أرحم الراحمين، فإذا مناد ينادي: يا عيسى ـ عليه السلام ـ ارفع رأسك فقد ماتت أمك فأعظم الله أجرك في مريم.

فجعل عيسى عليه السلام يبكي ويقول: من لوحشتي، ومن لوحدتي، ومن أنسي في غربتي، ومن يعينني على عبادة ربي جل جلاله؟ فأوحى الله تعالى إلى جبل أن كلم روحي بالموعظة، فإذا الجبل ينادي: يا روح الله ما هذا الجزع؟ أتريد مع الله أنيسا وتريد مع الله غير الله؟

ثم هبط من ذلك الجبل إلى قرية من قرى بني إسرائيل، فنادى بصوت حزين السلام عليكم يا بني إسرائيل، فخرجت ذوات الخدور فقلن من أنت يا عبد الله الذي قد أضاء حسن وجهك دورنا؟ فقال: أنا روح الله تعالى، إن أمي ماتت غريبة فأعينوني على غسلها وكفنها ودفنها، قالوا: يا روح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعي والحيات لم يسلكه آباؤنا ولا أجدادنا منذ ثلاثمائة عام فهذا الحنوط والكفن، فولى عنهم مغضبا ولم يأخذ شيئاً، فصعد الجبل فإذا هو [بشابين جميلين][3]، فسلم عليهما فردا عليه، ثم قال لهما: إن أمي ماتت غريبة في هذا

---

(1) في النسخة "افكر".
(2) في النسخة كأنها "يعتبر"، ووجدتها في بعض المراجع بلفظ "روحي وكلمتي".
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

الجبل فأعينوني في تجهيزها، فقالا له: بذلك أرسلنا من عند ربك جئنا أنا جبرائيل وهذا ميكائيل وهذا الحنوط وهذه الأكفان، يا عيسى أعرض بوجهك فإن الحور العين هبطن عليها لغسلها.

فأعرض عيسى بوجهه فهبطت الحور العين من الجنة فغسلنها وكفنها وشق جبرائيل عليه السلام قبرها في الجبل وجعل رأسها مما يلي القبلة، ثم صلى عليها عيسى عليه السلام وجبرائيل وميكائيل مع الملائكة عليهم السلام.

فلما دفنوها وعرجوا إلى السماء قال عيسى عليه السلام: اللهم قد ترى مكاني وتسمع كلامي ولا يخفى عليك شيء من أمري؛ فإن أمي ماتت ولم أشهدها عند وفاتها فأذن لها تتكلم معي أسألها عما أريد، فأوحى الله إني قد أذنت لها في الجواب فاسأل ما بدا لك.

فجاء عيسى عليه السلام فوقف على قبرها فناداها بصوت حزين: السلام عليك يا أماه. فأجابته من جوف القبر: حبيبي وقرة عيني لم أخرجتني من قصور ربي؟ لم أزعجتني من مكاني؟ قال لها: يا أماه كيف وجدت مقيلك ومصيرك؟ وكيف رأيت القدوم على ربك؟.

قالت: حبيبي مقيلي خير مقيل ومصيري خير مصير، قدمت إلى رب عظيم فوجدته راضيا غير غضبان. قال: يا أماه كيف وجدت طعم الموت؟ قالت: والذي بعثك بالحق واصطفاك بالرسالة ما ذهب مرار الموت من حلقي ولا خشونته من لساني وإن معاينة الموت بين عيني، فعليك السلام إلى يوم القيامة.

وإذا[1] اشترى الرجل شيئاً وأجل في الثمن يجوز، أو اشترى بثمن مؤجل يجوز، ولكن إذا مات قبل طول الأجل حل أجله ويؤخذ المال من تركته، ولصاحب الحق أن يطالبه وللبائع أن يأخذ الثمن أو عين ماله إذا كان قائماً لأنه مات المشتري أو المديون فقد تم أمره وحان وقت حسابه ومطالبته بالديون.

(1) على حسب السياق يظهر أن هذا باب آخر مشابه للباب السابق، وذلك لأن المؤلف يفتتح كل باب بفتاوى ثم يذكر بعد ذلك الفوائد.

وقد ورد النهي [عن][1] البيع ببينة[2] وهو ما حدثنا به الإمام أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن أبي سعيد الخدري رحمه الله أنه قال: اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليدة[3] بمائة دينار إلى شهر، قال أبو سعيد رضي الله عنه سمعت النبي عليه السلام [يقول][4] «ألا تتعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة طويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي فظننت أن سفرتي يلتقيان حتى أقبض، ولا رفعت طرفي إلى السماء فظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة فظننت أني أسيغها حتى أغص بها من الموت. ثم قال: يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا[5] أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»[6].

وقوله تعالى يدل على ذلك ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ﴾ [الأنبيَاء: 35] وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: 30] يعني ميتون وأمتك يموتون.

عن [قريب][7] قال حدثنا الفقيه الزاهد أبو يوسف بن يعقوب بإسناد له عن مجاهد بن عمر قال: أخذ النبي عليه السلام بمنكبي وقال «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ثم قال: يا ابن عمر إذا أصبحت فلا تنتظر المساء فإذا أمسيت لا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»[8].

وذكر عبد الله بن المبارك في صدر كتاب الرقائق رحمهما الله قال النبي عليه السلام: «اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[9].

---

(1) في النسخة "من".

(2) الظاهر أن الناسخ حرف هذه الكلمة، وذلك لما يقتضيه السياق القادم.

(3) جاء في هامش النسخة "الوليد: الصبي والعبد. صحاح"، "الوليدة: الصبية والأمة. صحاح".

(4) ساقطة من النسخة.

(5) جاءت مكررة في النسخة.

(6) انظر "مسند الشاميين" ج2 ص365.

(7) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(8) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2358، و"صحيح ابن حبان" ج2 ص471.

(9) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص341، و"شعب الإيمان" ج7 ص263.

قال سمعت الإمام أبا محمد يحكي عن أبي جعفر بن محمد بن علي الباقر رحمهم الله يقول كان فيما وعظ به لقمان لابنه يا بني لو كنت في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك، فإنك إذا فكرت في ذلك علمت أن نفسك بيد غيرك، فإن النوم بمنزلة الموت وأن اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت.

قال: حدثنا أبو عثمان سعيد بن محمد الاسروشني بإسناد له عن وهب بن منبه ﷺ أنه قال: بلغنا أن إبراهيم خليل الرحمن مر ببقعة من بقاع الجزيرة فرأى أرضا ملساء وتربة طيبة، قال ما أهيأ هذه الأرض لو وجدت الماء توضأت وصليت لربي ركعتين!. فبعث الله تعالى حية بيضاء فضربت بذنبها على الأرض فاستبان نهر ثجاج [فيه ماء أبيض][1]، قالت الحية: السلام عليك يا إبراهيم، إن الله تعالى بعثني لأجلك فأين تأمرني؟ قال: [تنحي عني وعن الفرات][2] حتى أتوضأ وأصلِّي ركعتين، فتنحت الحية وتوضأ إبراهيم عليه السلام وصلى ركعتين ثم انصرف إلى الشام، ووقع في نفسه: هل أحد أكرم على الله مني ولا أعرف أحداً أزهد مني. فأوحى الله تعالى إليه أنت أكرم عليّ ومحمد أكرم منك، وأما قولك ليس أزهد مني فانطلق إلى جبل لبنان واصعد على [تلة][3] الجبل.

قال: فصعد فرأى فيها رجلاً طوله خمسمائة ذراع بذراع نفسه، فسلم إبراهيم فرد عليه، ثم قال إبراهيم: من أنت؟ قال: أنا هود بن سام بن نوح. قال الرجل لإبراهيم: ومن أنت ومن لم تخبره؟[4]. قال: إني آتيك زائرا ومسلما آتيني بشيء فآكله، قال: فتنحى العابد ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنزل علينا مائدة من السماء نكرم به ضيفنا. قال: فإذا المائدة نزلت وفيها عسل ولبن ممزوج بالزنجبيل[5] مغطاة بمنديل، فأكلا من الطعام حتى شبعا وشربا من أشراب حتى رويا.

---

(1) في النسخة "فيها ماء بيضاء" والله أعلم بالصواب.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة كأنها "قلة".

(4) الظاهر أن الناسخ حرف كلمة أو أسقطها هنا.

(5) جاء في هامش النسخة "أي طعم الزنجبيل [. . .]. أبو الطيب".

فقال: ما طعامك إلا طعام الملوك فأين مأواك؟ قال: في وسط هذا الماء؟ قال: أرني مكانك. قال: طريقي على رأس الماء وأنت لا تقدر. قال: أمشي معك. قال الزاهد: وكيف تمشي وقعرها بعيد حتى إن نوحاً في زمانه نجر لوحا من ألواح السفينة وانقلبت القدوم[1] من يده فلم تبلغ قعره منذ ألفي سنة، وإن في أسفل هذا الجبل كهفاً فيه لبؤة ومعها شبلان ولها فم كالوادي وأسنان كالأساطين[2] ولها عينان كأنهما جمرتان، ومن عنقها إلى ذنبها خمسمائة ذراع ومن وركها إلى وركها مائتا ذراع ومن الأرض إلى بطنها ثلاثمائة ذراع فإذا زأرت زأرة تزلزلت الأرض، فإن قدرت أن تنظر إليها ولا تفزع منها فإنك تقدر أن تمشي معي على الماء.

قال إبراهيم عليه السلام أرني مكانها، فأراه من البعيد، فذهب إبراهيم عليه السلام نحو اللبؤة حتى بلغ إليها، فأرادت أن تزأر فقال إبراهيم: اسكني يا لبؤة وإلا أضربك بعصاي هذه وأدعو الله عليك وعلى شبلك. فقالت اللبؤة: يا خليل الله أنت أكرم على الله من أذاك، فرجع إبراهيم.

فقال العابد إني أشهد أن تمشي على هذا الماء؛ فجعلا يمشيان جميعاً فجاوزا البحر، فأخذ العابد بيد إبراهيم فأدخله مسكنه فرأى فيه قصعة وحصيراً خلقاً وعصا يابساً، فقال له: وما تصنع بالقصعة والعصا؟ [قال:][3] أما الحصير فأتوسد به وأصلي عليه، وأما القصعة أحمل بها من ماء البحر فأغسل بها رأسي

---

(1) جاء في هامش النسخة "نجر الخشبة ينجرها نجرا ينحتها. صحاح"، "الكهف كالبيوت [. . .] في الجبل، والجمع الكهوف، ويقال فلان كهف أي ملجأ. صحاح".
القدوم: آلة للنجر والنحت. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص355.

(2) الأسطوانة: العمود والسارية (ج) أساطين. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص37.

(3) ساقطة من النسخة.
وجاء في هامش النسخة "وعن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم عليه السلام أول من اختتن، وأول من أضاف الضيف، وأول من [استحد]، وأول من قلم الأظفار، وأول من قص الشارب، وأول من شاب فلما رأى الشيب قال: ما هذا يارب؟. قال: وقار. قال: يارب زدني وقاراً.
وكذا هو أول [من] خطب على المنابر، وأول من ثرد الثريد، وأول من ضرب بالسيف، وأول من [استاك]، وأول من استنجى بالماء، وأول من لبس السراويل. مجموعة".

ولحيتي، وأما العصا فأركزه في الصخرة فيثمر بأمر الله تعالى.

قال إبراهيم: أرني، فركزه في الصخرة كما يركز إصبع في العجين، ثم قال أثمر بإذن الله تعالى، فتغصن بإذن الله أربع أغصان على الواحد تمر، وعلى الثاني عنب، وعلى الثالثة تين، وعلى الرابعة رمان فأكلا حتى شبعا، ثم قلع فصار يابساً كما كان أولاً، فقال إبراهيم: ما أتعجب إلا من عصاك، قال: ألا أريك بأعجب من هذا؟ فأخذ من يده فأدخله في كهف فإذا فيه [سرير](1) من ذهب وقوالة(2) من فضة وعليه [حسبانة](3) بعضها على بعض وعليها شاب غض طري يشبه النائم وهو ميت وعلى رأسه لوح من ذهب مكتوب عليه بالفضة: أنا ملك ذي سلم ملكت ألف سنة وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ومت بعد ذلك ولم أجد محيصا من الموت، فإياكم أن تغركم كما غرتني.

فقال العابد: ارفع من هذه [الجواهر](4)، فقال إبراهيم: لا حاجة لي فيها. قال: فلم ذلك؟ قال: إني أموت كما مات هذا ويبقى مني هذا [ولكن لي](5) إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أريد أن تدعو الله تعالى لعل الله أن يغفر لي بدعائك. قال: إني سألت ربي منذ أربعين سنة ولم يقضِ حاجتي ولست أسأله حاجة سوى ذلك. قال له: وما سألته؟ قال: مررت ذات يوم على شاطئ البحر فرأيت غلاماً غضا طريا حسن الوجه والخلق له [ذريتان](6) يضربان على عجزه وهو يتأذى من وسط الناس رب أرني وجه إبراهيم خليلك، فسألت عن الغلام فقالوا هو إسماعيل بن إبراهيم، فمنذ حينئذ أسأل ربي عز وجل أن يريني

(1) في النسخة "سريرة".
(2) هكذا جاء في النسخة ولم أجد له شرحا في القواميس.
(3) في النسخة كأنها "حشابا" وجاء في هامشها "أي وسادة"، وأقرب شكل مشابه لهذه الكلمة في القواميس هو: الحسبانة وهي الوسادة الصغير، والمحسبة وهي الوسادة من الأدم. انظر "لسان العرب" ج1 ص314.
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(5) في النسخة "ولكني".
(6) في النسخة كأنها "ذوايتان" والله أعلم بالصواب.

إبراهيم، قال عند ذلك: أنا إبراهيم، فاعتنقا وبكيا، ثم قال إني أريد الرجوع إلى إسماعيل فادع الله تعالى [طريقي][1] بدعائك، فدعا له فطول الله تعالى الطريق حتى وصل إسماعيل وإسحاق [ولقي][2] بعضهم بعضا، ثم كلهم ماتوا فكيف أن لا نموت؟![3].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له إملاء عن [. . .] رحمهما الله أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «اذهب وارتحل ثم ائتني [فذهب][4] ثم جاء فأناخ بباب المسجد، فخرج رسول الله ﷺ ومشى معه زيادة من الميل، ثم قال له: أوصيك يا معاذ بتقوى الله، وإيفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحم اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، وخفض الجناح، وكظم الغيظ، ولزوم الإيمان، والتفقه بالقرآن [وحب][5] الآخرة، وإياك أن تشتم مسلماً وأن تصدق كاذباً وأن تكذب صادقا وتطيع آثما وأن تعصي إماماً عادلاً، وأوصيك أن تذكر الله تعالى عند كل شجر وحجر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية، ولو

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) في النسخة "ويلقى".

(3) الظاهر من سياق نهاية القصة أن الناسخ أسقط أو حرف بعض الكلمات.
وجاء في هامش النسخة "إن إبراهيم عليه السلام أضاف [. . .] مجوسي، فلما أكلوا [قال:] إن لي حاجة، أسجد لربي مرة، [. . .] فسجدوا جميعا، فلما وضعوا رؤوسهم على الأرض ناجى إبراهيم ربه: إلٰهي جهدت حتى أحملهم على هذا ولا طاقة لي فوق هذا وإنما التوفيق بيدك، اللهم اشرح صدورهم بالإسلام. فرفعوا رؤوسهم [من] السجود فأسلموا جميعا. مطالع الأنوار".
وجاء في الهامش "ابن الجوزي في كتاب روضة المشتاق إلى الملك الخلاق: إن الخليل عليه السلام نزل به رجل من عباد النار، فأضافه وأكرمه، فضحكت الملائكة في السموات فقالوا: يا ربنا خليلك يكرم عدوك. فقال لهم جلت قدرته: يا ملائكتي أنا أعلم بخليلي منكم، ثم أمر جبريل عليه السلام وقال يا جبرائيل انزل إليه واعرض [قول] الملائكة، فنزل وعرض عليه، فبكى إبراهيم عليه السلام وقال: يا جبرائيل قل لمولاي منك تعلمت، رأيتك تحسن لمن أساء إليك فتعلمت منك. [. . .]".

(4) في النسخة "فاذني"، والله أعلم بالصواب.

(5) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

كنت أرى أنا نلتقي قبل يوم القيامة يا معاذ ما قصرت في الخطبة ولكن لا أرى أنا نلتقي قبل يوم القيامة.

يا معاذ إني أحب لك ما أحب لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي. يا معاذ إن أحبكم إليّ من [القيني][1] يوم القيامة على مثل [الحالة][2] الذي فارقني عليها»[3].

قال معاذ: ثم رجع النبي عليه السلام وذهبت، فأقمت بين ظهرانيهم اثنتي عشرة سنة، فبينما أنا نائم ذات ليلة كأنه أتاني آت فقال أتنام ورسول الله بين أطباق الثرى، ففزعت من ذلك وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم صليت الليلة، فلما كانت الليلة الثانية أتاني كذلك وقال أتنام يا معاذ ورسول الله ﷺ قد فارق من الدنيا وصار بين أطباق الثرى، وأراني أنها ليست من الشيطان.

قال فقام معاذ فزعا وصاح حتى شعر به أهل اليمن، فلما أصبح اجتمع إليه أهل اليمن فقال: رأيت رؤيا إيتوني بالمصحف لأني رأيت رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا [. . .] بالقرآن، فأخذها معاذ فأول ما رأى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: 30] وصاح صيحة ثم غشي عليه، فلما أفاق أخذ المصحف فرأى قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّسَاء: 78] فصاح أخرى ثم غشي عليه، فلما أفاق أخذ المصحف فرأى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ﴾ [آل عِمرَان: 144][4] الآية فصاح يا أبا القاسماه ويا محمداه ويا أحمداه مات رسول الله ﷺ [ورب][5] الكعبة.

ثم خرج من اليمن راجعا إلى المدينة وترك أهل اليمن، وقال أهل اليمن إن كان ما رأيت حقًّا فقد هلكت الأرامل واليتامى والضعفاء والمساكين وصرنا كالغنم بلا راعي، ثم رفع صوته وهو ينادي [واحزناه][6] واويلاه لفراق محمد

---

(1) غير واضحة في النسخة.
(2) في النسخة "الحال".
(3) انظر "الموضوعات" لابن الجوزي ج3 ص184، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص313.
(4) قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 144].
(5) في النسخة "رب".
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

عليه السلام، فأبكى الناس ثم وقف معاذ حتى رجع أهل اليمن ثم ذهب وهو يبكي ويقول يا محمداه ليت شعري أين أنت أفوق الأرض أم تحتها؟

فلما دنا ـ أي قرب ـ المدينة مسيرة ثلاثة أيام إذا هو بها هاتف يهتف في وسط الوادي ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: 57][(1)] فدنا معاذ فقال: أيها الهاتف من أنت؟ قال: أنا عبد الملك الأنصاري صاحب رسول الله عليه السلام، فقال معاذ: ما فعل حبيبي محمد رسول الله؟ قال: قد فارق الدنيا، فغشي على معاذ، فجعل عبد الملك ينادي حق لك أن يغشى عليك.

فلما أفاق رفع كتاب أبي بكر الصديق ﷺ إلى معاذ وعليه خاتم النبي عليه السلام، فلما رآه معاذ جعل يقبل الخاتم ويضعه على عينيه ويقول: [. . .] من كان له هذا الخاتم، فوقف معاذ طويلا وعبد الملك يبكيان، ثم مضيا نحو المدينة.

فلما خرجا من الوادي إذا راعٍ يرعى الغنم ومعاذ يبكي، فقال الراعي: مالك تبكي؟ قال: زعموا أن محمداً عليه السلام قد مات، فلما سمع راعي الغنم ذلك ضرب بعصاه الأرض وجعل يبكي، فلما انفجر الصبح بلغا المدينة فإذا هو بلال يؤذن: الله أكبر الله أكبر؛ أشهد أن لا إله إلا الله، فلما قال: وأشهد أن محمداً رسول الله بكى بلال بصوت رفيع فغشي على معاذ وكان سلمان الفارسي قائماً عند بلال، فقال: يا بلال ارفع صوتك محمد رسول الله، فهذا معاذ قد غشي عليه، فصاح بلال حين فرغ من الأذان ثم نزل وأتى معاذ وقال: يا معاذ السلام عليك ارفع رأسك وقد سمعت الحبيب محمد عليه السلام يقول «اقرأوا مني معاذ السلام»، فرفع رأسه وصاح صيحة ظنوا أن نفسه قد خرجت.

فلما أفاق طاف بأهل بيت رسول الله ﷺ وبلغ روضته عليه السلام فبكى بكاء شديداً، فلو أن أحداً يمهل لكان ذلك محمداً ﷺ، فواجب علينا أن نستعد للأمر [لا][(2)] محالة يقع.

قال سمعت أحمد بن محمد يقول قال محمد بن كعب القرظي: بلغنا أن الله

---

(1) في النسخة (كل نفس ذائقة).

(2) ساقطة من النسخة.

تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام وقال: يا موسى لا تسأل مني أربعا فإني لم أعطها لأحد قبلك ولا بعدك: لا تسأل مني كل الغنى فإنك لا تجده فإن الله تعالى الغني وأنتم الفقراء، ولا تسأل علم الغيب فإن الغيب لا يعلمه إلا الله، ولا تسأل مني أن أكف لسان الخلق عنك فإني خالقهم ورازقهم ومميتهم ومحييهم وباعثهم ومجازيهم بالجنة أو بالنار ولم أكف لسانًا عني فكيف أكف عنك؟!، ولا تسأل البقاء والحياة أبداً فإنك لا تجده فأنا الدائم الباقي(1) وإنك مخلوق ولا بد من الموت كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 26-27].

قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عمر المطوعي بإسناد له عن كعب الأحبار ﷺ قال لما خلق الله تعالى الموت على صورة كبش أملح، قال: اذهب إلى صفوف الملائكة على هيئتك هذه [فانشر](2) الأجنحة فاتح العين، ففعل ذلك فلم يبق ملك إلا غشي عليه ألفي عام، ثم أفاقوا فقالوا: يا ربنا ما هذا؟ فقال الله تعالى هذا هو الموت. قالوا: ربنا على من؟ قال: كل نفس ذائقة الموت. قالوا: ربنا ولم خلقت الدنيا؟ قال: ليسكن فيها بنو آدم. قالوا: فلم خلقت النساء؟ قال: ليكون من أولادهنّ نسل؟ قالوا: يا ربنا ما نظنهم عقلاء [يسلط](3) عليهم هذا الموت وهم مشتغلون بالنساء والدنيا، فقال الله تعالى: إن طول الأمل يغلب عليهم فينسيهم الموت حتى يكونوا آخذين الدنيا وشهوة النساء.

قال [سمعته](4) أيضاً يحكي عن عبد الله [بن](5) المبارك أنه كان يجلس للعامة يوماً فإذا هو [بمجوسي](6) قائم على رأس القوم والناس يكرهون قيامه عندهم، ففطن عبد الله لكراهتهم فناداه وقال مُجلسا لم لا تسلم؟ قال: إني رأيت المسلمون لأربعة أشياء خلقوا: أولها يقولون: الآخرة خير من الدنيا ثم يطلبون

---

(1) انظر "تفسير حقي" ج10 ص190. (2) في النسخة كأنها "فاشرة".
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(4) في النسخة "سمعت". (5) ساقطة من النسخة.
(6) في النسخة كأنها "مجوسي".

الدنيا ويتركون الآخرة، والثاني يقولون الفقر عند الله أحب من الغنى ويحبون الغنى ويكرهون الفقر، والثالث يقولون المرض عطية الله تعالى وهو خير للمؤمن من الصحة ويشكون من المرض إلى خلق الله، والرابع يقولون الموت حق ومبلّغ إلى جوار الله تعالى ثم يكرهون الموت، فلهذا لا أسلم.

فقال عبد الله: هم يقولون باللسان ويصدقون بالقلب ويتركون العمل بما يقولون ولا يكذبون قولاً يتركون فعلاً، وأنت تكذب ذلك في كله قولاً وفعلاً، فقال المجوسي: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قال رأيت في كتاب داود بن منصور الوراق يقول فيه قال شقيق البلخي رحمهم الله: لا يغيب المؤمن عن أربعة أشياء: عن علم الله فإنه يكون عند المؤمن حيث ما كان، وعن رزقه فإنه يأتيه رزقه حيث ما كان، وعن قضاء الله تعالى فإنه يدركه وإن [حذر منه](1) نفسه ومن الموت فإنه يصيبه لا محالة.

وفيه أيضاً أنه قال رجل لحاتم الأصم: أوصني. قال: لا تتفكر عما مضى إلا عن الذنب فإن جميع ما مضى يعدم إلا الذنب فإنه مثبت وجديد في ديوانك ولا تلم إلا نفسك فإنما هي التي ظلمتك ولم يفعل أحد في حقك مثل ما تفعل هي فيك، ولا تتفكر فيما يستقبل من الأمور إلا من الموت فإنه آت إليك لا محالة(2).

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) جاء في هامش النسخة "[أخرج] البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال رسول الله ﷺ «مثل الجليس الصالح والسوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير» الذي ينفخ في الكير وهو شيء ينفخ [فيه] الحداد ليشعل النار، «فحامل المسك إما أن [يحذيك]» أي يعطيك «وإما أن تبتاع منه» أي تشتري منه «وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك [وإما] أن تجد ريحا خبيثة».
والمراد من هذا الحديث أن مجالسة الصلحاء تنفع في الدنيا والآخرة لأنك تجد منهم التربية و[تعليم] الخير وتصل إليك بركتهم يحسن صيتك بين الناس بأن يقال: فلان مجالس الصلحاء. ومجالسة الفساق يعكس هذا. قال [. . .] وفيه إشارة إلى [الرغبة] في صحبة الصلحاء والعلماء فإنها تنفع في الدنيا والآخرة والاجتناب عن صحبة الأشرار والفساق فإنها تضر [دينا ودنيا] انتهى" .

الباب الحادي والأربعون
في ذكر الموت أيضاً

رجل تزوج بامرأة وخلا بها في الطريق ينظر فإن كان الطريق مسلوكا لا تصح الخلوة وإن غير مسلوك فلم يكن معهما أحد ومانع آخر تصح، ويلزمه المهر

ولو ماتت قبل الدخول كمل مهرها ويجب العدة عليها إن مات الرجل منها وإن كان قبل الدخول لأن الموت يتم الأمور كما قال علي بن أبي طالب ﵁: كل من مات تم أمره وقامت قيامته، بدليل أن من قصد أمراً ولم يتمه فمات فيكون حقه تاما عند الله تعالى؛ وإن الموت لا محالة يأتي كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ﴾ [الجُمُعَة: 8][1] الآية.

ويدل عليه ما روى فضيل بن عياض أن الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ: «يا محمد أحبب من الدنيا ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك غداً لاقيه وعش ما شئت فإنك ميت عن قريب»[2].

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري ﵁ يقول: كان لداود النبي عليه السلام عادة وهي يقسم أيام الجمعة، فكان يحكم ما بين الناس ثلاثة أيام، ويطوف بين نسائه ويعبد الله تعالى في الخلوة يومين، فكان يوماً في العبادة في الموضع الذي يعبد؛ وكان الموضع مرتفعا من الأرض، فجاء إليه ملك الموت عليه السلام وأراد أن ينزع روحه [. . .] فقال له داود أمهلني حتى أنزل فأستعد، فقال أنا عبد مأمور وقد استوفاك رزقك وأجلك فنسيت أيامك وساعاتك وأنفاسك، فقبض روحه تلك الساعة وما أمهله، فعلم أن الموت يأتي بغتة ولم [يمهل][3] الأنبياء

(1) قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجُمُعَة: 8].

(2) انظر "المعجم الأوسط" ج5 ص119، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص27.

(3) في النسخة "يهمل" وسوف أصححه في الموضع القادم تلقائيا.

فكيف أن [يمهل] غيرهم؟!. فاستعدوا له قبل أن يأتي.

وعن ابن عباس ﷺ أن إدريس النبي عليه السلام كان أول نبي من الأنبياء من بعد آدم صلوات الله عليه، وكان إدريس جد أبي نوح عليه السلام، وكان من أشد الناس اجتهادا وعبادة، وكان يرتفع له كل يوم من الأعمال مثل عمل نصف أهل الدنيا فطمع [بالجنة فلم يجدها][1] إلا بعد ذوق الموت ورؤية النار والقصة مشهورة.

واختلف الناس في حال إدريس أنه يموت بعد هذا أم لا يموت؟

قال بعضهم لا يموت لأنه ذاق الموت كما ذكر في القصة ويحشر الناس في قبورهم يوم القيامة ويحشر إدريس عليه السلام من الجنة ولا نأخذ هذا القول.

وقال بعضهم بل يموت لا محالة، وإدريس عليه السلام ذاق طرفا من الموت ولم يذقه كله.

وقال بعضهم [لن][2] يموت لأنه ذاق الموت.

وقال بعضهم إنه لا يدخل الجنة فإن الجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخل محمد رسول الله ﷺ، واختلفت الروايات.

والأصح أنه لا يموت في الجنة لأن الجنة ليست بموضع يجري فيها الموت، ألا يرى أن النوم لا يكون في الجنة لمشابهة الموت؟![3].

---

(1) في النسخة "الجنة فلم يجد" والله أعلم بالصواب.

(2) في النسخة "لم" والله أعلم بالصواب.

(3) جاء في هامش النسخة "وعن بعض القدماء أنه قال مات أخ لي، فرأيته في المنام بعد عام فقلت له: يا أخي ما فعل الله بك؟. قال: الآن دفن عندنا معروف الكرخي فأعتق عن يمينه ثلاثون ألفا؛ وعن شماله ثلاثون ألفا؛ ومن بين يديه ثلاثون ألفا؛ ومن خلفه ثلاثون ألفا [رحمه الله].

واعلم أن جار الميت يتأذى بجار السوء إذا دفن عنده كما يتأذى الحي، وقد جاء [. . .] بذلك.

حكى بعض الصالحين من القراء مات له ولد صالح يقرأ القرآن، [فكان] الوالد كلما حضر عنده قبره [فنظر. . .] ولده معه [. . .] على هذه الحالة مقدار [. . .]، فلما كان بعد سنة انقطع الولد من القرآن، فتم سنة لم يقرأ مع والده شيئا، فلما مضت السنة=

. . . .

= قرأه معه، فأخذ الولد يتعجب وسأل الله [أن] يرى ولده في المنام لكي يسأله عن ذلك، فرآه في تلك الليلة فسأله عن قراءته معه وكيف انقطع عنه مدة سنة. فقال: يا أبت من الله علي أسمع قراءتك وأقرأ معك إذا قرأت ببركة العمل الصالح ودعائك لي، و[أما] سبب انقطاعي عنك في المدة المذكورة التي [ذكرت] لم أسمع قراءتك فإنه دفن عندي فلان؛ فمن كثرة عقوبته وصياحه في المدة التي ذكرت لم أسمع قراءتك، فإلى بعد سنة تركوه إلى يوم الحساب فانقطع صياحه فسمعت قراءتك فقرأت معك، نفعنا الله ببركة الصالحين وحشرنا جميعا في زمرة سيد المرسلين، وقد جاء في الحديث «التمس الجار [قبل] شراء الدار»". انظر "الحديث في "مسند الشهاب" ج1 ص412.

الباب الثاني والأربعون
في صفة القبر والتزوُّد إليه

لا يجعل في القبر الآجر والخشب لأن هذا للبقاء وما يوضع في القبر للبلي والفناء يدل [عليه][1] قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [قٓ: 1-2] قال الضحاك بن مزاحم[2]: وهو جبل من زبرجد اخضرَّ فاخضرت السماء منه؛ ليس من مدينة في الدنيا إلا وفيه عرق من عروق هذا الجبل وملك موكل [يضع][3] يده على تلك العروق، فإذا أراد الله تعالى بقوم هلاكا أوحى الله تعالى إلى ذلك الملك فيتحرك عرقا من عروقها فيخسف بأهلها وينطلق الشياطين إلى جبل قاف فيأخذون من الزبرجد فينثرون في الدنيا لكي تفتتن به.

وسبب نزول الآية أن الكفار أنكروا البعث والنشور بعدما يصيرون في القبور ترابا كما يحكي عنهم الله سبحانه وتعالى ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصَّافات: 16] فالمقر والمنكر لا يجحد أنه يصير ترابا كما كان، فالاستعداد للقبر ليس باللآجر الخشب ولين الأكفان بل [استعداده][4] بالعمل الصالح والسيرة المرضية والإعراض من الدنيا الدنية كما يروي مكحول الشامي عن عياض بن غنم رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ أنه قال: «إن خيار أمتي فيما نبأ به الملأ الأعلى في الدرجات العلى قومٌ يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم

(1) ساقطة من النسخة.

(2) الضحاك بن مزاحم (105 هـ): الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر. كان يؤدب الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار! وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم). له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان. انظر "الأعلام" ج3 ص215.

(3) غير واضحة في النسخة بسبب محي أحرف من الكلمة.

(4) في النسخة "استعاده".

ويبكون سرا من خوف شدة عذاب جهنم ويذكرون ربهم بالغداة والعشي، مؤنتهم على الناس [خفيفة][(1)] وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض [حفاة][(2)] أقدامهم دبيب النمل من غير فرح ولا [بذخ][(3)] ويمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة، يلبسون الخلقان ويتبعون البرهان ويتلون القرآن ويقربون القربان، عليهم من الله شهود حاضرة وأعين حافظة ونعم ظاهرة، أجسادهم في الأرض وأعينهم في السماء، أقدامهم في الأرض وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا هم الآخرة، قبورهم أمامهم ومقامهم عند ربهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14]»[(4)].

وقوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التّكاثُر: 1-2][(5)] ويعد لمن لم يتهيأ للموت.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [التّكاثُر: 3] يعني لو دخلتم القبور.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [التّكاثُر: 4] أي لو خرجتم من قبوركم.

﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التّكاثُر: 5] أي محشركم إلى ربكم.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التّكاثُر: 6-7] أي حق اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التّكاثُر: 8] أي من بارد الشراب [وظلال المساكن][(6)] وتشبع البطون ولذاذة النوم[(7)].

---

(1) في النسخة "كبيرة".
(2) في النسخة "خفاة".
(3) في النسخة "تراح".
(4) انظر الحديث في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" ج1 ص461.
(5) قال الله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التّكاثُر: 1-8].
(6) في النسخة كأنها "وخلال المساكين".
(7) انظر "الدر المنثور" ج8 ص611. ولقد كانت هذه السورة الكريمة سببا لدخول محمد أسد للإسلام كما يروي في قصة حياته.
وجاء في هامش النسخة "اعلم أن عذاب القبر حق بدليل قوله تعالى: =

قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «بئس العبد عبد بغى [. . .] وعتى ونسي المقابر والبلى»[1].

قال حدثنا أبو إسحاق الرازي بإسناد له عن عبد الله بن يحيى رضي الله عنهما أنه قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «القبر أول منزل من [منازل][2] الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، فإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، ثم قال رسول الله ﷺ ما رأيت منظراً قط إلا والقبر [أفظع][3] منه»[4].

= ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: 46]، ويقول النبي عليه السلام «الميت يعذب ببكاء أهله»، وسبب [هذا] الحديث أن رجلا وصى لامرأته عند الموت وقال: أوصيك إن مت أن تأتي كل يوم إلى قبري وتبكي، فمات ذلك الرجل وكانت المرأة كل يوم تأتي إلى قبره وتبكي عليه، فمر النبي عليه السلام يوما من الأيام على المقبرة ورأى تلك المرأة تبكي على قبر ذلك الرجل والرجل يعذب في قبره بسبب وصيته ذلك، فلذلك قال النبي عليه السلام «الميت يعذب ببكاء أهله»، فعلم بذلك أن عذاب القبر حق. أنيس جليس".
وجاء في الهامش "أي لا ينفعكم التكاثر في الأموال والأولاد و[. . .] في الحسب والنسب"، "وفيه إضمار معناه لو تعلمون ماذا يفعل بكم يوم القيامة على اليقين ولا شك فيه ما شغلكم التكاثر والتفاخر لترون الجحيم.
قال مقاتل بن حيان القسم مضمر فيه [والله] لترون الجحيم".
وجاء في الهامش "من قرأ سورة (ألهاكم التكاثر) في فريضة كتب له ثواب [مائتي شهود] ووضع [معه] فريضة أربعين من الملائكة إن شاء الله تعالى، ومن قرأها في نافلة كتب [له] ثواب خمسين شهيداً. وقد سمعنا من بعض العلماء يقول مات أبوه وأمه وهما عنه غير راضين [فقرأ] ألف مرة ألهاكم التكاثر [وجعل] ثوابها لوالديه فرضي الله تعالى عن أبويه". وجاء في الهامش "عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاث من لا يحاسب الله تعالى مع عباده يوم القيامة طعمة يقيم بها صلبه، وكسوة يستر بها عورته، وبيت يسكنه من الحر والبرد»". "وقال ابن عباس رضي الله عنه: النعيم الأمن والصحة والفراغ في الدنيا. [قال] محمد بن كعب القرظي: يعني لتسألن يومئذ عن النعيم بأن جعلناكم من أمة محمد عليه السلام [. . .]".

(1) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص351، و"شعب الإيمان" ج6 ص287.
(2) في النسخة (منزل). (3) في النسخة "اقطع".
(4) انظر "الزهد" لهناد ج1 ص211، و"شعب الإيمان" ج7 ص352.

وعن عثمان ﷺ أنه كان إذا وصفت عنده النار لم يكن يبكي، وإذا وصفت القيامة لم يكن يبكي، وإذا وصف القبر يبكي، فقيل له ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن كنت في النار كنت مع الناس، وإذا كنت في القيامة كنت مع الناس، وإذا كنت في القبر لم يكن معي أحد، وإن مفتاح القبر مع إسرافيل عليه السلام وفتحه يوم القيامة.

وكان يقول: من كانت الدنيا سجنه فيكون القبر راحته، ومن كانت الدنيا جنته فالقبر حبسه، ومن كانت الحياة قيده فالموت إطلاقه، ومن ترك نصيبه في الدنيا استوفاه في العقبى.

وكان يقول: خير الناس من ترك الدنيا قبل أن تتركه وأرضى ربه قبل أن يلقاه وعمّر قبره قبل أن يدخله.

قال: حدثنا أبو الفضل بن محمد بن نعيم بإسناد له عن محمد بن كعب القرظي يقول: دخلت على عمر بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى فنظرت إليه فقال: يا ابن كعب لم تنظر إليّ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين قد تغير شعرك ولونك وجسدك، فبكى وقال له: كيف لو رأيتني في قبري بعد ثلاثة أيام قد وقعت عني وجنتي[1] وفمي على صدري ويخرج الدود من منخري !. فلم يزل يبكي وأبكاني.

قال معاذ النسفي ﷺ بلغني أن القبر ينادي كل يوم إلى صاحبه بأربع خصال: يا هذا تزود لنفسك من الجماعة لهذه الوحدة، ومن السعة لهذا الضيق، ومن غناك لهذا الفقر، ومن النور لهذا الظلم. فإذا دفن العبد تكلم معه فيقول: ماذا وجهت لنفسك؟

قال معاذ النسفي: قال حاتم الأصم: كن وصيّ نفسك ووجه إلى قبرك من الأعمال الصالحة مثل الجبال، فإنك تنام على ما تفترش لنفسك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الرُّوم: 44][2] يعني يفترشون.

---

(1) جاء في هامش النسخة "الوجنة الخدين. صحاح"، "روي أن آدم عليه السلام لما قبض نزل جبرائيل عليه السلام بالملائكة [غسلوه]، وقالوا لولده هذه سنة [مولاكم. والمراد] بالسنة الطريقة لأن غسله واجب عملا. مجموعة".

(2) في النسخة (فلنفسه).

قال سمعت الفقيه الزاهد أبا إسحاق إبراهيم بن إسحاق يحكي عن الحسن الطويل رحمهم الله أنه قال: غسلت ثابت البنان وأدرجته في كفنه ثم قلت لابنته: انظري إلى وجه أبيك فإن هذا آخر رؤيتك. قالت: دع والدي فإنه عبد الله تعالى حق عبادته. قال: فدفناه ثم نظرت إلى قبره قبل فراغي من تسوية اللبن فلم أر منه شيئاً، فرجعت إلى داره وقرعت الباب على ابنته، فخرجت وقالت: اختلس والدي؟ فقلت: ويحكي بماذا عرفت ولم أخبرك؟ قالت: لأنه كان يسأل الله تعالى بعد فراغه من العبادة: اللهم لا تدعني في القبر فريداً وحيداً.

قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بإسناد له عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يمر على مقابر المسلمين إلا قال أهل القبور يا غافل لو علمت ما نعلمه نحن لذاب لحمك وجسدك كما يذوب الثلج في النار»[1].

قال قرأت على أبي الفضل البرمعذري في كتاب زهد أن إبراهيم بن الأشعث روى فيه بإسناد له عن ابن عباس رضي الله عنه يقول: إذا كان يوم عيد أو جمعة أو يوم عاشوراء أو ليلة النصف من شعبان تخرج أرواح الأموات من قبورهم ويقدمون إلى أبواب بيوتهم، فيقولون هل من أحد يرحم عن غربتنا يا من سكنتم بيوتنا بما به وشقينا؛ ويا من سكنتم في أوسع قبورنا ونحن في أضيق قبورنا؛ ويا من استذللتم أيتامنا ويا من نكحتم نساءنا هل من أحد يتفكر في غربتنا وفقرنا؟!. كتبنا مطوية وكتبكم منشورة فارحموا على أنفسكم.

قال المصنف [جزاه الله عني][2] خيراً سمعت الفقيه أبا الحسن محمد بن الحسين يروي في عامته بالفارسية عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه [كان][3] جالساً على باب داره إذ مرت به جنازة خلفها أناس وتحت الجنازة بنية صغيرة وهي تبكي، فقام الحسن وتبع الجنازة، فقال البنية نادية: لم يستقبلني يوم مثل يومي هذا، فقال الحسن: لأنه لم يستقبل لا يبكي يوم مثل هذا، فصلى الحسن على

(1) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.
(2) في النسخة كأنها "جزاء عني".
(3) ساقطة من النسخة.

الجنازة ورجع.

فلما كان من الغد وجلس الحسن على باب داره إذ هو بتلك البنية تبكي وتذهب إلى قبر أبيها زائرة له، فقال هذا البنية حكيمة اتبعها عسى أن تتكلم بحكمة تنفعني فتبعها، فلما بلغت قبر أبيها اختفى الحسن عنها، فعانقت البنية قبر أبيها ووضعت خدها على التراب وهي تقول: يا أبت أسرجت لك ليلة أول من أمس فمن أسرج لك البارحة؟!، يا أبت افترشت لك ليلة أول من أمس فمن [فرش][1] لك البارحة؟!، يا أبت إني سقيتك ليلة من أمس فمن سقاك البارحة؟!، يا أبت غمزت يديك ورجليك ليلة أول من أمس فمن غمزها البارحة؟!. يا أبت قلبتك من جنب ليلة أول من أمس فمن قلبك البارحة؟!، يا أبت ناديتنا ليلة أول من أمس [فأَجَبنا][2] ومن دعوت البارحة ومن أجابك؟!، يا أبت أطعمتك ليلة أول من أمس حين اشتهيت الطعام فماذا اشتهيت الطعام البارحة ومن أطعمك؟!، قال فيك الحسن واظهر[3] نفسه وتقرب منها وقال لها: يا بنية لا تقولي هذا ولكن قولي: وجهتك إلى القبلة فبقيت كذلك أم حولت إلى غير القبلة؟ كفناك بأحسن الأكفان فبقيت عليك أم نزعت عنك؟ ووضعناك في القبر وأنت صحيح البدن فبقيت كذلك أم آكلتك الديدان؟ يا أبت إن العلماء يقولون يسأل العبد في القبر عن الإيمان فمنهم من أجاب ومنهم من لا يجيب آجبت أنت عن الإيمان أم حرمت عن الجواب؟ يا أبت العلماء يقولون يوسع القبر على البعض ويضيق على البعض أضاق القبر عليك أم وسع؟ يا أبت العلماء يقولون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فصار عليك روضة أو حفرة؟ يا أبت إذا ناديتك أجبتني فطال ما أناديك ولا أسمع صوتك، يا أبت غبت غيبة لا نلتقي إلى يوم القيامة اللهم لا تحرمني لقاءه يوم القيامة.

فقالت للحسن البصري: يا أبت من أحسن ما تنوحت أبي، وعظتني ونبهتني عن نومة الغافلين، ثم رجعت.

---

(1) في النسخة "فرس".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) قد يكون الناسخ أسقط كلمة هنا.

قال واحد من العظماء رأيت في المنام كأني دخلت المقابر فإذا أنا بأهل القبور نيام في قبورهم وقد شققت الأرض عنهم، فمنهم النائم على التراب ومنهم [على][1] السرير ومنهم على الحرير والديباج، فقلت يا رب لو سويت بينهم في الكرامة، فنادى منادٍ من أهل القبور يا حجاج بن الأسود هذه منازل الأعمال ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الرُّوم: 44].

قال رأيت في كتاب اللطائف يقول: قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من أهل القبور»[2].

قال عمر بن دينار[3] صحبت [سالم][4] بن عبد الله بن عمر من مكة فأتينا على مقبرة، فقال: السلام عليكم يا أهل القبور من كان من المسلمين والمؤمنين. قلت يسلم عليهم هكذا. قال: نعم سمعت أبي سلم عليهم هكذا.

قال: سمعت أبي يقول: أقبلت من مكة على ناقة ومعي إداوتان[5] من ماء فمررت بهذه المقبرة، فخرج رجل من القبر يشتعل من قرنه إلى قدمه ناراً وفي عنقه سلسلة تشتعل نارا، فجعل يقول يا عبد الله صب عليّ من الماء، فلا أدري قوله "يا عبد الله" يدعوني باسمي أو لدعوته الرجل الذي لا يعرفه "يا عبد الله"

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) انظر "إحياء علوم الدين" ج4 ص485، و"شعب الإيمان" ج7 ص355.

(3) عمرو بن دينار (126 هـ) عمرو بن دينار الجمحي بالولاء، أبو محمد الأثرم: فقيه، كان مفتي أهل مكة. فارسي الأصل، من الأبناء. مولده بصنعاء، ووفاته بمكة. قال شعبة: ما رأيت أثبت في الحديث منه. له خمسمائة حديث. انظر "الأعلام" ج5 ص77.

(4) في النسخة "سام" ولم أجد له ترجمة في التراجم، بل وجدت "سالم"، والله أعلم بالصواب.
سالم بن عبد الله (106 هـ): سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي: أحد فقهاء المدينة السبعة (3) ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم. دخل على سليمان ابن عبد الملك فما زال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره. توفي في المدينة. انظر "الأعلام" ج3 ص71.

(5) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء (ج) أداوى. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص22.

فينا، إذ خرج رجل من القبر وأخذ بطرف السلسلة وقال: لا تصب عليه فلا تكرمه، فمده حتى انتهى به إلى القبر ومعه سوط مشتعل بالنار يضربه حتى أدخله القبر.

عن أنس بن مالك ﵁ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[1].

(1) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2388، و"صحيح مسلم" ج8 ص211.

الباب الثالث والأربعون
في سؤال [منكر ونكير][1] في القبر

وإذا دفن الرجل فنسي في القبر ثوباً لرجل أو درهما ينبش القبر ويدفع ذلك الشيء لأن النبي عليه السلام نهى عن إضاعة المال وفي تركه تضييع.

وإن وضع الميت بغير كفن فإنه لا ينبش لأن التكفين سنة والدفن فريضة، فلا يرجع من الفريضة إلى السنة.

ولو [دفن][2] بلا غسل لا ينبش كذلك.

وإذا دفن الميت قبل الصلاة عليه صلى على قبره إلى ثلاثة أيام لا بعده.

وإن مات الميت ولم يدفن أياما ثم دفن، متى يُسأل في القبر أم في البيت؟ اختلف المشايخ، قال بعضهم لا يسأل ما لم يدفن لأن الآثار الواردة في سؤال منكر ونكير إنما وردت في القبر.

وقال بعضهم يسأل في بيته في ليلته ويصير عليه البيت كالقبر لأنه روي في الأخبار أنه يسأل للميت بعد الموت بلا فصل، والأول أحسن.

فإن قيل ما تقول في صبي رضيع مات، هل يسأل في القبر؟ كل ذي روح من الجن والإنس خرج من الدنيا فإنه يسأل في القبر، والصبي ذو روح فيسأل لكن يلقنه الملك فيقول له: من ربك؟ فيقول له: قل ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد.

وقال بعضهم لا يلقنه الملك بل يلهمه الله تعالى بفضله؛ فيجيب بالصواب كما في المهد بعيسى ابن مريم عليهما السلام[3].

---

(1) في النسخة "المنكر والنكير"، وسوف أصححها تلقائيا في المواضع القادمة.
(2) غير واضحة في النسخة والراجح أن هذا هو المقصود.
(3) جاء في هامش النسخة عدة ملاحظات، وبعد كل ملاحظة هناك اسم المرجع هو غير=

وأما البالغ من الرجال والنساء من المؤمنين والمنافقين إذا وضع في قبره فإنه يسأل في القبر عن الإيمان بالله وحده وعن دينه ونبيه محمد ﷺ باتفاق أهل السنة والجماعة وهو قولنا، ومن قال بأنه لا يسأل فهو مبتدع، يدل عليه أنه يسأل إلى قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التّكاثر: 1-2] يعني شغلتكم التكاثر في العدد، وذلك أن قبيلتين من قبائل العرب بنو سهم وبنو عبد مناف تفاخرا في العدد أيهم أكثر؟ فعدوا أحياءهم وخرجوا إلى المقابر فعدوا أمواتهم، فأنزل الله هذه الآية ردا على صنيعهم وتفاخرهم بالأموات والحسب والنسب، فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التّكاثُر: 3] كلا سوف تعلمون يعني عند سكرات الموت، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التّكاثُر: 4] يعني سؤال منكر ونكير ومعاينتهما في بيت بلا باب ولا كوة ولا أهل ولا ولد ولا صاحب ولا معين ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التّكاثُر: 6].

فالله تعالى خوّف هؤلاء المتفاخرين بالكثرة بسؤال منكر ونكير، فلولا أنه أمر صعب لما خوفهم [لأن](1) الموت حق كذا رؤية منكر ونكير عليهما السلام حق، قال رسول الله عليه السلام حين سئل عن منكر ونكير قال: «[منكر ونكير] ملكان فيأتيان الرجل في قبره في صورة قبيحة [يطآن في أشعارهما](2) ويخرقان بأنيابهما، أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، معهما مرزبة من حديد لو اجتمع [عليها](3) أهل السماء والأرض لم ينقلوها، فيقولان

= واضح لم أنقله، والملاحظات هي "والمشي خلف الجنازة أفضل عندنا لتعظ به"، "الصغير والصغيرة ما لم يبلغ حد الشهوة إذا ماتا يغسلهما الرجال والنساء"، "نقل الميت عن قبر بعد ما دفن من بلد إلى بلد آخر لا بأس"، "رجل مات بين النساء [. . .] أمته أو أمة غيره بغير خرقة، ولا تغسل الأمة مولاها"، "[الخصي] والمجبوب كالفحل في الغسل الخنثى [. . .] إذا ماتا، وقيل يغسل في [. . .]".

(1) غير واضحة في النسخة. جاءت قصة تفاخر القبيلتين في عدة تفاسير منها مثلاً "تفسير القرطبي" ج20 ص168.
وجاء في هامش النسخة "عن عثمان قال كان النبي عليه السلام إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال «استغفروا لأخيكم ثم [اسألوا] له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل». أي اسألوا واطلبوا من الله تعالى أن يثبت لسانه بجواب منكر ونكير فإنهما يسألانه في هذه الساعة".

(2) في النسخة كأنها "بطان وشعارهما". (3) في النسخة "عليه".

له: من ربك؟ فإن كان مسلماً [فيقول][1] ربي الله، فيقولان له وما دينك؟فيقول الإسلام، فيقولان له ومن نبيك؟ فيقول محمد ﷺ، فيقولان صدقت.

وإن كان فاجراً يقولان له من ربك؟ فيقول لا أدري، قال فيضربانه بها ضربة لو كان جبلاً لصار رميما، فيصيح صيحة فما يبقى أحد إلا سمعها إلا الجن والإنس، وما سمعها أحد إلا لعنه وذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البَقَرَة: 159][2].

قيل: لما مات عمر رضي الله عنه قال أصحاب الرسول عليه السلام لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: متى رأيت عمر في المنام فأخبرنا، فما رآه إلا بعد سنة، فقال رأيته ويقول كان راحتي اليوم منذ سنة، فجاءني منكر ونكير وأرادا أن يدخلا إليّ من قبل رأسي فمنعا، فجاءا من قبل [رجلاي][3] فمنعا، فجاءا من قبل يداي فمنعا، فقالا إن عمر رضي الله عنه قد جاء بكل هيبة؛ ثم وقفا من بعيد فقالا: من ربك فوقع في نفسي تحير ومخافة فلولا فضل الله تعالى وإعانته ما أمكنني أن أجيبهما.

قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن عبد الله الزاهد قال: وجدت في بعض الكتب أن القبر ينادي كل يوم سبع مرات أنا بيت الوحدة فاجعلوا مؤنسي القرآن، أنا بيت الظلمة فنوروني بصلاة الليل، أنا بيت التراب فاحملوا الفراش وهو العمل الصالح، أنا بيت الأفاعي فاحملوا الترياق وهو الإهراق من دموعكم، أنا بيت الضيق فتزودوا لأنفسكم من السعة، أنا بيت الفقر فتزودوا من [غناكم][4] لهذا الفقر، أنا بيت سؤال منكر ونكير فأكثروا على ظهري قول "لا إله إلا الله وحده" فيمكنكم أن تجيبهما في بطني بقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله"[5].

قال ثم الحكمة في سؤال منكر ونكير في القبر ما قد سمعت السيد أبا الحسن الهمداني رحمه الله يقول: إن الملائكة طعنت في بني آدم حيث قالوا ﴿أَتَجۡعَلُ

(1) ساقطة من النسخة، والله أعلم بالصواب.
(2) انظر مثلاً "الكشف والبيان" ج7 ص319.
(3) في النسخة "رجلاك". (4) في النسخة "أغناكم".
(5) انظر "بريقة محمودية" ج3 ص23.

﴿فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 30][1] الآية، فرد الله عليهم ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30]، فيبعث الله تعالى الملكين إلى قبر المؤمن يسألانه من ربه ودينه ونبيه؟ فيقول ربي الله ونبي محمد عليه السلام وديني الإسلام، فيشهدان بين يدي الملائكة بما [سمعا من][2] من المؤمن وأقل الشهود اثنان، يقول الله تعالى للملائكة توبيخا يا ملائكتي قد أخذت روحه وماله وصيرت ماله لغيره وزوجت زوجته لغيره وضياعه[3] وأحباؤه لغيره وأخرجته من نور الدنيا إلى ظلمة القبر ومن الغنى إلى الفقر ومن السعة إلى ضيق القبر ومن الجماعة إلى الوحدة، ويسألونه في بطن الأرض فلا يجيب على أحد إلا عني يقول ربي الله ونبي محمد وديني الإسلام [لتعلموا][4] أني أعلم ما لا تعلمون، وأنه ما أخبر به ما أخطئ في الإخبار[5].

قال بعض الحكماء: إذا قال الملكان للمؤمن من ربك؟؛ نبهاه من الرقدة، يظن أنه وقت كما كان دأبه وسيرته، فيقول هاتوا الماء حتى أتوضأ وأصلي

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30].

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) الضيعة: الأرض المغلة والعمل النافع المربح كالتجارة والصناعة وغيرهما من الحرف وقد تطلق على الربح نفسه ويقال فشت عليه ضيعته إذا كثر ماله أو كثرت أشغاله وانتشرت عليه أموره (ج) ضياع وضيع. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص1134.

(4) في النسخة "ليعلموا" والله أعلم بالصواب.

(5) جاء في هامش النسخة " وحكى أن نبيا من الأنبياء كان يتعبد في جبل بالقرب من عين ماء جارية على الطريق، فجاء على [العين] فارس فشرب من العين جواده، وسار ونسي كيسا من ذهب فيه ألف دينار عند العين، فجاء بعده رجل ليشرب من العين فوجد الكيس فأخذه وذهب، ثم جاء فقير معه [حزمة] من الحطب فوضعها عند العين وجلس يستريح، وأما الفارس فإنه طلب الكيس فلم يجده، فرجع إلى العين فوجد الفقير فسأله عن الكيس، فقال ما رأيت شيئاً فقتله حتى مات، فقال ذلك النبي: يا رب ما هذا سلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله وقد أخذ الكيس غيره، فأوحى الله إليه أن اشتغل بعبادتك فليس معرفة أسرار الملك من شأنك، [فهذا] الفقير كان قتل أبو الفارس ظلما فمكنته من القصاص، وإن أبا الفارس كان أخذ من مال الذي أخذ الكيس ألف دينار غصبا فرددتها عليه من تركته، فقال: سبحانك تبت إليك. [مجموعة]".

ركعتين لله تعالى، فيقولان له ليس هذا وقت الاكتساب بل وقت الحصاد ولكن جئناك لنسألك عن الرب، فيسألانه فيجيب العبد بتوفيق الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: 27]، ثم [إذا][1] أجاب العبد بالصواب قال له الملكان: نم نومة العروس فنحن نصلي عليك إلى يوم القيامة وثوابها لك بحرمة توحيدك وإيمانك.

قال سمعت الحاكم أبا نصر الحربي يحكي بإسناد له عن سالم بن حفصة ﷺ قال: توفي أخ لنا فوضعته في لحده وسويت عليه التراب، ثم وضعت أذني على لحده فسمعت قائلا يقول لأخي: من ربك؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: ربي الله، ويقال له: من نبيك؟ فيقول: نبيي محمد رسول الله، ويقال: و[ما][2] دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فسمعت يقال نم نومة العروس فليس لك حزن ولا بؤس، وسمعت ملكاً آخر يقول: أبشر بروح وريحان وبرب غير غضبان.

قيل مرض واحد من الصلحاء فاجتمع عنده الأقارب فكانوا يبكون، فرجع إلى أولاده فقال ما يبكيكم؟ قالوا فراقك ويتمنا، فقال لزوجته ما يبكيك؟ فقالت مفارقتك ووحدتي، ثم قال لإخوانه ولأقربائه ولأصدقائه: ما يبكيكم؟ قالوا: كنت قريبا لنا ومعينا لنا فنبكي بانفرادنا منك، فقال كلكم تبكون على أنفسكم لا عليّ، ما منكم من يبكي على وحدتي تحت التراب ومصاحبتي بين العقارب والديدان ومساءلة منكر ونكير ووقوفي بين يدي الله تعالى، ثم [صرخ][3] صرخة ومات، وهذا آخر أمرنا فيعيننا الله ويوفقنا.

(1) ساقطة من النسخة.
(2) في النسخة "من".
(3) في النسخة "خرج".

الباب الرابع والأربعون
في الصبر على المصيبة وفضل كتمانها

ولو طلق الرجل امرأته وأخفى الطلاق وراجعها وأخفى الرجوع كان الطلاق واقعاً والرجعة نافذة عندنا، وقال مالك ﷺ لا يقع الطلاق والرجعة باطلة لبقاء النكاح عنده، لنا ما روي عن عمران بن الحصين أن رجلاً سأله عن رجل طلق امرأته وكتم عنها الطلاق وراجعها وكتمها الرجعة، فقال: طلقها وترك السنة وراجعها وترك السنة.

وإذا مات الرجل أو من أقربائه فأخفى موته ولم يجلس في المأتم فهذا أفضل من أن يجلس في المأتم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البَقَرَة: 155][1] إلى قوله تعالى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: 156]، فمن صبر واسترجع عند المصيبة ولم يظهر الجزع يستحق هذه الخلقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: 157].

ثم انظر [إلى][2] حق العلماء رحمة الله عليهم وحق الصحابة ﷺ وحق الأنبياء صلوات الله عليهم، فإذا صبر الإنسان في المصيبة يستحق من الله الصلوات؛ فطوبى لمن صبر ولم يجزع عند المصيبة.

قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عمر المطوعي عن الرازي بإسناد له إملاء عن عكرمة بن عباس أن معاذ بن جبل ﷺ أصيب بابن له فجزع عليه جزعاً شديداً، فبلغ [ذلك][3] النبي عليه السلام، فكتب إليه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، أما بعد. فإن أنفسنا وأموالنا وأهالينا من

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: 155-156].

(2) في النسخة "أن".

(3) ساقطة من النسخة.

مواهب الله الهنية يمتعنا به إلى [أجل][1] معدود [و][2] يقبضها لوقت معلوم، وحقه علينا الشكر إذا أعطانا والصبر إذا ابتلانا، وإن ولدك كان من مواهب الله تعالى متعك به في سرور وغبطة وقبضه عنك بأجر ومنة، لا تجمع على نفسك خصلتين أن يحبط جزعك أجرك وتندم غداً على ما فاتك فإن الجزع لا يرد شيئاً، فأحسن العزاء والجزاء لمواعدة واحفظ وصية محمد عليه السلام ولم يرد أسفك ما هو نازل بك، والسلام»[3].

وقال علي ﷺ إملاء عن عامر الشعبي[4] ﷺ أنه قال: لا يرجو أحدكم إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي العالم إذا سأل عن شيء لا يعلم أن يقول الله أعلم، وأنزلوا الصبر عن الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد إذا قطع الرأس [نتن باقي الجسد][5]؛ ولا إيمان لمن لا صبر له[6].

قال شيخ أبو الحسن رحمه الله الجعدي أن أبا طلحة خطب أم سليم، فقالت إني آمنت بمحمد عليه السلام فآمن به ولا [أريد][7] صداقا غير ذلك، فأبى و[علم][8]

(1) في النسخة "جبل". (2) ساقطة من النسخة.

(3) انظر "الموضوعات" ج3 ص242، و"المستدرك على الصحيحين" ج3 ص306، و"المعجم الكبير" ج20 ص155.

(4) الشعبي (103 هـ) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. سئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا. انظر "الأعلام" ج3 ص251.

(5) ساقطة من النسخة، ووجدته بروايات أخرى مثل "ييبس ما في الجسد"، انظر "شعب الإيمان" ج7 ص124، و"مصنف عبد الرزاق" ج11 ص469.

(6) جاء في هامش النسخة "وقال السهيلي [وكثيرا] ما يقع الاتفاق بين [السرياني والعربي أو يقاربه] وإنما سمي [أبا رحيما] لرحمته للأطفال، ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا إلى يوم القيامة، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ [رآه] ليلة الإسراء في روضة وحوله الأطفال [. . .]".

(7) في النسخة "ابد".

(8) ساقطة من النسخة والله أعلم. انظر "المستدرك على الصحيحين" ج2 ص195.

أنها لا ترضى إلا بإسلامه، فأسلم أبو طلحة وتزوجها بإسلامه فولدت غلاما، وكان أبو طلحة يحبه حبّاً شديداً، فمرض الغلام ودنف[1] واشتدت عليه سكرات الموت، فخافت أم سليم أن يجزع بموته، [فبعثته][2] إلى رسول الله ﷺ، فلما خرج أبو طلحة توفي الغلام [فسبحته][3] أم سليم بثوب وقالت لأهل بيتها لا تخبروا أبا طلحة، ثم وضعت طعاماً ومست شيئاً من الطيب.

فجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال ما فعل ابني؟ فقالت قد سكن [. . . وهدأ][4] نفسه [. . .]، ثم قال هل لنا [مأكول][5]؟ فقالت بلى، فقربت إليه فأكلا، ثم تعرضت له فوقع عليها، فلما اطمأن قالت: يا أبا طلحة لعلك أن تغضب من وديعة كانت عندنا فرددتها إلى أهلها، فقال سبحان الله، لا. فقالت: إن ابنك عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال أبو طلحة أنا أحق بالصبر منك.

ثم [قام][6] من مكانه واغتسل وصلى ركعتين، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره بصنيعها، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صبارة بني إسرائيل. فسأل عنها فقال عليه السلام: كانت في بني إسرائيل امرأة ولها من زوجها غلامان، فأمرها زوجها بطعام للضيافة ففعلت واجتمع الناس في داره، فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار، فأخرجتهما ميتين وكرهت أن تنقض على زوجها الضيافة، [فأدخلتهما][7] البيت [. . .] بثوب، فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين أبنائي؟ فقالت في البيت، فنادهما أبوهما

---

(1) دنف المريض دنفا اشتد مرضه وأشفى على الموت فهو دنف. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص619.

(2) في النسخة "فبعثه".

(3) هذا أقرب شكل حسب ما جاء في النسخة، والمعنى المراد غطته، ووجدت في رواية "فنسجت عليه" ولعلها الكلمة المراد، أما أقرب شكل لهذه الكلمة على حسب القواميس فهي:
السبحة: الثوب من الجلد. انظر "الأعلام" ج1 ص856. والله أعلم.

(4) في النسخة "وهذا"، ومرادها: أنه سكن واستراح من الآلام. انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2293.

(5) غير واضحة وهذا أقرب شكل لها.

(6) في النسخة "قال".

(7) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

فخرجا يسعيان إليه، فقالت المرأة: سبحان الله، والله لقد كانا ميتين ولكن الله تعالى أحياهما بصبري».

قال: حدثنا أبو ذر عثمان بن محمد بن المجلد البغدادي نجار إملاء بإسناد له عن وهب بن منبه ﷺ قال موسى عليه السلام يوم الطور: يا رب أي منزل من منازل الجنة أقرب إليك؟ قال الله تعالى حضيرة القدس، قال يا رب من يسكنها؟ قال الله تعالى أصحاب المصائب. قال يا رب صفهم لي. قال الله تعالى يا موسى هم الذين إذا ابتليتهم ببلية صبروا، وإذا أنعمت عليهم نعمة شكروا، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون هؤلاء في حضيرة القدس.

عن ثابت البناني أنه قال: بلغنا أنه مات ابن لقمان بن مطعون فحزن له حزناً شديداً وجلس في بيته وبنى في داره مسجداً يتعبد فيه، فقال رسول الله ﷺ: «إيتوني به وبشروه بالجنة. فلما أتى قال له النبي عليه السلام: يا عثمان إن لجهنم سبعة أبواب وللجنة ثمانية، أما ترضى أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قائماً عنده يشفع لك من الله؟ قال بلى يا رسول الله فهو كذلك. [قيل كذلك يا رسول الله لنا][1] مثل ذلك في أبنائنا؟ قال: نعم وكل من صبر واحتسب من أمتي يوم القيامة»[2].

قال سمعت أبا عبد الله محمد بن محمد المعروف بعويدة يروي عن وهب ابن منبه قال: قرأت في التوراة ستة أسطر: في الأول من أصبح نادما على الدنيا أصبح ساخطا على الله تعالى، وفي الثاني من لم يبالِ من أي باب أتاه رزقه لم يبالِ الله تعالى من أي باب أدخله النار، وفي الثالث من تواضع لغني هيبة أحبط الله ثلثي دينه؛ وفي رواية أخرى من [تضعضع لغني][3]، والسطر الرابع [من

(1) في النسخة كأنها "قبل كذلك يا رسول الله ولنا"، والله أعلم بالصواب.
(2) لم أجد له تخريجاً. وجاء في هامش النسخة "الاحتساب طلب الثواب من الله تعالى. صحاح".
(3) في النسخة "تضعضع في غناه". والضعضعة الخضوع والتذلل. انظر "لسان العرب" ج8 ص224.

عمل][1] بالخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي، وفي الخامس من كانت الدنيا أكثر همه فرغ الله تعالى خوف الآخرة من قلبه، وفي السادس من شكى مصيبة نزلت به فكأنما يشكو ربه[2].

عن بعض الحكماء أربعة من كنوز العرش: كتمان الفاقة، وكتمان الصدقة، وكتمان الوجع، وكتمان المصيبة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه كان لسليمان بن داود عليهما السلام ابن يحبه فمات فحزن حزناً شديداً، فبعث الله تعالى إليه ملكين في هيئة البشر، فقال: من أنتما؟ فقال: خصمان. فقال: اجلسا مجلس الخصوم، فقاما وقال أحدهما: إني زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده، فقال سليمان: يا هذا ما تقول؟فقال: [أصلحك الله][3] إنه زرع بالطريق وإني مررت فيه فنظرت يميناً وشمالا فإذا الزروع؛ ونظرت قارعة الطريق فإذا فيها زرع [وقد كانت][4] قارعة الطريق وكان ذلك فساد زرعه. فقال سليمان عليه السلام: ما حملك أن تزرع الطريق؟ قال له أحد الملكين: أما علمت يا سليمان أن الموت سبيل الناس ولا بد للناس أن يسلكوا سبيلهم، فتنبه سليمان واستغفر ربه وترك الجزع[5].

عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال: قرأت أربعة وعشرين كتابا [فيما][6] أنزل الله تعالى على النبيين عليهم السلام، فقرأت فيها: [اقرأ أني][7] لا إله إلا أنا

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) وجدته بعدة روايات انظر مثلاً "شعب الإيمان" ج7 ص213.
(3) في النسخة "أصلحتك" والله أعلم بالصواب.
(4) في النسخة "قد كنت".
(5) انظر "إحياء علوم الدين" ج4 ص133.
وجاء في هامش النسخة "قال ابن المبارك: المصيبة واحدة، فإن جزع صاحبها صارت اثنين، يعني صارت اثنين أحدهما [المصيبة] والثاني ذهاب أجر المصيبة وهو أعظم من المصيبة [. . .]". انظر "بريقة محمودية" ج4 ص172.
(6) في النسخة "فما".
(7) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

خلقت الخير وقدرته فطوبى لمن قدرت [عليه][1] الخير، ولولا أني كتبت [النتن][2] على الميت لحبس في البيوت، ولولا أني أذهبت الحزن عند المصيبة لم تعمر الأرض.

ولما توفي ابن سليمان عليه السلام قيل له: ما كان يعدل عندك؟ قال ملء الأرض ذهبا. قيل له: فإن لك الأجر مثل ذلك.

وروي أنه كان لجعفر بن محمد الأوانقي ابن يسمى محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، فمات واغتم بذلك أبوه جعفر وحزن عليه حزناً شديداً حتى كان لا يطعم ولا يشرب، فزاره أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ معزيا فقال له: يا جعفر جوار الله لمحمد [خير][3] من جوارك، وثواب الله تعالى لمحمد خير لك عند الله من محمد ثم افعل ما يفعل الجاهل بعد ثلاثة أيام، فسكن عند الجزع في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البَقَرَة: 157]؛ هذا الخلق لأهل المصائب، وذكر لمعطي الزكاة ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التّوبَة: 103] يقول الله تعالى يا محمد إن أخذت منهم الزكاة فصلِّ عليهم خير، وإن ابتليتهم أصلي عليهم.

---

(1) في النسخة "على".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) ساقطة من النسخة.

الباب الخامس والأربعون
في الوفاء بالعهد والوعد واليمين بمسائله وعظاته

وإذا حلف الرجل أن لا يكلم أباه أو أمه أو واحداً من المسلمين ينبغي أن يحنث نفسه ويكفر يمينه لما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «من حلف على يمين فاجرة فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير منها وليكفر يمينه»[1]، والكلام مع هؤلاء خير من الوفاء باليمين.

وكذا إذا حلف أن لا يصلي أو لا يصلي أو لا يصوم أو لا يؤدي زكاة ماله أو لا يحج وله طاقة الحج أو لا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة أو لا يأتي للجمعة والعيدين أو لا يتصدق على المساكين أو لا يؤدي صدقة الفطر عن نفسه أو عن ولده الصغير أو عن مملوكه يحنث نفسه في هذا كله ويكفر عن يمينه، لأن هذه الأشياء كلها طاعة وإتيان الطاعة أفضل من تركها والوفاء باليمين.

ولو قال لله علي أن أصلي ركعتين في مكان كذا جاز له أن يصلي في موضع آخر في ظاهر الأصول، وذكر أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ حدا جامعا وهو إن كان موضع الإيجاب أفضل من موضع الأداء لم يجز، وان كان موضع الأداء أفضل من موضع الإيجاب يجوز.

ولو قال لله عليّ أن أصوم كذا شهرا فصام غيره إن كان غير المنذور أفضل يجوز وإلا فلا .

وقال أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا نذر صوم رجب فصام غيره جاز لأنه أوجب على نفسه بنذره شيئين طاعة وهو الصوم وما ليس بطاعة وهو الإضافة، فوجب ما هو طاعة وسقط ما هو ليس بطاعة بدليل ما روي عن النبي عليه السلام أنه لما دخل

(1) انظر "صحيح مسلم" ج5 ص85، و"سنن النسائي" ج3 ص127.

مكة عام فتحها جاءه رجل فقال: يا رسول الله إني نذرت أن الله تعالى إذا فتح عليك مكة أن أصلي ببيت المقدس ركعتين، فقال «صلِّ هاهنا ولك أجر تام»[1]، فقد أوجب ما هو طاعة وهي الصلاة وأسقط عنه ما ليس بطاعة وهو الإضافة، كذا هاهنا لكن لو وفى بنذره فهو أفضل خروجا من عهدة الخلاف.

ولو قال: إن دخلت دار فلان فلله علي صوم ستة أو الحج ماشيا، ذكر في ظاهر الأصول أنه إذا دخل تلك الدار فعليه ما أوجب على نفسه بنذره لا غير عندنا، وفي باب الحج يركب ويذبح شاة.

وقال شيخنا الإمام محمد الضرير الميداني رحمه الله: يمشي من موضع الإحرام لأن الحج من ذلك الوقت إلا أن يقول أحج من داري ماشيا.

وعن علي أبي الدقاق رحمه الله أنه قال: دخلت على أبي حنيفة رحمه الله وأنا حاج، فإذا يُقرأ عليه هذه المسألة، فقال لا يخرج عنها إلا بما أوجب على نفسه، [وما أراني][2] أن أرجع عن هذا الجواب، قال فذهبت وحججت ثم رجعت [. . .] فإذا هو فارق الدنيا، فسألت أصحابه عن ذلك فقالوا [رجع][3] قبل موته بسبعة أيام وقال يخرج عنها بالكفارة.

وعن المعلّى عن أبي يوسف رحمهما الله أنه قال: إن نوى اليمين جاز له أن يخرج عنها بالكفارة وإلا فلا.

وعن محمد أنه قال: إن أخرج الكلام من مخرج اليمين جاز الخروج عنها بالكفارة.

وقال الشافعي رحمه الله: بالخير إن شاء فعل ما أوجب، وإن شاء خرج عنها بالكفارة، وعن زفر مثل قوله، ولنا ظاهر الأصول والفتوى [يدل عليه][4] قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النّحل: 91] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: 1] وهذا عقد على نفسه بالصوم أو الحج، وهذا

(1) انظره برواية أخرى "سنن أبي داود" ج3 ص233.

(2) في النسخة "من رآني" والله أعلم بالصواب.

(3) في النسخة "ارجع".

(4) في النسخة "عليه يدل".

عقد على تعيينه يعني النذر، فلو خرج بالكفارة خالف الكتاب، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: 7][1] ففي آخره ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ [الإنسان: 11]، فعلم أنه لو لم يف بنذره وعهده يعاقبه الله تعالى يوم القيامة ولا يقيه شر ذلك اليوم[2].

عن عمر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، وإن كانت فيه خصلة واحدة منهن لم يزل فيه خصلة من النفاق إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر ـ أي شتم خصمه ـ، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد خلف»[3].

قال المصنف ـ جزاه الله عنا خيراً ـ حدثنا الحاكم بإسناد له عن ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لم يكن فيه لم [يعتد][4] شيء من عمله أوله التقوى تحجزه عن معاصي الله تعالى، والثاني [الحلم][5] يكفه عن السفه، والثالث [خلق][6] يعيش به في الناس»[7].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١﴾ [الإنسان: 7-9].

(2) جاء في هامش النسخة "اوفوا إذا واعدتم فإن الوفاء بالموعود والعهود محبوب مطلوب، حكى أبو عبد الله [العلاني] كنا في سفينة إذ وقع طوفان، فشرعوا في الابتهال ونذر كل واحد ما خطر بباله، فقلت إن نجانا الله نذرت أن لا آكل لحم الفيل، فاستغربوا، فقالوا ما هذا ؟. فإنه غير مأكول. فقلت هكذا خطر ببال، ثم انكسرت السفينة ورماني الموج مع نفر من أهلها إلى الساحل، فبقينا هناك أياما جياعا، فوجدوا يوما ولد فيل فذبحوه وأكلوا وألحوا علي بأكله فما نقضت عهدي، ثم جاءت أمه وشمت أفواههم وقتلتهم [بقوائمها] وجاءت إلي وشمت فمي ولم تجد ريح فيّ، فأشارت بخرطومها بالركوب على ظهرها فركبتها وأسرعت بي حتى أتت في تلك الليلة إلى العمران وجماعة سألوني وأخبرتهم القصة، فحسبوها من مسيرة ثمانية أيام.مجموعة".
وجاء في الهامش "الغدر ترك الوفاء. صحاح"، "والخلف أيضا ما استخلفته من [. . .]. صحاح".

(3) انظر "صحيح البخاري" ج1 ص21، و"صحيح مسلم" ج1 ص56.

(4) في النسخة كأنها "يقر". (5) في النسخة كأنها "الحكم".

(6) في النسخة "خلف".

(7) انظر "إحياء علوم الدين" ج3 ص51، و"الحلم" لعبد الله بن محمد ص48.

قال عليه السلام: «ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن يُزوج له حور العين حيث يشاء رجل اؤتمن على أمانة خفية شهية فأداها من مخافة الله تعالى، ورجل عفا عن قاتله، ورجل قرأ في دبر الصلاة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] عشر مرات»(1).

وقال عليه السلام: «ثلاث أكون خصمهم يوم القيامة ومن أكون خصمه خصمته رجل استعمل عاملاً وفى العمل فلم يوفه أجره، ورجل باع حرا وأكل ثمنه، ورجل حلف بالله تعالى أو بي فغدر»(2).

قال سمعت الفقيه أبا نصر أحمد بن محمد الجوالقي يحكي عن مالك بن دينار رحمهم الله قال: كان له ابن عم عامل سلطان في زمانهم، وكان هذا العامل ظالما جبارا، فمرض ذلك الرجل ونذر وعهد على نفسه وقال: لو عافاني الله تعالى في ما أنا فيه لا أدخل في عمل السلطان أبدا.

قال فبرأه الله تعالى من ذلك المرض، فدخل في عمل السلطان ثانياً وظلم الناس أكثر مما ظلمهم في المرة الأولى، فمرض مرضاً ثانياً فنذر أن لا يرجع من اليوم إلى ما كان فيه فشفاه الله تعالى، فنقض العهد ثالثا فظهرت به علة شديدة، فأُخبر مالك بن دينار فزاره وهو في مرض شديد، فقال له يا ابن عمي أخلفت الميعاد مراراً ولكن أوجب علي نفسك شيئاً ولا ترجع.

فقال المريض إلٰهي إن شفيتني لا أعود إلى عمل السلطان، وهتف هاتف من زاوية البيت جزيناك مراراً فوجدناك كذوبا فلم ينفعه نذره. معناه والله أعلم [جربناه](3) بنفسه فأكذب نفسه [. . .](4) ثم مات الفتى في الحال.

عن وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن فتى من بني إسرائيل مرض فنذرت أمه إذا شفى الله ولدها من مرضه هذا فلله عليها أن تخرج من الدنيا سبعة أيام، فبرأ ولدها من

---

(1) انظر "كنز العمال" ج15 ص838.

(2) وجدته برواية «أعطى بي ثم غدر». انظر "سنن البيهقي" ج6 ص14، و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص358.

(3) في النسخة "جزيناك".

(4) جاءت هنا نحو جملة غير واضحة كأنها فارسية أو تركية. انظر هذه القصة نقلها حقي في تفسيره من كتابنا هذا، انظر "تفسير حقي" ج1 ص101.

المرض ومضى على ذلك ثلاثة أيام ولم تف المرأة بنذرها، قال فنامت ليلة من الليالي فرأت في منامها كأن آتيا أتاها وقال لها أوفي بنذرك كيلا يصيبك من الله نكالا وعذابا شديداً.

قال فلما أصبحت دعت ابنها وقالت نذرت لله تعالى إن شفاك أخرج من الدنيا سبعة أيام وقد شفاك، فاحفر لي قبرا، فحفر لها الابن، فذهبت إلى القبر ودخلت وقالت إلٰهي ومولاي هذه الغيبة عندي من الدنيا، اللهم إني قد فعلت ما كان في وسعي وطاقتي وأوفيت بنذري فاحفظني في هذا القبر عن الآفات كلها كما كنت حفظتني خارج القبر فإنك قادر على ذلك.

قال فحثى عليها ابنها التراب وسوى قبرها بالأرض فانصرف، فرأت في قبرها نورا فيما يلي رأسها مقابلة وجهها نورا ساطعا وحجرا مثل رأس الكوة، فنظرت في الحجر فرأت بستانا عظيما فيه امرأتان، فنادتاها وقالتا لها أيتها المرأة اخرجي إلينا نستأنس بك في البستان.

قال فجاءت المرأة إلى رأس الحجر فصار الحجر مثل الباب، فخرجت إلى البستان فإذا فيه حوض لطيف كبير والمرأتان جالستان على شط الحوض، فسلمت عليهما فلم تردا عليهما السلام، فقالت لهما لم لا تردا علي سلامي وتقدران التكلم؟ فقالت إن رد السلام طاعة وقد منعنا عن الطاعة.

فرأت طائرا يروح بإحدى المرأتين بجناحه وطائرا آخر ينقر برأس الأخرى، فقالت للتي يروح بها الطائر: بماذا نلت هذه الكرامة؟ فقالت بخدمة زوجي، فإني قد خرجت من الدنيا وهو راض عني، فأكرمني الله تعالى بهذه الفضيلة برضاه وجعل قبري روضة كما رأيت.

ثم سألت الأخرى: بماذا أصابتك هذه العقوبة؟ فقالت كان لي زوج وكنت أؤذيه وأعصي أمره، وخرجت من الدنيا وهو عليّ ساخط، فعاقبني الله تعالى بهذه العقوبة، فإذا رجعت إلى الدنيا [اسمه][1] كذا، فاشفعي ليرضى عني، فكانت عندهما سبعة أيام، فلما مضى سبعة أيام جاء ابنها ينفض قبر أمه

(1) ساقطة من النسخة.

ليخرجها، فقالتا: ارجعي وادخلي ذلك الباب الذي قد خرجت إلينا [منه][1] فإن ابنك قد جاء يطلبك، فذهبت ودخلت القبر فنفض ابنها وأخرجها من القبر فذهبت إلى المنزل.

فوقع الخبر في بلدها فأحب المسلمون زيارتها، فزارها جميع أهل بلدها، ثم ذهبت إلى زوج المنقورة فأخبرته بما قالته [واستسمحت لامرأته][2] فعفا عنها، فرأتها في المنام فقالت: يا فلانة نجوت من العذاب بسببك وشفاعتك ورضاء زوجي فعفا الله عنك. فمن وفي بالنذر وإن لم يكن المنذور شرعيا [نال][3] مثل هذه الكرامة فكيف إذا كان النذر طاعة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ ففي الحكايات لنا دليل في ثلاثة أشياء: أحدها: أن القبر يصير روضة من رياض الجنة وبستانا من بساتينها على الأولياء كما صار على المرأتين [التي][4] رأتهما.

والثاني أن المرأة تعذب في قبرها وفي الآخرة بسخط زوجها وتكرم في القبر وفي الآخرة برضاء زوجها عنها كما ذكرنا في الحكايات.

والثالث أن الوفاء بالعهد والنذر يوجب الكرامة، ألا يُرى أن هذه المرأة لما أوفت عهدها ونذرها كيف أكرمت في قبرها بالجلوس في البستان وكيف أوعدت بالعذاب عند ترك الوفاء بالنذر، فمن وفىٰ بالنذر وفيت له الكرامة ومن لم يف بالعهد وجبت له العقوبة وحرم الكرامة والله أعلم[5].

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) ساقطة من النسخة أو كلمة في معناها ساقطة والله أعلم.

(4) ساقطة من النسخة.

(5) جاء في هامش النسخة "مر رجل عليه فقال له: يا ذا القرنين أخبرني عن شيئين قائمين مذ خلقهما الله تعالى، وشيئين جاريين، [وشيئين] مختلفين، وشيئين متباغضين. قال له: أما الشيئان القائمان السموات والأرض، وأما الجاريان فالشمس والقمر، وأما المختلفان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة. قال فانطلق فأنت أعلم أهل الأرض. مجموعة".

الباب السادس والأربعون
في فضل من سقى

وإذا سقى الرجل أرضه فمخرها[1] فتعدى الماء من أرضه إلى أرض غيره فأفسدها فهو على وجهين: إما أن تعدى في جحر فأرة أو [فوق][2] المسناة؛ فإن تعدى في جحر فأرة فلا ضمان عليه لأنه غير مقصر؛ وإن تعدى فوق المسناة فعلى وجهين: إن مخرها مخرا يمخر في العادة لا ضمان عليه، فهو كمن سقا أرضه فنز[3] من ذلك أرض جاره لا ضمان عليه لأنه تصرف في ملك نفسه، وإذا مخرها مخرا لا يمخر مثلها فتعدى بالمسناة كان عليه ضمان ما نقص من أرض غيره لأنه كان قادرا أن يمخرها بحيث أن لا يتضرر لأحد، فما فعل فقد تعدى فيجب عليه الضمان بخلاف جحر الفأرة.

ولو أضرم النار في حشيش أرضه فتعدت النار إلى أرض غيره فأفسدت الزرع وهو غائب أو حاضر لم يقدر على إطفائها لم يجب عليه الضمان، [كمن مر][4] في الطريق يحمل ناراً إلى أرضه فهبت الريح فألقت شرارها في أرض غيره فأحرقت زرعاً لا ضمان عليه لأنه غير متعد إلى إمساكها، أما إذا كان يمر في طريق لا حق له أو كان يمر في أرض رجل بغير حق فهبت الريح بشرر ناره فأحرقت شيئاً يجب عليه الضمان لأنه متعد في مروره.

رجل فتح فم نهر قريته من الوادي فانبثق النهر حتى أفسد زرع رجل؛ إن كان

---

(1) أي ملأها. انظر "فتح القدير" في الفقه الحنفي ج2 ص373.

(2) في النسخة كأنها "خوف".

المسناة: سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص947.

(3) جاء في هامش النسخة "النز: ما يتحلب من الأرض من الماء وقد نزت الأرض صارت ذات نز. صحاح". انظر "مختار الصحاح" ص688.

(4) في النسخة "كمات"، وصححتها على حسب السياق والله أعلم بالصواب.

فتح كما هو الرسم فلا وإلا فنعم.

رجل سقى رجلاً فغص[1] الماء عليه ومات لا ضمان على الساقي لأن المستقي مات بفعل نفسه وأن [الساقي][2] قصد فضيلة وأراد أن يحييه بالماء، فإن حياة كل شيء بالماء كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبيَاء: 30][3]، يدل على أن الساقي يستحق الثواب بسقيه بدليل ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعم أخاه خبزاً حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق، بعد ما بين خندقين مسيرة خمسمائة عام»[4].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «من سقى مؤمناً شربة من الماء فكأنما أحيا سبعين نبيًّا[5]. قيل وكيف يا رسول الله؟ قال: وذلك لأنه خرج سبعون نبيًّا من بني إسرائيل في المفازة معهم قربة من ماء، فناموا جميعاً فجأة فجاءت فأرة فقرضت القربة فسال ماؤها، فاستيقظوا وماتوا كلهم عطشاً».

قال محمد بن إسماعيل النجار يقول: بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى جبرائيل عليه السلام لو أنا [بعثتك][6] إلى الدنيا وجعلتك من أهلها ما الذي عملت فيها من الطاعات؟ قال: يا رب أنت أعلم بشأني مني، ولكن كنت أعمل ثلاثا: أولها كنت أعين صاحب عيال في النفقة، والثاني: أستر عيوب الخلق وذنوبهم من الخلق ولا يعلم أحد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك، والثالث: كنت

(1) غص: بالماء غصا وغصصا وقف في حلقه فلم يكد يسيغه فهو غاص وغصان والمكان بأهله امتلأ بهم وضاق. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص218.

(2) في النسخة كأنها "يساق".

(3) الأنبياء: 30.

(4) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص217، و"الترغيب والترهيب" ج2 ص36.

(5) أقرب رواية وجدتها لهنا هي «فكأنه أعتق سبعين رقبة». انظر "أخبار أصبهان" ج3 ص88. وبقية الحديث لم أجد له تخريجاً.
وجاء في هامش النسخة: "قال عليه السلام «من قتل فأرة فكأنما أحيا أربعين نبيًّا»".

(6) في النسخة "بعثك".

أسقي العطشان وأرويه من الماء[1].

قال محمد بن إسحاق: بلغنا أن امرأة زنت فأخرجها أهل بلدها من البلد، فكانت تمشي في المفازة فجاءت على بئر وعلى رأسه كلب فعلمت أنه عطشان، فاتخذت ملاءتها حبلا وخفها دلوا فسقته، فلما ماتت رآها جارها في المنام في الدرجات، فقال لها كنت فاجرة فما هذا؟ قالت غفر [لي ربي][2] بسقي ماء للكلب، فمن يسقي الكلب يجد الغفران فكيف من يسقي المؤمن أن لا يجد الرضوان؟!.

(1) انظر "تفسير حقي" ج2 ص46.
(2) غير واضحة في النسخة.

الباب السابع والأربعون
في ثواب المريض والبلايا

إذا كان المريض في فراش نجس وحان وقت الصلاة وهو لا يقدر التحول إلى مكان طاهر؛ أو مريضاً لا يضره الماء غير أنه لا يقدر على الوضوء؛ أو مريضاً وجهه إلى غير القبلة ولا يقدر على التحول إلى القبلة فهذا على وجهين: إما أن يكون معه أحد يعينه أو لم يكن، فإن لم [يكن][1] معه أحد جازت صلاته على [حالته يعذر][2] لأنه عاجز بعذر سماوي.

وأما إذا كان معه أحد فهو على وجهين: إما أن يعينه مجانا أو ببدل، فإن أعانه مجانا لا تجوز صلاته في فراش نجس ولا بغير توضؤ أو غير القبلة بلا خلاف، فإن لم يعينه إلا ببدل قال أبو حنيفة تجوز صلاته على أية حالة يقدر ولا يجب عليه أن يبذل البدل قل أو كثر البدل، وقالا رحمهما الله إن كثر جاز وإن قل البدل وهو دون النصف درهم لا يجوز.

ولأبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: 286] جعل الله تعالى قدرة الرجل لنفسه ولم يجعل [قدرته قدرة لغيره][3]، فمن جعل قدرة الغير للغير فقد خالف الآية.

المريض إذا عجز عن القيام في الصلاة فيقعد بالاتفاق، وإذا عجز عن الإيماء بالرأس سقط عنه الفرض عند أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال زفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يومئ بالقلب وبه أخذ الباقي من الأئمة. أما إذا عجز عن الإيماء بالقلب يسقط عنه الصلاة بالاتفاق لأنه صار مرفوع القلم كالمجنون حتى إذا برئ لم يجب عليه القضاء ومع ذلك لو كان صبراً في موضعه وبلواه ولم يشك من مرضه يكتب له

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة كأنها "قدرة غير قدرة لغيره" والله أعلم بالصواب.

ثوابها ولم ينقص من أجره شيء بتركه الصلوات لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ [البَقَرَة: 155-156][1] الآية، أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بالبشارة والمغفرة والرضوان لمن صبر على بلواه.

ويدل عليه ما حدثنا به الحاكم منصور بن محمد بإسناد له عن أبي بردة عن بعض أزواج النبي عليه السلام قال الحاكم [واحسبها][2] عائشة رضي الله عنها قال: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فاشتد مرضه، فقالت يا رسول الله أراك ضجرا أو قال تضجر ولو فعلت ذلك [امرأة][3] منا عجبت منها، فقال عليه السلام: «وما علمت أن المؤمن يشدد الله تعالى وجعه أو قال مرضه ليكون كفارة [لخطاياه][4] وسببا لمرضاته عنه»[5].

قال الحاكم أبو نصر بإسناد له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عاد رسول الله ﷺ مريضاً وأنا معه، فقال لي «يا أبا هريرة إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا [لتكون][6] حظه من النار يوم القيامة»[7]، فقال المريض اللهم فلا أزال مضطجعا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «وما من شيء يصيب المسلم في جسده أو في ماله إلا نقص من ذنوبه حتى الشوكة يشاكها»[8].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: 155-156].

(2) في النسخة "واحبها".

(3) ساقطة من النسخة.

(4) في النسخة "الخطاياه".

(5) انظر "مسند إسحاق بن راهويه" ج3 ص1009.

(6) في النسخة "ليكون".

(7) في النسخة "كنز العمال" ج3 ص320، و"المستدرك على الصحيحين" ج1 ص496، و"سنن البيهقي" ج3 ص381.

(8) وجدته برواية أخرى في "العلل الواردة في الأحاديث النبوية" الدارقطني" ج7 ص71.
وجاء في هامش النسخة " وقال رسول الله ﷺ «من حم ثلاث ساعات فصبر فيها شاكرا [لله] تعالى حامدا له باهى الله به ملائكته فقال يا ملائكتي انظروا إلى عبدي [وصبره] على بلائي، اكتبوا [لعبدي] براءة من النار».
وقال عليه السلام «ما من [آدمي] إلا وله حظ من النار وحظ المؤمن الحمى». =

قال أبو الفضل الواعظي بإسناد له عن أسد بن داود الصنعاني أنه راح إلى مسجد دمشق شداد بن أويس، فقال له اذهب بنا إلى أخ نعوده، فدخلا على عبادة ابن الصامت فقالا كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة الله وفضل، وقال له شداد بن أويس أبشر بكفارات السيئات [وحط][1] الخطايا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله تعالى إذا ابتليت عبداً مؤمناً من عبيدي فحمدني وصبر على ما ابتليت فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عزوجل للحفظة أنا قيدت عبدي وابتليته فاجروا ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح»[2].

قال سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم يقول سمعت معاذ النسفي رضي الله عنهما قال: بلغنا أن النبي عليه السلام رأى خلقا فقال «من أنت؟ فقال أنا الحمى. فقال: ما تعمل؟ قال: آكل اللحم وأمص الدم وأذيب الطعام وأطهر الذنوب. فقال: إنك لخلق حسن أدخل في ثم اذهب وادخل في المهاجرين والأنصار»، فلما كان كذلك أياما أتى المهاجرون والأنصار إلى رسول الله عليه السلام فقالوا يا رسول الله ما هذا الذي بعثته إلينا قد أذابنا وبقي معنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن يذهب عنكم الحمى وتبقى الذنوب معكم أم يكون الحمى معكم

= وعن الحسن: إن الله تعالى يكفر عن المؤمن خطاياه كلها [بحمى] ليلة. نقل من [. . .]".

"وقال عليه السلام: «حمى ليلة كفارة سنة» [. . .]".

وجاء في الهامش " وقال ﷺ وقد شكى إليه رجل الحمى فقال «اغتسل ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس وقل: بسم [الله] وبالله اذهبي يا أم ملدم، فإن لم تذهب فاغتسل سبعا». نقل من الحديث.

وروي عن عائشة رضي الله عنها قال: «الحمى من [فيح] جهنم فأبردوها بالماء البارد»، ونقل من [. . .].

ويقال الماء البارد [ينفع] المحموم في [. . .] الحارة شربا ووضعا على أطرافه لأن الماء الصافي يصل إلى أماكن العلة فيدفع حرارتها. شرح [. . .]" انظر "اللآلئ المصنوعة" ج2 ص340، و"كنز العمال" ج10 ص36، و"صحيح البخاري" ج3 ص1190.

(1) في النسخة كأنها "وحظ".

(2) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج4 ص123، و"المعجم الكبير" ج7 ص279.

وتذهب عنكم الذنوب؟ قالوا بل [نريد][1] أن يكون الحمى معنا وتذهب ذنوبنا. قال: فلكم ذلك»[2].

قال حاتم: للمريض أربع خصال: أوله يكتب له من العمل مثل ما يعمل في صحته، والثاني يطهره من الذنوب، والثالث يُرفع عنه قلم السوء، والرابع تستجاب دعوته.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المريض إذا برأ وصح من مرضه مثل البردة تقع من السماء في صفاء لونها»[3].

قال الشيخ أبو ذر بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ قال: دخلنا على عبد الله ابن مسعود في مرضه فقلنا كيف أصبحت يا أبا عبد الرحمن؟ قال [أصبحنا][4] بنعمة الله إخوانا. قلنا كيف تجدك؟ قال أجد قلبي مطمئنا بالإيمان. قلنا ما تشتكي؟ قال ذنوبي وخطاياي. قلنا ما تشتهي؟ قال مغفرة ربي ورضوانه. قلنا أولاً ندعو لك [طبيبا؟][5] قال: الطبيب أمرضني[6].

قال أبو سعيد بإسناد له عن منصور بن عمار قال دخلنا على أبي هشام نعوده، فقلنا له يا أبا هشام كيف تجدك؟ قال أجدني والذي ضربني من البلاء دون ما نلته من لذة الهوى، ولو ضربني من البلاء بمثل ما نلته من لذة الهوى إذا لأضعف عليّ أنواع البلاء.

قال المصنف جزاه الله عنا خيراً ويثبته بجميع ما جمع سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل بالفارسية في عامته يحكي عن عطاء السلمي أنه مرض فقيل له نخرجك من الدار لتجد راحة في بدنك، قال: أنا أستحي من الله أن أطلب الراحة من عفوه ورحمته؛ فإن المرض عفو الله تعالى أن أشكو رحمته، فأخذوا ماءه بغير علم منه وأروه الطبيب النصراني، فسأل الطبيب من المريض؟

---

(1) في النسخة "يريد". (2) انظر "المعجم الكبير" ج6 ص246.
(3) انظر "إحياء علوم الدين" ج4 ص288، و"الموضوعات" لابن الجوزي ج3 ص201.
(4) في النسخة "أصبحت". (5) في النسخة "طيباً".
(6) انظر "المحتضرين" لابن أبي الدنيا ص361.

فقال أخ زاهد، فقال الطبيب خاف من الله حتى [قطع][1] كبده فلا يكون دينه إلا حقا، فأسلم ببركة خوفه، فخوف الله يفيد الغير فكيف لصاحبه؟!، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 46].

وروي عن عطاء السلمي رحمه الله كان يبكي يوماً في السطح عند الميزاب، فسالت دموعه حتى أصابت ثوب رجل مار تحته، فنادى: ماء ميزابك طاهر أم نجس؟ فقال عطاء، لا، بل هو نجس ولا يطهر بالغسل، وأراد في نفسه أنه ماء عين العاصي. فقالت امرأة في جواره واقفة على حاله: يا صاحب الثوب لا تغسل ثوبك فإنه دموع عين ولي الله تعالى. فروي أن الرجل وضع ثوبه وأوصى أنه إذا مات يجعل هذا الثوب المبلول كفنا له، فلما مات وفعلوا ما أوصى رأوه في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ربي ببركة دموع عطاء السلمي رحمه الله حيث أصابت ثوبي وكفنت به، فدموع الغير تفيد الغير فكيف لصاحبه؟!.

(1) في النسخة "يقطع" والله أعلم بالصواب.

الباب الثامن والأربعون
في فضل صلة الرحم ووزر من قطعها

لا يجب على المسلم نفقة أحد من أقربائه وذوي رحم محرم منه إذا كانوا كفاراً إلا الآباء والأمهات لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ [لقمان: 15][1] إلى قوله ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: 15]، قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني إذا كان الأبوان كافرين والولد مسلم ينفق عليهما ما عاشا ويزورهما إذا ماتا [في][2] قبرهما.

وعلى المحجوب بالسفه والصبي الغني نفقة محارمه من الأقارب لأن صلة الرحم واجبة لما روي عن النبي عليه السلام أنه سأل عن الزبير فقال: الذي يخرج من الدنيا بالاسم الذي سماه [والده][3]، يعني لم يتعلم حرفة حتى ينسب إليه أو يكتسب مالا فيصل به رحمه.

فلولا أن صلة الرحم واجبة ما سماه زبيرا فدل بأن صلة الرحم واجبة وقاطعها آثم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: 22].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرحم معلق بالعرش ينادي فيقول يا رب أنت الرحيم وأنا الرحم وسميتني رحما، اللهم صل من

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [لقمان: 15].

(2) ساقطة من النسخة.

(3) في النسخة (والدته)، ولم أجد لهذا الحديث تخريجاً أو رواية مقاربة له، وقد يكون الناسخ أسقط كلمة هنا أو حرفها والله أعلم.

وصلني واقطع من قطعني»(1).

وعن جبير بن [مطعم](2) ﷺ قال: قال رسول لله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»(3).

قال الشيخ الحاكم أبو نصر الحربي بإسناد له عن الحوشب بن الحسين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل به وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وقطعوا الأرحام لعنهم الله تعالى عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم»(4).

وبإسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يمد له في عمره ويبسط له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء ويستجاب دعاؤه فليصل رحمه»(5).

قال: حدثنا [الملاحمي](6) بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ظل عرش الله تعالى يوم القيامة امرأة [مات](7) عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج قالت أقيم على أيتامي حتى يغنيهم الله تعالى أو يميت ـ يعني اليتامى أو هي ـ، ورجل له مال فصنع طعاماً [فأطاب](8) صنعه وأحسن نفقته فدعا إليه اليتيم والمسكين، ورجل وصل الرحم [فيوسع](9) له في رزقه ويمد له في أجله ويكون تحت ظل عرش ربه»(10)، فهؤلاء الثلاثة في ظل عرش الله تعالى يوم القيامة.

---

(1) وجدته بروايات منها قوله ﷺ «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله». انظر "صحيح مسلم" ج8 ص7.

(2) في النسخة "معظم"، والصحيح ما بينته انظر "الأعلام" ج2 ص112.

(3) انظر "صحيح مسلم" ج8 ص8، و"سنن أبي داود" ج2 ص60.

(4) انظر "تفسير حقي" ج1 ص102.

(5) انظر "شعب الإيمان" ج6 ص219، و"كنز العمال" ج3 ص366.

(6) مترددة في النسخة بين "الملاحي" و"الملاحمي".

(7) في النسخة "ماتت".

(8) في النسخة "فأصاب".

(9) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(10) انظر "تفسير حقي" ج1 ص102، 474.

وبإسناد له عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليصل رحمه وقد بقي من أجله ثلاثة أيام فيزيد الله تعالى في أجله ثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من أجله سنة فيرد أجله إلى ثلاثة أيام»(1).

قال: حدثنا أبو الفضل بإسناد له عن أبي الحسن الفارسي قال: قال معروف الكرخي(2) رحمهم الله كان في جواره فاسق ولكن واصل الرحم يزورهم في الجمعة مرات، فمات وصليت [عليه](3) وتبعت جنازته حتى واريته في قبره، فنمت ورأيته في المنام بيده لواء من نور وخلفه جمع عظيم وعليه ثياب من نور وبين أيديهم وأيمانهم وشمائلهم وخلفهم أنوار وهم يقرأون بصوت رفيع ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسرَاء: 26]، فلما وقع بصره عليّ قلت بالذي أكرمك من هؤلاء معك؟ قال: هؤلاء الواصلون للرحم يمضون تحت هذا الأعلام إلى دار السلام. فقلت بم وجدت ما وجدت وقد كنت في الدنيا فيما كنت؟ قال: بصلتي الأرحام [نلت](4) هذه الكرامة.

قال الحكماء: أربع من أسرع الأعمال عقوبة: رجل [كافأ الإحسان بإساءة](5)، ورجل يبغي [على](6) من لا يبغي عليه، ورجل عاهدته على أمر وكان من رأيك الوفاء ومن رأيه الغدر بك، ورجل ذو رحم تصله [فيقطعه](7).

---

(1) وجدته برواية «وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فصيره الله إلى ثلاثة أيام». انظر "كنز العمال" ج3 ص357.

(2) معروف الكرخي (200 هـ) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ: أحد أعلام الزهاد والمتصوفين. كان من موالي الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم. ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد. اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الإمام أحمد بن حنبل في جملة من يختلف إليه. ولابن الجوزي كتاب في (أخباره وآدابه). انظر "الأعلام" ج7 ص269.

(3) ساقطة من النسخة.

(4) في النسخة "ثلث".

(5) في النسخة "كاف اساءة".

(6) ساقطة من النسخة، وهو يقصد الشر.

(7) في النسخة "فيقطعك".

جاء في هامش النسخة "وروي عن أبي [هريرة] أن عليه السلام قال «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا»، يعني ذنوبه الصغائر بغير وسيلة طاعة، يكون مغفوراً من فضل الله «إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال» يعني يقول الله تعالى لملائكته النازلة بهدايا المغفرة «انظروا هذين حتى يصطلحا)=

وروي أن الله تعالى لما خسف بقارون الأرض فكان يسفله الملك الموكل عليه كل يوم في الأرض مقدار قامته، فلما [التقم][1] الحوت يونس بن متى عليه السلام فطاف به في قعر البحر سمع قارون تسبيح يونس فعلم قارون أنه تسبيح آدمي، فقال من أنت؟ قال: أنا يونس بن متى. قال: ما خبر ابن عمي موسى؟ فأخبره بخبره. فأوحى الله تعالى إلى الموكل أن امسك عن عذابه فإنه لا [. . .][2] أن أزيد عذاب مَنْ يسأل وهو تحت الأرض من رحمه هو على وجه الأرض.

وروي عن [أسيد][3] قال: أتى إلى رسول الله ﷺ رجل من بني سليم وأنا عنده، فقال يا رسول الله إن أبواي قد [هلكا][4] فهل بقي علي من بعد موتهما شيء من برهما؟ قال النبي عليه السلام: «أربعة أشياء الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة رحمهما الذي لا رحم لك إلا من قبلهما فقال الرجل ما أكثر هذا وأطيبه، [قال:][5] فاعمل به»[6].

= لا تعطوا منها [. . .] الرجلين الذين بينهما عداوة حتى ترفع ووقع بينهما الصلح، وفي رواية أنه عليه السلام قال «يعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس لكل عبد مؤمن إلا عبد بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يفيئا» والمراد بالجمعة الأسبوع. مجموعة". انظر "صحيح "مسلم" ج8 ص12.
وجاء في الهامش "خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الأرض، وخسف الله الأرض أي غاب [به] فيها. صحاح". انظر "الصحاح" ج1 ص172.

(1) في النسخة "استقم".
(2) في النسخة كأنه "يجمل من كبري" ولعل المقصود "ليس من كبريائي" والله أعلم.
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(4) في النسخة "هلك". (5) ساقطة من النسخة.
(6) انظر "سنن البيهقي" ج4 ص28، و"صحيح ابن حبان" ج2 ص162.

الباب التاسع والأربعون
في النهي عن النياحة في المصيبة

إذا استأجر الرجل امرأته لترضع ولده منها وهي في نكاحه أو عدة رجعية منه فالإجارة باطلة عندنا، وعنده يجوز لنا أن النساء يعاملن [ويعارضن][1] إرضاع أولادهن من أزواجهن حسبة، فإذا ندرت[2] نادرة فلا حكم للنادر؛ كما لو أجرت امرأة نفسها في طلب النكاح أو في عدة من طلاق رجعي من زوجها لتخدم في أمر البيت لم يجز، فكذا هاهنا.

ولو استأجر ابنه ليخدم لا يجوز لأن خدمته مستحقة عليه كاستئجار المرأة لتخدم زوجها.

ولو استأجر امرأة لتنوح على ميته لم يجز لأن هذه إجارة على المعصية، فلم يجز كالإجارة على الطاعة.

ولو استأجرها ليزني بها لا يجوز ولا حد عليه، وعليه مهر مثلها عند أبي حنيفة لأن الزنا معصية، فلم يجز كالإجارة في النياحة لأنها معصية، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [المُمتَحنَة: 12].

قال: حدثنا أبو عبد الله بإسناد له عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين في جهنم صفا عن يمينهم وصفا عن شمائلهم ينبحن على أهل جهنم كما ينبح الكلاب»[3].

---

(1) في النسخة كأنها "يعارفن". والظاهر أن الناسخ أسقط كلمة أو حرفها بشكل كبير والله أعلم.

(2) جاء في هامش النسخة "معناه إذا طلبت المرأة أجرة". والأصل هو حدوث شيء خارج عن العادة، جاء في القواميس: ندر الشيء يندر ندرا سقط وشذ. انظر "الصحاح" ج2 ص200.

(3) انظر "المعجم الأوسط" ج5 ص251، و"كنز العمال" ج15 ص608.

قال أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن مجاهد عن العبادلة قالوا قال رسول الله ﷺ: «القاص ينتظر المقت ومن حوله ينتظر الرحمة، والتاجر ينتظر الربح والمحتكر ينتظر اللعنة، والنائحة ومن حولها من امرأة معلمة فعليهن لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1]، قال مجاهد حدثنا بهذا الحديث كعبا، قال: يا أبا الحجاج ألا أخبرك بأشد الناس عذاباً في العقبى؟ ثلاث نسوة: الزانية؛ والعاصية زوجها؛ والنائحة، وأشد هؤلاء الثلاثة عذاباً وأبعدهم قعرا في النار النائحة.

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد يروي عن عمر ﷺ يقول عند موته: وأسفي على ثلاثة لم أقتل النائحة وقدرت عليها، ولم [أزوج][2] المولى إلى العرب، ولا قتلت نصارى بني تغلب حين أبوا من الجزية.

قال سمعت فاطمة بنت محمد قالت توفي ولدي وهو ابن خمس وعشرين سنة فكنت أنوح عليه سنة كاملة، فلما كان بعد سنة رأيته في المنام وقد امتلأت نفسه ووجهه جدريا وقروحا، فقلت يا بني ما هذه الأشياء؟ فقال هذه علامة دموعك التي تبكي عليّ، لا يتقاطر دموعك إلا ويصير عليّ قروحا. قالت: فانتبهت وتبت إلى الله تعالى وصليت أربع ركعات، وكنت أسأل أن أراه ثانياً في المنام؛ فما رأيته إلا بعد ثلاثة أشهر، فرأيته فقلت: يا بني [كيف تجدك؟][3]. فقال: نجاك الله تعالى من عذاب القبر كما نجيتني بترك بكائك عليّ.

قال: حدثنا أبو عبد الله المطوعي بإسناد له عن حماد قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول «من سود الباب والثياب وقطع [الذوائب. . .][4]

---

(1) وجدته برواية "مستمعة" و"مستحقة" بدل "معلمة". انظر "مسند الشهاب" ج1 ص205، و"السلسلة الضعيفة" ج9 ص71، و"كنز العمال" ج15 ص609.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) ساقطة من النسخة أو كلمة في معناها ساقطة والله أعلم.

(4) في النسخة "الزوائب وضرب" ولعله يقصد "خرب" والله أعلم.
الذؤابة: من كل شيء أعلاه، يقال ذؤابة السوط وذؤابة العمامة وشعر مقدم الرأس (ج) ذوائب. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص639.

الدكان عند المصيبة غضب الله تعالى عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليما، ويقول الله تعالى: يا عاصي فعلت ما قدرت عليه فبئس ما فعلت أنت، أمرتك بالصبر فتركت وصيتي واتبعت عدوي وآثرت أمره فكن معه في النار فأنا عنك غير راض لا أقبل منك صرفا ولا عدلا ما دام لك السواد على بابك»[1].

عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبض ملك الموت روح العبد قام ملك الموت على عتبة الباب ولأهل الدار فمنهم الحادثة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت فيم هذا الجزع وفيم الفزع فوالله تعالى ما نقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحد منكم رزقا ولا ظلمت على أحد منكم بشيء، فإن كانت شكايتكم مني وسخطكم عليّ فأنا مأمور مطيع، فان كانت لميتكم فهو مقهور محجور، فإن كان ذلك من ربكم فأنتم به كفرة، وإن لي بكم دعوة ثم دعوة حتى لا [أبقي][2] منكم أحدا»، قال ابن عمر رضي الله عنه: «ولو كان أحد منكم يرى مكانه أو سمع كلامه لكفوا عن [ميتهم][3] ولبكوا على أنفسهم»[4].

قال علي رضي الله عنه: من سوّد الباب والثياب فعليه من الوزر بعدد أنفاس الملائكة.

وقال الزبير بن العوام: من سوّد الثياب فقد سوّد موضع النور في قلبه، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: 22][5].

وقال عبد الرحمن بن عوف: من سوّد وخرق ومزق وقطع الذؤابة والشعر فقد خرج من الإسلام ودخل في دين غير دين الله تعالى.

---

(1) لم أجد له تخريجاً.
(2) في النسخة "بقى".
(3) في النسخة "ميتكم".
(4) وجدته برواية (الصاكة) بدل (الحادثة). انظر "التذكرة" للقرطبي ص75، و"الكبائر" للذهبي ص183.
(5) جاء في النسخة (عن ذكر الله) بدل (من ذكر الله).
وجاء في هامش النسخة "مزقت الثوب مزقه مزقا أي [خرقته]. صحاح". انظر "الصحاح" ج2 ص169.

قال سمعت بعض أهل العلم [قالوا:](1) كان داود النبي عليه السلام جالساً بين أصحابه [فنعس](2)، فلما انتبه قيل له في ذلك، فقال رأيت كأني في الجنة فرأيت صبيانا يلعبون بالتفاح واحد منهم جالس في ناحية مغموم، فقلت لهم ما أصابه فإنها موضع فرح لا موضع ترح؟ فقالوا إنه محزون لبكاء والديه عليه كل يوم.

وأبلغ الوعظ في هذا الباب أن الله تعالى يقول ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [المُمتَحنَة: 12](3) إلى قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [المُمتَحنَة: 12] أمر الله تعالى محمداً عليه السلام ببيعة النساء بالشرائط المذكورة وهو ترك الشرك والزنا والسرقة والبهتان والقتل بغير حق والنياحة، فانظر إلى عظم أمر النياحة حيث قد نهى الله تعالى [عن](4) هذه الأشياء.

(1) في النسخة "قال". (2) في النسخة "فنفس".

(3) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المُمتحنَة: 12].

(4) في النسخة "إلى"، وانظر إلى شرح الآية الكريمة والنياحة في "تفسير ابن كثير" ج8 ص100، و"تفسير القرطبي" ج18 ص73.

الباب الخمسون
في [الخوف من][1] دعوة المظلوم

لو تلف الشيء المغصوب مثل الدار والأرض في يد الغاصب بفعله يضمن بالاتفاق، وإن تلف بسبب سماوي من غير فعل أحد لم يضمن عند أبي حنيفة وفي أحد قولي أبي يوسف وعند الشافعي ومحمد وأحد قولي أبي يوسف يضمن الغاصب.

عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كانت من فاجر يفجر على نفسه»[2].

وحدثنا أبو سعيد «[إن العبد][3] إذا ظُلم فلم ينصره أحد فرفع طرفه إلى السماء فدعا الله تعالى قال الله: لبيك عبدي أنا أنصرك عاجلا وآجلا»[4].

وبهذا الإسناد عن عبد الله بن سلمة أن رجلاً قال لمعاذ بن جبل أوصني. قال معاذ: صل وصم ونم وافطر واكسب ولا تأثم وإياك ودعوة المظلوم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

قال: حدثنا الأديب الزاهد أبو يوسف بإسناد له عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوتان لا حجاب لهما حتى تبلغا العرش دعوة الوالدين على ولدهما ودعوة المظلوم على ظالمه»[5].

قال قرأت على أبي الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان في بني إسرائيل امرأة يقال لها أروة حسنة فريدة في عصرها، فذهب زوجها إلى السفر وسلم أمر معاشها إلى

---

(1) في النسخة "خوف عن".
(2) انظر "كنز العمال" ج2 ص106.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) انظر "كنز العمال" ج3 ص507، و"جامع الأحاديث" للسيوطي ج7 ص375.
(5) انظر "بريقة محمودية" ج5 ص105.

أخيه وأوصاها، فلما غاب الأخ الأكبر دخل عليها الأصغر وقال لها كنت معشوقا بك من مدة بعيدة فالآن وجدت ما تمنيت فتابعي رأيي فإني أخدمك فإن أخي قد غاب، فقالت: إن غاب أخوك فالله حاضر وإن كان زوجي لم يعلم فالله تعالى يعلم ويرى، فأنا أحفظ حق زوجي ولا أعصي ربي عزوجل.

فخرج الرجل خائبا فاستقبله إبليس عليه اللعنة فسأله فقص القصة، فقال له ارجع إليها فإن عادة النساء كذلك عدها وأوعدها فإنها ترضى، فرجع إليها فوعدها بالإحسان وخوفها حتى قال لها أقيم عليك شهودا أنها زنت فترجم فأستريح، فقالت: ليس الروح والبدن بشيء في رضى الله تعالى.

فذهب وأقام شهادة الزور عند القاضي بزناها، فأمر برجمها فرجمت حتى ظنوا أنها ماتت فتركوها أكلة للسباع، فمر بها أعرابي من الرعاة فسمع أنينها، فبلغ إليها فإذا هي امرأة مثل الشمس حسناً ملطخة بالدماء، فشكت من العطش فسقاها وذهب بها إلى منزله، فداوها حتى برئت وصارت أحسن ما كنت، فعشقها الأعرابي، فقالت اتق الله ولا تبطل ما كسبت في، فإن لي زوجا ومن [شأني][1] كذا وكذا، فكف عنها وكان يحسن إليها حسنة، فرأى فيها غلام الحبش فزجرته وخوفته، فقام الغلام وسط الليلة وذبح ابن سيده في المهد وأخفى السكين تحت وسادة المرأة ولطخ ثيابها بالدماء.

فلما قامت الأم لتنظر الابن فإذا هو مذبوح، فصاحت وأناروا السراج فرأوا في ثياب المرأة دما، فرفعوا وسادتها فوجدوا السكين والدماء تقطر منه، فأقبلوا عليها فقالت: أنا بريئة ولا أعلم ما هذا، وإني قد أوقعت نفسي في الرجم مخافة الرب والزنى اخف إثما من القتل، فاعقلوا وخافوا الله تعالى، فقبلوا منها قولها وصبر الرجل فإنه كان صالحا، ثم أعطاها أربعمائة دينار وقال بدلي مقامك فإني أخاف عليك أن يؤذيك[2] أحد من أهلها.

فذهبت تمر على قرية إذ رأت شاباً مصلوبا، فسألت فقالوا إن والينا صلب

(1) في النسخة "شأن".
(2) في النسخة "لا يؤذيك".

من لم يؤد خراجه، [فلن][1] يسقط من الخشب حتى يدفع الخراج، فقالت كم خراجه؟ فقالوا أربعمائة دينار، فدفعت الأربعمائة ليتخلص المصلوب ثم ذهبت.

فلما [خُلي][2] عنه سأل الشاب من خلصه، فقالوا امرأة فارة، فتبعها حتى أدركها وهي بقرب [الفرمة][3]، فلما نظر وجهها عشقها ولم يتمكن من التمالك، فقالت اتق الله إني أحسنت إليك وأنت تريد هلاكي فهذا ليس بإنصاف.

وكانت تعبر في البحر سفينة فصاح الفتى يا أهل السفينة إن ليس معكم جارية فإن كنتم تريدونها فتوقفوا، فلما سكنوا ورأوا المرأة [فأعجبوا بها][4] واشتراها واحد بألف درهم، وأدخلوها السفينة ومضوا.

فلما جن الليل طمع فيها صاحبها، فقالت إلٰهي احفظني، فأظلمت عليهم السماء وتموج البحر حتى تيقنوا الهلاك والغرق، فقالت أروة يا قوم أتريدون الخلاص؟ استمعوا إليّ فإني حرة وقد اشتراني هو وطمع فيّ ولي زوج، فإن كنتم تخلصونني من الرق فادعو الله تعالى فيكشف عنكم وينجيكم، فدفعوا لصاحبها ألفاً ودعت الله تعالى فسكن الريح وأمنوا، ثم إنهم نقضوا العهد وهموا بها فعصفت الريح حتى تصدعت[5] السفينة بنصفين، فغرقوا كلهم وسلمت أروة مع أموالهم لأن الرجال كانوا في نصف السفينة وأنها كانت مع الأموال في النصف الآخر من السفينة، ففرق النصف الذي فيه الرجال وسلم النصف الذي فيه الأموال وأروة بقدرة الله تعالى وحفظه، فبلغ هذه النصف إلى الشط بأمر الله تعالى وخرجت أروة فحمدت الله تعالى وشدت السفينة المنكسرة وأخرجت الأموال، ثم جعلت نفسها في زي الرجال، ثم ذهبت إلى مدينة كانت بقرب الشط ودخلت [على][6] ملكهم بزي الرجال، وأخبرته أنها جاءت السفينة منكسرة فيها أموال قد غُرقت أربابها وخرت مع أموالهم، وليرسل الملك وليأخذ أموالهم

---

(1) في النسخة "فلم".
(2) في النسخة "حُلى".
(3) في النسخة كأنها "الفرصة"، وجاء في هامش النسخة "اسم مكان".
(4) في النسخة "فاعجبوها".
(5) جاء في هامش النسخة "الصدع الشق، يقال صدعته فانصدع أي انشق. صحاح. انظر "الصحاح" ج1 ص382.
(6) ساقطة من النسخة.

وليخبر ورثة ملاكهم [فليجيؤوا][1] وليأخذوا حقوقهم.

فأرسل الملك فوجد الأمر كما ذكرت، فتعجب الملك من حسنها وكمال عقلها وأمانتها ولم يعلم أنها امرأة وأنها أقبلت على العبادة حتى اشتهرت، فكانوا يجيئون إليها بالمرضى والزمن[2] فيجدون الشفاء بدعائها، فلما استحضر[3] الملك قالوا له استخلف علينا من ترضى به، قال استخلف عليكم هذا الغلام العابد المتدين، فرضوا بذلك ومات الملك.

فجلست على السرير فدخل عليها أشراف المدينة، فقالت لهم أرسلوا إلي كل واحد منكم ابنته وأخته، ففرحوا وظنوا أنه يختار لنفسه واحدة للتزوج، فلما دخلن عليها متحليات أرخت ذوائبها من ثيابها، فرأين امرأة لم يرون أحسن منها، وقالت تخبرن آباءكم أنها امرأة وهي لا ترضى أن تكون لكم إماماً يخطب وهي غير جائز. فلما علموا زاد محبتهم واعتقادهم، فاتفقوا على أن تنصب من يخطب لهم ويقضي لهم والأمر إليها، ثم إنها أقبلت على العبادة فشاع خبرها في الأطراف.

قال وهب بن منبه ﷺ: ثم إن زوجها قدم بعد عهد طويل، فوجد أخاه أعمى مقعداً ولم ير أروة، فسأل، فقال له الأخ إنها زنت ورجمت وتوفيت، فاسترجع [. . .]، ثم لما سمع خبر الجارية أنها مستجابة الدعوة فحمل أخاه وذهب فلقيه رجل مع ابنه الأعمى وهو المصلوب، فسارا فإذا الأعرابي في الطريق يطلب رفيقا إلى الجارية المستجابة ومعه الحبشي وهو أعمى، فمشوا حتى وصلوا إلى أروة، فعرفتهم وهم لها منكرون، فحمدت الله تعالى وشكرت له وخنقتها [. . .] العبرة ولم تظهر حتى قالت لزوجها ما تريد؟ قال: إن هذا أخي فأريد أن يبرأ ببركة دعائك. فقالت: إن أخاك قد ارتكب معصية وظلم أخيه المسلم فأدركه دعاء المظلوم فعاقبه الله تعالى، فليقر بذنبه وإلا لم يجبني الله إن

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) زمن: زمنا وزمنة وزمانة مرض مرضا يدوم زمانا طويلا وضعف بكبر سن أو مطاولة علة فهو زمن وزمين. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص833.

(3) أي كان يحتضر.

دعوت له، فتفكر المبتلى وقال إنها صادقة، اضطررت فلا بد من الصدق، ثم رجع إلى أخيه وقال تعلم أن امرأتك من أجمل النساء وقد غرني الشيطان بها، وأنها أبت وخافت الله تعالى ورعت حقك فما خانت، وقص القصة بتمامها، فقالت أروة عبد اعترف إلٰهي وأنت تفك من يعترف فشفاه الله تعالى من العمى والزمن.

ثم قام أب المصلوب فقالت إن ابنك خان بمقابلة الإحسان فأخذه الله تعالى بدعاء المظلوم، فإن اعترف شفاه الله تعالى، فقال المصلوب هي صادقة وقص القصة، وقال لما بعتها انقلب الثمن حجارة وعميت، فقالت أروة اللهم كما صدق في ذنبه فاشفه فأبصر في ساعته.

ثم قال مولى الحبشي انظري إليّ وهو لا يعرفها، فقالت إنه غدرك وكفر نعمتك فابتلي، فإن هو يصدق بذنبه يجد الشفاء، فقال يا مولاي أنا الذي قتلت ابنك واتهمت تلك المرأة الإسرائيلية فعاقبني الله تعالى بذلك، فقالت أروة إلٰهي إن كان صادقا فلا تحجب بصره عن نور شمسك، فعوفي الحبشي من ساعته وكل ذلك في عين زوجها وجماعة أهل الجزيرة، فلما فرغت قالت لزوجها هل في شبه لامرأتك؟ فقال لو أنها [ما](1) قتلت لقلت لك امرأتي. فقالت ادن مني فأنا التي رجمت لأجلك فذقت الرق والأسر والفدية والغرق والبحر والبر لأجلك وأديت الأمانة عليك.

قال وهب رضي الله تعالى فبكى الرجل ومن كان عندهم من الأشراف وتعجبوا، فلما جن الليل قامت وتوضأت وصلت ثم قالت إلٰهي إن كنت عني راضيًا فلا أريد غير خدمتك بعدما ذقت حلاوة خدمتك واقبضني، ثم سجدت وماتت في سجودها، فرحمة الله تعالى عليها وعلى من يعتبر.

وذكر في كتاب آخر أن أروة وزوجها بعدما التقيا عاشا مدة حتى ولد منها أربعة أنبياء عليهم السلام.

---

(1) ساقطة من النسخة.

الباب الحادي والخمسون
في نصرة المظلوم وقضاء الحاجات

ولو أن رجلاً رأى من لا يحسن الوضوء فعليه أن يعلمه ويأثم بترك التعليم بحديث الحسن والحسين إذ رأيا أحداً لا يحسن الوضوء، فتوضّآ في وجهه فحصل له العلم إذ علماه.

ولو أن رجلاً يصلي ولا يتم ركوعه وسجوده فواجب على من يراه أن ينهاه لما روي عن ابن رفاعة بن رافع أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى مخففا، فقال له رسول الله «قم فصل فإنك لم تصل، فصلى ثلاث مرات والنبي عليه السلام يقول ما صليت، فقال الأعرابي بعد المرة الثالثة يا رسول الله علمني فإني جهدت جهدي، قال له: إذا أردت الصلاة فتطهر كما أمرك الله تعالى، ثم استقبل القبلة ثم قل الله أكبر، ثم اقرأ ما معك من القرآن، ثم اركع وسوِّ ظهرك وقل سبحان ربي العظيم ثلاثاً، ثم ارفع رأسك واستوِ قائماً حتى يطمئن كل عضو منك، ثم اسجد وسوّ ظهرك فقل سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، ثم ارفع رأسك فكن جالساً حتى يطمئن كل عضو منك، ثم اسجد الثانية كذلك، ثم اصنع في ثانيتك ما أنت صانع في أولك، فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك، فإذا أنقصت من هذا فقد نقصت صلاتك»[1].

ثم النهي ينقسم تارة باليد، أو بالوعظ في اللسان، أو الكناية والتعرض ماذا يليق في الوقت.

وقد روي أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام قال: يا رسول الله أنا في ثلاث أكذب وأشرب وأزني وأتوب على يدك من واحد لا غير، فمن أيها أتوب؟ فقال عليه السلام: «تب عن الكذب»، فتاب عنه ورجع، فوقتئذ خرج إلى الشرب

---

(1) انظر "سنن الترمذي" ج2 ص100، و"سنن أبي داود" ج1 ص318.

فاستقبله أبو بكر الصديق ﷺ وقال: يا فلان [من][1] أين وإلى أين؟ فتفكر فقال الصدق أولى فإني تبت من الكذب. فقال من البيت إلى فلان أشرب معه. فقال أبو بكر: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ [المَائدة: 90][2] الآية، أيها الرجل أما سمعت قول رسول الله «من شرب شربة من خمر الدنيا يسقى سبعين قدحا من حميم أهل النار»، قال فرجع الرجل فترك ذلك ولم يعد.

فلما كان من الليلة الثانية خرج الرجل قاصدا إلى الزنا، فاستقبله عمر فقال له إلى أين؟ فما كذب بل قال إلى فلانة أزني بها، فقال عمر ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الأعرَاف: 33][3] يعني الزنا، وقول رسول الله «من زنى يضرب على باب النار بسوط مالك عليه السلام مائة سوط»، فتاب من الذنبين.

ولو أن رجلاً رأى مؤمناً يظلم عليه يفترض عليه أن ينصره إن قدر لما روي أنه عليه السلام قال: «من رأى مظلوماً فاستغاث به لم يغثه ضرب في [القبر][4] مائة سوط من نار» يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: 113] أي بميلكم إلى قول الظلمة.

وعن ابن عمر أنه قال سئل رسول الله عليه السلام أي العباد أحب إلى الله تعالى؟ قال: «أنفع الناس للناس، وإن من أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين أن يطرد عنه جوعا أو يكشف عنه كربا أو يقضي عنه دينا، ومن مشى مع أخ له مسلم في حاجته كان كصيام شهر رمضان واعتكافه، ومن مشى مع مظلوم يعينه يثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام»[5].

---

(1) في النسخة كأنها "هامن".

(2) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المَائدة: 90].

(3) قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعرَاف: 33].

(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(5) وليس واضحاً هل هذه النصوص ذكرها المؤلف في نص واحد أم هي عدة أحاديث، =

وعن ابن عباس ﷺ قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل»[1].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال عليه السلام: «أربعة يقيمهم الله تعالى على منابر من نور فيدخلهم في رحمته. قيل له من أولئك يا رسول الله؟ قال من أشبع جائعاً، أو فرّ غازياً في سبيل الله، وأعان ضعيفاً، وأغاث مظلوماً ملهوفاً»[2].

قال سمعت أبا محمد عبد الله بن الفضل يروي عن بلال ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في منزل أبي بكر الصديق ﷺ بمكة، فقُرع الباب فخرجت، فإذا أنا برجل نصراني يقول: هل ههنا محمد بن عبد الله، فأدخلته فقال: يا محمد أتزعم أنك رسول الله، فإن أنت كذلك حقاً فانصرني على من ظلمني، قال النبي عليه السلام: «من ظلمك؟»، قال: أبو جهل بن هشام أخذ مالي، فقام عليه السلام وذلك عند الهاجرة.

قال بلال قلنا يا رسول الله إنه الآن في القيلولة فيشق عليه فنخاف أن يغضب عليك ويؤذيك، فلم يسمع وذهب إلى أبي جهل وقرع عليه الباب مغضباً، فخرج أبو جهل بالغضب فإذا هو رسول الله قائماً، فقال: أدخل هلا أرسلت إليّ فآتيك، فقال عليه السلام: «أخذت مال هذا النصراني رد عليه ماله»، فقال عليه اللعنة: لهذا جئت؟ هلا بعثت إلي أحداً رددته عليه، فقال النبي عليه السلام: «لا تطول ولكن ادفع ماله إليه»، فأخرج جميع ما أخذ منه ورده عليه.

فقال النبي عليه السلام: «يا أخ النصراني هل وصل إليك؟». فقال نعم إلا [سلة][3] واحدة، فقال عليه السلام: «أخرجها»، فطلب في بيته فلم يجد لها،

= والظاهر أنها مجموعة أحاديث على حسب ما وجدته انظر مثلاً "المقاصد الحسنة" ج1 ص325، و"الترغيب والترهيب" ج3 ص85، و"الترغيب والترهيب" ج2 ص96، و"العهود المحمدية" ج1 ص90، 194.

(1) انظر "المعجم الكبير" ج10 ص278، و"العهود المحمدية" ج1 ص175.

(2) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.

(3) في النسخة كأنها "مسلة".

فدفع أبو جهل بدلاً خيراً من [سلته، فرضي][1] النصراني ورجع النبي عليه السلام مع النصراني. فقالت امرأة أبي جهل له والله لقد تواضعت ليتيم أبي طالب كل التواضع والتذلل. فقال أبو جهل لو رأيت ما رأيت لم تقلي هكذا. قالت ما رأيت؟ قال لا تفضحيني في قومي. قالت لا أرضى الآن تخبرني. قالت رأيت على منكبيه أسدين كلما هممت أن أقول لا أدفع [كادا أن يفترساني][2] فلذلك تواضعت.

قال بلال: فلما رأى النصراني ما رأى قال: يا محمد إنك نبي الله ورسوله ودينك حق وحسن، فأسلم وحسن إسلامه ببركة اعانة المظلوم[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله عليه السلام: «من أصبح لا ينوي الظلم على أحد غفر الله له ما جنى، ومن أصبح ينوي نصرة المظلوم له أو قضاء حاجة مسلم كانت له حجة مبرورة»[4].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله عليه السلام: «من أسرّ بما يرضي الله تعالى يظهر الله منه ما يسره، ومن أسرّ بما يسخط الله تعالى يظهر تعالى بما يخزيه، ومن كظم غيضا ملأ الله تعالى جوفه إيمانا، ومن عفا عن مظلمته أبدله الله تعالى [بها][5] عزا في الدنيا والآخرة، ومن أعان على خصومة ليس له بها علم لم يزل في سخط الله تعالى حتى يترك، ومن نصر مظلوماً وكل الله تعالى ربه[6] ملكين ينصرانه على ظالمه ويحفظانه من آفات الدنيا»[7].

قال المصنف رأيت في كتاب اللطائف يقول: فيه جاء [عن][8] أنس بن

---

(1) في النسخة "مسلته رضى"، والله أعلم بالصواب.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) لم أجد له تخريجاً. وجاء في هامش النسخة "والهجر والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر. الصحاح". انظر "الصحاح" ج2 ص243.
(4) وجدت فقط الجزء الأول من الحديث، انظر "مسند الشهاب" ج1 ص263.
(5) في النسخة "بما".
(6) هكذا جاء في النسخة، ولعل الأصل "به" والله أعلم.
(7) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.
(8) ساقطة من النسخة.

مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أعان [ملهوفاً][1] ـ أي مظلوماً حزيناً ـ كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة واحدة منها إصلاح أمره في الدنيا واثنتان وسبعون درجات في العقبى»[2].

قال: سمعت الفقيه أبا الحسن الجرجاني[3] بالفارسية يقول: سب رجل إبراهيم بن أدهم وآذاه، فقال إبراهيم: إلٰهي إني أعلم أنك تعطيني الثواب لأجل إذائه لي وتعاقبه في العقبى وهبت ثوابي له فهب لي عقابه ولا تعاقبه لأجل إذائه.

عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: كنت معتكفاً في المسجد الحرام فجاء رجل وصلى ههنا ثم ذهب وفقد صرته، فرجع إليّ وتعلق بي وقال يا مختلس تصلي وتختلس من الناس أموالهم، فقلت: كم مالك؟ فقال: مائة دينار. فخرجت واستقرضت من صديقي وسلمته إليه، فلما أصبح عرفني وجاء بعشرة من أصحابي يستشفعون إلي أن أقبل منه الدنانير، فقلت ما [جعلته][4] إلا لله تعالى فلا أسترده، فقال اعف عني، فقلت بالله الذي خلقني لقد عفوت عنك حين تعلقت بي.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما، فأما اللذان يحبهما السخاء والسماحة، وأما اللذان يبغضهما فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس»[5].

يا أيها الظالم في فعله ... والظلم مردود على من ظلم
إلى متى وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعيم[6]

---

(1) في النسخة "منهوما".
(2) انظر "الموضوعات" لابن الجوزي ج2 ص171.
(3) أبو الحسن الجرجاني (392 هـ) علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن: قاض من العلماء بالأدب. كثير الرحلات، له شعر حسن. من كتبه "تفسير القرآن" و"تهذيب التاريخ" و"ديوان شعر" وغير ذلك. وكان خطه يشبه بخط ابن مقلة. انظر "الأعلام" ج4 ص300.
(4) في النسخة "جعلت".
(5) انظر "شعب الإيمان" ج6 ص117، و"كنز العمال" ج6 ص351.
(6) انظر "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ج9 ص64.

الباب الثاني والخمسون
في فضل بر الوالدين

ولو باع رجل مال ابنه المفقود والغائب غيبة ينفعه في نفقة نفسه جاز عند أبي حنيفة رحمه الله، وقالا رحمهما الله: لا يجوز له إن للأب في مال ابنه تأويل ملكه ولهذا إذا استولد جارية ابنه كان عليه قيمتها لا غير؛ وصارت أم ولده كالجارية التي اشتراها شراء فاسدا فاستولدها، يدل عليه قوله عليه السلام: «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه»[1]، ولقوله عليه السلام: «إن أولادكم هبة الله لكم ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشّورىٰ: 49] هم [وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها]»[2].

ويدل على أن للوالدين جميعاً حقاً على الأولاد قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمَان: 14][3] الآية، يعني أُمِرَ ببر والديه إذ حملته ضعفا على ضعف، أي على جهد ومشقة ووجع ثم حثه على برهما.

ثانيا قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمَان: 14] يعني اشكر لي بالتوحيد ولوالديك بالتربية إلي المرجع أجازيك بالتوحيد وبر الوالدين بالجنة ونعيمها.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [لقمَان: 15] يعني إن أمرا

---

(1) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج2 ص53، و"سنن النسائي" ج4 ص4.

(2) في النسخة " ولا أولادهم لكم إذا أجنحتم". انظر "المستدرك على الصحيحين" ج2 ص312، و"سنن البيهقي" ج7 ص480.

(3) قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمَان: 14-15].

وأرادا [منك][1] الشرك وما ليس لك به علم [بأن لله][2] تعالى شريكًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَاۖ﴾ [العنكبوت: 8] بالجهل بأن تقول لي شريكاً، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: 15] يعني اخدمهما خدمة حسنة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: مصاحبتها في الدنيا بالمعروف خدمتهما والإنفاق عليهما وزيارة قبرهما إذا ماتا.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [لقمان: 15] يعني كن على طريقة محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

قال: ونزول الآية في سعد بن أبي وقاص؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن سعد بن أبي وقاص أسلم وأمه كافرة فنذرت ووقعت في الشمس وحلفت لا تبرح من مكانها ولا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بمحمد عليه السلام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه السلام: «رضاء الرب في رضاء الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين»[4].

و[عن][5] عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى. قال النبي عليه السلام الإشراك بالله وعقوق الوالدين»[6].

قال أبو نصر الحربي بإسناد له عن ابن عباس رضي الله عنه قال: عاد رسول الله ﷺ طلحة بن أبي طلحة وهو مريض، قال له «كيف تجدك؟ قال الموت يا رسول الله.

---

(1) في النسخة "منا". (2) في النسخة "ان الله".
(3) انظر "تفسير القرطبي" ج13 ص328، و"أسباب النزول" ص230.
(4) انظر "كشف الخفاء" ج1 ص431، و"الترغيب والترهيب" ج3 ص221، و"العهود المحمدية" ج1 ص186.
(5) ساقطة من النسخة.
(6) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2229، و"صحيح مسلم" ج1 ص64.

قال: صدقت. قال فما الذي ترى؟ قال أرى ملكاً شديد البطش [. . .][1] يقول يا طلحة هلم إلى النار. فقال النبي عليه السلام: يا أم طلحة ما شأن ابنك؟ قالت يا رسول الله إنه شديد الغضب. فقال لها رسول الله ﷺ: يا أم طلحة ما كان فيه إليك شيء؟ قالت لا إلا إنه سألني طعاماً يوماً فاتخذت له [حساء][2] وقدمته إليه فولى وجهه عني، [فساءني][3] ذلك فيه. فقال النبي عليه السلام: يا أم طلحة أدركيه أدركيه، قومي الآن فصلي ركعتين ثم استغفري له»، فقامت وصلت ركعتين ثم قالت: اللهم اغفر لطلحة ما كان منه إليّ فإني عفوت له. فقال النبي عليه السلام: «يا طلحة ما الذي ترى؟ قال ذهب عني ذلك الملك وجاء ملك آخر حسن الهيئة يقول لي هلم إلى الجنة»[4].

قال: حدثنا أبو الفضل بإسناد له عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع من كن فيه حرم الله بدنه على النار وحفظه من الشياطين من ملك نفسه حين يرهب، ويرغب، ويشتهي، ويغضب»[5].

قال سمعت عبد الرحمن بن عبد [القدوس][6] الإسفراني يقول: كان عندنا رجل غني له عز وجاه وله والدة كبيرة السن كلما رأى والدته ينزل عن دابته إذا كان راكباً ويقوم بين يديها إذا كان قاعداً فتدعو له بالبركة، فكان يكثر ماله كل يوم.

قال فسكر يوماً فاستقبلته والدته وهو راكب فلم ينزل لها، فتأذت منه ودعت عليه وقالت: اللهم لا تخرجه من الدنيا حتى تذيقه الفقر وتفضحه.

قال فذهب ماله وكان يسأل الناس، وقد اتهم بواحدة حتى رجم ومات وكان ينادي استجاب الله دعاء والدتي علي والله.

(1) في النسخة (كريه المنطق) والراجح أنه يقصد (كريه المنظر) والله أعلم.
(2) في النسخة كأنها "حسعا"، وجاء في هامش النسخة "[أي] طعام".
(3) في النسخة كأنها "فسالتي" والله أعلم.
(4) لم أجد له تخريجاً.
(5) انظر "الجامع الصغير وزيادته" ص178.
(6) في النسخة "الفردوس".

باب آخر في معناه
لا يجب على الزوج نفقة [زوجته الصغيرة التي لا يستمتع بها][1]

ويجب على المسلم نفقة الأب والأم والجدة والجد وإن كانا كافرين لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمَان: 15] وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسرَاء: 23][2] يعني أحسنوا إليهما، أطلق الله تعالى فلم يقيد بالوالدين المسلمين[3].

وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً في بعض أمره فقال أوصني، فقال «أوصيك أن تبر والديك فإنهما جنتك»[4] وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسرَاء: 23] قال سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه أي إذا كبرا سناً ولم يقدرا محافظة [على][5] أنفسهما من الأذية فلا تنفر.

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري يحكي عن وهب بن منبه رضي الله عنهما قال: لما خرج نوح عليه السلام من السفينة ونام انكشفت عورته، وكان عنده ابن يقال له حام فلم يستر عورته وضحك من سوءة أبيه، فبلغ ذلك ساما ويافثا فأقبلا وسترا

---

(1) في النسخة "زوجة الصغيرة التي لا تستمع بها".

(2) قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسرَاء: 23-24].

(3) المطلق والمقيد من الأحكام الأصولية التي يرجع إليها في كتب أصول الفقه.

(4) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية، والظاهر أن الحديث ينتهي هنا والله أعلم. ومما وجدته هو قوله ﷺ لرجل بعدما سأله عن حق الوالدين «هما جنتك ونارك». انظر "الترغيب والترهيب" ج3 ص216.

(5) ساقطة من النسخة.

عورته، فلما استيقظ أُخبر بذلك فلعن حاما وقال غير الله لونك، فجعل الله السواد في نسله وصار الذل في أولاده والعبودية إلى يوم القيامة، فبان أنه لا ينبغي أن يقول "أف" حين ظهر سوء حالهما.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسرَاء: 23] [أي لا تغلظ][1] القول لهما.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسرَاء: 23] أي لين الكلام معهما إذا سمعت منهما أمراً يؤذيك فأحسن أنت.

وقوله ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسرَاء: 24] يعني لين جانبك لهما بالخدمة رحمة لهما.

وقوله ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ [الإسرَاء: 24] يعني إن كانا مسلمين.

وقوله ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسرَاء: 24] قل إنهما اشتغلا في تربيتي في حال صغري فارحمهما يا رب عند كبرهما، وإن كانا مشركين فبرهما ولا تستغفر لهما.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «لولا أني أخاف تغير الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة امرأة وهبت صداقها لزوجها لأجل الله تعالى زوجها راض عنها، والثاني ذو عيال يجتهد في المعيشة لأجلهم حتى يعطيهم من الحلال، والثالث التائب من الذنب على أن لا يعود إليه أبداً كاللبن الذي لا يعود إلى الضرع، والرابع البار بوالديه، ثم قال عليه السلام: طوبى لمن بر بوالديه وويل لمن عقهما»[2].

قال سمعت أيضاً يروى عن علي ﷺ يقول: إن رجلاً شكى إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه، فقال: «هلا كانت سيئة الخلق حين حملتك في تسعة أشهر؟ فقال: إنها سيئة الخلق يا رسول الله. فقال: هلا كانت سيئة الخلق حين أرضعتك سنين؟ قال: إنها سيئة الخلق يا رسول الله. قال: هلا كانت سيئة الخلق حين حملتك على عاتقها سبع سنين وحفظتك من آفات الدنيا. فقال: إني جازيتها يا رسول الله عن ذلك [كله][3]. قال: بماذا جازيتها؟ قال حججت بها

(1) في النسخة "ان تغلظ".
(2) انظر "تفسير حقي" ج10 ص413.
(3) في النسخة "كلها" والله أعلم بالصواب.

على عنقي. فقال رسول الله ﷺ لم تجازها بطلقة واحدة»[1].

عن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى أعرابياً يطوف حول الكعبة على ظهره أمه ويقول شعرا:

أنا لها بعيرها المذلل إذا الركاب ذعرت لم أذعر

حملتها ما حملتني أكثر فهل ترى جازيتها يا ابن عمر

فقال ابن عمر: لا ولا بطلقة يا لكع[2].

قال: وسمعنا أبا عبد الله البرقي يحكي في عامته بالفارسية عن وهب بن منبه أن داود النبي عليه السلام قرأ يعني الزبور وكلها ثناء والله تعالى لا غير فيها، قال: فرق قلبه عند ثناء الله تعالى فقال من أعبد في الدنيا مني حيث [. . .] أبدا، فأوحى الله [كثرت][3] طاعتك وهي عندنا قليلة، اصعد جبل كذا اشترِ عبداً يعبدني منذ سبعمائة عام ويعتذر مني من ذنب في زعمه وليس ذلك عندي ذنب، فإنه كان يمر على [سطحه][4] يوماً ويظن أن والدته في المنزل وأصابها من تراب السطح ولم يكن من ذلك شيء وهو لا يعلم، فيعتذر مني منذ سبعمائة عام، [فاذهب][5] إليه وبشره بالمغفرة.

قال فصعد داود الجبل فإذا هو [بالمصلي][6] نحيف البدن قد ظهرت عظام جبينه من كثرة العبادة، فسلم عليه داود عليه السلام بعدما فرغ من الصلاة، فرد عليه فقال من أنت؟ فقال أنا داود. فقال العابد: لو علمت أنك داود لم أرد عليك السلام لما وقع لك من الزلة يا داود؛ وقد جاءت منك زلة وتفرغت الصعود إلى الجبل ولا تستغفر الله، فو الله قد مررت على سطح منذ سبعمائة عام وكانت والدتي تحته فأصابها تراب السطح بمشيتي فوقه، فتأذت مني وسخطت، وسخطها سخط الله، فأستغفر الله تعالى منذ كذا لكي ترضى عني والدتي ويغفر

(1) انظر "الكشاف" ج3 ص433، و"المبسوط" للسرخسي ج10 ص150.
(2) انظر "المبسوط" للسرخسي ج10 ص151.
(3) في النسخة "بكثرت".
(4) في النسخة "سخطه".
(5) في النسخة "وذهب".
(6) في النسخة كأنها "بالصلاة".

ربي؛ لا آكل ولا أشرب مخافة أن يعذبني[1] الله تعالى، ارجع يا داود فقد منعتني عن العبادة.

فقال داود جئتك مبشراً لأن الله تعالى بعثني إليك وقال لي قل أنا عنه راض وقد غفرت له ولم تكن والدته تحت السطح، وقد خرجت من الدنيا وهي عنه راضية.

فلما سمع العابد ذلك سجد وقال: إلٰهي إن كان عبدك صادقاً بذلك فاقبضني ولا أريد حياة بعد هذا، فمات في الحال ﷺ في سجوده. فهكذا ينبغي الخوف من عقوق الوالدين.

قال مات رجل في عهد عيسى عليه السلام وكان عاقاً لأمه، فلحقتها شفقة الأمهات فجاءت إلى عيسى عليه السلام وقالت: ادع الله تعالى فينجيه فاسأله عن حاله، فدعا فأحياه الله تعالى فقالت له: ما حالك؟ فقال يا أماه كل صيحة صحت في وجهك صاح علي مالك خازن النار كل صيحة سبعين صيحة.

قال: سمعت أبا عبد الله المطوعي يحكي عن عطاء بن يسار أن قوما سافروا فنزلوا البرية فسمعوا نهيق حمار كل الليلة وقالوا: لا نرى عندك حمارا، قالت[2] ذلك ابني كان يقول يا حمارة اذهبي، فدعوت الله تعالى أن يصيره الله حماراً فصيره وهو في [الحفرة][3] يصيح كل [الليل][4]، فأبصرناه فكان عنقه كعنق الحمار.

قال: وسمعت أبا الفضل البرمعذري يحكي في عامته بالفارسية عن وهب بن منبه رضي الله عنهما قال: لما لقي يوسف أباه يعقوب عليهما السلام وكان يعقوب واقفاً فمر عليه سبعون راكباً من عسكر ابنه يوسف عليه السلام [فلقيهما وهما][5] راكبان لم

---

(1) في النسخة "لا يعذبني".
(2) الظاهر أن الناسخ أسقط ذكر المرأة التي معها الحوار.
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(4) في النسخة "الليلة".
(5) في النسخة كأنها "فلقيا وهما" والراجح أنه يقصد والديه.

يترك أبوه أن ينزل، فأوحى الله تعالى إلى يوسف [هلا قضيت][1] قضيت حق والدك بالنزول، فلو نزلته لأخرجت من صلبك سبعين نبيّاً مرسلاً.

فإن قيل لم وجب بر الأم أكثر من بر الأب؟ فنقول إن شفقة الأم أكثر من شفقة الأب، ويدل [عليه][2] قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطّارق: 5-7] فماء الرجل ينزل من صلبه وهو في ظهره، وماء الأم ينزل من ترائبها[3] وصدرها وقلبها، وماء الرجل ينزل من صلبه وهو الظهر، ومخرج الحب القلب والترائب أقرب من القلب، فالحب أزيد لذلك في حق الأم.

والحكمة أن الوالدين أشفق على الولد من الولد على الأبوين لأن آدم وحواء لم يكن لهما أبوان فلم يكن لهما شفقة على الأبوين؛ وكان لهما أولاد فوقعت شفقتهما على الأولاد فتوارثوا منهما.

ومن حق الأبوين ما ذكر محمد بن الحسن[4] رحمهما الله في كتاب السير فقال: لو أن رجلاً له أبوان كافران فنودي بالتنفير حتى افترض الخروج على كل واحد من المسلمين فمنعاه عن الخروج نظر، فإن كان معهما إياه شفقة عليه جاز له أن لا يخرج؛ ولو خرج فقد عصاهما، وإن منعاه [لإعزاز][5] الكفر وإذلال المسلمين جاز له الخروج بغير رضاهما. فهذا حال الأبوين الكافرين فكيف إذا كانا مسلمين؟!.

---

(1) في النسخة كأنها "هل لا قضيت"، والظاهر أن الناسخ أسقط كلمة أو أكثر أو حرفها في هذا الموضع، والله أعلم.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين وموضع القلادة الواحدة (تريبة). انظر "الأعلام" ج1 ص174.

(4) يقصد الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمه الله، ولقد سبقت ترجمته.

(5) في النسخة كأنها "لا غرار".

الباب الثالث والخمسون
في الولد الصالح والصدقة عن الموتى

ولو أدى الابن دين أبيه من مال نفسه في حياته أو بعد وفاته بأمره أو بغير أمره جاز وسقط الدين عن الأب لأنه فعل بمكان الأجنبي يجوز، [فلأنه][1] يجوز إذا فعل ففي حق الأب أولى.

ولو دعا لوالديه أو تصدق عنهما بعد وفاتهما جاز ووصلت الصدقة والدماء إليهما بأسرع من طرفة عين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: 39][2] يعني صدقت رسالة عيسى عليه السلام، وهو من صدقه.

﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: 39] يعني سيدا يعني عالما، وحصورا لا يأتي النساء، ونبياً من الصالحين أي مع آبائه.

قال المصنف جزاه الله عنا خيراً لما كان يحيى عليه السلام ولداً صالحاً في سابق علمه بشر الله تعالى أباه زكريا بلسان جبرائيل، فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عِمرَان: 39]، ثم وصف صلاحه ونعته فكذلك إذا مات المؤمن وخلف ولداً صالحاً بشره الله تعالى في قبره بلسان الملك الموكل بصلاح ولده ودعائه له وصدقاته عنه. والدليل على أن الأب الصالح ينفع الولد قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82] وأن الابن الصالح ينتفع من الأبوين قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [التّحْريم: 12] وذكر الله أنهما في القرآن موضع التفضيل [والخلق][3]، وهذا العمران غير الذي يذكره الله تعالى في موضع آخر

(1) في النسخة "فلان".
(2) قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: 39].
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 33]، وقيل إنه من ولد إسماعيل [و][1] سليمان عليهما السلام.

ودليل آخر أن زكريا عليه السلام لما علم فضائل الولد الصالح سأل ربه عزوجل أن يكرمه بالولد الصالح حتى أكرمه، وكثير من الأنبياء [عليهم السلام][2] كانوا يسألون الولد الصالح، فلو لم يكن في الولد الصالح منفعة لهم لما كانوا يسألون.

ويدل عليه ما حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر عيسى عليه السلام على قبر فرأى نورا ساطعا من القبر، فتوقف ودعا الله تعالى أن يكشف [الحجاب][3] ويحيي صاحب القبر فيسأله، فأحياه الله تعالى وانصدع القبر، فنظر فإذا هو بصاحب القبر وبين يديه مائدة، فسطع نور فناداه فكلم الميت بإذن الله، فقال لبيك يا روح الله أنا الذي آمنت بك وصحبتك أما [تعرفني][4]؟ فقال عليه السلام عرفتك الآن، فمن أين لك هذا النور والمائدة والخير الذي في قبرك؟ قال يا روح الله ما كان لي كثير ولكن أكرمني الله تعالى بدعاء وخلف صالح وصدقات يتصدق ابني عني، وأنا مفتخر به تحت التراب كما تفتخرون أنتم [بالبنوة][5].

وإذا كانت ليلة الجمعة بعث الله تعالى إلى قبور المسلمين ملائكة معهم أطباق من نور عليها صدقات الأحياء للأموات وثواب حجتهم عنهم ودعاؤهم لهم وثواب صلاتهم لهم، فقال عليه السلام: تبارك ربي ما أرحمه بعباده إذا أقروا به وأطاعوه. ثم عاد القبر كما كان مستويا.

قال الشيخ الإمام أبو الحسن بإسناد له عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال

(1) ساقطة من النسخة والله أعلم بالصواب.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة كأنها "الحجامة".
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(5) مترددة في النسخة بين "النبوة" و"البنوة".

رسول الله ﷺ: «خير ما [يخلف][1] الرجل ثلاث علم علمه الناس [يعملون بعلمه][2] فيبلغه ثوابهم، وصدقة تجري يبلغ أجرها إليه، وولد صالح يدعو له»[3].

قال: حدثنا الأمير الحسن بإسناد له عن أبي سعيد الخدري ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «يتبع الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال، فيقول يا رب من أين لي هذا؟ فيقال له استغفار ولدك من بعدك»[4].

قال: حدثنا أبو الفضل البرمعذري بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «سبعة تجري العبد أجرهن وهو في قبره من علم علما، أو كرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولداً يستغفر الله بعد موته»[5].

قال: رأيت في كتاب اللطائف يروي فيه عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي أنه قال: «إذا تصدق الحي [عن][6] الميت أو استغفر له بعث الله تعالى ملائكة يحملونه على أطباق من نور، فيأتون قبر الميت فينور له ويوسع له في قبره ويشرف حوله»[7].

قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن عطاء الأزرق رحمهم الله أنه قال: يُرتفع من بين القبور دخان لياليا، فدعا الله تعالى أن يعلم له ذلك، فرأى في منامه أن ذلك الدخان من قبر امرأة في جواره بنت فلانة، فذهب عطاء إلى أمها وأخبرها وسألها عن حال بنتها الميتة. فقالت: كانت زانية. فقال عطاء لها: تصدقي عن بنتك وادعي لها يخفف الله عنها.

---

(1) في النسخة "تخلف".
(2) في النسخة كأنها "يعلمون بعمله" والله أعلم.
(3) انظر "سنن ابن ماجة" ج1 ص88، و"صحيح ابن حبان" ج1 ص295.
(4) انظر "المعجم الأوسط" ج2 ص251، و"مجمع الزوائد" ج10 ص351.
(5) جاء في كل الروايات التي وجدتها (يستغفر له) بدل (يستغفر الله) وهو الظاهر الصحيح الذي يقتضي النص، انظر مثلاً " شعب الإيمان" ج3 ص248، "الترغيب والترهيب" ج2 ص41، و"كنز العمال" ج15 ص954. ولم أتجاسر وأصححها في النص الأصلي لمكانة النص.
(6) في النسخة "من".
(7) وجدته برواية مشابهة في "العلل المتناهية" ج2 ص912.

فتصدقت عنها ودعت الله تعالى لبنتها ودعا عطاء لها مع أهل مسجده، فرآها في المنام مرة أخرى لابسة ثيابا خضرا، فقال ما فعل الله بك؟ [فقالت:][1] جزاك الله عني خيراً فإن الله تعالى أجاب دعاءكم فغفر لي ببركة دعائكم.

قال سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل يقول بالفارسية سمعت بعض أهل العلم يحكي أنه كان بسمرقند سقام[2] فمرض [فنذر لأن][3] الله تعالى لاتصدقن بما اكتسب في كل يوم الجمعة عن الوالدين وأدعو لهما دبر كل صلاة مكتوبة، فشفاه الله تعالى فعاش على ذلك بنذره، فمن القضاء أنه لم يجد شيئاً في جمعة يتصدق به، فسأل فقال له أهل العلم إن وجدت قشرة بطيخ فاعلف دواب المارين في الطريق، ففعل كذلك، فنام ليلة السبت فرأى أبويه فعانقاه وقالا له: [عملت][4] في مكاننا كل خيراً إذ تذكرنا بالدعاء وتطعمنا وتسقينا، وكنا نشتهي البطيخ فأطعمتنا اليوم، فرضي الله تعالى عنك كما نحن عنك راضين.

(1) ساقطة من النسخة.
(2) أي إنسان كثير المرض.
(3) في النسخة "فنزرين".
(4) في النسخة كأنها "علمت".

الباب الرابع والخمسون
في حق الجار ووزر من أساء إلى جاره

الشفعة تثبت للشريك عند الشافعي رحمه الله فحسب، وعند أبي حنيفة رحمه الله تثبت للجار كذلك إذ العلة واحدة وفي الجار أولى أن تثبت له الشفعة لأن حق الجار ثابت على الجار الآخر، فإذا ضيع الجار حق جاره [بإسقاطه بأجنبي][1] وذلك ببيع عقاره له فالشارع لا يضيع حقه إذا اثبت له الشفعة، وهو ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «جار الدار أحق بشفعة الدار»[2].

قال النبي عليه السلام: «الجار أحق بشفعة ما كان»[3]، يعني من كان مسلماً أو ذمياً أو حربياً فله الشفعة بمراعاة حقه لئلا يجاوره من [لا][4] يرضى بجواره، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النِّسَاء: 36][5] إلى قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النِّسَاء: 36] إلى أن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّسَاء: 36].

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي أحسنوا إليهما وبذي القربى.

وقوله ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي أحسنوا إلى الجار القربى، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي الجار الذي هو قريب منك، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ أي الرفيق في

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) انظر "المعجم الكبير" ج7 ص196.
(3) انظر "نصب الراية لأحاديث الهداية" ج4 ص173.
(4) ساقطة من النسخة.
(5) قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّسَاء: 36].

السفر؛ وقيل الزوجة أو الضيف النازل بذلك.

قال الفقيه: أمرنا الله تعالى بالإحسان إلى الجار والجار على ثلاثة أوجه: جار مسلم من أهل القرابة فله ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق القرابة، وحق الجوار.

وجار مسلم ليس بذي قرابة فله حقان: حق الإسلام، وحق الجار.

وجار كافر وله حق واحد وهو الجوار(1).

واختلف الناس في الجوار، قال بعضهم: من صلى معك في مسجد حيك فهو جارك.

وقيل كل من باع بيته فيثبت لك فيه الشفعة في الطريق أو الشرب أو البيت أو العقار فهو جارك وعليك مراعاة حقه، ويدل عليه ما حدثنا الأديب الزاهد يعقوب ابن يوسف بإسناد له عن معاذ بن جبل ﷺ قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»(2).

قيل وما حق الجار؟ حقه أن تجيبه إذا دعاك، وإن استعان بك أعنته، وإذا احتاج إلى نفقة أنفقت عليه، وإن [سألك](3) أن تعطيه، وإن استقرضك أن تقرضه، وإن أصابه خير تهنئه، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مرض أن تعوده، وإن مات أن تشهد جنازته، وإن غاب أن تحفظه ولا تؤذه [بقتار](4) قدرك(5).

عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرائيل يوصيني بالجار

---

(1) قال ﷺ «الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق ومنهم من له حقان ومنهم من له حق فأما الذي له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجار وحق الإسلام وحق القرابة وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار الكافر له حق الجوار». انظر "شعب الإيمان" ج7 ص83.

(2) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص1987، و"صحيح مسلم" ج1 ص49.

(3) في النسخة "أساءك".

(4) في النسخة "بقار".

(5) قال رسول الله ﷺ: «أتدري ما حق الجار إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإذا افتقر عدت عليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته ولا تستطيل عليه بالبناء تحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذيه بقتار قدرك». انظر "شعب الإيمان" ج7 ص83، و"مسند الشاميين" ج3 ص339.

حتى ظننت أنه سيورثني، ومازال يوصيني في المرأة حتى ظننت أنه يحرم طلاقها، وما زال يوصيني في المملوك حتى ظننت أنه يجعل أمراً إذا بلغ إليه عتق، ومن مات وله جيران ثلاثة كلهم راضون غفر له[1].

قال: حدثنا عبد الله محمد بن محمد بإسناد له عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «من آذى جاره في غير حق حرم الله عليه ريح الجنة ومأواه النار، ألا وإن الله تعالى يسأل الرجل عن جاره كما يسأله عن أهل بيته فمن ضيع حق جاره فليس منا»[2].

وكان النبي عليه السلام يقول «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء عينه تراني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة كتمها وإن رأى سيئة أذاعها»[3].

وعن النبي عليه السلام أنه قال: «لا يتم إيمان امرئ مسلم حتى يأمن جاره بوائقه»[4].

قال سمعت معاذ الرازي المروزي ﷺ حين سُئل عن صفة المؤمن [قال:][5] المؤمن خفيف المؤنة، ذليل لربه عز وجل، حقير في نفسه، نادم لذنوبه، شاكر لنعمائه، باغض لأعدائه ـ أي المنافقين ـ، محب لأوليائه ـ أي المؤمنين منهم ـ في دينه، محبوس في دنياه، محتاج في آخرته، مجتهد في رضاء ربه عزوجل، مسرور في إسلامه، رحيم على إخوانه، خادم في بيته، سابق في خيراته، تارك في شهواته، راضٍ في قضاء ربه، مذكر لجلسائه، زاهد القلب، ميمون اللسان، محارب الشيطان، عابد البدن، كثير القراءة، قليل الحرص والطمع الفرح، كثير الهم والعمل، ناصح في دين ربه عزوجل، مشفق[6] لذنبه، وصول لأقربائه، منعطف على جيرانه، موسع على عياله، متعفف عن المسألة،

---

(1) لم أجده بهذه الرواية بل بروايات مشابهة ومتفرقة، انظر "شعب الإيمان" ج6 ص369، و"بريقة محمودية" ج6 ص117.

(2) انظر "مسند الحارث ـ زوائد الهيثمي" ج1 ص309، و"بريقة محمودية" ج6 ص117.

(3) انظر "السلسلة الصحيحة" ج8 ص144.

(4) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص182.

(5) ساقطة من النسخة.

(6) جاء في هامش النسخة "خائف".

كسبه من حلال، يقول الحق ويترك الفضول ويتبع السنة ويذكر الموت، فهذه صفة الذي رزقه العقل.

قال علي بن يحيى وهو المصنف نور الله [حضرته](1): وعلى المؤمن أن يتحمل الأذى عن جيرانه كما يتحمل المتقدمون حتى الأديب الزاهد أبو يوسف يحكي عن خالد [التميمي](2) قال: كان أبو حنيفة ﷺ حسن الخلق والعشرة وحسن الاحتمال والمداراة حتى كان له جار [عقر](3) يعني إذا جن الليل أقبل على شغله ولعبه، فأخذ ذات ليلة وحبس، فافتقد أبو حنيفة رحمه صوته، قالوا أخذ في الحرس البارحة. قال أبو حنيفة رحمه الله قوموا لنسعى في خلاصه فإن حق الجار واجب وقد أوصى به جبرائيل عليه السلام. فقام وقمنا معه حتى أتينا مجلس الأمير، فأخذ الأمير بيد أبي حنيفة ورفع مكانه وعظمه وقال: ما جاء بك؟ قال: المحبوس عندك من جيراني أخذ البارحة في الحرس أسألك أن تطلقه وتهب لي جرمه. قال: قد فعلت ولجميع من معه في الحبس، [هلا بعثت رسولاً حتى أقضي حقك، ثم أرسل إلى الحبس](4) وأخرجوا المحبوسين مع جيرانه.

وقال أميرهم: خليتكم لأجل أبي حنيفة فادعوا له، فقام أبو حنيفة رحمه الله وأخذ بيد جاره وقال: يا فتى هل ضيعنا حق جوارك؟ فقال الفتى: والله لن تراني من اليوم على أمر يؤذيك. ثم ذهب به حتى بلغا إلى منزل الفتى، فدفع إليه عشرة دنانير وقال خذها يا جار فهذا نقصان حبسك، وكلما تحتاج تخبرنا وادخل بيتك فإنهم مغمومون [فبشرهم](5)، فقام وقبل رأس أبي حنيفة رحمه الله ودخل منزله، وكنا نرى الفتى يختلف على أبي حنيفة رحمه الله حتى تفقه وصار من فقهاء الكوفة ببركة أبي حنيفة رحمه الله ورعايته حق الجار.

قالت سمعت أبا عبد الله المطوعي يحكي عن الحسن البصري رضي الله عنه أن رجلاً

---

(1) مترددة في النسخة بين "حضرته" و"حفرته".
(2) في النسخة كأنها "اليتمي" والله أعلم بالصواب.
(3) في النسخة "عقد".
(4) جاءت في الهامش وفيه إشارة أنها من النص.
(5) في النسخة "فبشروا".

دخل عليه وهو في قيلولته، فقال يا إمام أفي هذا الوقت مثلك ينام؟ [فقال:][1] نعم؛ منذ سنة ونصف لا أنام ليلاً فأنام في هذا الوقت. قال: ولم؟قال: لأن بجاري بطة لا تتركني أن أنام، فذهب الرجل وأخبر جاره فذبحها ورجع إلى الحسن وأخبره. فقال: أما جاري فجزاه الله خيراً وأما أنت فكان ينبغي أن لا تخبره، قال: حسن الجوار احتمال الأذى لا كفه عن الأذى.

قال: حدثنا أبو ذر عمار بن محمد البغدادي بإسناد له عن مالك بن دينار ﷺ أن محرابه كان حائط منزل يهودي، فاتخذه اليهودي لعدواته مما يليه مستراحاً، فتخرج النجاسة بجنب المحراب، فكان يحتمل عنه يجمع في إجانة[2] بالنهار ويرميها بالليل، فقال له اليهودي يوما: يا مالك احتمالك عني لأي شيء هو؟ قال: لأن النبي عليه السلام قال: «ما زال جبرائيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

قال اليهودي: لم يكن دين أبغض إلي من دين الإسلام، فالآن ليس دين أحب إلي منه وأنا أشهد أن لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله.

---

(1) في النسخة "فقام".
(2) الإجانة: إناء تغسل فيه الثياب والحوض حول الشجرة. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص15.

الباب الخامس والخمسون
في حق الزوج على المرأة

وإذا قال لامرأته: إن خرجت بغير إذني فأنت طالق فأذن لها مرة فخرجت من أخرى بغير إذنه يحنث لأنها هنا بلفظة تعم الأوقات، فليس أحدها: أولى من الأخرى. فإن أذن لها ولم تسمع فخرجت لا يحنث عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله، وقال أبو يوسف يحنث لهما أنها صارت كالغائبة وإذن الغائبة لا ينفع.

ولو قال: لا تخرجي حتى اذن لك فأذن لها مرة فخرجت ثم خرجت ثانية بغير اذن لم يحنث لأن كلمة "حتى" للغاية لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القَدر: 5]، فلما أذن لها مرة بلغت اليمين غايتها فانتهت وانحلت وارتفعت كما لو قال لها لا تخرجي غداً فلم تخرج حتى مضت الغد ثم خرجت لم يحنث.

وإذا قال لها: متى خرجت بغير إذن فأنت طالق؛ فخرجت مرة بإذنه ثم خرجت مرة أخرى بغير إذنه لم يحنث لأن كلمة "متى" عبارة عن الوقت، والوقت إذا مضى لم يحنث بعده.

ولو قال: إن خرجت إلا بإذن[1]، فخرجت مرة بإذنه ومرة بغير إذنه حنث لأن كلمة "إلا" للتكرار لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مَريَم: 64] وهو جبرائيل عليه السلام وما كان ينزل إلا بأمر الله، فبان أنها كلمة التكرار كقوله "كلما".

ولا ينبغي للنساء أن لا يخرجن من بيوتهن إلا بإذن أزواجهن تقدمت اليمين أو لم يتقدم كالرق بدليل قوله عليه السلام: «النكاح رق»[2]، فالرقيق لا يتمكن [من][3] الخروج إلا بإذن المولى كذا المرأة، ويتأكد بقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ

---

(1) يظهر أن الناسخ أسقط كلمة هنا تفيد الطلاق.

(2) انظر "إحياء علوم الدين" ج2 ص41. (3) ساقطة من النسخة.

قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّسَاء: 34][1] يعني مسلطين عليهن في الحق بتعليم الأدب والعلم ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّسَاء: 34] بتفضيل الرجال على النساء ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النِّسَاء: 34] أي بإنفاقهم عليهن.

ثم مدحهن الله ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النِّسَاء: 34] حافظات أنفسهن عند غيبة أزواجهن[2].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النِّسَاء: 34].

(2) جاء في هامش النسخة "خرّج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ «تنكح المرأة لأربع» أي لأجلها، يعني الناس يتزوجون المرأة لهذه الخصال الأربع كلها أو بعضها «لمالها»، بدل من أربع بإعادة العامل. قال رسول الله ﷺ «من تزوج لعزتها لم يزد الله تعالى إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله تعالى إلا فقرا، ومن تزوجها لحسنها لم يزد الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة [لم يتزوجها إلا ليغض] بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه» رواه الطبراني في الأوسط عن أنس. «ولحسبها» حسب [المراد ما] فيه وفي آبائه من المفاخر. مجموعة".
انظر "المعجم الأوسط" ج3 ص21.
"«ولجمالها» أو حسنها صورة ومعنى. قال رسول الله عليه السلام «إن أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن [شعرها] كما يسأل عن وجهها» فإن الشعر أحد الجمالين. مجموعة." انظر "تذكرة الموضوعات" ص127.
"(ولدينها» ختم به إشارة إلى أنها وان كانت تنكح لتلك الأغراض لكن الدين [هو] المقصود بالذات، فلهذا قال «فاظفر بذات الدين» جواب شرط محذوف، يعني إذا تحققت أن الناس [يتزوجون بالمرأة لهذه] الأربع في العادة، فاختر أيها المؤمن المرأة الصالحة ولا تطمع في شيء آخر. مجموعة".
وجاء في الهامش: "[أي أمرين. . .] كالولاة، وعلّل ذلك بأمرين موهبي وكسبي فقال ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء [بكمال] العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصب وزيادة السهام في الميراث [. . .]".
" أي حافظات أنفسهن، أي [يحفظن] في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في البيت والمال، وعنه عليه السلام «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها أسرتك وإن أمرتها أطاعتك=

قال ونزول الآية في خولة بنت محمد بن سلمة كما قال حدثنا أبو بكر أحمد ابن محمد قال حدثنا محمد بن حامد قال: حدثنا أبو الحسن عليّ بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﵄ قال: نزلت هذه الآية في خولة وفي زوجها سعد بن الربيع حين لطمها زوجها لطمة في [وجهها](1)، فذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله لطمني زوجي سعد وها هو بين اثره في وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «اقتصي منه»، ثم انصرف رسول الله ﷺ فرأى جبرائيل، فقال لها «كفي حتى أنظر ما جاء به جبرائيل إلينا في أمرك»، فأتى بهذه الآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، فقال عليه السلام: أردنا أمرنا وأراد الله تعالى أمراً فكان ما أراد الله خيراً مما أردنا»(2).

ويدل عليه ما حدثنا أبو نصر الفقيه الجوالقي بإسناد له عن عبد الله بن عباس ﵄ أن رجلاً جاء إلى رسول الله عليه السلام ومعه ابنته فقال: يا رسول الله هذه ابنتي وقد بلغت مبلغ النساء واستنكحها الأكفاء من العرب وهي تأبى ذلك. فقال لها رسول الله ﷺ: «لم لا تريدين والزوج ثلثا الدين؟ فقالت: يا رسول الله

= وإذا غبت عنها حفظتك في [. . .] ونفسها، وتلا الآية».
وقيل [لأسرارهم] ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ تعالى بحفظ الله تعالى إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق عليه، [. . .] أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من [. . .] والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن.
﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [. . .] من النشز، ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في المراقد، فلا تدخلوهن تحت اللحاف أو لا تباشروهن فيكون [كناية] عن الجماع. المضاجع المبايت، أي لا تبايتوهن.
﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ يعني ضرباً غير مبرح ولا شائن. والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يدرج فيها، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: 34] بالتوبيخ والإيذاء، فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب [كمن] لا ذنب له.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النِّسَاء: 34] فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم، وإنه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم، فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم، أو أنه [يتعالى ويتكبر] أن يظلم أحدا أو [نقص حقه. . .]".
(1) في النسخة "زوجها".
(2) انظر "تفسير الماتريدي" ج3 ص158، و"تفسير الألوسي" ج4 ص41، وجاء في المراجع برواية (أمرا) بدل (أمرنا) وهو المشهور من السياق، والله أعلم.

لا أتزوج ما لم تخبرني ما حق الزوج على المرأة. فقال النبي عليه السلام: من حقه عليها أن لو كان من قرنه إلى قدمه قروح سائلة فتلحسها بلسانها ما أدت حقه. فقالت: لا أتزوج ثلاثاً»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي باب الجنة شاءت»[2].

قال الأديب الزاهد بإسناد له عن عليّ رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب وجهاد المرأة حسن التبعل، والتودد إلى الناس نصف الدين، وما عال امرؤٌ قط في الاقتصاد فاستنزلوا الرزق بالصدقة وأبى الله تعالى إلا أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبوا»[3].

قال: حدثنا عبد الله محمد بن محمد المعروف بعويدة بإسناد له عن عائشة رضي الله عنها قالت: أوصاني رسول الله ﷺ فقال «يا عائشة أوصيك فاحفظيها واحفظي نفسك فإنكن أكثر أهل النار حطبا. قالت: قلت يا رسول الله ولم ذاك؟ قال: لأنكن لا تصبرن على الشدة ولا تحمدن في الرخاء وتكفرن النعم وتكثرن اللعن.

يا عائشة إنكن إذا أعطيتن لم تشكرن وإذا ابتلين لم تصبرن، أيما امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيراً قط إلا أحبط الله عملها؛ وأيما امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله تعالى يوم القيامة لسانها سبعين ذراعا ثم عقدها خلف عنقها.

يا عائشة أيما امرأة تسيء النظر إلى وجه زوجها حولها الله تعالى يوم القيامة ممسوخة الوجه والجسد؛ وأيما امرأة صلت لربها وتدعو لنفسها ولم تدعو لزوجها إلا ضرب الله بصلاتها وجهها حتى تدعو لزوجها ثم لنفسها.

يا عائشة أيما امرأة أصابتها مصيبة فلطمت وجهها أو مزقت ثيابها إلا كانت

---

(1) لم أجد له تخريجاً.

(2) انظر "مشكاة المصابيح" ج2 ص239.

(3) انظر "شعب الإيمان" ج2 ص73، و"كنز العمال" ج15 ص907.

مع امرأة نوح وامرأة لوط في النار وكانت آيسة من كل خير؛ وأيما امرأة زارت المقابر إلا لعنها كل رطب ويابس حتى ترجع؛ فإذا رجعت إلى منزلها كانت في غضب الله تعالى ومقته إلى الغد من ساعتها؛ فإن ماتت في وقتها كانت من أهل النار. يا عائشة ما من رجل دخل منزله فسلم على أهل[1] أهله إلا كثر خير أهل بيته وذهب عنهم الفقر وكان في النعم مع أهله في الدنيا والآخرة.

يا عائشة أنا خصم كل امرأة يطلقها زوجها ثم لا يعطيها مهرها فالرب تعالى هو القاضي فأين المهر[2]، وأيما رجل كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في المضاجع والنفقة واللبس والمطعم والمنظر فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وما من امرأة تحبل من زوجها إلا ولها مثل أجر الصائم والقائم بالليل والغازي في سبيل الله، وما من امرأة أتاها الطلق إلا ولكل طلقة عتق نسمة ولكل رضعة عتق رقبة؛ فإذا أفطمت ناداها مناد من السماء أيتها المرأة كفيت العمل فيما مضى فاستأنفي العمل فيما بقى، أيما امرأة خففت زوجها من مهرها إلا كانت لها بكل درهم حجة مبرورة وعمرة مقبولة وغفر لها ذنوبها كلها حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها أولها وآخرها.

يا عائشة المرأة إذا [كان][3] لها زوج فصبرت على أذى زوجها فهي كالمتلطخة بدمها في سبيل الله وكانت من القانتات الذاكرات المسلمات المؤمنات التائبات العابدات»[4].

---

(1) هكذا جاء في النسخة ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ.

(2) يظهر أن الناسخ أسقط كلمة أو أكثر في هذه الجملة خصوصا المقطع الأخير منها.

(3) في النسخة (كانت) والله أعلم.

(4) انظر "تفسير حقي" ج2 ص459، و"الكشف والبيان" ج1 ص348.

وجاء في هامش النسخة " عن معاذ عن النبي ﷺ «لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك رحيل يوشك أن يفارقك إلينا عن قريب». مصابيح باب عشرة نساء.

وإنما هو رحيل أي ضعيف [. . .] وليس له عندك بقاء، وإنما هو كالعارية [. . .] للاسترداد. [. . .]. وقد كان بعض العلماء يقول الاحتمال على أذى واحد من المرأة فهو في الحقيقة احتمال على أذية كثيرة إذ في ذلك الاحتمال الواحد نجاة الولد من اللطمة=

قال: جاء عن ابن كثير أن ما يسأل عن المرأة يوم [. . .][1] عن زوجها كيف صنعت [له][2].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن عمر بن سعيد قال: كانت امرأة مع عائشة رضي الله عنها فقالت: يا عائشة بأي شيء يعذبني عزوجل فوالله ما أشركت ولا زنيت ولا قتلت ولا سحرت ولا سرقت؟!. [فرأت][3] في المنام فقيل لها: أنت [المتألية][4] على الله تعالى "بأي شيء يعذبني ربي؟!". لكن زوجك تعصين وجارك تؤذين ولطاقك ترخين ـ يعني نقابك ـ، فإذا أعطيت تقليلين وإذا تزينت تبدين تبدين خمسا بخمس، ارجعي إلى النسوة التي كنت معهن فقولي أنا المسيئة الظالمة لو أخذني ربي بأصغر ذنبي لعذبني غير ظالم[5].

قال: حدثنا العالم أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «أيما امرأة قامت على زوجها فتأذى يدها أو وجهها من حر النار إلا حُرم وجهها على النار، وأيما امرأة قامت إلى زوجها حين يدخل عليها وتمسح وجهه؛ وتلقي ثوباً يجلس عليه؛ أو تقرب إليه بطعام وشراب؛ أو تكنس مكانه؛ أو تنظر إلى وجهه؛ أو تأخذ بيده؛ أو تحسن إلى ضيفه؛ أو تعاهد صبيانه؛ أو تنفق مالها على زوجها؛ أو تمدح زوجها إلى أبويها أو جيرانها؛ أو مشت معه في البيت كل ذلك كرامة زوجها وابتغاء مرضاة الله تعالى إلا كتب الله لها بكل كلمة تكلمها أو لكل خطوة تخطوها أو بكل نظرة إليه عتق رقبة وجعل الله تعالى يوم القيامة لها نورا؛

= والقدر من الكسر والثوب من الحرق". انظر الحديث في "سنن الترمذي" ج3 ص476، و"مسند أحمد بن حنبل" ج5 ص242 وهو برواية (دخيل) بدل (رحيل).

(1) الراجح أن الناسخ أسقط كلمة هنا مثل "دفنها" أو "حسابها" أو "عرضها" لهذا أضفت نقاط.

(2) في النسخة "الله" وتبدو هذه الجملة غير متسقة لهذا صححتها بأقرب شكل مشابه للمعنى والكتابة والله أعلم.

(3) في النسخة كأنها "فأريت".

(4) في النسخة "المبالية".

(5) الروايات التي وجدتها مختصرة انظر مثلاً "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص436، و"شعب الإيمان" ج4 ص260.

حتى إن نساء المؤمنين تتعجبن منها ما [أعطاها][1] الله تعالى من الفضل والكرامة، ولا أعلم أحداً يبلغ مبلغها إلا الأنبياء عليهم السلام». فسمعت عائشة رضي الله عنها ذلك فحلفت وقالت: سمعت هذا من رسول الله ﷺ.

قالت امرأة يا أم المؤمنين هل سمعت أن أحداً يدرك مثل ما أدركت هذه المرأة التي تخدم زوجها؟ قالت عائشة: ما أرى يدرك هذا الفضل إلا نبي مرسل ومن كانت مثلها[2].

قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن سيبويه المؤدب بإسناد له إملاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم [بنسائكم][3] أهل الجنة؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال الودود الولود العؤود التي إن هي عصت أو ظلمت قالت هذه يدي أيها الزوج لك في يدك [لا أذوق غمضا][4] حتى ترضى»[5].

قال: حدثني أبو نصر بإسناد له عن [خالد][6] بن الحارث قال: سمعت ثابت [البناني][7] يقول: إن امرأة من بني إسرائيل كانت حسنة التبعل[8] لزوجها

---

(1) في النسخة "أعطاه" والله أعلم بالصواب.

(2) لم أجد له تخريجاً.

وجاء في هامش النسخة: "قال النبي عليه السلام: لا يلقى الرجل ربه بذنب أعظم من جهالة أهله ويقال أول من يتعلق بالرجل يوم القيامة زوجته وأولاده فيوقفونه بين يدي الله سبحانه وتعالى فيقولون يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل فإنه لم يعلمنا أمور ديننا وكان يطعمنا الحرام [. . .] لا نعلم، فيضرب على كسب الحرام حتى يتجرد لحمه ثم يؤدى إلى الميزان فيأخذ من حسناته وتقول هذا ظلمني [فينهرها] فيلتفت إلى أهله ويقول تقلدت المظالم في عنقي لأجلكم فينادى الملائكة هذا الذي أكلوا [. . .] حسناته ومضى لأجلهم إلى النار [. . .] عليه أن يجتنب الحرام ويحسن إلى أهله. [. . .].

(3) في النسخة "برجالكم".

(4) في النسخة كأنها "ازوق عصصا".

(5) انظر "سنن النسائي" ج5 ص361، و"المعجم الأوسط" ج6 ص11.

العؤود: التي تعود على زوجها بالنفع. انظر "فيض القدير" ج3 ص137.

(6) في النسخة كأنها "الحالد".

(7) في النسخة "البنيان" والله أعلم بالصواب.

(8) جاء في هامش النسخة "[أي] تلعب". =

فكانت إذا وضعت الطعام بين يديه أخذت المصباح بيدها فلم تضعه حتى يفرغ الزوج من الطعام، وإنها وضعت الطعام بين يديه من الليالي وأخذت المصباح فاحترقت الفتيلة؛ فضربت يديها فنزعت خصلة من شعرها فغمستها في الدهن ثم ألزقت بها الفتيلة، وكانت المرأة عوراء فأصبحت وقد رد الله عينها كرامة بما صنعت لمكان زوجها.

قال سمعت محمد بن نعيم يروي عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي عليه السلام أنه قال«كل امرأة تعين زوجها في أمر الدين فإن الله تعالى يدخلها الجنة قبل زوجها بعشرة آلاف سنة لكرامتها زوجها في الدنيا، فتلبس حلل الجنة وتتطيب بطيبها وتستقبل زوجها بثياب الجنة، فتذهب أمام زوجها وتنزل من قصور زوجها»[1].

قال سمعت أبا نصر يروي عن علي بن أبي طالب ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ: «ثلاثة من أمتي تكون في جهنم كعمر الدنيا سبع مرات أولها مسمون مهزولون، وكاسون عارون، وعالمون جاهلون. قيل من هذه يا رسول الله؟ قال المسمون المهزولون مسمون اللحم مهزولون في أمر الدين، وأما الكاسون العارون فهم النساء كاسيات من الثياب عاريات من الطاعة، وأما العالمون الجاهلون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون علماء في أمر الدنيا جهال في أمر الآخرة لا يسألون من أين يجمعون المال ولا يبالون عن الحرام»[2].

= باعل: مباعلة وبعالا اتخذ زوجا ولاعب زوجته، وابتعلت المرأة حسنت طاعتها لزوجها، وتباعل الزوجان تلاعبا. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص134.

(1) لم أجد له تخريجاً.

(2) انظر "تفسير حقي" ج2 ص402.

وجاء في هامش النسخة "حكي أن بعض [الهنود] الكريهة المنظر أعاد مخطوبة شاب حسن الوجه وأزال بكرتها ثم تزوجها ذاك الشاب، فعاشر معها حسن المعاشرة نحو من عشرين سنة أو ثلاثين، فلما [قربت] وفاتها قالت: إذا أردت التزوج فعليك بالبكر فإن محبة الهندي الذي أزال بكارتي لم [يخرج] من قلبي مع كونه أقبح، ولم أجد تلك المحبة فيك مع حسنك وجمالك. جامع [الوصال] الفصل الثاني". =

قال سمعت الأديب أبا يعقوب يقول: قال أحمد بن حرب: من أصاب هذه الأربعة فقد تمت عليه النعمة: أوله بدنا صابرا، وقلبا خاشعا، ولسانا ذاكرا، وامرأة صالحة.

= وجاء في هامش النسخة "قال النبي ﷺ «أي امرأة خدمت زوجها سبعة أيام برضاء الزوج يغلق الله تعالى سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أي باب شاءت». صدق رسول الله".

الباب السادس والخمسون
في فضل من ستر عيوب المسلمين

ولو طلق امرأة قبل الزفاف يجب عليه نصف المسمى لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البَقَرَة: 237][1] والأفضل لها أن لا تأخذ منه شيئاً لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البَقَرَة: 237] ندبها الله تعالى إلى ترك المهر عليه.

ولو استأجر داراً فأجرها بأكثر مما استأجرها فالأفضل له أن يتصدق عندنا كما في الشيء الملتقط إذا لم يوجد صاحبه خلافا للشافعي.

ولو أن رجلاً وجب عليه القصاص فلو عفا عنه الولي فهو الأفضل لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المَائدة: 45][2] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المَائدة: 45].

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البَقَرَة: 178][3] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البَقَرَة: 178].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البَقَرَة: 237].

(2) قال الله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المَائدة: 45].

(3) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 178].

ولو أخذ السارق فالأفضل لصاحب المال أن يجعل أمراً فيسقط عنه القطع لقوله عليه السلام لرباح مولى عائشة رضي الله عنها حين رفع إليه سارق قال النبي عليه السلام: «يا رباح لو عفوت عنه لكان خيراً لك من أن يأتينا»[1].

والأفضل للإمام أن يلقن السارق بالإنكار لقوله عليه السلام للسارق: ما سرقت ما إخاله أن يسرق[2].

وقال ابن مسعود البدري رحمه الله حين أوتي إليه [بسارقة][3] سوداء يقال لها سلامة [إذا قيل][4] أسرقت؟ قولي لا. فقيل له أتلقنها الإنكار؟ فقال: جئتموني بأعجمية فتقر بالغلط فأقطعها.

ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن إبراهيم خليل الرحمن سأل ربه أن يريه ملكوت السموات والأرض، رفعه الله تعالى فلما بلغ الهواء ونظر إلى الأرض رأى أحداً يعقد عقد [الربا][5] فدعا عليه فأهلكه الله، فلما صعد أعلى من ذلك رأى [من][6] يتلوط فدعا عليه فأهلكه، فأوحى الله تعالى يا إبراهيم إني أرى كل يوم وساعة ألف ألف أو أكثر من عبادي في المعاصي فأستر عليهم معصيتهم ولا أفضحهم ولا أهلكهم، اترك الصعود يا إبراهيم ليس أحد أحب إليّ ممن يستر على عبادي عوراتهم إذا اطلع عليهم في عوراتهم، وليس أحد أبغض إليّ ممن يفضح عبادي إذا اطلع على عوراتهم.

يدل عليه قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: 159][7] إن برحمة الله اجتمع إليك أصحابك ولانت قلوبهم على الإسلام، ﴿وَلَوْ

---

(1) وجدته برواية أخرى وهي قوله ﷺ لصاحب الحق بعد عفوه عن السارق «فهلا قبل أن تأتيني به»، انظر "سنن البيهقي" ج8 ص265، و"سنن النسائي" ج4 ص329.

(2) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص422، و"سنن البيهقي" ج8 ص271.

(3) في النسخة "سارق".

(4) ساقطة من النسخة وأضفتها حتى يتم السياق والله أعلم بالصواب.

(5) في النسخة "الربوا" والله أعلم بالصواب. (6) ساقطة من النسخة.

(7) قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: 159].

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ﴾ [آل عِمرَان: 159] حتى كانوا مستورين حالهم في الدنيا كذلك حالهم في العقبى، لا تهتك سترهم في الدنيا فأنا لا أهتك سترهم في العقبى.

يدل عليه ما حدثنا به الحاكم أبو منصور بن محمد الحربي بإسناد له عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال رسول الله عليه السلام: «من اطلع على عورة أخيه المسلم فسترها عليه أدخله الله تعالى بها الجنة»[1].

قال: حدثنا الحاكم بإسناد له عن أبي بردة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة العليا بصوت يسمع [الغواني في خدورهن][2] فقال «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تذموا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته، ومن طلبه الله فضيحته افتضح ولو في جوف البيت»[3].

ومن دأب الصالحين أنهم كانوا يسترون عبادة الله تعالى أن لا يعلم أحد منهم أنهم يقومون الليل غير الله، فإذا كان ستر العبادة أحسن فكيف ستر عورة المسلم؟!، وقد قال عليه السلام: «سبعة من الهدى وفيهن الجماعة ومن خرج منهن[4] من الرحمة: صلوا الجماعة على من مات من أهل القبلة وإن مات على المعصية، وصلوا الصلوات الخمسة والجمعة في الجماعة مع كل إمام بر كان أو فاجرا، وجاهدوا مع كل خليفة لكم جهادكم وعليه مأثمه، ولا تخرجوا على أئمتكم بالسيف وإن جاروا فادعوا لهم بالصلاح والعافية ولا تدعوا عليهم، جانبوا الأهواء كلها فإن أولها وآخرها باطل، ولا تشهدوا على أهل القبلة بكفر ولا بشرك ولا نفاق ووزر وسرائرهم إلى الله تعالى»[5].

---

(1) انظر "كنز العمال" ج3 ص251.
(2) في النسخة "العواني في حدورهن" والراجح ما بينته والله أعلم.
(3) انظر "المعجم الكبير" ج2 ص20، و"الدر المنثور" ج7 ص568.
(4) قد تكون كلمة ساقطة من هنا وهي "خرج من الرحمة".
(5) لم أجد له تخريجا، وفي النسخة هناك احتمال أن تكون لفظة (سرائرهم) (أسرارهم) والله أعلم.

وقد روي عن وهب بن منبه ﷺ قال لما ركب نوح السفينة أدخل معه كل شيء حتى الكلب و[الهر][1]، قال فمنع نوح عليه السلام أهل السفينة عن المباضعة لئلا يكثر فإن السفينة ضيقة، فلم يصبر الكلب عن الجماع فجامع، فرآه [الهر] وأخبر نوحا، فدعا نوح الكلب ولامه، فأنكر فخلاه، ففعل ذلك مرة ثانية فجاء [الهر] وأخبر نوحاً بذلك، فأرسل نوح للكلب ودعاه وذمه، فأنكر أن يكون فعل، فقال [الهر:] قد رأيته يا نبي الله يفعل ذلك، فلو دعوت الله كي يظهر عليه علامة تبصرها بعينك. فدعا نوح ربه.

فلما جامع الكلب مرة ثالثة فضحه الله تعالى حتى لا يمكنه الانفصال عن صاحبته حتى جاء [الهر] فأخبر بذلك نوحا، فجاء ورآهما على ذلك، فخجل الكلب فدعا الكلب ربه وقال: يا رب اجعل هذه الهرة فضيحة على رؤوس الخلائق وقت الجماع كما فضحتنا، فاستجاب الله دعاءه حتى أن الهر إذا جامع زوجته يصيح الذكر والأنثى حتى يعلم الخلائق عقوبة مكافأة لما فعلت الهرة لأجل فضيحة الكلب. فمن فضح سر الكلب يفضح، فكيف لا يفضح المفضح بفضحه المؤمن؟!.

قال علي بن يحيى المصنف جزاه الله عنا خيرا: كان المتقدمون والصحابة يتورعون عن إفشاء السر وإن كان لا يضر إفشاءه على صاحبه، فكيف وأن يضر حتى روى الإمام أبو بكر بإسناد له إملاء عن سالم بن عبد الله عن أبيه يحدث عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه حين مات زوج بنت عمر ﷺ وهي حفصة فعرضها عمر ﷺ على عثمان بن عفان ﷺ فأبى وذكر عذرا، فعرضها على أبي بكر الصديق ﷺ فسكت منه وما أجابه لا بنعم ولا بلا، فتأذى منه ثم بعد ذلك خطبها رسول الله ﷺ، فلقيه أبو بكر ﷺ فقال: يا عمر لعلك تأذيت مني ولكن كنت أعرف أن رسول الله ﷺ ذكرها، وكان في قلبي أنه لو تركها قبلتها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، فهم كانوا كذلك والاتباع بآثارهم أولى.

(1) في النسخة "الهرة"، وجاء الضمير العائد على الهر مرة مذكر ومرة مؤنث ولقد اخترت المذكر، وسوف أصححها في المواضع القادمة تلقائيا.

الباب السابع والخمسون
في فضل يوم عاشوراء وصومه

صوم[1] رمضان يجوز قبل الزوال من اليوم عندنا خلافا للشافعي، لنا أن يوم رمضان متعين فلا يحتاج إلى تعيينه بالليل. وكذا صوم التطوع تجوز النية قبل الزوال ولا تجوز بعده بالاتفاق. وأما صيام الكفارات والنذور وصوم الهدي والجزاء فلا بد أن ينوي في الليلة حتى يصح وذلك بالاتفاق. ونية صوم عاشوراء تجوز قبل الزوال بالاتفاق لما روي عن النبي عليه السلام أنه دخل المدينة فوجد اليهود يصومون فقال «ما شأنكم تصومون؟». قالوا هذا يوم مبارك نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام وأغرق فرعون عليه اللعنة، فنحن نصوم شكرا لله تعالى. فقال النبي عليه السلام: «أنا أخ موسى فأنا أحق بهذا اليوم منكم أن أصومه»، ثم أمر المنادي فنادى في الناس ألا من أكل فلا يأكل بقية يومه ومن لم يأكل فليصم[2]، فدل بأن النية قبل الزوال تجوز.

ويدل على فضل هذا اليوم قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59] قال ابن عباس ﷺ يوم الزينة يوم عاشوراء[3].

جاء رجل إلى علي بن أبي طالب ﷺ [فقال:][4] يا أمير المؤمنين أي شهر تأمرني أن أصوم بعد رمضان؟ قال سمعت أحداً يسأل عن هذا غير رجل إلى رسول الله ﷺ أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان، قال: «إن كنت صائما بعد شهر رمضان فصم شهر الله المحرم وفيه يوم تاب الله فيه ويتوب الله فيه على آخرين»[5].

---

(1) الراجح أن الناسخ أسقط هنا كلمة "نية صوم".
(2) انظر "سنن النسائي" ج2 ص160.
(3) انظر "تفسير ابن كثير" ج5 ص300، و"تفسير القرطبي" ج11 ص213.
(4) ساقطة من النسخة.
(5) انظر "سنن الترمذي" ج3 ص117، و"كنز العمال" ج8 ص570. =

قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بعويدة بإسناد له عن أبي هريرة وعائشة ﵄ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى مائة ركعة في ليلة عاشوراء وفي يوم عاشوراء وقرأ في كل ركعة منها بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فإذا فرغ من صلاته قال سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبعين مرة وصلى عليّ سبعين مرة يملأ الله تعالى قبره مسكا وعنبرا، وكل من وضع في القبر تناثر شعره ومن صلى هذه الصلاة لا يتناثر شعره في قبره، فإذا حشر من قبره ووجهه [يتلألأ](1) من النور كالقمر ليلة البدر»(2).

قالوا [لم](3) فضل يوم عاشوراء على سائر [أيام](4) المحرم؟ قال: «لأن أول رحمة نزلت عليّ من السماء نزلت يوم عاشوراء لأن جبرائيل أول ما أنزل عليّ يوم عاشوراء»، قال النبي عليه السلام: «خلق الله تعالى السموات

= جاء في هامش النسخة "ويستحب صوم المحرم وصوم عاشوراء كفارة سنة من الذنوب"، "كما قال النبي ﷺ «من صلى ركعتين في جوف الليل أمنه الله تعالى يوم [القيامة] الفزع الأكبر» [صدق] رسول الله".

وجاء في هامش النسخة " قوله ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفَجر: 1-2]. قال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم [تتفجر] منه السنة والعشر [العشر] الأول منه التي عاشرها يوم عاشوراء. قال رسول الله عليه السلام «الصيام بعد شهر المحرم». وقيل بفجر يوم العاشر ثم قال ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفَجر: 2] قال الكلبي: عشر المحرم [اختار] الله تعالى من أيام السنة ثلاثة عواشر: العشر الأخير من شهر رمضان لما فيه بركات ليلة القدر، والثاني عشر المحرم لما كان فيه من بركات عاشوراء، والثالث عشر الأضحى لما فيه التروية وعرفة والأضاحي والتلبية والحج وأنواع المناسك. منهاج المذكرين".

"والفجر [اسم. . .] بالفجر، وروى أبو صالح عن [ابن عباس] قال هو انفجار الصبح كل يوم، وهو قول عكرمة. وقال عطية عند صلاة الفجر، و[قال] قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تتفجر منه السنة، وقال [يمان بن رباب هو العشر] الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء. [تفسير معالم التنزيل]." انظر "معالم التنزيل (تفسير البغوي)" ج8 ص412.

وجاء في الهامش "أي يرجع عباده بالمغفرة إذا كان [العبد] يرجع عن [الذنوب]".

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) لم أجد له تخريجاً.

(3) في النسخة "لمن".

(4) في النسخة "الأيام".

والأرضين والعرش والكرسي والقلم واللوح في يوم عاشوراء، وخلق جبرائيل وملائكته وآدم وحواء عليهم السلام في يوم عاشوراء، وخلق الجنة في يوم عاشوراء، وولد إبراهيم في يوم عاشوراء، ونجاه الله تعالى من النار وهداه في يوم عاشوراء ـ يعني تيقن له بوحدانية ربه عزوجل حين رأى كوكبا ـ ورفع إلى الجنة إدريس وكشف الله تعالى عن أيوب الضر ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء في يوم عاشوراء، وولد يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم وأعطى سليمان الملك وغرس شجرة طوبى وخلق الجبال في يوم عاشوراء»[1].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في يوم عاشوراء سبعين عيدا، فمن وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله تعالى عليه وعلى عياله إلى مثلها من السنة القابلة وأنا ضامن على ذلك»[2]، قال أبو بكر وعمر ﷺ جربناه فوجدناه كما قال النبي عليه السلام.

ثم قال النبي عليه السلام: «التمسوا فضله وإنه مبارك اختاره الله تعالى من الأيام، من صام ذلك اليوم جعل الله تعالى نصيبا من عبادة جميع من عبده من الملائكة والأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين، ومن زار أخاه المسلم في يوم عاشوراء قال الله تعالى لملائكته اكتبوا بعدد خطوة يخطوها وبعدد كل شيء خلقت حسنة وامحوا عنه بعددهم سيئة وارفعوا له بعددهم درجة، ومن كان قاطعا

---

(1) انظر الحديث مع بعض الاختلاف في "تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفائس" ج1 ص361.

(2) انظر "المعجم الكبير" ج10 ص77، و"شعب الإيمان" ج3 ص366، و"كنز العمال" ج8 ص576.

جاء في هامش النسخة: "وروي أن نوحا عليه السلام لما نجا من الطوفان واستقرت السفينة على الجودي [شكى من] في السفينة [وهما] ثمانون من الرجال والنساء إليه من الجوع، فأمرهم [. . .] أزوادهم، فجاء هذا بكف حنطة وهذا بكف عدس وهذا بكف فول وهذا بكف حمص ودبس إلى [أن] بلغت سبع حبوب، وكان هذا يوم عاشوراء، فجمعها نوح عليه السلام وطبخها لهم، فأكلوا جميعا وشبعوا ببركة نوح عليه السلام، فذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [هُود: 48] الآية، كان ذلك أول طعام على وجه الأرض بعد الطوفان، فاتخذ به الناس سنة، وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين. من روض الفائق".

للرحم فوصله في يوم عاشوراء جعل الله له نصيبا في ثواب يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ﷺ وكان في الجنة كهاتين ـ شبك بين السبابة والوسطى ـ، ومن تصدق في يوم عاشوراء بقدر مثقال ذرة أعطاه الله تعالى من الثواب بقدر جبل أحد وكان في ميزانه يوم القيامة، ومن أرشد ضالاً في يوم عاشوراء رفع الله عنه ظلمة القبر ويملأ قبره نورا، ومن بر والديه وأطعمهما طعاماً طيباً وكساهما وادهن رأسهما أو فرش لهما فراشاً جلسا عليه في يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون ورحمة امرأة أيوب وخديجة بنت خويلد امرأتي وفاطمة ابنتي وثمرة فؤادي وعائشة زوجتي في جنة ربي، ومن ألطف يتيما بطعام أو غير ذلك مما يفرح به قلبه أعطاه الله تعالى من ثواب الحسن والحسين، ومن اشتهى شيئاً ولم يتناول منه وأطعمه جاره المسلم لا يخرج من الدنيا حتى يطعمه من طعام الجنة ويشرب من شرابها، ومن سلّم على عشرة من المسلمين في يوم عاشوراء فكأنما سلم على جميع المؤمنين والمؤمنات، ومن نظر إلى وجه عالم في يوم عاشوراء حرم الله وجهه على النار، ومن أتى مجلس علم أو بقعة يذكرون الله تعالى فيها في يوم عاشوراء وجلس معهم ساعة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً من الذنوب كيوم ولدته أمه»[1].

(1) جاء في فضل يوم عاشوراء أخبار كثيرة ومتنوعة لكني لم أجد رواية بهذا اللفظ بعينه.
جاء في هامش النسخة "وكانت مدة الطوفان ستة أشهر [آخرها] يوم عاشوراء، وطافت السفينة بأهلها الأرض في تلك المدة ثم استوت على جبل الجودي، وهو بأرض موصل، وكان ركوبهم السفينة بعشر خلون من رجب ونزلوا منها يوم عاشوراء من المحرم. ولما خرج نوح عليه السلام ومن معه من السفينة اتخذ لناحية من أرض الجزيرة موضعا [. . .] هناك قرية سموها [ثمانين] لأن كل إنسان بنى بيتا ممن آمن معه وهم ثمانون، وهي اليوم تسمى سوق ثمانين.
لما حضرته الوفاة وصى إلى ابنه سام ودعا له بالبركة دون إخوته وكان جميع الأنبياء من نسله، وكان سام قد ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، ويقال إنه كان [بكرة النهار]، وكان نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمرا ولم تنقص له قوة، والناس من بعده من ذريته.
وروي أنه قيل لنوح عليه السلام لما حضر: كيف وجدت عمرك ؟. قال: كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. =

عن الفضيل بن عياض ﷺ قال: كان رجلاً مغنيا يتخذ الضيافة في كل يوم عاشوراء ويدعو ضعفاء بلده إلى ضيافته، فلما توفي رأيته في المنام فقلت: يا فلان ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بضيافتي كل يوم عاشوراء.

قال الفضيل: فما تركت الضيافة بعد ذلك يوم عاشوراء حتى عامي هذا.

قال سمعت أبا عبد الله يقول: سمعت أبا عبد الله المطوعي يقول: سمعت بعض أهل العلم يحكي قال: كان في أيدي الكفار أسير سنين كثيرة يعذبونه ليلاً ونهارا ولا يطلقونه، فجاء يوم عاشوراء فقال هذا الأسير بحرمة هذا اليوم [فرّج][1] عني. قال: فأوقع الله تعالى الرحمة في قلوبهم فأطلقوه بحرمة اليوم.

قال: سمعت أن أسيرا هرب من الكفار يوم عاشوراء، فركبوا في طلبه، فلما رأى الفارسين خلفه وعلم أنه مأخوذ فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم بحق هذا اليوم المبارك أسألك أن تنجيني منهم. قال: فأعمى الله أبصارهم جميعاً حتى نجى منهم، وبقي الأسير صائما تعظيما لهذا اليوم شكرا لما وجد من الكرامة، فلما أمسى ما وجد [شيئا][2] يفطر به، فنام وهو صائم، فأطعم وسقي في المنام، فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة في الطعام والشراب ببركة هذا اليوم.

واختلف العلماء في تسمية هذا اليوم عاشوراء، قال بعضهم لأنه عاشر يوم من أيام المحرم، وبه [قال][3] عامة الفقهاء.

وقال بعضهم لأنه عاشر يوم من الأيام الفاضلة والأوقات الشريفة التي أعطاها الله تعالى لأمة محمد ﷺ أولها رجب وشعبان ورمضان وليلة البراءة

= [الزيادة] قيل [أقام] نوح عليه السلام خمسمائة سنة لم يتزوج ثم تزوج وولد له سام وحام ويافث، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين [. . .]، وكان جملة عمره ألف سنة وخمسين سنة منها مائة قبل بعثه، وقبره مختلف فيه. [منبر الغرام]".

(1) في النسخة "فرح".

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) ساقطة من النسخة أو كلمة في معناها مثل "أخذ" والله أعلم.

وليلة القدر والعيدين وعشر الأضحى ويوم الجمعة ثم العاشر وهو يوم عاشوراء.

قال بعضهم: لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء عليهم السلام بعشر كرامات، فيه تاب الله على آدم ورفع إدريس واستوت سفينة نوح عليه السلام وكشف الضر عن أيوب ورد الملك على سليمان عليه السلام وأخرج يونس عليه السلام من بطن الحوت ورد يوسف عليه السلام على يعقوب عليه السلام ورفع عيسى عليه السلام ونصر موسى عليه السلام على فرعون ونجى إبراهيم عليه السلام من النار فسمي عاشوراء.

قالت: سمعت أبا عبد الله المطوعي يروي عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اكتحل في يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً»[1].

وروي أن نوح عليه السلام لما خرج من السفينة مع قومه فرمدت أعينهم من عقوبة السفينة إذ لم يدخل فيها هواء وقد مكثوا فيها ستة أشهر ـ دخلوا فيها يوم العاشر من رجب وخرجوا يوم العاشر من المحرم ـ، فأوحى الله تعالى إليه بالاكتحال، فاكتحلوا في هذا اليوم وسلموا من الرمد، فلذلك قول النبي عليه السلام: «من اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عيناه».

(1) انظر "الجد الحثيث" ص218.
وجاء في هامش النسخة "وقال النبي ﷺ «كل [عين] باكية يوم القيامة إلا ثلاثة عين بكت من خشية الله تعالى، وعين غضت عن محارم الله تعالى، وعين سهرت في سبيل الله تعالى». نقل [. . .]".
وجاء في الهامش "وكذلك استحب السلف الاكتحال فيه، فإن ذلك توسيع على العين وهو مستلزم التوسيع لأنه لا ترمد العين إلى مثلها من السنة القابلة، فقد روى ابن عباس مرفوعا «من اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عيناه أبداً»".

الباب الثامن والخمسون
في فضل يوم الجمعة

الإمام إذا سجد لسهو وعنده مسبوق إن تابع الإمام بالسجود تقع صلاته في غير وقتها، كيف يفعل؟

قال الإمام أبو بكر محمد بن الفضل: إن كانت الصلاة تفسد بخروج وقتها مثل الفجر والعيدين والجمعة لم يتابعه حتى تقع صلاته صحيحة إذ مراعاة الفرض أولى، وإن كانت الصلاة مما لا تفسد بخروج وقتها مثل الظهر والعصر والمغرب والعشاء يتابعه إذ لا تفوت صلاته، وفي الفجر والجمعة والعيدين إذا خرج الوقت والإمام في جزء من الصلاة فسدت صلاته وصلاة المأمومين إذ الوقت شرط في هذه الأوقات، ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله ينقلب نفلا ويتمها ركعتين.

وقال محمد رحمه الله لا ينقلب نفلا بل تفسد، وإنما تثبت فريضة الجمعة في هذا الوقت لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجُمُعَة: 9][1] الآية ذكر الله تعالى الخطبة.

ويدل على فضله ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البُرُوج: 1-3] أراد به يوم الجمعة[2]، وقوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ﴾ أي يشهد أهل القرى ويجتمعون فيه، وقيل بل يشهد هذا اليوم لصاحبه يوم القيامة بأداء صلاته.

عن عبد الله بن نافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة»[3].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجُمُعَة: 9].

(2) انظر "تفسير ابن كثير" ج8 ص364، و"تفسير القرطبي" ج19 ص283.

(3) انظر "سنن الترمذي" ج5 ص436، و"كنز العمال" ج2 ص13.

وقال عليه السلام: «ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى بخير إلا استجاب [له][1] ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه [منه][2]»[3].

قال الشيخ أبو إسحاق بإسناد له عن الزهري عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى يأمر الملائكة ليلة الجمعة أن يفتحوا أبواب السماء فتنزل ملائكة الرحمة من السماء بيد كل واحد منهم طبق من نور، يأمرهم الله أن ينشروا رحمة الله تعالى على عباد الله تعالى، فيقول ملائكة الرحمة: يا ربنا ـ وهو أعلم بهم منهم ـ إن بعضهم نيام وبعضهم قيام، فعلى من ننشر رحمتك؟ فيقول الله تعالى ما البخل من شأني، انشروا رحمتي على جميع من آمن بي، أشهدكم يا ملائكتي إني قد وهبت النيام من القيام»[4].

قال الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي عليه السلام أنه قال: «ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة، ما منها ساعة إلا ولله تعالى فيها ستمائة ألف عتيق كلهم قد استوجبوا النار»[5].

قال: حدثنا الإمام بإسناد له عن مجاهد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، هو أعظم من يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة ويوم عاشوراء، والصدقة فيها أفضل الصدقة، والعمل فيها أفضل العمل، والإثم فيها أعظم الإثم»[6]. ثم قال: حدثنا الحاكم أبو نصر بن محمد الحربي بإسناد له عن ليث بن مجاهد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعة التي [ترجى][7] في هذا اليوم ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس»[8].

---

(1) ساقطة من النسخة. (2) في النسخة "منها".
(3) انظر "شرح السنة" للبغوي ج2 ص235.
(4) لم أجد له تخريجاً.
(5) انظر "الترغيب والترهيب" ج1 ص283، و"كنز العمال" ج7 ص719.
(6) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية. (7) في النسخة "يرجى".
(8) لم أجده إلا في كتاب "التدوين في أخبار قزوين" للرافعي القزويني ص875.

وبإسناد له عن ابن عباس ﷺ قال: سمعت نبيكم عليه السلام [يقول:](1) أكثر الصلوات عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهري، أي ليلة الجمعة ويوم الجمعة(2).

قال سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد القاضي يقول بالفارسية: بلغنا أنه كان في زمن مالك بن دينار أخوان مجوسيان عبد أحدهما النار ثلاثاً وسبعين سنة، والآخر خمساً وثلاثين، فقال الأصغر للأكبر يوما: أيها الأخ أنت عبدت النار ثلاثاً وسبعين وأنا عبدت خمساً وثلاثين، تعال فنجرب النار وهل تحترم لنا وتحرقنا كما تحرق من لم يعبدها، فإن احترمت لنا عبدناها وإلا فلا.

فأوقدا ناراً ثم وضع الأصغر أصبعه فاحترق، فقال آه ونزع الأصبع، ثم قال للأخ تعال فنطلب ربّاً وإلٰهاً لو آذيناه لم يؤذنا ولو نقصر في حقه يعفو عنا بعذر واحد تقصير خمسمائة سنة.

فاتفقا على أن يذهبا إلى مالك بن دينار فيدلهم إلى الإسلام والصراط المستقيم، فذهبا وبلغا إليه وهو يجلس للعامة ويعظهم، قال الأخ الأكبر: أيها الأخ النار لا العار، اخترت النار ولا أسلم. فوعظه الأصغر فلم يسمع قوله وبقي على الكفر.

ودخل الأصغر إلى مجلسه مع أولاده وأهل بيته، وجلس حتى فرغ مالك بن دينار رضي الله عنه من كلامه، وقام الشاب وقص القصة وقال: أعرض عليّ الإسلام ودلني إلى أمر أجد فيه رضاء ربي عز وجل فإني ضيعت عمري، فبكا الناس وعرض مالك عليهم الإسلام فأسلموا، وهم أن يجمع له شيئاً من الدنيا، فقال: كنت أعبد النار فما منع الرزق فكيف الآن؟!.ولا [أبيع](3) الدين بالدنيا.

ثم انصرف ووجد بيتاً متروكا فنزل فيه، فلما أصبح قالت امرأته: اذهب إلى السوق واطلب عملاً كي تحصّل لنا شيئاً. فذهب إلى السوق فلم يستأجره أحد.

(1) ساقطة من النسخة.
(2) أغلب الروايات كان (أكثروا) بدل (أكثر). انظر مثلاً "شعب الإيمان" ج3 ص111، و"كنز العمال" ج1 ص494.
(3) في النسخة "بيع".

قال في نفسه اليوم أعمل لله تعالى. فدخل مسجداً خرابا وعبد الله إلى الليل، ثم رجع إلى منزله صفر اليدين.

فقالت امرأته أما وجدت شيئا؟ فقال عملت اليوم للملك فلم يعطني شيئاً وقال غداً أعطيك، فباتوا جياعا، فلما أصبح غداً فذهب إلى السوق فلم يجد عملا، فذهب [إلى][1] ذلك الموضع وعبد الله إلى الليل، ثم بلغ منزله صفر اليد.

فقالت له امرأته لم تجد اليوم أيضا؟ فقال عملت اليوم للملك فوعدني إلى الغد وهو يوم الجمعة، فباتوا على حالهم، فلما أصبح ذهب إلى السوق ولم يجد عملا، فبلغ المسجد وصلى ركعتين ثم رفع يده إلى السماء فقال: إلٰهي وسيدي ومولاي لقد أكرمتني بالإسلام [وتوجتني بتاج][2]، فبحرمة الدين الذي رزقتني وبحق هذا اليوم الشريف قدره عندك أن ترفع شغل نفقة العيال عن قلبي وارزقني من حيث لا أحتسب، فإني استحي من عيالي وأخاف عليهم تغير الحال بحداثة حالهم.

ثم قام واشتغل بالصلاة حتى حان وقت الجمعة، فذهب لإقامة صلاة الجمعة وكان عياله في شدة الجوع إذ دق بابهم؛ فخرجت امرأته فرأت شخصا حسن الوجه بيده طبق من ذهب مغطى بمنديل مذهب، وقال لها: خذي هذا وقولي لزوجك هذه أجر عملك للملك في يومين، فزد أنت في العمل يزيدك في الأجر خاصة لهذا اليوم ـ أي يوم الجمعة ـ، والعمل القليل في هذا اليوم عند الله كثير.

قال فأخذت الطبق فإذا فيه ألف دينار عددا، فأخذت بدينار واحد وذهبت به إلى السوق دفعت إلى صيرفي والصيرافي نصراني، فوزن [. . .] فزاد على المثقال، فنظر في نقش الدينار فكأنه ما رأى قبل ذلك مثله، وكان الرجل عاقلا فعرف أن هذا ليس من الدنيا، فسألها فقصت عليه القصة، فقال الصيرفي أعرض

(1) ساقطة من النسخة.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

علي الإسلام، فعرضت عليه وأسلم، ثم دفع إليها ألف درهم، فأخذت منه وذهبت إلى بيتها وأصلحت طعاماً وزوجها في الجامع إلى العشاء، ثم رجع إلى معبدته وصلى ركعتين ورفع يديه وقال: إلٰهي وسيدي ترى مكاني وتعرف حالي وجوع عيالي، اللهم بحق يوم الجمعة أن تزول همي وارزقني من حيث لا احتسب.

ثم نهض إلى بيته وملأ منديله ترابا لكي يعلل أولاده بذلك ويفرحوا في الحال، فلما دخل بيته وجده مفترشا بفرش كثيرة ومتزين بزينة الدنيا [فيه رائحة][1] الطعام، فوضع المنديل مع التراب وسألها عن حالها ومما رأى في البيت، فقصت عليه القصة فسجد هو وأهل بيته كلهم شكرا لله تعالى لما عرف أن ذلك كان ملكاً عليه مرسلا بأمر ربه عزوجل.

ثم قالت امرأته: ما جئت به في المنديل؟ قال: لا تسأليني، ففتحت هي فوجد التراب دقيقا بقدرة الله، فسجد الشاب وقال: إلٰهي وكيف أشكرك. فعبد الله حتى أتاه اليقين. كان إيمانه صادقاً وعمله خالصا وشفع يوم الجمعة، فوجد ما وجد من أمر الدين والدنيا.

(1) غير واضحة في النسخة واستبدلتها بما قد يناسبها والله أعلم بالصواب.

باب آخر في فضل صلاة الجمعة

وإذا شرع الرجل في صلاة الجمعة ثم تذكر أن عليه صلاة فجره فلا يخلو إما أن يعلم أنه لو صلى الفجر تفوته الجمعة والظهر أو يعلم أنه تفوت الجمعة لا الظهر أو يعلم أنه لا يفوته أداء جزء من الجمعة. فإن علم فوات كلها لا تفسد جمعته بالاتفاق.

وإن علم أنه يدرك الجمعة أو شيئاً منها تفسد الجمعة بالاتفاق لأنه آمن من فوات الجمعة والوقت فكان عليه مراعاة الترتيب.

وإن علم فوات الجمعة على الظهر فسدت جمعته عند أبي حنيفة ﷺ وأبي يوسف ﷺ، فيصلي الفجر أولاً ثم يصلي الظهر.

وقال محمد وزفر رحمهما الله لا تفسد جمعته بل يمضي عليها ثم يصلي الفجر بعد فراغه من الجمعة.

لأبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله أنه لما تذكر الفجر صار وقت الجمعة وقتا للفجر لقوله عليه السلام: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها»[1]، فصار كأن قد قصد أداء الجمعة في وقت الفجر وذلك لم يجز كما لو تذكر في جماعة الظهر أن عليه الفجر وفي الوقت سعة فسدت ظهرها.

صاحب العذر إذا صلى الظهر ثم زال عذره وصلى الجمعة انقلب فرضه جمعة والظهر نفلا.

والصحيح إذا صلى الظهر في منزله فإن لم يحضر الجمعة جاز ظهره عندنا، وقال زفر والشافعي رحمهما الله لا يصح ظهره ويعيده بعد فراغ الإمام من الجمعة.

---

(1) انظر "المبسوط" للسرخسي ج1 ص151.

وإن همّ ـ أي قصد ـ إلى الجمعة بعد ظهره وذهب إلى أدائها فاستقبله الناس في طريقه من الجمعة فسد ظهره عند أبي حنيفة رحمه الله. ولو أدرك الجمعة أو شيئاً منها فسد ظهره بالاتفاق، وجملة هذه دليل على فضيلة صلاة الجمعة، والأبلغ في الأدلة قوله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 9][1] يعني الخطبة والصلاة المفروضة، وقوله: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 10] قال يعني تفرقوا في الأسواق وغيرها واطلبوا من رزق الله تعالى.

وقال بعضهم أي اطلبوا العلم لأن فضل الله هو العلم.

وسمعت أبا منصور [السباع][2] رحمه الله يقول في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه بيان شوق المؤمن إذا لم يجعل واسطة كما جعل في حق اليهودي كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجُمُعَة: 6].

وسمعت أيضاً يقول في قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 9] تعالى معناه فامشوا إلى ذكر الله بأرجلكم، فاسعوا إلى الله بقلوبكم.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه السلام: «من غسل واغتسل ومشى ولم يركب ودنا من الإمام ولم يلغُ فإن له بكل خطوة عبادة سنة صيامها وقيامها»[3].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الملائكة يوم الجمعة على أبواب المساجد يكتبون مجيء كل رجل جاء خلال ساعة كذا وفلان ساعة كذا، فإذا خرج الإمام رفعت [الأقلام][4] وطويت الصحف، فإذا فقد رجلاً ممن كان شهد

(1) قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجُمُعَة: 9-10].

(2) في النسخة كأنها "السياع".

(3) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج4 ص9، و"المعجم الكبير" ج1 ص215.

(4) في النسخة "الاقدام".

الجمعة فيقول الملائكة ما فعل فلان وما شأن فلان، اللهم إن كان ضالاً فاهده وإن كان فقيراً فاغنه وإن كان ميتاً فاغفر له وإن كان مريضاً فاشفه»[1].

قال: حدثنا الإمام أبو نصر الحربي بإسناد له عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال رسول الله عليه السلام: «من وراء جبل قاف أرض بيضاء ملساء كالفضة مثل الدنيا سبع مرات مملوءة من الملائكة ما لو سقطت إبرة سقطت [عليهم][2]، بيد كل ملك منهم لواء مكتوب عليه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، يجتمعون كل ليلة جمعة حول جبل قاف يتضرعون إلى الله تعالى ويدعون بإسلامه ولأمة محمد ﷺ، يقولون يا ربنا ارحم أمة محمد ﷺ ولا تعذبهم إلى انفجار الصبح، فإذا انفجر الصبح آمنوا من يوم القيامة وجعلوا يقولون اللهم اغفر لمن اغتسل وحضر الجمعة وأعط سؤاله. قال: فطول لوائهم أربعون فرسخا، فيرفعون أصواتهم بالدعاء والبكاء، فيقول لهم الرب تعالى: ماذا تريدون؟ فيقولون نريد أن تغفر لأمة محمد ﷺ، فيقول الله قد [غفرت لهم][3]».

قال: حدثنا الحاكم أبو منصور بإسناد له عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك ﷺ قال: إذا خرجت من بيتك إلى الجمعة يوم الجمعة فأنت مهاجر، وإن مت في بعض الطريق فأنت في الجنة، وإن مت في المسجد فأنت في العليين، والصلاة يوم الجمعة مائة صلاة وعلى أبواب المساجد [. . .] الملائكة يكتبون من سبق؛ فمن سبق فأجره كأجر من أهدى إبلا؛ ومن يليه فأجره كأجر من أهدى بقرة؛ ومن يليه فأجره كأجر من أهدى شاة؛ ومن يليه فأجره كأجر من أهدى معزاً؛ ومن يليه فأجره كأجر من أهدى دجاجة؛ ومن يليه فأجره كأجر من تصدق ببيضة[4].

حكى عن موسى الجهني عن محمد بن أبان رحمهما الله قال: إني أطوف

(1) انظر "الترغيب والترهيب" ج1 ص289، و"كنز العمال" ج7 ص740.
(2) في النسخة "عليها".
(3) في النسخة "غفرتهم"، والحديث لم أجد له تخريجاً.
(4) جاءت هناك أحاديث نبوية شريفة مشابهة لهذه الرواية، انظر مثلاً "كنز العمال" ج7 ص738.

بالبيت إذ لحقني لاحق فقال: من أتى الجمعة قبل خروج الإمام كتب من الفائزين، ومن أتاها بعد خروج الإمام كتب من القانتين، ومن أتاها بعد انصراف الإمام كتب من العابدين، فذهبت لأنظر فأسأله فلم أر شيئاً، ثم إني طفت مرة أخرى إذ لحقني لاحق فقال مثلها، فذهبت لأنظر فأسأله فلم أر شيئاً [فرأيت أنه الخضر](1).

قال سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الملاحي المذكر يحكي عن الحسن البصري رحمهم الله [قال: تهيأت](2) للذهاب ثم قلت إني أصلي خلف هذا الفاجر، فقلت مرة أذهب ومرة أقول لا أذهب، فاستقمت على ترك الذهاب، فهتف هاتف من جانب البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الجُمُعَة: 9] الآية.

قال افتخرت اليهود وقالوا لنا كتاب وحكمة ونسب؛ ونحن أحباء الله وأولياؤه، فرد الله عليهم وبين فضيلة هذه الأمة بهذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجُمُعَة: 2] وأعطاها الجمعة مكان سبتهم، والجمعة أفضل من السبت.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الجُمُعَة: 6] قيل إنهم لو تمنوا الموت ما بقي من اليهود أحد، فبين الله تعالى كذب دعواهم.

وقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ﴾ معناه أن الحبيب والوليّ لا يكره لقاء الحبيب، فإذا لم يتمنوا ظهر كذب دعواهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 10] قال العلماء ما ذهب أحد في حاجة بعد صلاة الجمعة إلا يرجى له قضاؤها.

قال سمعت الفقيه أبا الحسن رحمه الله يقول: الحكمة في أن الخطيب يخطب متقلدا للسيف وهي أن البلد الذي أخذ بالسيف يتقلد الخطيب لكي يعلم أنها

---

(1) في النسخة "فاريت انه حضر". انظر "الهواتف" لابن أبي الدنيا ص31.

(2) في النسخة "فتهيأت".

فتحت عنوة، وما فتحت صلحا لا يتقلدون بالسيف كمدينة الرسول لا يأخذ الخطيب فيها سيفا، وبلدة فتحت بغير عنوة فتلك عشيرته وما فتحت عنوة فهي خراجية.

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن الفضل رَحِمَهُ اللهُ: كانا تاجرين في زمن بني إسرائيل فحضرت وقت صلاة الجمعة، فقال أحدهما أبدأ بالتجارة وقال الآخر أبدأ بفرض الله تعالى، فاشتغل الأول بالتجارة فأرسل الله ريحا فيها نار فأحرقته. وقضى الثاني الفرض فبورك في تجارته حتى صار من أغنى الناس، قال رسول الله عليه السلام: «من استقبله أمران أمر الآخرة وأمر الدنيا فاشتغل بأمر الآخرة كفاه الله تعالى أمر الدنيا»[1].

قال أبو جعفر محمد بن عبد الله الزاهد رحمهما الله: جربت هذا الخبر فوجدته كما هو، وذلك أن يوم الجمعة حملت الحنطة إلى الرحا فوجدني صاحب الرحا بالدقيق وقت الظهر، وجاء إلي وكيل الرعية فقال إن اليوم نوبة سقي أرضك وقد حضرت وقت أداء الجمعة، فتذكرت قول النبي عليه السلام وتركت أمر الدقيق والماء وذهبت إلى الجمعة وصليت ورجعت من الغد إلى البيت، فإذا ببيتي الدقيق وقد دخل جار أرضاً ليّ فقال يا جار أمس كنت أسقي أرضي فانبثق الشق فامتلأت أرضك ماء وسقيت، فشكرت الله تعالى [إذ][2] عرفت صدق الحديث، فبان بهذا أن الواجب على المسلم أن يقدم الجمعة على سائر أشغاله في يوم الجمعة.

(1) انظر الحديث برواية مشابهة لهذه في "مصنف ابن أبي شيبة" ج7 ص66، و"الزهد" لابن المبارك ص34.

(2) في النسخة "إذا".

الباب التاسع والخمسون
في فضل الشهر الأصم رجب بمسائله [وعظاته][1]

إذا قال الرجل [علي أن أصلي][2] ركعتين في مكان كذا فصلاهما في مكان آخر ذكر في ظاهر الأصول أنه يجوز ويخرج عن العهدة بالاتفاق ولما روي عن رسول الله ﷺ أنه لما دخل مكة عام فتحها إذ هو برجل قائم يصلي في الشمس وهو صائم، فقال النبي «ما باله؟ فقالوا إنه نذر أن لله تعالى إذا فتح مكة عليك يصلي في الشمس ويصوم ثلاثة أيام. فقال عليه السلام: صل في الظل ولك أجر تام وصم في الظل»[3] فبان أنه يجوز.

وروي عن النبي عليه السلام لما دخل مكة عام فتحها قام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني نذرت أن لله تعالى إذا فتح عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس ركعتين، فقال النبي عليه السلام: «صل ههنا ولك أجر تام»، فبان أنه يجوز.

وعن أبي يوسف رحمه الله في [خبر][4] رواية الأصول أنه قال: ينظر إن كان الأداء أفضل من مكان الإيجاب يجوز وإلا فلا.

وإذا قال الرجل لله علي أن أتصدق بدرهم غداً فتصدق به اليوم جاز ذلك وخرج من النذر عندنا، وقال الشافعي رحمه الله لا يجوز. لنا أن تعجيل الزكاة يجوز وهو أعظم إذ الوجوب من الله، فكيف أن لا يجوزها ههنا؟!.

ولو قال لله عليّ أن أصوم غداً فصام اليوم؛ أو علي أن أصوم رجب فصام

---

(1) في النسخة "غطائه".

(2) في النسخة "إذا صلى" وصححتها حسب ما يقتضيه السياق، أي أنه نذر، والله أعلم بالأصل.

(3) انظر "المعتصر من المختصر" ج1 ص258.

(4) في النسخة "المخبر" والله أعلم بالصواب.

جمادى الأولى؛ أو يوم الجمعة فصام يوم الخميس قال في كتاب النوادر الصوم وهي أول مسألة فيه جاز ذلك عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله ولم يجز عند محمد رحمه الله، وذكر قول زفر رحمه الله لا يجوز.

ولأبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله أنه أوجب على نفسه شيئين: عبادة وهو الصوم وما ليس بعبادة وهو الإضافة إلى الوقت، فلزمته العبادة وسقطت الإضافة بدليل ما روي عن عقبة بن عامر أنه قال [لرسول][1] الله: إن أختي نذرت أن تحج ماشية. فقال النبي عليه السلام: «إن الله تعالى مستغنٍ عن تعذيب أختك، فلتركب ولتذبح لركوبها شاة»[2]. قال [إن][3] النبي عليه السلام أوجب عليها ما هو عبادة وهو الحج، وأسقط عنها [ما ليس][4] بعبادة وهو المشي كذا ههنا، فلما سقطت الإضافة صار كأنه قال لله علي أن أصلي ركعتين أو كأنه قال لله علي أن أصوم يوماً أو شهرا، ولو قال هكذا جاز له متى ما فعل به، كذا ههنا.

قال محمد رحمه الله: النذر يمين لقوله عليه السلام: «النذر هو اليمين وكفارته كفارة يمين»[5] بدليل أن فيه شرطا وجوابا كما في اليمين، فبان أنه يمين.

وإذا قال: والله لأصومن رجب فصام قبله لم يجز لأنه قصد به أن ينال فضل رجب، فلا يجوز أن لا يصوم رجب. ويدل على فضله قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [التّوبَة: 36][6] إلى قوله ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾ [التّوبَة: 36]، وقد عد رسول الله ﷺ رجب من شهر الحرم.

---

(1) في النسخة "رسول" والله أعلم.
(2) انظر "المعجم الأوسط" ج2 ص48، و"المبسوط" ج4 ص131.
(3) ساقطة من النسخة وأضفتها ليتسق المعنى والله أعلم.
(4) ساقطة من النسخة وأضفتها ليتسق المعنى كذلك.
(5) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج4 ص148، و"المعجم الكبير" ج17 ص313.
(6) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التّوبَة: 36].

قال: حدثنا ثور بن يزيد ﵁ أنه قال عليه السلام في خطبة حجة الوداع «ألا بأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وشهر مضر الذي بين جمادى الآخرة وشعبان»[1].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن سعيد بن جبير عن أبيه ﵁ أن رسول الله عليه السلام قال: إن رجب شهر عظيم يضاعف الله تعالى فيه الحسنات، فمن صام منه يوماً كان كصيام سنة، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عليه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن صام عشرة أيام لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه، ومن صام خمسة عشر يوماً قيل له قد غفر الله ما تقدم وسلف وبدلت سيئاته حسنات، ومن زاد زاده الله تعالى. وفي رجب حمل الله تعالى نوحاً في السفينة فصام نوح وأمر من معه أن يصوموا شكرا إذ وقاهم الله تعالى من الطوفان وأهلك الكفرة[2]. فالمؤمن إذا صامه يحفظه الله تعالى من الطغيان [ويصون][3] سفينة أعماله من الغرق.

وإنما سمي رجب من التعظيم، يقال رجبت الشيء أي عظمته، وإن لم يكن هذا كيف أضافه الله تعالى إلى نفسه لقوله عليه السلام: «رجب شهر الله»[4]، فصار معظما بإضافته.

ألا ترى أن المساجد [أضافها][5] إلى ذاته فقال ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ [الجنّ: 18] وأضاف الكعبة فقال ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحَجّ: 26][6] وأضاف المؤمن كذلك

(1) انظر "صحيح البخاري" ج3 ص1168، و"صحيح مسلم" ج5 ص107، و"لطائف المعارف" ص124.
(2) انظر "المعجم الكبير" ج6 ص69، و"شعب الإيمان" ج3 ص368.
(3) في النسخة "يصومون".
(4) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص369، و"كنز العمال" ج12 ص310.
(5) في النسخة "اضافه".
(6) في النسخة (بيت الله) ولم أجد هكذا آية قرآنية أو لعلها قراءة لم أطلع عليها، واستبدلتها بآية لها نفس المعنى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحَجّ: 26] والله أعلم.

وأضاف ناقة صالح فقال عزوجل ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشّمس: 13]، وهذه الإضافة نوع من الإكرام والتخصيص.

وأضاف المساجد فحرم فيها البيع والشراء ومنع عباده منها إلا [بالطلعة منها][(1)]، وأضاف الكعبة فقال ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عِمرَان: 97] وشرفها وعظمها، وأضاف الناقة فحرم إيذاءها وذبحها، ومحمد رسول الله فحرام تكذيبه، والمؤمن عبدي فحرام تعذيبه، وأضاف شهر رجب فأباح جنته لمن أطاع وصامه.

وقيل: إن رجب ثلاثة حروف: راء وجيم وباء، فمن صامه وعظمه فله من الله رحمة بلا عذاب، وجود بلا بخل ولا عناء، وبر بلا جفاء.

وقيل: سمي هذا الشهر أصم لأن في الجاهلية لم يسمع فيه قعقة الأسلحة وصلصلة الرماح؛ حتى أن الرجل إذا قُتل أبوه ووجد قاتله بعد طلبه مدة في رجب لم يقتله لتعظيمه لهذا الشهر.

وقيل: سمي أصم لأنه لم يسمع فيه غضب الله على قوم.

وقيل: إن جميع الأزمنة يشهدن يوم القيامة غير هذا الشهر فإنه [لن][(2)] يشهد على صاحبه بالسوء يوم القيامة فسمي أصم.

قال الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى قوله "أصم" لأنه لا تكتب عليكم خطيئة في هذا الشهر، فعظموا شهر الله لأجل الله لا لكونه رجب، لأنكم لو عظمتم أمر الله [لاستغنيتم][(3)] من رجب كما حكى أبو حامد الزندقوني أن زاهداً اشترى جارية؛ فوافق شراء أول ليلة من رجب، فقال الزاهد لأهله جاء رجب شهر الله فصوموا غداً واشتغلوا بالعبادة، وكانت الجارية عارفة فقالت يا مولاي [فأين][(4)] أنت وأنا؟!. قال: ما السبب؟ قالت: أنا أقدر صحبة من تعظم الله لأجل الشهر

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، والله أعلم.
(2) في النسخة "لم".
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(4) في النسخة كأنها "يعني فإن".

ويعبده لا الشهر لأجله[1]، أما هو رب جميع الشهر فلم لا تعظمه في جميع عمرك؟!.

قال: سمعت الإمام أبا محمد يحكي عن عبد الله بن حفص الكبير البخاري رحمهم الله كان يمر بقرية فرأى الناس يغسلون ثيابهم. فقال: ما بالكم تغسلون اليوم ثيابكم؟ قالوا: لأن غداً شهر رمضان فنغسل ثيابنا حتى [نصوم][2] فيه وثيابنا طاهرة، فغضب وقال: أنتم تطهرون ثيابكم لأجل تعظيم رمضان ولا تطهرون لأمر الله حيث قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 4][3]، فتطهير الثوب واجب في كل وقت [ويعظموا][4] رمضان لأجل الله تعالى لا لكونه رمضان.

---

(1) الظاهر أن الناسخ حرف كلمة أو أسقطها في هذه الجملة، ونقلتها كما هي لأن المعنى العام ظاهر.

(2) في النسخة "نصفي" وبينت ما قد يكون الأصل والله أعلم.

(3) وهذا ما يميز الإنسان العامي عن المؤمن الصالح، فبالرغم أنه فعل وعمل واحد إلا أن النيات تختلف.

(4) في النسخة "معظموا".

الباب الستون
في فضل شعبان

وإذا قال: لله عليَّ أن أصوم شهراً بعينه مثل رجب أو شعبان فعليه التتابع كما في شهر رمضان.

وإذا قال شهرا ولم يعين فإن نوى التتابع فعليه كما نوى، وإن أطلق فهو بالخيار إن شاء تابع وإن شاء فرق.

ولو قال لله علي أن اعتكف شهرا فعليه التتابع نوى أو لم ينوِ، والفرق أن النذر المطلق يرجع إلى الأصل كما لو قال لله عليّ صلاة يلزمه ركعتان لأن أقل صلاة [وجبت][1] في الشرع ركعتان، وأصل الاعتكاف التتابع، ولهذا لو نذر صوم يوم واحد أو يومين لم يدخل الليلة بخلاف الاعتكاف.

وإن أوجب على نفسه صوم شهر رمضان ولم يعين ثم أفطر يوماً لا يستقبل بل يصوم ويقضي بعدها كما في شهر رمضان، لأنه لو استقبله في النذر المعين يقع الكل غير موضعه ولو مضى ويقضي بعده يقع المنذر في موضعه ويقضي ما فات وهذا لا يضر عند الفوات، وأما في النذر المطلق من غير تعيين الشهر يستقبل وهذا لا يضر لأن جميع الشهر سواء في النذر المطلق كما في صيام الكفارات، إذ المعتبر شهران لا بالتعيين.

ولو نذر صوم شعبان ثم أفطر لم يستقبل لأنه لا يفوت منه فضل شعبان لأن فضائله كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القَصَص: 68] فكما أن الله تعالى زين السماء بالنجوم والأيام بالجمعة والأرض بالسبات والجبال واللوح بالقلم والبحار بالجوهر وشهر رمضان بليلة القدر وشعبان بليلة البراءة وتوسطه بين الشهرين المعظمين رجب ورمضان.

(1) في النسخة "وجب".

وكان رسول الله ﷺ يصوم شعبان ويقول «شهر بين رجب ورمضان يغفل الناس عنه، وفيه يرفع أعمال العباد إلى الله تعالى، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»(1).

حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «فضل شعبان على سائر الشهور كفضل محمد على سائر الأنبياء، وفضل شهر رمضان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على عباده»(2).

وبإسناد له عن ابن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أتدرون لم سمي الشعبان شعبان؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال إنه يتشعب فيه خير كثير لرمضان، ثم قال عليه السلام: أتدرون لم سمي رمضان رمضان؟ قالوا الله أعلم ورسوله. قال: لأنه يرمض الذنوب»(3) ـ أي يحرقها ـ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله دون سائر الشهور ويقول «خذوا من العمل ما تطيقون وإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا»(4).

وكان من عادة الولاة والملوك إذا رأوا شعبان أطلقوا المسجونين وأخرجوهم من السجن.

قال نصر بن أحمد بن فضل الجندي رحمه الله: رزق الله تعالى أمة محمد ﷺ بست كرامات وهي:

رجب وليلة النصف من رجب إذ حكي أن الله تعالى يأمر ملائكته ويقول: انظروا في ديوان عبدي فما وجدتم من سيئة فامحوها وبدلوها حسنات، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفُرقان: 70](5) وقوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ [الرّعد: 39] وهي الليلة التي كلم الله [فيها](6) موسى تكليما ورفع عيسى وإدريس عليهم السلام إلى السماء.

---

(1) انظر "مسند أسامة بن زيد" ص53.
(2) انظر "تبيين العجب بما ورد في شهر رجب" لابن حجر العسقلاني ص10.
(3) انظر "كنز العمال" ج8 ص591.
(4) انظر "صحيح البخاري" ج2 ص695، و"صحيح مسلم" ج3 ص161.
(5) في النسخة (أولئك الذين).
(6) ساقطة من النسخة.

وفي شهر رجب معراج النبي عليه السلام ليلة الجمعة السابعة والعشرين. وقال سلمان الفارسي ﷺ قال النبي عليه السلام: «في رجب ليلة ويوم من قام تلك الليلة وصام ذلك اليوم كان كمن صام مائة وستين يوماً، وهي ليلة ثلاث بقين من رجب بعث الله محمداً عليه السلام»[1].

وشعبان وليلة النصف، وهي ليلة البراءة[2] وفضائلها كثيرة وموصوفة في موضعها.

وشهر رمضان وليلة القدر فيه حتى روي أنه لا يبقى مؤمن ولا مؤمنة من [شرق][3] الأرض إلى غربها إلا دخل عليه جبرائيل عليه السلام مع جميع ملائكة السماء صلوات الله عليهم أجمعين فقال: يا مؤمن رب العالمين يقرئك السلام.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: وللمؤمن في شعبان خمس عطايا لكل حرف عطية: بالشين الشرف والشفاعة، وبالعين ألف والكرامة، وبالباء البر، وبالألف الألفة، وبالنون النور.

وقيل: شهر رجب لإلقاء بذر الطاعات، وشعبان شهر سقي زروع الطاعات، وشهر رمضان حصاد الطاعات، وليلة القدر ليلة الدياس[4]، ويوم العيد وقت رفع الربع وإدخال المحصول.

وقال بعض الحكماء: رجب للاستغفار من الذنوب، وشعبان لإصلاح العيوب، ورمضان لتقرير القلوب، وليلة القدر للقربة إلى علام الغيوب.

وقيل: شهر رجب لتطهير البدن، وشعبان لتطهير القلب، ورمضان لتطهير الروح، فإذا لم يطهر البدن في رجب ولا القلب في شعبان فمن يطهر الروح في رمضان؟!.

---

(1) وجدته برواية (مائة سنة) بدل (مائة وستين يوما). انظر "شعب الإيمان" ج3 ص373.

(2) ليلة البراءة ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم ويدبر كل خطب عظيم مما يقع في السنة كلها من الإحياء والإماتة وغيرهما، وتسمى ليلة البراءة أيضاً وليلة الصك لأن الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة من النار في هذه الليلة. انظر "مرقاة المفاتيح" ج4 ص430، و"تفسير النيسابوري" ج6 ص490.

(3) في النسخة "شرف".

(4) داس الشيء برجله دوسا ودياسا ودياسة وطئه شديدا بقدمه والزرع أو الحصيد أو الحب درسه ويقال داس الحصيد ليخرج الحب منه. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص630.

الباب الحادي والستون
في فضل ليلة النصف من شعبان

وإذا حلف الرجل فقال يوم أدخل دار فلان فعبده حر فدخلها ليلاً فهو على وجهين: إما أن يكون نوى بياض النار عند اليمين أو لم يكن نوى شيئاً ودخلها ليلاً حنث وعتق عبده بالاتفاق لأن اليوم عبارة عن الوقت بدليل قوله ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: 16] أطلق وأراد به الوقت، حتى إذا أدبر وتخلف عن الصف ليلاً ونهارا صار مدبرا ومستحقًا للذم، فبان أن اليوم عبارة عن الوقت، فلو دخل ليلاً حنث.

وأما إذا كان نوى بياض النهار ذكر في ظاهر الأصول أنه يصدق في القضاء فيما بينه وبين الله تعالى، وهكذا روي عن أبي يوسف رحمه الله لما ذكرنا أن اليوم عبارة عن الوقت عند الإضافة إلى الفعل، فإذا نوى بياض النهار فقد نوى خلاف الظاهر فلم يصدق في القضاء.

ولو قال ليلة أفعل كذا فعبدي حر ففعل ذلك نهاراً لم يحنث لأن الليلة عبارة عن سواد الليل، فوقع عليها دون النهار.

ولو قال لامرأته أنت طالق ليلة البراءة فهو على وجهين: إما أن يكون الرجل عالماً أو جاهلا. فإن كان جاهلاً تطلق امرأته بمضي ليلة النصف من شعبان بالاتفاق، وإن كان عالماً لا تطلق امرأته بمضي ليلة النصف من شعبان؛ لأن البراءة عنده غير متحقق في هذه الليلة، وذلك لا يوجد في الدنيا أصلا فهذه الليلة النصف من شعبان لأن البراءة [تحمل][1] للحقيقة لا للمجاز بخلاف الجاهل فإنه يعتقد هذه الليلة ليلة البراءة فيقع طلاقه.

(1) في النسخة كأنها "فيحمل".

وقال بعضهم كيف ما كان عالماً كان الحالف أو جاهلاً يقع ويحنث في يمينه، لأن هذه الليلة تسمى ليلة البراءة لأنه يعطى للناس فيها براءة، فيعطي للسعداء والأصفياء فيها براءة من النار وأمن من العذاب وجواز على الصراط كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبيَاء: 101].

اعلم أن السبقة على أربعة أوجه: سبقة الأنبياء والمرسلين، وسبقة المعرفة للعارفين، وسبقة الرحمة للعاصين، وسبقة العناية للأولياء والمتقين.

وأما سبقة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصَّافات: 171].

وأما سبقة المعرفة لأصحاب محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقِعَة: 10-11].

وأما الرحمة للعاصين قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ [فُصّلَت: 45][1].

وأما سبقة العناية للأولياء والمتقين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبيَاء: 101] أي من النار.

ويعطى للأعداء والأشقياء براءة من الجنة ورضى الله عزوجل كما قال الله تعالى: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التّوبَة: 1] وقال عزوجل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التّوبَة: 3] فشتان بين براءة الأصفياء وبراءة الأشقياء، فنعوذ بالله من براءة الأشقياء [و][2] المخلوق، فإن براءة المخلوق وفراقه من المخلوق صعب عظيم، فكيف براءة الخالق من المخلوق؟!.

قال سمعت الزندقوني رحمه الله يحكي عن أبي بكر الشبلي[3] بالفارسية أنه رأى

(1) في النسخة (ولو كلمة).
(2) ساقطة من النسخة وأضفتها حتى يستقيم المعنى والله أعلم.
(3) أبو بكر الشبلي (334 هـ) دلف بن جحدر الشبلي: ناسك. كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب=

جنازة في بغداد وخلفه إنسان يحثى التراب على رأسه فهو يقول واويلاه!، واقطيعتاه!. فقال الشبلي: هذا قطيعة المخلوق من مثله، فكيف قطيعة الخالق من عبده؟!.

قال الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أحيا هذه الليلة يرزقه محبته وأحياه ما شاء كما [حكى][1] أبو عبد الله محمد بن عمر المطوعي بإسناد له عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «من أحيا أربع ليال أحبه الله وحببه في قلوب العباد وأحياه ما شاء ليلتي العيد، وليلة عاشوراء، وليلة النصف من شعبان»[2].

قال أبو عبد الله بإسناد له عن كردوس بن عابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله عليه السلام: «من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه حين [تموت][3] القلوب»[4].

قال تكلم الناس في معنى قوله عليه السلام: «ولم يمت قلبه» قال بعضهم: معناه أنه لا يكفر قط، ودليله قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122] ضالاً كافراً فهديناه.

وقال بعضهم: معناه أنه لا يحب الدنيا حتى يختارها على الآخرة لقوله عليه السلام: «لا تجالسوا الموتى»[5] يعني الأغنياء.

وقال بعضهم معنى قوله «لم يمت قلبه» أي لا يتحير عند النزع ولا في القبر ولا في القيامة.

قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله [. . .] الشافعي بإسناد له عن أبي

= الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه. انظر "الأعلام" ج2 ص341.

(1) في النسخة "ح" واستبدلتها بما رأيته يناسب السياق والله أعلم.

(2) انظر "مشيخة ابن أبي الصقر" ص127.

(3) في النسخة (يموت).

(4) انظر "معجم ابن الأعرابي" ج5 ص202.

(5) انظر "تفسير حقي" ج5 ص330.

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرائيل عليه السلام ليلة النصف من شعبان فقال: يا محمد صلوات الله عليه وسلامه هذه ليلة تُفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة، قم فصل وارفع يديك إلى السماء. فقلت: يا جبرائيل عليه السلام ما هذه الليلة؟ قال: يا محمد هذه ليلة يفتح فيها ثلاثمائة باب من الرحمة فيغفر الله لجميع من لا يشرك بالله شيئاً إلا أن يكون ساحرا، أو كاهنا، أو مشاحنا، أو مدمن خمر، أو مصرا على الزنا أو على الربا، أو عاق والديه، أو نماما، أو قتاتا، أو قاطع رحم فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا. فأما مدمن خمر فإنه يترك له باب من أبواب الرحمة مفتوحا حتى يتوب؛ فإذا تاب غفر الله له. وأما المشاحن فإنه يترك باب من أبواب الرحمة مفتوحا حتى يتكلم صاحبه؛ فإذا تكلم صاحبه غفر الله له. قلت: يا جبرائيل فإن لم يكلمه حتى يكون ليلة النصف من شعبان من قابل؟ قال جبرائيل عليه السلام: لو مكث توبتها إلى أن يغرغر في صدره فهو مفتوح حتى يتوب، فإذا تاب قبل منه».

قال فخرج رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد فصلى وسجد، [فبينما][(1)] هو ساجد يبكي في سجوده وهو يقول «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك جل ثناؤك ولا أحصي ثناء عليك أنت كما تقول وكما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى».

فلما كان ربع الليل نزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد ارفع رأسك إلى السماء. فرفع رأسه إلى السماء فإذا أبواب الرحمة مفتوحة، فعلى الباب الأول ملك ينادي طوبى لمن سجد في هذه الليلة، وعلى الباب الثاني ملك ينادي طوبى لمن دعا في هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادي طوبى [للمسبحين][(2)]، وعلى الباب الرابع ينادي طوبى للذاكرين، وعلى الباب الخامس ملك ينادي طوبى لمن يبكي من خشية الله، وعلى الباب السادس ملك ينادي طوبى لمن صلى في هذه الليلة، وعلى الباب السابع ملك ينادي طوبى لمن قرأ في هذه

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

الليلة، وعلى الباب الثامن ملك ينادي هل من سائل فيعطى سؤاله؟ هل من داعٍ فيستجاب له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟

قال عليه السلام: «يا جبرائيل إلى متى أبواب الرحمة مفتوحة؟ قال من أول الليل إلى طلوع الفجر». ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقوموا كل ليلة وهي ليلة النصف من شعبان وقال عليه السلام: «إن لله عتقاء من النار في هذه الليلة أكثر من شعر غنم بني كلاب، وفيها يرفع أعمال أهل الأرض من السنة إلى السنة، وفيها يقسم الأرزاق»(1).

قال: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له عن [أنس بن مالك قال بعثني](2) رسول الله ﷺ إلى عائشة في جماعة. فقلت لعائشة عجلي فإن رسول الله ﷺ وعد الناس أن يخبرهم في فضل ليلة النصف من شعبان حتى أسمع. فقالت عائشة رضي الله عنها أنا أخبرك بما تريد، يقول رسول الله ﷺ للناس كانت هذه في توبتي فجاء رسول الله ﷺ حتى دخل معي في الفراش، ثم [انسل](3) رسول الله ﷺ فراشي، فاستيقظت وقد فقدت رسول الله، فأسأت به الظن، فظننت أنه ذهب إلى بعض أزواجه أو جاريته مارية القبطية، فخرجت فإذا رسول الله عليه السلام في المسجد يصلي، فخفف القيام ثم ركع وسجد، فكان في سجوده إلى الفجر حتى ظننت أنه قبض النبي عليه السلام، فمشيت إليه وحركته فتحرك، فحمدت الله وسمعته يقول في سجوده «سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي وهذه يداي التي جنيت بهما على نفسي فاغفر لي الذنب العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم. فقالت عائشة: قلت يا رسول الله بأبي وأمي يا رسول الله أنت في واد وأنا في واد»(4). فالرسول كان يفعل قبل ذلك في هذه الليلة [لشرفها](5) فنحن أولى أن نفعل ذلك.

---

(1) انظر "تنزيه الشريعة المرفوعة" ج2 ص149.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة كأنها "اسنل يا".

(4) انظر "فضائل الأوقات" للبيهقي ص130، و"الدعاء" للطبراني ص195.

(5) في النسخة "شرفها".

الباب الثاني والستون
في فضل شهر رمضان

إذا جامع في رمضان فيما دون الفرج أو ابتلع حصاة أو أكل ما لا يؤكل مثله مما ليس بغذاء ولا دواء أو ابتلع البزاق من الخارج أو دقيقا أو شعيرا وما أشبه ذلك فعليه القضاء ولا كفارة، وإذا تقيأ متعمدا أو احتقن أو استعط[1] أو أقطر في أذنه أو داوى جائفة أو آمة[2] بدواء رطب لأن اليابس لا يفطره بالإجماع، أو [ذرعه][3] القيء ورجع إلى بطنه بفعله أو أصبح على نية الإفطار في رمضان ثم تناول المفطرات فعل ذلك قبل الزوال أو بعده؟ قال أبو يوسف رحمه الله: إن كان قبل الزوال عليه الكفارة وبعده لا، ففي الجميع القضاء لا كفارة، وإنما الكفارة في الجماع في نهار رمضان في الفرج أنزل أو لم ينزل، والأكل والشرب من المشروبات المغذيات على وجه القصد والتذكر[4].

وإذا جامع أو أكل أو شرب ولم يكفر حتى جامع أو أكل أو شرب مرة أخرى تداخلت الكفارات، فيجب كفارة واحدة خلافا للشافعي، لأن الكفارة عقوبة لما صنع من إتيان المحرم فلا يتكرر، كما لو زنى أو شرب مراراً لم يجب إلا حد واحد فكذا هنا. والكفارة إنما تجب لحرمة الشهر لا لحرمة الصوم، ألا يرى أنه إذا أفطر في قضاء رمضان لا كفارة عليه بالاتفاق، ولو كان للصوم حرمة دون الشهر [لعظمت][5] لياليه ولا شك بأن ليالي هذا الشهر معظمة كما قال

---

(1) استعط: الدواء أدخله في أنفه. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص893.

(2) الجائفة: الجرح في الجوف، والآمة الجرح في أم الرأس وهو الدماغ. انظر شرح والأحكام الفقهية الحنفية في "الجوهرة النيرة" ج2 ص40.

(3) في النسخة "زرعه". ذرعه القيء: أي غلبه وسبقه. انظر "حاشية رد المحتار" ج2 ص445.

(4) جاء في هامش النسخة "ولا يتطوع بالصوم يوم القضاء. في أدب القاضي".

(5) في النسخة كأنها "لعربت" واستبدلت الكلمة بما يناسب السياق.

النبي عليه السلام: «إذا كان أول ليلة من ليالي رمضان فتحت له أبواب الجنان وغلقت فيه أبواب النيران»(1)، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: 185](2) الآية، فالشكر لله واجب على [هذين](3) العطاءين على رمضان وعلى القرآن.

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أعطيت لأمة محمد ﷺ نورين كيلا يضرها الظلمتان. قال: يا رب فما هذا النوران؟ قال: نور شهر رمضان ونور القرآن. قال: يا رب ما الظلمتان؟ قال: ظلمة القمر وظلمة القيامة.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن نافع عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول «قد أهل هلال رمضان ولو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون الرمضان السنة كلها»(4).

قال: حدثنا الإمام أبو نصر الحربي بإسناد له عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل جل جلاله: يا رضوان [نجّد](5) جنتي وزينها لصائمي رمضان من أمة محمد وافتح أبوابها ولا تغلقها حتى ينقضي شهر رمضان، ثم ينادي يا خازن النيران أغلق أبواب جهنم عن الصائمين من أمة محمد حتى ينقضي شهرهم هذا، ثم ينادي جل جلاله يا جبرائيل اهبط إلى الأرض فغل مردة الشياطين حتى لا يفسدوا على عبادي صومهم»(6). طعن في هذا الحديث من ليس لهم إسلام صحيح، فقالوا لو يغل الشياطين فمن يوقعهم في الجرائم وهم يقعون؟

---

(1) انظر "فضائل شهر رمضان" لابن شاهين ص13، و"كنز العمال" ج8 ص469.

(2) قال الله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: 185].

(3) في النسخة "هذه".

(4) انظر "مسند أبي يعلى" ج9 ص180، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص84.

(5) في النسخة كأنها (نجر)، وفي بعض المصادر وجدتها (نجّد) وهو ما يشابه شكل الكتابة في النسخة هنا، وفي بعض المصادر الأخرى (هيء).

(6) انظر "الموضوعات" لابن الجوزي ج2 ص187، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص84.

فنقول إن رأسهم يغل دون أتباعه من الشياطين فيفسدون، ولكن ليسوا كمن هو الشيطان في القدرة، والدليل على أن المسلم قل ما يقع في الكبيرة في شهر رمضان، وعامة المسلمين أي الأتقياء وغير الأتقياء يكفون عن المساوئ في هذا الشهر والله أعلم[1].

عن سلمان الفارسي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم شعبان فقال «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فيه فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطّر فيه صائما كانت له مغفرة من ذنوبه وعتق رقبة من النار، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة. قالوا: يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم؟ قال: يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطّر صائما على [مذقة][2] لبن أو تمرة أو شربة ماء، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف فيه على مملوكه غفر الله تعالى له وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى لكم عنهما. وأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إلٰه إلا الله وتستغفرونه، والخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتتعوذون من النار»[3].

عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا موسى إني افترضت الصيام على عبادي وهو شهر رمضان، فمن [وافى يوم القيامة وفي صحيفته][4] عشرة رمضانات فهو عندي من المخبتين.

يا موسى بن عمران إني آمر في رمضان حملة العرش أن يمسكوا عن العبادة

(1) وقد تكون النفس الأمارة بالسوء هي من تسول لصاحبها الوقوع في المحارم والله أعلم.
(2) في النسخة كأنها "مزقة".
(3) انظر "صحيح ابن خزيمة" ج3 ص191، و"شعب الإيمان" ج3 ص305.
(4) في النسخة " وفى كان يوم القيامة في صحبة".

إذا دخل شهر رمضان وليس من صائم [يدعون][1] إلا أمّنوا على دعائهم، وإني آليت على نفسي على أن لا أرد دعوة صائم رمضان.

يا موسى إني ألهم في شهر رمضان السموات والأرضين والجبال والشجر والدواب أن يستغفرن [لصائمي][2] رمضان.

يا موسى اطلب ثلاثة يصومون رمضان فصلِّ معهم وتقلب بينهم وكل واشرب معهم فإني لا أنزل عذابي ولا نقمتي فيها ثلاثة يصومون شهر رمضان.

يا موسى بن عمران أتدري من أقرب خلق إليّ؟ الذي إذا غضب لم يلعن ولم يحقد على والديه وعلى ذي قرابته إذا قطعوا، ومن عطش في شهر رمضان فإني آليت على نفسي قبل أن أخلق الخلق أنه من عطش نفسه في رمضان أرويته يوم القيامة.

يا موسى لو أذنت للسماء والأرض لسلمتا على صائمي رمضان وكلمتاهم وبشرتاهم بما ادخرت لهم من الخزائن يوم فطرهم، أقول لهم عبادي الذين صاموا لأجلي ارجعوا إلى رحالكم ومنازلكم مغفورا قد رضيت عنكم وجعلت ثوابكم من صيامكم وجوائزكم يوم فطركم أن أعتقكم من النار وأن أحاسبكم حسابا يسيراً وأن أوسع عليكم الرزق في الدنيا ما [عشتم][3]، وإني أقسمت بعزتي فلا تسألوني شيئاً من أمر دنياكم إلا و[نظرت][4] لكم فيه، يا موسى لا يستعجلون دعاءهم إذا دعوني.

يا موسى إذا سألتني عند إفطارك في شهر رمضان فلا تدع شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا سألتنيه حتى الملح [لأهلك][5] والعلف لثورك وشأنك.

يا موسى إنه لم يزل في الأرض أبدال أقيم بهم الأرض ولولا الأبدال تدمرت الدنيا وأهلها، وهم أصفيائي من خلقي وأوليائي وخيرتي بهم تقوم الدنيا، فكلما مات منهم أحد أبدلت مكانه مثله [وهم][6] أربعون رجلاً.

---

(1) في النسخة كأنها "يدعوه".
(2) في النسخة "فصائمي".
(3) في النسخة "عستم".
(4) في النسخة "طرت".
(5) في النسخة "لاملك" والله أعلم.
(6) في النسخة "وهو". انظر "شعب الإيمان" ج3 ص344.

الباب الثالث والستون
في فضل الصوم

رجل تسحر وهو لا يعلم بطلوع الفجر ثم علم أنه كان أكل والفجر طالع وذلك في رمضان، قال ففي هذه المسألة أربعة أحكام:

الأول أنه يجب عليه قضاء ذلك اليوم في قول علمائنا، وقال الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ لا قضاء عليه لأن عنده يجوز التسحر قبل طلوع الشمس، وهذا متروك لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البَقَرَة: 187]، فمن أباح الأكل بعد طلوع الفجر فقد خالف الكتاب.

والحكم الثاني أنه لا كفارة عليه لأنه أفطر متأولا لا متعمدا.

والحكم الثالث أنه لا يأثم بما فعل لأنه خاطئ وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزَاب: 5][1]، وقال عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[2].

والحكم الرابع التشبه بالصائمين فلا يأكل ولا يشرب ببقية يومه لقوله عليه السلام: «من تشبه بقوم فهو منهم»[3]، وكذلك الحكم فيمن أفطر وهو يرى أن الشمس غابت ـ يعني تيقن أن الشمس غابت ـ، فأما إذا شك أنها غابت أو لم تغب وأفطر فعليه الكفارة لأن في المسألة الأولى أنه على يقين من الليل وشاك بالنهار واليقين لا يزال بالشك فلم تجب الكفارة بخلاف المسألة الثانية لأن اليقين النهار.

ثم نقول الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلوات لأن في قضاء الصلوات مشقة لأن عذرها يتكرر في كل شهر، ولا كذلك في قضاء الصوم، والمشقة مرفوعة في التكليف.

---

(1) في النسخة (لا جناح عليكم). (2) انظر "كنز العمال" ج4 ص233.

(3) انظر "سنن أبي داود" ج4 ص78، و"المعجم الأوسط" ج8 ص179.

وروي في الأخبار أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض مع أمنا حواء رضي الله عنها فحاضت فسألت آدم عليه السلام، فسجد آدم لله تبارك وتعالى فنزل جبرائيل عليه السلام و[أمرها][(1)] بترك الصلاة مدة حيضها، فلما جاء وقت الصوم وهو يوم عاشوراء وكان عليهما واجب أن يصوما وحاضت تركت الصوم لقياسها على الصلاة، فنزل جبرائيل وقال: يا آدم [يقرئك ربك][(2)] السلام ويقول قل لحواء تركت بأمري فرفعت عنك القضاء، وتركت الصوم برأيك بالقياس فأوجبت عليك القضاء.

والمسافر إذا حضر مصره قبل الزوال أو الكافر أسلم أو الصبي بلغ أو الصبية بالسن وما أكلوا شيئاً صاموا ويحسب صومهم.

أما إذا حدث ذلك بعد الزوال وأكلوا شيئاً يتشبهون بالصائمين فلا يأكلوا لكي ينالوا ثواب الصائمين.

وإذا كان الإفطار في رمضان بأمر الله تعالى لعبده كالمسافر والمريض والحائض يحصل له ثواب الصائمين فإذا قضاها في غير رمضان فكأنه صامها في رمضان، ويدل عليه ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البَقَرَة: 187][(3)] الآية.

قال نزلت هذه الآية في شأن عمر رضي الله عنه، وذلك أن الله تعالى فرض على عباده صوم رمضان ليلة المعراج وأباح الطعام والشراب والجماع بعد غروب الشمس إلى طلوعها قبل أن ينام المرء، وإذا نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى مثل ذلك الوقت من الغد، فكان عمر رضي الله عنه في السفر فقدم في رمضان بعد صلاة العصر وقد أثر فيه السعي، فصلى المغرب وغلب عليه النوم

---

(1) في النسخة "أمر لها". (2) في النسخة كأنها "يقرء لك".

(3) قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: 187].

حتى لم يقدر على الأكل والشرب، ثم استيقظ وقد غلب عليه الجوع، فأكل وشرب وجامع ثم ندم وجلس كالمصاب، فلما أصبح غدا إلى رسول الله عليه السلام ليعلمه عن حاله، فنزل جبرائيل قبل أن يسأل عمر ﷺ بهذه الآية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ [البَقَرَة: 187] الآية[1]، فأباح الله الأكل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر وأعطى ثواب الذين كانوا يصومون أولاً، ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 10] يعني بصيامكم في شهر رمضان ابتغوا رحمة الله تعالى، فلولا أن الصوم أفضل العبادات لما استحق العبد الرحمة بصيام هذا الشهر.

قال محمد بن الفضل عن البحري عن أبي الأحوص عن عبد الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل حسنات بني آدم عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه يقول الصوم لي وأنا أجزي به»[2].

قال تكلم الناس في قوله «الصوم لي وأنا أجزي به» لم أضاف الصوم إلى نفسه من بين سائر العبادات؟

قال سمعت الشيخ أبا بكر بن إسحاق الكلاباذي [يقول:][3] إن جميع الطاعات سوى الصوم لا تخلو من الرياء وتطلع عليها أعين الناس سوى الصوم؛ لأن الصوم عبادة بين العبد والرب، فأضافه الله تعالى إلى نفسه.

وقال أبو العباس بن عطاء في كتابه: إنما أضاف إلى نفسه لأنه إذا كان يوم القيامة يجيء العبد وعليه خصومات ومظالم، فيأخذ الخصم صلاته والآخر زكاته والآخر حجه والآخر جهاده، فيجيء خصم آخر وعليه مظلمة ولم يكن له من الحسنات فيريد أن يأخذ صومه، فيقول الله تعالى لخصومه الصوم لا سبيل لكم، فلأجل ذلك يبقى الصوم فيدخله الجنة ولم يبق مفلسا.

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري رحمه الله يقول فيه: إنما أضاف إلى نفسه لأن الصوم عبادة لا يقع لأحد شركة مع الله تعالى لأن العباد من يصلي للصنم ومنهم

(1) انظر "تفسير ابن كثير" ج1 ص511، و"أسباب النزول" ص30.
(2) انظر "سنن البيهقي" ج4 ص273، و"سنن الترمذي" ج3 ص136.
(3) ساقطة من النسخة.

من يسجد للشمس والنار، فلما كان كذلك والصوم عبادة لا يشترك فيه غير الله فأضافه إلى نفسه فقال عز وجل «الصوم لي وأنا أجزي به»، أضاف الجزاء إلى كرمه لا إلى استحقاق العبودية، يعني أكافيه عن صومه على كرم الربوبية.

قال أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله «الصيام والقرآن يشفعان [للعبد][1]، فيقول الصوم ربي منعته عن الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، فيشفعان»[2].

قال الشيخ أبو الفضل بإسناد له إلى عمر بن حسان رضي الله عنهما عن رسول الله عليه السلام: «لكل شيء باب، وباب الطاعات الصوم»[3].

قال: حدثنا الحاكم أبو بكر بإسناد له عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»[4].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن سليمان الداراني[5] أنه صام يوماً فنام فرأى في المنام فقيل: أتبيع ثواب صومك في هذا اليوم بمائة ألف دينار؟ فقال: لا؛ [وعزة ربي جل جلاله][6]، فقيل: بأي شيء تبيعه؟ قال: لا أبيع ثواب صومي بالدنيا ولكن أبيعه برضى المولى. فقيل له: صم فسوف يرضى.

وقيل: إن الحكمة في إيجاب الصوم على العبد أن الملائكة طعنت في آدم وافتخرت بطاعاتها وصيامها، فقال عزوجل: إني أعلم ما لا تعلمون ليس لكم حاجة إلى الطعام وأخلق عباداً يكون لهم حاجة ويكفون عن الطعام لأجلي،

(1) في النسخة "العبد".
(2) وبقية الرواية «ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه». انظر "كنز العمال" ج8 ص44، و"الترغيب والترهيب" ج2 ص50.
(3) انظر "كنز العمال" ج8 ص448.
(4) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص415، و"فيض القدير" ج6 ص378.
(5) سليمان الداراني (120 هـ) سليمان بن حبيب المحاربي الداراني، أبو بكر: قاض، من ثقات التابعين. من أهل الشام. كان ينعت بقاضي الخلفاء. استمر في قضاء دمشق ثلاثين عاما. نسبته إلى (داريا) من غوطة دمشق. انظر "الأعلام" ج3 ص122.
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

فصومهم أفضل من صيامكم، فأمر الله تعالى عباده بالصوم ليظهر فضل الآدميين على الملائكة.

قال مكحول الشامي: العبد لا يخلو من المعصية وقل ما يقع أن لا يعصي، وجزاء المعصية النار، فأمر الله تعالى عباده بالصوم لكي تكون نار الصوم جزاءً لهم في الدنيا وتحرق نار الصوم ذنوبهم؛ فينجون في الآخرة عن نار الجحيم.

ومن [شرفه][1] أن الله تعالى يقول ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبَة: 112][2] قيل في التفاسير "السائحون" الصائمون[3] لأن [السائح][4] يدخل في البلد فإذا استطاب أقام وإن لم يستطب فيخرج، فيطوف حتى يجد ما يستطيب فينزل فيه، كذا الصائم إذا دخل الجنة يقال له طف الجنة فأي قصر وأي غرفة شئت فانزل بها، فيسيح في قصور الجنة ومنازلها أين ما شاء كالسياح في الدنيا، فلذلك سمي الصائم [سائحاً].

وروي أنه يُؤتى للصائمين يوم القيامة بشراب من الجنة فيشربونه في عرصات القيامة قبل دخولهم الجنان كما قال الله تعالى: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ [المطفّفِين: 25-26][5]، فيكون على خاتم المسك مكتوبا منقوشا عليه "هذا شراب طاهر بعثه رب طاهر إلى عبد طاهر".

قال: حدثنا أبو بكر بإسناد له عن أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، وإمام عدل، ودعوة المظلوم يرفعها الله تعالى فوق الغمام ويفتح له أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد خمسين سنة»[6].

---

(1) في النسخة "شرف".

(2) التوبة: 112. (الحامدون) ساقطة من النسخة.

(3) انظر "تفسير القرطبي" ج8 ص270، و"تفسير ابن كثير" ج4 ص219، و"تفسير الخازن" ج3 ص347.

(4) في النسخة "السياح" وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا.

(5) في النسخة (ويسقون).

(6) وجدته برواية (ولو بعد حين). انظر "سنن البيهقي" ج3 ص345، و"سنن الترمذي" ج5 ص578.

قال سمعت أبا عبد الله الفضل رَحِمَهُ اللهُ يحكي عن سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يواظب على الصيام، فمر يوماً بتمّار يبيع رطبا، فاشتهت نفسه فرد شهوتها، فقالت له نفسه أسهرتني في الليالي وأظمأتني في الهواجر فأعطني هذه الشهوة واستعملني في الطاعة كما شئت، فاشترى سهل من الرطب ودخل موضعا ليأكل، فدخل فيه رجلان يختصمان، فقال أحدهما: إني محق وأنت مبطل وحق الصائمين إني محق في دعواي، فترك الآخر المنازعة بحلفه هذا.

فقال سهل هذا مبعوث الحق [لأجلي، ثم أخذ بلحيته][1] وقال يا سهل بلغ شرف صومك حيث يحلف العباد بصومك حتى يقولون "وحق الصائمين" وأنت تفطر؟!. والله لا أفطر أبداً مادامت روحي في نفسي، فخلّف المطعوم وعاد إلى صومه.

(1) في النسخة "لاجل ثم اخذت بلحية".

الباب الرابع والستون
في فضل ليلة القدر

وإذا قال لامرأته الليلة التي يقدم فلان فأنت طالق فقدم نهارا؛ أو نهاراً فقدم ليلاً لم يقع لأن اليمين شرط، فمتى وجد الشرط وجب الجزاء.

ولو أن رجلاً قال لامرأته أنت طالق في ليلة القدر فإن قال ذلك بعد مضي يوم أو يومين من رمضان لم تطلق بالاتفاق ما لم يجئ اليوم الذي قال ذلك من العام القابل، لأنه يحتمل أنها مضت قبل هذه المقالة.

وإن قال قبل دخول رمضان ثم مضى رمضان قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يقع الطلاق ما لم يجئ ذلك اليوم الذي قاله من العام القابل.

وقالا رحمهما الله إذا مضى رمضان يقع الطلاق، وهو على اختلاف بينهم أن ليلة القدر تكون في رمضان أم في جميع السنة؟ قال أبو حنيفة رحمه الله تكون في جميع السنة، وقالا رحمهما الله في رمضان لا غير، وأكثر الروايات أنها في العشر الأواخر من رمضان بدليل ما حدثنا الحاكم أبو نصر بإسناد له عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال يا رسول الله عليه السلام: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»(1).

و[مال](2) أكثر العلماء إلى ليلة السابع والعشرين.

قال أهل [العرف](3) إن الله تعالى يقول: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزّخرُف: 1-2] هذه سبعة وعشرون حرفا، حرف لكل ليلة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله تعالى وتر يحب الوتر، وأحب الوتر إلى الله تعالى السبع، ألا يرى أن الله تعالى خلق السموات سبعا، والأرضين سبعا،

---

(1) انظر "صحيح البخاري" ج2 ص710، و"صحيح مسلم" ج3 ص173.
(2) في النسخة "قيل". (3) في النسخة "العراف".

والكواكب سبعا، والبحار سبعا، وخلق الإنسان من سبع كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 12-13].

وأما الخبر فقد حدثنا به الحاكم أبو نصر الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بروايته عن رسول الله أنه قال: «ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين»(1).

ومن فضائل هذه الليلة ما حدثنا به أبو بكر الكسائي بإسناد له عن الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر في سبيل الله تعالى. قال أبو بكر قيل إنه كان يوشع ابن نون جاهد ألف شهر مع أعداء الله تعالى صائم نهاراً وقائم ليلاً ـ وألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ـ، فتعجب رسول الله ﷺ من حسن عبادته وتمنى أن يكون في أمته مثل ذلك، فدعا ربه وقال «يا رب أعمار أمتي قصار فمن يبلغ مثل هذا؟ فأنزل الله تعالى هذه السورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: 1](2) إلى قوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 3] يعني ركعتان في ليلة القدر يا محمد خير من ضربة السيف ألف شهر.

وقيل: لما أنزل الله تعالى القرآن على نبيه محمد ﷺ زعم كفار قريش لولا أربعة نؤمن به: أحدها: لم ينزل على رجل من القريتين عظيم، أي على أبي جهل والوليد بن المغيرة لعنهما الله تعالى، بل نزل على أفقر قريش، فرد الله تعالى قولهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزّخرُف: 32](3).

والثاني ما أنزل القرآن جملة واحدة كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام جملة واحدة، فرد الله تعالى قولهم بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ

(1) لم أجده بهذه الرواية، ووجدته من كلام أبي بن كعب، انظر "معجم أبي يعلى" ص236.
(2) قال الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 1-3].
(3) قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزّخرُف: 32].

فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفُرقان: 32][1].

والثالث أن الله تعالى يأمر في هذا القرآن أمر ثم ينسخ ويأمر أمراً آخر، فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النّحل: 101].

والرابع قالوا لولا أنزل هذا القرآن في الليلة ولم ينزل في النهار كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدّخان: 3] فرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: 1-3][2] يعني العبادة في هذه الليلة لأمة محمد عليه السلام خير من ألف شهر سائر الأمم وعبارتهم فيها.

وقال بعضهم يعني الرحمة في هذه الليلة خير وأكثر من الرحمة في ألف شهر.

وفيه قول آخر وهو أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي عليه السلام: إن بني أمية يلعنون على أهل بيتك بعد موتك ألف شهر، فاغتم رسول الله ﷺ بذلك، فأنزل الله تعالى قوله ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: 3] يعني ثنائي عليك وعلى أهل بيتك وما أعطيت لك ولامتك من الدرجات في ليلة القدر لا يساوي بما يفعلون من اللعنة بعدك؛ ومع ذلك لهم النار والعذاب الشديد فطابت نفسه.

وإنما سميت ليلة القدر بوجهين:

أحدهما: أن لها قدراً ومنزلة وشرفاً عند الله تعالى.

والثاني: أنه يقدر فيها الآجال والأرزاق من سنة إلى سنة قابلة كما قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: 4] وهذا وقول عامة العلماء أنها ليلة القدر.

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفُرقان: 32]. وجاء في هامش النسخة عند قوله: ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ﴾ "[أي] فصلناه".

(2) جاءت الآية الثانية ساقطة من النسخة.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن أبي صالح عن أبي هريرة وابن عباس ﭬ عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا كانت ليلة القدر نزلت عليهم الملائكة وهي سكان سدرة المنتهى وجبرائيل عليهم السلام معهم ومعه أربعة ألوية، فينصب لواء منها على قبري، ولواء على ظهر بيت المقدس، ولواء على ظهر المسجد الحرام، ولواء على طور سيناء، ولا يدع فيها بيتاً فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخله وسلم عليه ويقول: يا مؤمن ويا مؤمنة [نقرئك][1] السلام»[2] الحديث بطوله.

والحكمة في نزول الملائكة في هذه الليلة أن الملائكة طعنت في بني آدم حيث قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 30] وقال الله تعالى لهم ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30][3]، فيقول الله تعالى لهم اذهبوا في هذه الليلة إلى عبادي حتى ترونهم قائمين ساجدين راكعين لتعلموا أني اخترتهم على علم على العالمين.

وقيل: ما أعظم قدر المؤمن وشرفه حيث ليسلم على الله تعالى في ثلاثة مواضع بلسان ثلاثة: أوله بلسان نبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعَام: 54]، والثاني على لسان جبرائيل عليه السلام في ليلة القدر بقوله تعالى ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القَدر: 5]، والثالث بلسان ملك الموت عند الموت كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النّحل: 32][4]، جميع هذا في الدنيا.

وأما الآخرة فيسلم الله تعالى عليه في مواضع كثيرة بلا واسطة كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: 73]، وكقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، والله أعلم.

(2) انظر "تفسير القرطبي" ج20 ص137، و"الكشف والبيان (تفسير الثعالبي)" ج14 ص171.

(3) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30].

(4) في النسخة (إن الذين تتوفاهم).

رَّحِيمٍ﴾ [يس: 58] وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: 25-26]، فطوبى للمؤمن لما يجد من الكرامة.

ثم النكتة أن الإنسان إذا سلم عليه الإنسان يسلم منه، فكيف إذا كان المسلّم هو الله وهو أكرم الأكرمين؟!.

وقيل: أعطى الله تعالى أمة محمد ﷺ في رمضان خمسة أشياء لم يعط أحداً قبلهم: أوله إذا كان أول ليلة من رمضان نظر الله إليهم بالرحمة؛ ومن نظر الله تعالى إليه بالرحمة لا يعذبه، والثاني يقول الله للملائكة كفوا عن العبادة في هذا الشهر واستغفروا لأمة محمد عليه السلام، والثالث يقول الله تعالى لرضوان خازن الجنة زين الجنة وافتح أبوابها حتى لو مات أحد من أمة محمد عليه السلام في هذا الشهر تدخل روحه الجنة حتى يأتي جسده، والرابع يأمر الله تعالى مالك خازن النيران أن أغلق أبوابها حتى لو مات واحد من العصاة لا يعذب فيها حتى يمضي رمضان، والخامس أعطاهم الله تعالى ليلة القدر حتى أن من عبد الله تعالى فيها يغفر ذنوبه ويعتق فيها من النار بعدد ما اعتق في جميع الشهر.

قال سمعت الحاكم أبا الحسن علي بن أحمد يقول: أخفى الله تعالى خمسة أشياء في خمسة أشياء: أوله جعل رضاه في طاعته فأخفى تلك الطاعة التي رضاه بها لأنه لو أظهرها ما أطاعوه إلا بها فأخفاها حتى يطيعوه بجميع الطاعات رجاء أن يرضى عنهم الله تعالى، والثاني جعل عقابه وغضبه في المعصية وأخفى تلك المعصية في المعاصي لأنهم لو علموها تجانبوا عنها وأتوا جميعها مخافة أن يسخط[1] عليهم ربهم، والثالث إخفاء أوليائه بين خلقه لأنه لو أظهرهم أهانوهم ويستحقون العذاب بإهانتهم فإخفاؤهم حكمة، والرابع أخفى اسمه الأعظم في الأسماء لأنهم [لو][2] علموه دعوه به دون غيره فأخفاه لكي يدعوه بجميع أسمائه رجاء أن يصيبوا ذلك الاسم فتستجاب دعوتهم، والخامس ليلة القدر في الليالي لأنه لو أظهرها ما عبدوه ولا أحيوه ليلة دونها فأخفاها لكي يحيوا جميع الليالي رجاء أن يصيبوها.

(1) في النسخة "لا يسخط" والله أعلم بالأصل.
(2) ساقطة من النسخة.

الباب الخامس والستون
في فضل أيام العشر الأول من ذي الحجة
بمسائله وعظاته

إذا قال الرجل لله عليّ صوم هذه الأيام نظر فإن كان يوم الجمعة أو السبت يصوم من يومه ذلك إلى الجمعة المستقبلة، لأن هذه الأيام تطلق ويراد بها أيام الجمعة التي تدور على الناس، والأيمان مبناها على العرف والعادة.

قال بعضهم وإن كان يمينه في أيام عشر ذي الحجة فسواء كان في الغرة[1] أو بعده بيوم فعليه أن يصوم إلى يوم العيد، لأن الإشارة إنما تقع بها إذا كان في وقتها فصل كأنه قال: لله عليّ صوم أيام العشر من ذي الحجة.

ولو قال لله عليه أن أصوم أفضل الأيام في سنتي هذه بعد رمضان لا يجب عليه صوم جميع السنة إلا صوم عاشوراء والعشر الأولى من المحرم والعشر الأولى من ذي الحجة، لأن الأيام الفاضلة من السنة هذه الأيام، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: 1-4] أراد به صبحة الفجر، وليال عشر هي تسعة أيام، وعشر ليال من ذي الحجة، والشفع آدم وحواء، والوتر هو الله تعالى الواحد لا شريك له، والليل إذا يسر أي يذهب ومضى.

وقيل: الفجر فجر يوم الجمعة، وقيل فجر يوم النحر، وقيل فجر يوم العيد، وقيل يوم عرفة، وقيل الفجر الذي ولد فيه النبي عليه السلام.

وليال عشر أيام عاشوراء.

والشفع قيل جميع الخلائق، والوتر هو الله تعالى، وقيل الشفع أولاد النبي عليه السلام وهم ثمانية، أربعة من البنين: إبراهيم، القاسم[2]، الطاهر،

---

(1) الغرة: من كل شيء أوله وأكرمه ومن الشهر ليلة استهلال القمر ومن الهلال طلعته. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص208.

(2) في النسخة "أبو القاسم".

والطيب. ومطّهر من البنات أم كلثوم، ورقية، وفاطمة، وزينب والوتر محمد عليه السلام.

ومن فضائل هذه الأيام أن الله ذكرها في ثلاثة مواضع في كتابه، أحدها: قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: 142][1] وهي عشر ذي الحجة، أمر الله تعالى موسى عليه السلام بصوم ثلاثين يوماً وهي ذو القعدة، ثم توجه إلى الطور فأفطر، فأمره أن يصوم عشرة أخرى وقال الله تعالى: أما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك. فصام عشرة أخرى وهي عشرة ذي الحجة، وهذا قوله ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: 142].

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحَجّ: 28][2] وهي عشر ذي الحجة والأيام المعدودات أيام التشريق.

والثالث قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ [الفجر: 1-2] أظهر فضلها لكثرة تكرارها.

قال: سمعت أبا نصر أحمد بن الفضل الجندي يروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب العمل فيهن من هذه الأيام، فأكثروا فيها التحميد والتهليل والتسبيح والتكبير»[3].

قال: حدثنا أبو إسحاق الرازي بإسناد له عن [الضحاك][4] بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي

---

(1) قال الله تعالى: ﴿۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

(2) الحج: 27. في النسخة: (واذكروا الله في أيام معلومات)، ولعله يقصد قوله تعالى: ﴿۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: 203].

(3) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص75، و"مستخرج أبي عوانة" ج4 ص123، و"شعب الإيمان" ج11 ص82.

(4) في النسخة "ارضاك".

كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: 36][1] تعالى: ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ [التّوبَة: 36] يريد به المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يُوسُف: 40] يريد به المستقيم ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التّوبَة: 36] أراد به أن تحفظوا أنفسكم فيها واجتنبوا الخطايا فإن الحسنات فيها تضاعف والسيئات كذلك.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر رحمه الله بإسناد له عن محمد بن المنكدر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ: لما خلق الله تعالى الخلق اطلع عليهم اطلاعا فاختار ـ أي فضل على غيرها ـ من كل شيء أربعة: من الكلام والملائكة، والأنبياء، والصديقين، والشهداء، والنساء، والبقاع، والأيام.

اختار من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر؛ وهي الباقيات الصالحات، ومن الملائكة جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام، ومن الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، ومن الصديقين يوسف الصديق وحبيب [النجار][2] وأبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومن النساء آسيا بن مزاحم الملك وهي امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام، ومن الشهور شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم، ومن الأيام يوم الفطر ويوم عرفة وهو الحج الأكبر ويوم النحر ويوم الجمعة وهو سيد الأيام، ومن البقاع مكة ومدينة

---

(1) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التّوبَة: 36].
وجاء في هامش النسخة " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشرة». قالوا [ولا] الجهاد ؟. وقال عليه السلام «[و] لا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء». بدر الواعظين". انظر الحديث في "سنن البيهقي" ج4 ص284، و"سنن أبي داود" ج2 ص301.

(2) في النسخة كأنها "النجاري". قال الرسول ﷺ «الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين، وحزبيل مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم». انظر "معرفة الصحابة" لأبي نعيم الأصبهاني ج1 ص365.

الرسول وبيت المقدس ومسجد الكوفة[1].

قال أحمد بن الفضل المذكر: من تصدق في هذه الأيام فكأنه تصدق على رسله وأنبيائه عليهم السلام، ومن عاد مريضاً فكأنما عاد أولياء الله وبدلائه، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنازة شهداء الله، ومن كسا مؤمناً كساه الله تعالى من حلله، ومن ألطف يتيما ألطفه الله تعالى في يوم القيامة تحت عرشه، ومن حضر مجالس العلماء فكأنما حضر مجالس الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال: ومن شرف هذه الأيام أن الله تعالى أعطى لثلاثة من الأنبياء عليهم السلام في هذه الأيام ثلاث خلل تاب فيها على آدم عليه السلام، وأعطى الخلة لإبراهيم عليه السلام، وأكرم موسى عليه السلام فيها بالمناجاة والقربة[2].

وروي أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض بكى على زلته سنين ولم تقبل توبته، فقال لجبرائيل عليه السلام: وما حيلتي في قبول توبتي؟ قال له: اذهب إلى مكة فاصبر فيها حتى يدخل عشر الأضحى فاعتذر فيها إلى خالقك عزوجل لعله يتوب عليك. ففعل فرزق من قبول التوبة ببركة هذه الأيام كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122].

وأما إبراهيم عليه السلام فحين هم وقصد ذبح ولده والقصة مشهورة تعجبت الملائكة من سخاوته حيث أعطى ماله للضيفين وبدنه للنيران وولده للقربان لأجل الرحمن، فأكرمه الله تعالى بالخلة حتى قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّسَاء: 125].

وأما موسى عليه السلام وجد القربة والمناجاة في هذه الأيام كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاء: 164].

---

(1) حاولت أن أجد في الكتب التي عندي حديثاً بهذه الرواية فلم أجد.

(2) جاء في هامش النسخة " ويقال من صام أيام العشر أكرمه الله بعشر كرامات: البركة في عمره، والزيادة في ماله، والحفظ في عياله، والتكفير لسيئاته، والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكراته، والضياء لظلماته، والتثقيل في ميزانه، والنجاة من دركاته، والصعود في درجاته [بدر الواعظين]" .

الباب السادس والستون
في فضل يوم عرفة

الوقوف بعرفة ركن في الحج ووقت الوقوف بعد الزوال إلى غروب الشمس وإلى طلوع الفجر من يوم النحر، فلو وقع الوقوف قبلها أو بعده الحج[1] لما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال: وقت الوقوف من زوال الشمس من يوم عرفة إلى غروبها وإلى طلوع الفجر من يوم النحر[2]، فإن لم يقف بعرفة ليلاً أو نهاراً صح وقوفه لأن كل مار واقف، فصار كما لو وقف فيها.

وإن مرض فأوقفه أصحابه يوم عرفة بعد الزوال أو ليلاً قبل طلوع الفجر من يوم النحر جاز ذلك عندنا لأنه واقف، وقال النبي عليه السلام: «الحج [عرفة][3] فمن وقف بعرفة فقد تم حجه»[4].

ويدل على شرف هذا اليوم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

---

(1) الظاهر أن الناسخ أسقط كلمة هنا، ولاستدراك ذلك نقلنا نص الحكم من كتب الفقه الحنفي وهي قول السمرقندي رحمه الله «وقت الوقوف بعرفة: بعد زوال الشمس من يوم عرفة، إلى طلوع الفجر من يوم النحر، فمن حصل في هذا الوقت بعرفات وهو عالم بها أو جاهل أو نائم أو مغمى عليه فوقف بها أو مر بها ولم يقف صار مدركا للحج، ولا يحتمل الفوات بعده لقوله عليه السلام: «الحج عرفة»، فمن وقف بها فقد تم حجه، غير أنه إن أدرك عرفة بالنهار وعلم به، فإنه يقف بها إلى غروب الشمس، فإن لم يقف بها ومر بها، بعد الزوال قبل الغروب: يجب عليه الدم. وإن أدركها بعد الغروب فلم يقف ومر بها فلا شيء عليه. وإن لم يدرك عرفة حتى طلع الفجر من أول يوم النحر فقد فات حجه وسقط عنه أفعال الحج، ويتحول إحرامه إلى العمرة فيأتي بأفعال العمرة ويحل، ويجب عليه قضاء الحج من قابل إلا في فصل واحد. . .» انظر "تحفة الفقهاء" ج1 ص406.

(2) لم يظهر أين ينتهي نص الحديث وقد يكون هنا، ولم أجد تخريجاً بهذه الرواية.

(3) في النسخة (بعرفة).

(4) انظر "المبسوط" للسرخسي ج4 ص57، و"تفسير الرازي" ج3 ص195، و"تحفة الفقهاء" ج1 ص406.

نِعۡمَتِي﴾ [المَائدة: 3][1] أي أتممت شرائع دينكم وبينت حلالكم وحرامكم ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: 3] اخترت لكم دين الإسلام وارتضيته. ونزول هذه الآية في يوم عرفة كما حدثنا الإمام أبو بكر [الإسماعيلي][2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن الجراح الجرجاني قال: حدثنا عبد العزيز بن سعيد عن مقاتل بن [حيان][3] عن [شهر][4] بن حوشب عن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضوان الله عليهم في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المَائدة: 3] قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفات في موقف إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام في يوم الجمعة، ثم قام[5] رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «أيها الناس إن ربكم واحد وإنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا [أعجمي][6] على عربي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ [فقيل:][7] بلغ رسول الله عليه السلام. قال رسول الله اللهم اشهد. ثم قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. وأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. وأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. فقال عليه السلام: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت؟ قالوا بلغ رسول الله ﷺ. قال: [فليبلغ][8] الشاهد الغائب»[9].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: 3].

(2) في النسخة كأنها "الإسماعيل".
الإسماعيلي (371 هـ) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو بكر الإسماعيلي: حافظ، من أهل جرجان، عرف بالمروءة والسخاء. قال أحد مترجميه: (جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا) له مؤلفات منها (المعجم) و(الصحيح) و(مسند عمر) كلها في الحديث. انظر "الأعلام" ج1 ص86.

(3) في النسخة "حنان".

(4) في النسخة "سهر".

(5) هكذا جاءت في النسخة والراجح أن الأصل "قام".

(6) في النسخة "اعزلي".

(7) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(8) غير واضحة في النسخة.

(9) انظر "الدر المنثور" ج7 ص579، و"مسند أحمد بن حنبل" ج5 ص411، و"مسند ابن المبارك" ص147.

فأي يوم أفضل من يوم أكمل فيه ديننا [. . .] علينا فمنه. قال ولهذا الإسناد عن نافع بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لبلال عشية عرفة «ناد في الناس لينصتوا. فنادى في الناس أن أنصتوا واستمعوا. فقال النبي عليه السلام: إن الله تعالى تطول ـ أي تفضل ـ في [جمعكم][1] هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى لمحسنكم ما سأل، وإن الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرفة»[2].

قال: حدثنا محمد بن نعيم بإسناد له عن العباس بن مرداس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة وأكثر الدعاء، فأجابه الله تعالى: إني قد فعلت إلا من ظلم بعضهم بعضا، فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم قد غفرتها. فقال النبي عليه السلام: «أي رب إنك قادر على أن تثيب المظلوم خيراً من مظلمة فتغفر للظالم. فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء، فأجابه الله تعالى: قد غفرت لهم. قال ثم تبسم رسول الله ﷺ، فقيل له: يا رسول الله تبسمت بوقت لم تكن تبتسم في مثل هذا؟ فقال: تبسمت في عدو الله إبليس عليه اللعن لما علم أن الله تعالى قد استجاب من أمتي جعل يدعو بالويل والثبور ويحث التراب على رأسه»[3].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله فقال «لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له. فسأله رجل ألأهل عرفة خاصة أم للناس عامة؟ فقال النبي عليه السلام: بل للناس عامة»[4].

وبإسناده إلى جابر رضي الله عنه أنه قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم عرفة [ينشر][5] الله تعالى رحمة فليس [منه][6] يوم أكثر عتقا منه، ولا يسأل عبد من الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة في يوم عرفة إلا قضاها، ومن استغفر غفر له»[7].

قال اختلف الناس في تسمية يوم عرفة ويوم التروية. قيل: إنما سميت تروية

---

(1) في النسخة "جميعكم".
(2) انظر "كنز العمال" ج5 ص188.
(3) انظر "الموضوعات" ج2 ص214، و"اللآلئ المصنوعة" ج2 ص103.
(4) انظر "مسند عبد بن حميد" ص265، و"الأمالي المطلقة" لابن حجر ص16.
(5) في النسخة كأنها "نبشر".
(6) في النسخة كأنها "مني". والله أعلم.
(7) لم أجد له تخريجاً.

لأن الناس يروون فيه من الماء ويحملون الماء بالروايا[1] إلى عرفة ومنى.

وقيل: إن إبراهيم عليه السلام رأى [في][2] الليل ذبح ابنه، فأصبح [تروى][3] ويتفكر أنه من العدو الشيطان أم من الحبيب الرحمن؟ فبقي جميع النهار متفكرا ذا روية فيما رأى فلذلك سميت تروية[4].

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري يقول: إنما سميت تروية لأن آدم وحواء رأى كل واحد منهما صاحبه فسميت تروية.

وإنما سميت عرفة لأن جبرائيل عليه السلام علم إبراهيم المناسك كلها، فعرفها يوم عرفة، فقال جبرائيل عليه السلام: أعرفت المناسك الطواف والسعي والوقوف والنحر والرمي؟ قال: عرفت، فسميت عرفة.

قال: سمعت أبا الفضل البرمعذري ﷺ يقول فيه: إن آدم عليه السلام لما اهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بالسند، فلم يلتقيا حتى عشية عرفة، فلما التقيا [عرف][5] كل واحد منهما صاحبه فسميت عرفة.

وقال عامة الفقهاء: لأنه يوم جمع الناس إلى عرفات، فسميت عرفة في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: 3] أضاف الله تعالى الدين إلينا وجعله لنا، فأبشر أيها المؤمن إن الله تعالى يحفظ الدين عليك حيث أضافه إليك، فيكف الشيطان من دينك فلم يضع قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: 3]، وقد أضاف الدين إليك والنعمة إلى ذاته عزوجل، فقال ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المَائدة: 3] وذلك لأن العمل منك والأجر منه.

والثاني: أنه أوجب الدين بقدر طاقتك والنعمة على كمال الربوبية، وكان رسول الله ﷺ يكثر في يوم عرفة قوله ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: 18][6].

(1) الراوية: مؤنث الراوي والمستقي ومن كثرت روايته (والتاء للمبالغة) والمزادة فيها الماء والدابة التي يستقى عليها الماء (ج) روايا. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص799.
(2) ساقطة من النسخة، ويقصد أنه رأى في منامه.
(3) في النسخة كأنها "بروى"، والمعنى أي فكر من الصباح إلى الرواح.
(4) انظر "تفسير الخازن" ج4 ص23.
(5) في النسخة "عرفة".
(6) انظر "الكشف والبيان (تفسير الثعالبي)" ج3 ص32.

قال الحاكم بإسناد له عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ [قال:][1] «من صام يوم عرفة كتب له بعدد من صام ذلك اليوم وبعدد من لم يصمه من المسلمين عمر الدنيا كلها عشر مرات، ويشفع له يوم القيامة سبعون ألف ملك إلى الموقف وعند الموازين وفي الموقف إلى الصراط ومن الصراط إلى الجنة؛ وينشرونه في كل خطوة [يخطوها][2] مركبة بشارة جديدة، وقيل له تمن على الله ما شئت»[3].

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) مترددة في النسخة بين (يخطوها) و(يخطو بها).

(3) انظر "نزهة المجالس" ص158.

جاء في هامش النسخة " فلما رأى إبراهيم [عليه السلام] في منامه رؤية ذبح ولده ثلاث ليال متواليات ناجى ربه وقال: إلٰهي وسيدي لم لم ترسل جبرائيل وتعلمني ؟. فقال الله تعالى: لأنك خليلي والخلة لا [تقتضي] الوساطة. قال إبراهيم عليه السلام: ولم اذبح ولدي ؟. قال الله تعالى: لأنك ترعى محبتي ومحب ولدك، ولا يجوز اجتماع المحتبين في قلب واحد. فأمر إبراهيم لهاجر أن [تغسل] رأس إسماعيل وتكحل عينيه وتلبسه أحسن ثيابه، وأخذ الخليل الشفرة مستخفيا منهما.

فلما فعلت هاجر ما [أمرها] الخليل سألت وقالت: إلى أين تذهب به. قال إلى الضيافة. قالت: ولو كنت تذهب به إلى الضيافة لكني أسلمه إلى الله تعالى، فأخذ الخليل بيد إسماعيل وذهب به حتى أن أطلع منى، وذلك معروف في القصة.

وقد ورد في [النقل] انه ضرب الشفرة على حلقه أربعين مرة فلم يقطعه، فرمى الشفرة من يده إلى الأرض، فانطق الله تعالى الشفرة [وقالت:] كيف أصنع ؟!. يقول الخليل اقطع وأمر الجليل يقول لا تقطع وأمر الجليل أقوى من أمر الخليل.

ثم إن الخليل ناجى ربه وقال: إلٰهي الشفرة لا تطيعني ولا تقطع. فنودي يا إبراهيم: كيف تقطع الشفرة حلقه وقد سلمته أمه إلينا ولدها ؟!. فلم تقطع السكين حلقك وقد سلمك إليّ [بنيك] عند الوفاة و[والدك] عند الولادة وإخوانك المؤمنين عند دفنك بقولهم: بسم الله وضعناك وعلى ملة رسول الله، فبتسليم واحد نجى إسماعيل من الذبح [وجعل] الكبش فداءه قوله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ [الفَتْح: 27]، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المُرسَلات: 44]، فكيف لا أنجيك من النار بتسلمك إلينا الأبناء والآباء والأمهات والإخوان ؟!. بل أنجيكم من النار لقوله عليه السلام «[. . .] يا مؤمن». واجعل لكل منكم سبعين فداء من الكفار لقوله عليه السلام «لكل مؤمن سبعون فداء من المشركين». أنيس الجليس" .

الباب السابع والستون
في فضل الأضحية

شرائط وجوب الأضحية في ظاهر الأصول خمسة أشياء: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والإقامة في مصر أو قرية فإن المسافر لا أضحية عليه كما لا تجب عليه الجمعة، والغنى فلا أضحية على فقير كما لا تجب عليه صدقة الفطر. ومن ملك عشرين مثقالًا من الذهب أو مائتي درهم فصاعدا فهو غني، فإن ملك غير الدراهم والدنانير فإنه ينظر إن ملك ما يحتاج إليه وزيادة شيء، فإن كان يساوي مائتي درهم فصاعدا فعليه الأضحية وإلا فلا.

الدهقان[1] ليس بغني بغرس واحد وحمار واحد، والمزارع بثورين وآلة الفدانة ليس بغني، والفقيه بالكتب لا يكون غنيا إلا في ثناه[2] وهي تساوي مائتي درهم، وفي كتب الطب والنجوم والأدب يكون غنيا لأنها للكسب، وصاحب الضياع غني لو تساوي مائتي درهم.

وقال أبو بكر محمد بن الفضل: لا أنظر إلى قيمتها بل انظر إلى غلتها، لو فضل شيء من نفقته ونفقة عياله في السنة ما يساوي مائتي درهم فهو غني وإلا فلا.

وصاحب الكرم [إن هو][3] يساوي مائتي درهم فهو غني بالاتفاق لأن الكرم للزهمة لا للحاجة، لأن الإنسان قد يعيش بغير فاكهة.

---

(1) الدهقان: رئيس القرية ورئيس الإقليم والقوي على التصرف مع شدة خبرة ومن له مال وعقار والتاجر. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص623.

(2) قال السرخسي «الفقيه إذا ملك من الكتب ما يساوي مالا عظيما ولكنه محتاج إليها يحل له أخذ الصدقة إلا أن يملك فضلا عن حاجته ما يساوي مائتي درهم». انظر "المبسوط" ج2 ص197.

(3) في النسخة "فهو" والله أعلم.

قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله: يجب على الأب أو الوصي [أن][1] يضحي عن الصبي من ماله.

وقال محمد وزفر رحمهما الله: لا يضحي قياساً على الزكاة وعلى الولي والوصي أن يؤديا عشر أرض الصبي لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: 141]. وإن لم يكن للصبي أب ولا وصي وله مال كثير لا أضحية عليه ههنا بالاتفاق، فإن ضحى القاضي عنه من ماله جاز عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله، وهو أفضل، لأن الأضحية واجبة على كل غني لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكَوثَر: 1][2] السورة. أمر بالأضحية عاما [وقد نوّه][3] إلى صلاة العيد وهي واجبة فكذا الأضحية، يدل عليه ما روي عن النبي عليه السلام: «من يصلي صلاتنا ولم يضح فليس منا»[4].

وقد قال عليه السلام: «من كانت له سعة ولم يضح فإن مات شاء مات يهوديا وإن شاء مات نصرانيا»[5].

قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ لفاطمة ﷺ: «قومي إلى أضحيتك واشهديها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها إلى الأرض أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك. فقالت: يا رسول الله هذا لنا خاصة أم لنا وللمؤمنين عامة؟ قال: بل لنا وللمؤمنين عامة»[6].

وبإسناد له إلى وهب بن منبه ﷺ أنه قال: إن داود قال: إلٰهي ما ثواب [من][7] ضحى من أمة محمد عليه السلام؟ قال الله تعالى: ثوابه أن أعطيه بكل

---

(1) في النسخة "أو" وبها لا يصح السياق وصححته حسب ما يقتضيه المعنى والله أعلم.

(2) قال الله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافِرون: 1-3].

(3) في النسخة "وقدنها" وصححتها على حسب ما يقتضيه السياق والله أعلم.

(4) لم أجد له تخريجاً. (5) لم أجد له تخريجاً.

(6) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص247، و"الترغيب والترهيب" ج2 ص100.

(7) في النسخة "ما".

شعرة على جسدها عشر حسنات وأمحو عنه عشر سيئات وأرفع له عشر درجات.

وقال عليه السلام: «عظّموا ضحاياكم فإنها يوم القيامة على الصراط مطاياكم»[1] يعني مراكبكم إلى الجنة بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مَريَم: 85] قال أهل التفسير أي ركبانا ركبانا على نجائبهم، ونجائبهم ضحاياهم.

قال سمعت الفضل البرمعذري رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكَوثَر: 1-2] جعل الله تعالى جزاء من صلى صلاة العيد ونحر الأضحية الكوثر؛ كما جعل الصلاة كفارة [للذنب][2] في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هُود: 114] قيل جميع ما أعطى الله تعالى للأنبياء عليهم السلام أعطي لمحمد عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعَام: 90].

وأعطى محمداً ﷺ خمسة أشياء لم يعطها أحد إلا له: أعطاه الفاتحة بقوله

(1) على حسب المراجع فإن نص الحديث ينتهي هنا، انظر مثلاً "تفسير حقي" ج12 ص33، و"المقاصد الحسنة" ص114، و"كشف الخفاء" ج2 ص75.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
وجاء في هامش النسخة عدة ملاحظات: "يجب على كل مسلم مقيم موسر عن نفسه لا عن طفله".
"ويضحي عن نفسه إن كان غنيا على سبيل الوجوب وعن أولاده على سبيل الاستحباب، فإن الأضحية لطفله لا [تجب] في ظاهر الرواية، وعن [الحسن] عن أبي حنيفة أنها تجب عليه عن ولده الصغير. [سيدي علي زاده]".
"واعتبر الاخر للفقير وضده الولادة والموت (يس) أي إذا كان غنيا في أول الأيام فقيرا في آخرها لا تجب عليه، وإن كان في اليوم الآخر [تجب] عليه وإن مات فيه لا [تجب] عليه".
"ومن أطعم منه مؤمناً يكون في [ميزانه أثقل] من جبل أحد. وقال «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم». منهاج المذكرين".
ولم يكن لنا في الأضحية إلا موافقتنا بأبينا إبراهيم عليه السلام [ليكفينا]، لأن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ولده وهو يذبحه ثم فداه الله تعالى بالكبش فلما ذبح الكبش نجا ولده من الذبح وإبراهيم عليه السلام عن [. . .] فمن كان مستحقا للنار والقطيعة فإذا قرب بالأضحية فينجو عن قطيعة الرب ونار الآخرة. [روضة العلماء]".

تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، وغفران الذنوب بقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] يعني ما تقدم من ذنوبك وما تأخر من ذنوب أمتك، وقيل ما تقدم من ذنوب أصحابك وما تأخر من ذنوب آخر أمتك الذين آمنوا بالغيب والشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ: 5] والكوثر وأشرك فيه أمته بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1] لقوله عليه السلام: «من آمن بالله وصدقني بالرسالة جاء معي في الكوثر كهاتين ـ وشبك بين السبابة والوسطى»[1].

قال أحمد بن محمد الهمداني ﵁ يقول: من كانت له سعة من المال فليضح ويعبرني، فإن كنت ذا مال [وثروة][2] فتخلفت عن الأضحية وتركتها فصرت فقيرا، [اسأل][3] الناس كما ترون.

وقد رأيت في المنام كأن آتيا أتاني فيقول يا أبا الفضل لم لا تشكر الله تعالى كل عام بشاة فإنه قد ابتلاك الله تعالى ببذل السؤال؟ فكان ينادي يا قوم عليكم بالأضاحي فإنها مرضاة لربكم، وشكرا لنعمتكم، ومركبا عند قيامكم من قبوركم.

ويدل على الأضحية قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحجّ: 36].

---

(1) لم أجد له تخريجاً.
وجاء في هامش النسخة " قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103] أي [صرعه] إلى الأرض.
قال ابن عباس: أضجعه على الأرض [. . .] فقال له ابنه الذي أراد ذبحه قال: يا أبت اشدد برباطي حتى لا اضطرب واكفف عن ثيابك لا [ينتضح] عليها من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن طويلا، [واشحذ شفرتك] وأسرع [مر] السكين علي حتى ليكون أهون عليّ فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي [فاقرأها] السلام مني، وإن رأيت أن لا ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني. قال إبراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى. ففعل إبراهيم عليه السلام ما أمر ابنه. ثم اقبل عليه يقبله بين عينيه وقد [ربطه] وهو يبكي والابن يبكي. ثم وضع السكين. [مثير الغرام]".

(2) في النسخة "وترون" واستبدلتها بما يتناسب مع السياق، والله أعلم.

(3) في النسخة "سأل".

﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ البهائم المبتدن مثل النعم الجمال والبقار والغنم، أي سخرناها لكم لتأتوا بها مناسك الحج فيكون لكم في الأضحية خير.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ يعني عند نحركم قولوا "بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك فتقبل مني" ، فإن اقتصر على قوله "بسم الله" جاز.

وينبغي أن لا يقارن باسم الله اسم الغير حتى لو قال باسم الله وباسم فلان إبراهيم بن يوسف هي ميتة، وإذا قال بسم الله وصلى الله على محمد فهي أضحية، ولو قال بسم الله واسم محمد فهي ميتة، فإن قال بسم الله ومحمد رسول الله ـ بضم الدال ـ فهي أضحية؛ لأن محمداً يبدأ فلم يشترك. وإذا قال بسم الله ومحمدا رسول الله فهي ميتة لأنه يكون ههنا أضافه إلى اسم الله؛ فتقديره يكون باسم الله وبسم محمد.

قوله: ﴿صَوَآفَّۖ﴾ أي معقوله يدها اليسرى قائماً على قوائم مستقبلة، ويقال صواف أي سليمة من العيوب كما هي مذكورة في الشرع.

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ أي إذا سقطت على الأرض بجنبها ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ بعضها ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ﴾، "القانع" الذي لا يتعرض للسؤال ويقنع بما أرسلت إليه، و"المعتر" الذي يتعرض ويسأل.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ [الحَجّ: 36] ولو لم يكن لنا في الأضحية إلا موافقتنا بأبينا إبراهيم عليه السلام ليكفينا، لأن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ولده وهمّ بذبحه ثم فداه الله تعالى بالكبش فلما ذبح الكبش نجا ولده عن الذبح وإبراهيم عليه السلام عند مفارقته، فمن كان مستحقا للنار والقطيعة فإذا قرب بالأضحية فينجو عن قطيعة الرب ونار الآخرة.

روي عن كعب الاحبار أنه قال: لما بنا إبراهيم عليه السلام الكعبة وفرغ منها وحج وأتى بمناسك الحج ورمى الجمار رأى في منامه فقيل له: قم يا إبراهيم فقرب القربان لرب العالمين. فلما أصبح اختار من غنمه خمسمائة شاة أحسنها وأسمنها ورقى ذروة الجبل فذبحها، فجاء النار فأكلتها، فظن إبراهيم أنه فعل ما أمر به.

فرأى مرة أخرى يقال له قم فقرب القربان، فلما أصبح اختار من إبله خمسمائة أحسنها وأسمنها، فنحرها فجاء النار فأكلتها، فظن إبراهيم عليه السلام أنه أتى بما أُمر به.

فرأى في الليلة الثالثة فقيل له قرب القربان لرب العالمين. قال إبراهيم عليه السلام وما قرباني؟ قال ولدك. فلما أصبح قال لأمه: ادهنيه واغسلي رأسه، والقصة مشهورة إلى آخرها مذكورة في المواضع. لكن سُئل أبو الفضل البرمعذري رحمه الله: لم أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده؟ فذكر وجهين:

أحدهما: أن إسماعيل عليه السلام في قول من يقول كان الذبيح إسماعيل لما بلغ إلى حال كان يعين له في الأشغال أحبه، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصَّافات: 102] خلا في قلب الخليل قال الله تعالى: يا خليل أتنظر إلى غيري وأشركت الغير فيّ حتى أذبح ولدك وأقطع قلبك عنه حتى لا ينظر الخليل إلى غير الخليل، كما أن النبي عليه السلام نظر إلى الحسن والحسين وأحبهما، فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال: أتحبهما؟ قال: «بلى». قال جبرائيل عليه السلام: يُقتل أحدهما بالسم والآخر بالسيف، قطع رسول الله قلبه عنهما وعلق قلبه بمولاه. وأحب عائشة فرميت ونسبت للزنا تأديبا.

والثاني: أن الله تعالى سمى إبراهيم حليماً بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هُود: 75][1] نظر إلى حلمه فأعجبه، فقال الله تعالى يا إبراهيم اذبح ولدك لكي ترى أحداً وهو ابنه أحلم منه، ألا يرى أن إبراهيم [عليه السلام][2] قال لابنه: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصَّافات: 102][3] فوض أمر الذبح إليه وما قطع، ولما وصل الأمر إلى ابنه قال مرفوعا من غاية حلمه وطاعة ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصَّافات: 102] إن كان يصلح ومن الرب

---

(1) في النسخة (لحكيم). (2) في النسخة كأنها "لي".

(3) قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: 102].

فعجل وإذا [يحبني][1]. فقال إبراهيم: أشد يديك قال [لما][2] أخاف أن [يصل][3] إليك السكين فتضطرب، فقال ابنه: يا أبت ألا نستحي الملائكة ينظرون إلينا والرب مطلع علينا ولأجله ادفع النفس؟!، فأنا [اجزك رجلاي][4] ويداي، لا تخف مني بل اذبحني وعجل، فوضع السكين منك الانقياد والتسليم مني. فتعجب إبراهيم إلى حلمه وعلم أنه أحلم منه.

وقال البعض إن الملائكة طعنوا بقولهم ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البَقَرَة: 30][5] فأظهر الله تعالى أن لو كان فيهم من يفسد ولكن [فيهم][6] من يبذل النفس والولد ولا يمن ويكون في الخوف، وهذا قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30].

(1) في النسخة كأنها "يحني" وصححتها بما يقارب شكلها ويناسب السياق، والله أعلم.
(2) في النسخة "لما لا".
(3) في النسخة "يصلى".
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(5) قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30].
(6) ساقطة من النسخة، وأضفتها حتى تناسب السياق، والله أعلم.

الباب الثامن والستون
في فضل الحج والعمرة

من كان موسرا فلم يحج حتى احتضر وجب عليه أن يوصي، فإن أوصى يحج عنه، [فإن لم][1] يوصِ فحج عنه الورثة جاز وسقط عنه الفرض، وإن لم يحج عنه فلا شيء عليهم. والميت معذب لتركه فرضا من فرائض الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: 97]، وقال رسول الله ﷺ: «من وجد الزاد والراحلة ولم يحج فلا أبالي عليه أن يموت نصرانيا أو مجوسيا أو يهوديا»[2].

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحَجّ: 26][3] الآية بيّن الله تعالى فضل الحج وأمرنا بالحج [فبينه][4] إبراهيم عليه السلام كما روي عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: لما هبّط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام الملائكة ودعاءهم فيستأنس بهم، فهابت الملائكة منه وشكت لله تعالى، فأخفضه الله تعالى إلى الأرض، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش، فشكا لله تعالى، فأمره أن يتوجه إلى مكة فتوجه إليها، [فكان][5] موضع قدمه قرية وخطوه مفازة حتى إلى مكة، فأنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فوضعت على موضع البيت، وهي بيت المعمور، فلم يزل يطوف بها حتى أنزل الله الطوفان في وقت نوح عليه السلام، فرفعت تلك الياقوتة ونصب في موضعها جبل حتى بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام وأمره ببناء الكعبة في موضع

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) انظر سنن الترمذي" ج3 ص176، و"كنز العمال" ج5 ص20.
(3) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحَجّ: 26].
(4) في النسخة كأنه "فديناه". (5) في النسخة "فإن كان".

الجبال [فيها][1]، وهذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن إسماعيل بن رافع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أنا جالس مع رسول الله ﷺ في مسجد الحنيف إذ جاءه رجلان أحدهما من ثقيف[2] والآخر من الأنصار، فدعيا له بدعاء خفي، ثم قالا يا رسول الله جئنا لنسألك. فقال عليه السلام: «إن شئتما أخبرتكما بما تسألان عنه وإن شئتما أسكت حتى تسألان؟ فقالا: يا رسول الله بل تخبرنا نزداد إيماناً ويقينا. فقال: جئتمان تسألان عن خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت وركعتيك بعد الطواف، وطوافك بين الصفا والمروة، ووقوفك بعرفة ورميك الجمار، ونحرك، وحلقك رأسك ومالك فيه أي في كل واحدة منها عند الله تعالى؟ فقالا: والذي بعثك بالحق نبيّاً ما جئنا إلا لنسألك عن هذا. فقال رسول الله: أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فإنك لا ترفع قدما ولا تضعه إلا كتب الله تعالى لك به حسنة وحط عنك سيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف فكعتق رقبة من إسماعيل عليه السلام، وأما طوافك بين الصفا والمروة فكعتق ستين رقبة، وأما وقوفك بعرفة فإن الله يباهي بهم الملائكة فيقول: عبادي جاؤوني شعثا غبرا؛ فجاؤوا من كل فج عميق يرجون مغفرتي ورحمتي، فلو كانت ذنوبهم كزبد البحر وبعدد القطر والرمل لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه، وأما نحرك فمدخرك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حسنة وتحط عنك سيئة»[3].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله تعالى أن يدخله الجنة إن قبضه، وإن رده رده بأجر وغنيمة»[4].

---

(1) في النسخة كأنها "فينا".
(2) جاء في هامش النسخة "قبيلة".
(3) انظر "المعجم الكبير" ج12 ص425، و"الترغيب والترهيب" ج2 ص110.
(4) انظر "مسند الحارث" ج2 ص52، و"إتحاف الخيرة المهرة" ج3 ص44.

قال: حدثنا الحاكم أبو نصر الحربي بإسناد له عن محمد بن عمران عن جعفر بن محمد الصادق ﵁ [قال:][1] كان أبي قائماً يصلي في الحجر قبل التروية بيوم أو يومين وأنا جالس وراءه، فجاءه رجل أبيض الرأس واللحية عريض الصدر عليه ثوبان غليظان في هيئة المحرم، فجلس إلى جانبه، فظن أبي أنه يريده فخفف الصلاة، ثم سلم فأقبل عليه، فقال الرجل: يا أبا جعفر أخبرني عن بدو هذا البيت. قال له: بدو هذا البيت أن الله تعالى لما قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: 30] فردوا عليه فغضب، فعادوا إلى العرش فطافوا حوله سبعة طواف ليسترضوا ربهم، فرضي عنهم وقال لهم ابنوا لي بيتاً يعود من أغضب عليه من بني آدم ويطوف حوله كما فعلتم بعرشي فأرضى عنه، فبنوا هذا البيت. ثم [قام][2] الرجل، فأمرني أبي أن اتبعه، فخرجت وراءه فما وجدته لا في الصفا ولا في المروة، فجئت إلى أبي وأخبرته. فقال إني أراه الخضر عليه السلام.

قال: حدثنا سمعت أبا نصر الملاحي يحكي عن يحيى بن معاذ الرازي ﵄ أنه حج فلما فرغ أخذ بباب الكعبة فقال: إلٰهي لكل خادم يرجع من خدمة ملكه يتوقع أهل بيته هدية، وأنا خادمك جئت إلى بيتك وأهل بيتي يتوقعون هديتك اتصلف[3] فأقول لهم حملت من الملك إليكم هدية الغفران، فهتف به هاتف فقال: يا يحيى لا تتصلف كاذباً بل تتصلف صادقا، فإنا [غفرنا لك ولجميع أهل بيتك وجميع][4] المؤمنين.

روي أن عمرو بن ليث الأمير لما مات رؤي في المنام بعد موته بسبعة أيام، فقيل له ما فعل الله بك؟ قال قمت بين يدي الله فكان في رقبتي الدماء والأموال فأُمرت بالنار وقد كنت حجيت في الدنيا، فإذا أنا بالكعبة قد نهضت من موضعها فتمثلت بين يدي ربها، فقالت: أي رب إنه كان يبعث إليّ بالهدية كل سنة وقد

---

(1) ساقطة من النسخة.
(2) في النسخة "قال"، وصححته بما يناسب السياق والله أعلم.
(3) أصلف: الصلف مجاوزة قدر الظرف والبراعة والادعاء. انظر "العين" ج7 ص125.
(4) في النسخة كأنها "غفرناك وبجميع أهل بيتك وبجميع".

زارني مرة، فشفعني فيه، فشفعت [بها][1] وغفر لي بسبب الكعبة.

قال: حدثنا أبو عبد الله المطوعي بإسناد له عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ قال: لما كان بعد الطوفان الذي أغرق الله تعالى به قوم نوح عليه السلام ورفع البيت المعمور أمر إبراهيم بأن يأتي موضع البيت فيبني على أساسه بيتا، فانطلق فلم ير له أثر وخفي عليه مكانه، فبعث الله سحابة على قدر البيت الحرام في الطول والعرض والقصر فيها رأس ولسان وعينان، فقامت على ظهر البيت وقالت: يا إبراهيم ابن على قدري وخيالي.

قال: فأخذ إبراهيم عليه قدرها وخيالها فأسس عليه البيت الحرام وذهبت السحابة، ثم بناه إبراهيم وطاف به أسبوعا، فأوحى الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحَجّ: 27]، فلما أمره بذلك صعد أبا قبيس فقال: ألا إن ربكم قد بنا بيتاً وأمركم أن تحجوه فحجوه.

قال: فمد الله صوته فلم يبق إنس وجن ولا حجر ولا جبل ولا مدر ولا شجر إلا أقبل يلبي، والتلبية جواب الله تعالى من نداء إبراهيم عليه السلام حين نادى بأمر الله تعالى قدم الرجالة على الركبان بقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحَجّ: 27] لطفا منه للرجالة وإكراما، كما قدم البنات على البنين بقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشّورىٰ: 49] إكراماً للضعفاء له.

حكي أن عبد الله بن مبارك كان يمشي في البادية راجلا، فقال له واحد من الركبان: نحن مدعوون وإنك طفيلي. فقال: الكريم محسن ويبر الطفيلين أكثر ما يبر المدعو.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحَجّ: 29] سماه عتيقاً لأنه أول بيت وضع للناس على وجه الأرض.

وقيل: سماه عتيقا لأنه أعتق من الغرق والطوفان، إذ نصب في موضعه جبلاً ما وصل إليه الماء.

وقيل: سماه عتيقا لأنه من طاف حوله صار عتيقا من النار.

---

(1) في النسخة "فيها".

قال: حدثنا أبو سهل الاستراباذي بإسناد له عن عبد الله بن سليمان رحمهم الله قال: طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى وجاه الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي واغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي فأعطي سؤالي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقينا صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لي والرضا بما قضيت علي، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم دعوتني بدعوات واستجبت لك، ولن يدعو بها [من](1) ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكففت عنه ضيقه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى [بين](2) عينيه.

قال: حدثنا أبو عبد الله المطوعي بإسناد له عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله عليه السلام: «أفضل الأعمال عند الله تعالى [إيمان](3) لا شك فيه، وغزو ولا غلول فيه، وحج مبرور، وأول من يدخل الجنة شهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح سيده، ورجل عفيف متعفف ذو عيال. وأول من يدخل النار أمير مسلط لم يعدل، وذو ثروة من المال لم يعط من المال حقه، وفقير فخور وذلك خسران الدنيا والآخرة»(4).

عن عبد الله بن عمر ﵄ قال رسول الله عليه السلام: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب عند الله إلا الجنة»(5).

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يُنزل على أهل مسجد مكة في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة، فستين للطائفين وأربعين منها

---

(1) في النسخة "عن". (2) ساقطة من النسخة.
(3) في النسخة (سبعة) ولعل الناسخ حرفها إلى (إيمان)، أو أسقط كلمة (إيمان)، والله أعلم.
(4) وجدته بروايات متفرقة وليست رواية واحدة انظر مثلاً الجزء الأول من الحديث الخاص بأفضل الأعمال في "صحيح ابن حبان" ج10 ص457؛ و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص258، والجزء الثاني الخاص بأول من يدخل الجنة والنار ففي "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص544؛ و"صحيح ابن خزيمة" ج4 ص8.
(5) انظر "مسند أبي يعلى" ج8 ص389، و"سنن الترمذي" ج3 ص175، و"صحيح ابن حبان" ج9 ص6.

للعاكفين وعشرين للناظرين»[1].

ثم انظر إن من يريد الكعبة والحج يدخل الحرم، وإذا دخل الحرم يحرم عليه لبس الثياب وصيد الحرم والحل [واذاء][2] الهوام والتزين مثل الحلق وغيره، ويجب عليه الوقوف بعرفة ورمي الأحجار والطواف والتلبي، فمن يريد ثواب الحج وزيارة الكعبة لا يحصل بدون هذه الأشياء، فمن يريد رضاء رب الكعبة يجب عليه أن يحترز من المحرمات ويرمي الشيطان بصدق الأحجار ويقف عند ما أمر به ولا يتجاوز عنه ويطوف المسجد كل يوم خمس مرات، فإذا ترك هذا كيف يجد رضاء رب الكعبة؟!، فالله تعالى يوفقنا ويعيننا على أمرنا حتى نجد رضاءه.

(1) انظر "المعجم الأوسط" ج6 ص248.

(2) في النسخة كأنها "واذار". انظر تحريم قتل الهوام في الحج في "المبسوط" للسرخسي ج4 ص123.

الباب التاسع والستون
في زيارة قبر النبي ﷺ

المرأة الشابة هل تخرج في صلاتها نهاراً أو ليلاً إلى الجماعات؟ لا تخرج بالاتفاق لأن في خروجها فتنة، وقد نهاهن عمر رضي الله عنه في زمنه عن خروجهن إلى الجماعات، وكذا إلى العيدين والجمعة بالاتفاق.

والمرأة إذا أوجبت على نفسها الاعتكاف شهرا أو أكثر تعتكف في بيتها ولا تخرج إلى المساجد. وقال الشافعي رحمه الله: لا يجوز إلا في المسجد. لنا ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن»(1).

والمرأة لا تخرج من بيت زوجها في زيارة آبائها وأقربائها أو إلى مجلس العلم أو التهنئة أو التعزية إلا بإذن زوجها لما روي أن امرأة غاب زوجها وهي في سطح بيته وأبويها في أسفله، فمرض أبويها فاستأذنت من رسول الله ﷺ [بنزولها](2) من السطح وعيادة أبيها، فقال النبي عليه السلام: «لا تنزل إلا بإذن الزوج»، فما نزلت حتى مات أبوها ودفن، فجاءت والدتها إلى النبي عليه السلام وأخبرته بذلك، فقال النبي عليه السلام: «كان من أهل النار لما فيه من الفسق والفجور، فعفا الله تعالى عنه وجعله من أهل الجنة لما حفظت ابنته حرمة زوجها ولم تنزل إليه بغير إذنه، هكذا اخبرني حبيبي جبرائيل عليه السلام»(3)، فبان أنها لا تخرج في شيء من الأشياء إلا بإذن زوجها.

ألا يرى أنها لا تصوم ولا تصلي إلا بإذنه، فإن خرجت للحج وهو فرض عليها بإذن الزوج جاز مع محرم لها من الرجال، وقال الشافعي رحمه الله: تخرج مع

---

(1) انظر "سنن البيهقي" ج3 ص131، و"صحيح ابن خزيمة" ج3 ص92، و"مسند أحمد ابن حنبل" ج6 ص297.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) لم أجد له تخريجاً.

امرأتين عجوزتين، ويجوز بإذن الزوج.

قلنا: ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «ألا لا تسافر المرأة فوق ثلاثة أيام ولياليها ومعها زوجها أو ذي رحم محرم منها»[1].

ولو خرجت إلى زيارة قبر النبي عليه السلام بإذن زوجها جاز لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في [حياتي][2]» ولم يفصل بين الرجال والنساء، وذلك لأن الله تعالى عظمه بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفَتْح: 8].

فالواجب علينا أن نعظمه، ومن التعظيم خدمته حال حياته وزيارته حال مماته عليه السلام[3]، يدل عليه ما حدثنا به الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بإسناد له عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه إلى قبره وحثى من ترابه على رأسه ثم قال: يا رسول الله ﷺ قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله تعالى فوعينا عنك، وكان فيما أنزل إليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاء: 64]، ولقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي، فنودي من القبر: أنه غفر لك[4].

قال سمعت أبا عبد الله عن أبي الحسن الصوفي قال حاتم الأصم عند قبر النبي عليه السلام يا رب [طهرت][5] نبينا من كل عيب فلا يحسن من جودك أن تقبل الطيب ويرد الخبيث، فنودي يا هذا لما إذنا لك في زيارة قبر النبي عليه السلام فقد طهرناك، ارجع ومن معك من الزوار مغفورين، فإن الله عزوجل قد رضي ممن زار قبر نبيه عليه السلام.

---

(1) انظر "نصب الراية" ج4 ص249، و"سنن البيهقي" ج10 ص82، و"صحيح ابن حبان" ج6 ص433.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها. انظر "إحياء علوم الدين" ج1 ص258.

(3) والمصيبة أنه خرج علينا في أيامنا هذه من السعودية كما نقلت وسائل الأعلام من يفتي بضرورة نبش وإخراج وعزل قبر النبي ﷺ وحجراته من حرم المسجد النبوي الشريف.

(4) انظر "كنز العمال" ج2 ص386، ج4 ص259.

(5) في النسخة "ظهرت" واستبدلتها بما يوافق السياق والله أعلم.

وحكي أن أعرابيا أتى قبر النبي عليه السلام فقال: اللهم إنك تحب عتق العبيد لأجل الأحباب، وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقني لأجله، فهتف به هاتف أنت وحدك؟ هلا سألت جميع الخلق لأعتقهم على رأس قبر هذا الحبيب وإنك قد أعتقت.

قال سمعت أبا عبد الله الطرابقي يحكي عن عبد الله محمد بن الجلاء رحمهم الله يقول: دخلت المدينة وقد غلب علي الجوع، فزرت قبر النبي عليه السلام وسلمت عليه وعلى الشيخين رضي الله عنهما، وقلت: يا رسول الله [إليك][1] جئت ولي من الفاقة والجوع ولست أرجع إلى شيء أملكه وأنا ضيفك هذه الليلة، فغلبني النوم فرأيت رسول الله في المنام وأعطاني رغيفا، فأكلت نصفه ثم انتبهت وفي يدي نصف رغيف، فتحقق عندي قوله رسول الله «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل [بمكاني][2]» ونوديت: يا أبا عبد الله لا يزور قبري أحد إلا غفر له ونال شفاعتي.

قال سمعت الفقيه أبا الفضل محمد بن نعيم رحمه الله يقول: كان محمد بن نعيم [الكتاني][3] يزور قبر النبي عليه السلام كثيراً ويراه في المنام كثيرا، فخرج لزيارة قبر النبي عليه السلام فعرض له عارض وبقي عن الزيارة، فكتب الكتاني رقعة ودفعها إلى حاج وقال: إذا وصلت قبر رسول الله فارم بالرقعة إلى قبره، وكان في الرقعة «يا رسول الله [السلام][4] عليك إن الكتاني يقرئك السلام ويقول تعرف العذر فاعذرني». فلما فعل الرجل ذلك رأى الكتاني رسول الله في المنام فقال: يا كتاني قد وصلت رقعتك وعذرناك.

قال وسمعته أيضاً يحكي عن [. . .][5] الزاهد بعد توبته حج البيت ولم يزر

(1) في النسخة "عليك".

(2) في النسخة (مكان) وكتبته حسب ما جاء في "مسند أبي يعلى" ج11 ص372، وفي اغلب الروايات جاء «بي» انظر "صحيح مسلم" ج7 ص54.

(3) في النسخة "الكناني" ولكن تكررت في المواضع القادم بشكل كأنها "الكتاني" لهذا أثبت ما تكرر، والله أعلم.

(4) ساقطة من النسخة أو كلمة في معناها، والله أعلم.

(5) في النسخة كأنها "ساوه الكسي" ولم أجد له ترجمة.

قبر النبي عليه السلام، فرآه في المنام وهو يقول يا [. . .] جفوتنا حين تركت زيارتنا. قال: رسول الله عليك السلام، لم أحب أن أزور حبيبين في سفر واحد، إلا أني أجدد لزيارتك سفرا أخرى، فرجع [. . .] لزيارة قبر النبي عليه السلام في عام أخرى، فلما زار [نودي][1] من القبر قد غفر لك.

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

الباب السبعون
في فضل الزكاة ووزر من منعها

شرائط وجوب الزكاة خمسة: العقل والبلوغ والإسلام، والثاني أن يكون مالكا للمال، احترزنا عن المال المغصوب، والثالث كمال النصاب، والرابع حولان الحول، والخامس اليد وهو أن يتمكن الاستيفاء.

ولا تجب الزكاة على المديون يحيط الدين بماله، أما إذا فضل عن دينه شيء يبلغ مائتي درهم فصاعدا فعليه زكاة الفاضل من الدين خلافا للشافعي رحمه الله. لنا ما روي عن عثمان رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: «من كان له مال وعليه دين مال فليؤد ما عليه ثم يزكي ما بقي»[1].

ولا يجوز دفع الزكاة إلى الآباء والأمهات وإن علوا، وإلى الأولاد وإن سفلوا، وإلى الكافر ومكاتب نفسه وعبده وبني هاشم، يعني أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته.

ولو دفعت المرأة إلى زوجها لا يجوز في قول أبي حنيفة رحمه الله عنه، وقالا رحمهما الله يجوز.

ولو دفع إلى زوجة رجل غني وهي فقيرة جاز، ولو دفع إلى رجل بالغ أبوه غني جاز، ولو دفع إلى صبي أبوه غني جاز عند أبي حنيفة رحمه الله وقالا رحمهما الله يجوز.

لأبي حنيفة رحمه الله أن الملك بين الأب والابن متباين فوجب أن لا يكون الولد بمال أبيه غنيا كالزوجة، وكذا حكم صدقة الفطر في الدفع إلا مسألة، وهي إن دفع صدقة الفطر يجوز إلى الذمي خلافا للشافعي. لنا أن صدقة الفطر بر والله تعالى يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن

(1) لم أجد له تخريجاً.

تَبَرُّوهُمْ﴾ [المُمتَحنَة: 8][1].

ثم النصاب إذا [انتقص][2] وسط الحول ثم كمل عند حولان الحول تجب الزكاة خلافا للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الخيل إذا كانت ذكورا وإناثا يطلب نسلها فصاحبها بالخيار، إن شاء أعطى من كل رأس ديناراً وإن شاء قومها وأعطى من كل فرس مائتي درهم خمسة دراهم في قول أبي حنيفة. وقالا رحمهما الله لا تجب فيها الزكاة وهو قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكل شيء للتجارة أي شيء كان ترابا أو قصبا ففيه الزكاة من كل مائتي درهم خمسة دراهم عندنا، وقال داود بن علي[3] لا زكاة إلا في الذهب والفضة والسائمة، ولا يجوز صرف زكاة ماله إلى عمارة مسجد وقنطرة واتخاذ رباط وأن يشتري بها مصحفا ليجعله سبيلا، ولا أن يشتري عبداً [ليعتق][4] لأن في الزكاة يحتاج التمليك وههنا تملك.

وأحق المستحقين للزكاة الأقرباء غير ما ذكرنا، ثم الجيران، وتنقل الزكاة إلى بلد أخرى عندنا ولكن يكره، ولا يجوز نقلها عند الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم الواجب أن يتعجل بأداء الزكاة بعد الحول ولا يؤخر أداءها ولا يمنعها، فإن النبي عليه السلام قال: «مانع الزكاة في النار»[5]، يدل عليه قوله تعالى:

---

(1) في النسخة جاء (لا ينهاكم الذين يقاتلوكم في الدين بروهم).

(2) في النسخة "انتقض".

(3) داود الظاهري (270 هـ) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. وهو أصبهاني الأصل، من أهل قاشان ومولده في الكوفة. سكن بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم فيها. قال ابن خلكان: قيل: كان يحضر مجلسه كل يوم أربع مئة صاحب طيلسان أخضر!. وقال ثعلب: كان عقل داود أكبر من علمه. وله تصانيف أورد ابن النديم أسماءها في زهاء صفحتين. انظر "الأعلام" ج2 ص333.

(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها. والظاهر أن الناسخ أسقط أو حرف كلمة في هذه الجملة، والله أعلم.

(5) انظر "تلخيص الحبير" ج2 ص336.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34-35].

قال رسول الله ﷺ: «أول من يدخل النار أمير مسلط لم يعدل وذو ثروة ومال لم يعط حقه وفقير فجور»[1].

وقال عليه السلام: «أتاني جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد لا صلاة لمن لا زكاة له، لا صلاة لمن لا زكاة له، لا صلاة لمن لا زكاة له إن مانع الزكاة في النار، قالها ثلاث مرات»[2].

قال: سمعت ابن محمد بن عمر رضي الله عنهما يقول: توفي أبو بكر رضي الله عنه فصار [الأمر][3] إلى عمر رضي الله عنه [فخرج][4] على الناس بالسيف فقال عليّ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إنهم يقولون لا إله إلا الله وهم يقولون لا إله إلا الله وقد قال عليه السلام: «فإذا قالوها عصموا بها مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[5]. فقال عمر رضي الله عنه فقوله عليه السلام: «إلا بحقها» هو إخراج الزكاة من أموالهم، وهؤلاء قد منعوا الزكاة ولا يرونها حقا، فحل لي [قتالهم][6]، فلم ينكر ذلك عليّ رضي الله عنه.

قال: سمعت أبا الفضل البرمعذري يروي عن وهب بن منبه رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام التوراة وعلمه أن يكتب التوراة فأوحى

(1) سبق تخريجه برواية «فقير فخور».

(2) لم أجد الحديث بنص واحد، ولقد سبق تخريج حديث «مانع الزكاة في النار»، أما الجزء الأول فجاء في "تفسير حقي" ج2 ص357.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) في النسخة "خرج".

(5) انظر "تاريخ بغداد" ج9 ص315، و"سنن الترمذي" ج5 ص439، و"سنن النسائي" ج2 ص281.

(6) في النسخة "فسالهم". والروايات التي وجدتها كان فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو من قاتل مانعي الزكاة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو من اعترض أولا. انظر مثلاً "سنن البيهقي" ج8 ص176.

الله تعالى إليه أن اكتب كلامي بالذهب؛ ولم يكن حينئذ في الدنيا ذهب، قال: يا رب ومن أين نجد الذهب؟ فأوحى الله تعالى إليه أن أرسل ستة نفر متفرقا لا يفرق[1] كل واحد من صاحبه ما يفعل، فيجيء كل واحد منهم بكذا الكلأ، واجمع بين هذه الأشياء الستة وتطبخه في النار فيصير ذهبا، ففعل موسى عليه السلام كذلك فعادت ذهبا، فسمع قارون ذلك وكان ابن عم [موسى][2] عليه السلام؛ فقال لموسى عليه السلام علمني، فأبى، فاحتال قارون حتى علم وابتدأ من الصنعة حتى اجتمع عنده مال عظيم كما قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القَصَص: 76][3].

ثم أنزل الله آية الزكاة فأوجب عليهم في كل ألف درهم درهما، وفي كل ألف شاة شاة، وألف إبل إبلا، وألف بقرة بقرة، فجاء موسى عليه السلام إلى قارون وعرض عليه الحكم وأمره بأن يدفعها، فقال قارون ما هذه الجزية التي تأخذها مني، وإنما أوتيته على علم عندي؟ فنصحه فلم يسمع منه وأظهر الإنكار والتمرد والعناد حتى أضاف يوماً [بني][4] إسرائيل وجمعهم في داره العالية، فأرسل إلى بقية من الفواجر لم يكن في [منازلها][5] أجمل منها، [فقال][6] إن قلت موسى عليه السلام في الجمع راودني عن نفسي فلك ما شئت من مالي، وأعطاها طشتا مملوءا من الذهب، فقبلت ذلك.

فلما كمل اجتماعهم وحضر موسى قامت وتعرضت لموسى، فقال ما قصتك إذ قمت؟ قالت: يا موسى عليه السلام إن قارون جعل لي ما أريد على أن ازعم على رؤوس الناس أنك راودتني عن نفسي، وأنا والله ما كنت لأفعل ذلك وقد برأك الله تعالى من هذا ونزهك عن مثل هذا.

---

(1) هكذا في النسخة والراجح أن الأصل "يعرف" والله أعلم.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: 76]. في النسخة (فاتيناه).

(4) في النسخة "لبني".

(5) في النسخة كأنها "منازنها".

(6) ساقطة من النسخة.

فغضب موسى واشتد غضبه وقال: يا رب إن قارون أفسد على بني إسرائيل، فمر الأرض تطيعني في أخذه، فأوحى الله تعالى إليه إني أمرت الأرض بطاعتك، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: يا أرض خذيهم. وكان قارون على فرش فوق سرير مرتفع، [فغيبت][1] الأرض سريره وفرشه فخاف الناس واعتزلوا كلهم إلا رجلاً من بني إسرائيل، فقال موسى عليه السلام يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال خذيهم، فأخذتهم إلى سرتهم ثم إلى صدورهم. فلما رأى قارون ما نزل به قال يا موسى أنشدك بالقرابة؛ فلم يرق له موسى عليه السلام، وقال يا أرض خذيهم، فغيبتهم مع داره وما كان فيه، قال الله تعالى يا موسى أنشدك بالقيامة[2] فلم ترحم به؛ وعزتي وجلالي لو أنه دعاني أجبته.

قال وهب بن منبه وهو يسفل في الأرض إلى يوم القيامة، وما كان ذلك إلا من منع زكاته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ﴾ [القَصَص: 76] إذ ظلم بامتناع أداء الزكاة.

إن ثعلبة الحسني[3] جاء إلى رسول الله وشكى من ضيق عيشه، وسأل منه الدعاء بالبركة، فقال عليه السلام: «لو كان المال مصلحة لك لأعطاك»، فألح عليه، فترحم رسول الله عليه السلام جالساً[4]، فكان على سوائمه شاة فأخرج شاة هزيلة، فقال الساعي إن النبي عليه السلام أمرني أن آخذ وسطا، فقال له ثعلبة ما هذه الجزية التي وضع علينا محمد رسول الله عليه السلام، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) هكذا جاء في النسخة ولعل الأصل "القرابة".

(3) لم أجده باسم "الحسني" وإنما جاء في بعض المراجع باسم "ثعلبه بن حاطب الأنصاري"، وقيل إن هناك خلافاً في اسمه. انظر مثلاً "تفسير الطبري" ج14 ص371.

(4) هكذا جاء في النسخة والراجح أن الناسخ أسقط أكثر من كلمة هنا، فالقصة معروفة وهي أنه ﷺ دعا له بالمال حتى كثر ماله، وبدأ يتخلف عن صلاة الجماعة ثم الجمعة، ولما فُرضت الزكاة قال ما قال. انظر مثلاً "تفسير القرطبي" ج8 ص209.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [التّوبَة: 75-77][1] الآية.

فوجب على كل أحد تجب عليه الزكاة يعجل بأداء الزكاة ولا يتأخر حتى يحصل له فضل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المَائدة: 55].

قال الفقيه رَحِمَهُ اللَّهُ في نزول هذه الآية: كان أناس من أهل المدينة أسلموا بعد الهجرة، [فاستنكف][2] أهل بيتهم بإسلامهم، فلا يكلمونهم ويقولون إنكم أخذتم دينا غير دين آبائكم، فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها، فقال: إن طردكم أهل بيتكم وأظهروا العداوة فالله مولاكم وصديقكم ورسوله، ومن كان له الله تعالى وليا فلا يحزن بعداوة أهل بيته[3]، قال ابن عباس هذا تأويل الآية وسبب نزولها، إلا أن [الناس][4] اختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ قال الكلبي: نزلت في شأن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث جاءه سائل وسأل منه شيئاً وهو راكع، فأشار إليه بأصبعه وكان فيه خاتم أن يخرجه، فأخرجه السائل وعلي راكع، فمدحه الله تعالى وأراد بأنهم لا يتأخرون في أمر الصدقة حتى يفرغون من الصلاة، بل يتصدقون وهم راكعون لما [وافق][5] شكايتهم من أهل بيتهم وصدقة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حالة ركوعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية في شأنهم وشأن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له إلى النبي عليه السلام أنه قال: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقات، واستقبلوا

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التّوبَة: 75-77].

(2) في النسخة كأنها "استنكفوا".

(3) الظاهر أن المؤلف نقل الحديث بمعناه، واختلفت الروايات فيمن نزلت الآية، انظر "تفسير القرطبي" ج6 ص221، و"تفسير الطبري" ج10 ص424.

(4) في النسخة "الانسان".

(5) في النسخة "واقف".

البلايا بأنواع الدعاء»[1]، والزكاة تحصن المال كما سمعت.

[ويروى][2] أن نصرانيا سمع هذه الحديث من رسول الله عليه السلام، فاستحسنه وقال أجرب هذا الحديث، فإن أجده صدقا أصدق قائله وأؤمن به وإلا أخرج عليه بالسيف، فذهب وأخرج زكاة من ماله بالتمام، وأرسل شريكه إلى التجارة مع المال مع التجار، فبعد مضي مدة ورد إليه كتاب أن قطاع الطريق قطعوهم وأخذوا أموالهم بالكل، فغضب النصراني وشمر ذيله للمقاتلة إذ جاء إليه كتاب شريكه أن التجار قد سبقوني وبقيت [في][3] رباط فسلمت أموالي، فاعلم [أني][4] في السلامة مع الأموال وربحت كثيرا، فلما قرأ النصراني الكتاب قال: إن الرجل صادق ولم يكن هو [إلا نبي][5]، فأسلم وحسن إسلامه، فأداء زكاته لمكان التجربة وقصد غير صحيح حصن ماله وحفظ صاحبه من النار، فكيف إذا كان أداؤها بالنية الصحيحة من المسلم؟!.

(1) انظر "كنز العمال" ج15 ص831، و"المعجم الكبير" ج10 ص128.
(2) في النسخة "الضرير"، وقد يكون الناسخ أسقط كلمة أو أكثر في هذا الموضع، أو أنه حرف الكلمة، ولقد صححتها وبقية الكلام بما يناسب السياق والله أعلم.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) في النسخة "أن".
(5) في النسخة "الابن".

الباب الحادي والسبعون
في فضل من بنى مسجدا

الرجل إذا جعل داره مسجداً أو بابه إلى السكة، وليس [فوقه][1] وتحته بيت له وأقام فيه جماعة بأذان وإقامة صار مسجداً ولم يصره ميراثاً عندنا بالاتفاق وإلا فلا، ولو صلى فيه واحد أو [خلق][2] كثير فرادى بغير جماعة لم يصر مسجدا. وعن أبي يوسف رَحِمَهُ اللهُ أنه قال يصير مسجدا، والجماعة ليس بشرط وذلك بخلاف الرباط والمقبرة والسقاية إذا اتخذها [احد][3] فنزل في الرباط واحد ودفن في الأرض ميت واحد وشرب من السقاية استقر السبيل بخلاف المسجد، إذ الجماعة فيه شرط لأن المقصود من المسجد الجماعة، فإن خرب المسجد وتعطل أو خربت المحلة ولم يصلَّ فيه صار المسجد ميراثاً لورثة الباقي عند محمد رَحِمَهُ اللهُ، وقال أبو يوسف هو مسجد على حاله وإن تعطل؛ ذكرها في الزيادات.

وروي عن محمد رَحِمَهُ اللهُ أنه مر على [بمزبلة][4] كانت قبل ذلك مسجدا، فقال [هذا][5] مسجد أبي يوسف رَحِمَهُ اللهُ.

ولو أرادوا أن يجعلوا المسجد مستغلا والمستغل مسجداً لم يجز. ولو غرسوا في المسجد غرسا كره كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: 18]، [والفقه][6] أن الموضع الذي اشتغل بالغرس خلا عن الذكر والصلاة ففات المقصود فكره لذلك.

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) في النسخة كأنها "خلف".
(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(4) غير واضحة في النسخة، وهذا الخبر جاء في بعض كتب الأحناف، انظر مثلاً "المبسوط" ج12 ص43.
(5) مترددة في النسخة بين "هنا" و"هذا".
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

قال أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا خربت المحلة فإن المسجد يترك كما هو، وقال محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يباع.

وقد حكي أن مسجداً خرب فباعوه بقول محمد، فمر أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان كنيسة، فقال هذا تولد من محمد حين جوز بيعه.

ومما يدل على فضل بناء المسجد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التّوبَة: 18][1]، واختلف المتأخرون؛ قال بعضهم عمارة المسجد دخول المسجد والقعود فيه.

وقال بعضهم المراد عمارة دخول المسجد وبناؤه [وترميمه][2] عند الخراب، يريد أن هذه الصفة التي ذكرها الله تعالى من الإيمان بالله ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: 177] كان عمارة المسجد، وليس المعنى أن من عمرها كان في هذه الصفة لا محالة، غير أنه قل من يعمرها إلا وقد جمع هذه الصفات.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التّوبَة: 18] أي لم يخف في أمر الدين إلا الله.

قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التّوبَة: 18] [وعسى من الله واجبة][3]، المهتدين المستمسكين بطاعة الله تعالى تؤدي إلى الجنة. يدل عليه ما حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له إلى عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «من

(1) قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التّوبَة: 18].

(2) في النسخة كأنها "مرمته".

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها..

وجاء في هامش النسخة: "قال الحسن رحمه الله: مهور الحور العين كنس المسجد وعمارتها. وقال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أسرج سراجا في المسجد لم [تزل] الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد [ضوءه]. كذا في شرح [الخطب الأربعين]".

"وعن النبي عليه السلام «من ألف المسجد ألفه الله تعالى». وقال عليه السلام «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان». كشاف". انظر "المعجم الأوسط" ج6 ص269، و"سنن الترمذي" ج5 ص227.

بنى مسجداً ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة. قالت قلت: يا رسول الله وهذه المساجد التي بطرق مكة؟ قال: وتلك»[1].

قال: حدثنا الإمام أبو نصر الحرابي بإسناد له عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أكرم البيوت على ظهر الأرض خمس: الكعبة، وبيت المقدس، والمساجد، وبيت التائبين، وبيت يقرأ فيه القرآن أو العلم، وأكرم الرجال على الله تعالى بعد الأنبياء التائبون النادمون، وأكرم النساء على الله بعد نساء الأنبياء المطيعات لأزواجهن الجالسات في بيوتهن، ومن بكى على نفسه من خشية الله تعالى دخل الجنة ضاحكاً»[2].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله عليه السلام: «سبع [يجري][3] للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما، أو كرى نهرا، أو حفر بئراً، أو غرس غرساً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»[4].

وقال كعب الأحبار: حصون المؤمن ثلاثة: المسجد، وذكر الله، وقراءة القرآن.

قال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه، فحقه أن لا يقول إلا خيرا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إذا رأيتم

---

(1) انظر "مسند إسحاق بن راهويه" ج3 ص633، و"كنز العمال" ج8 ص314.
الأفحوص: حفرة تحفرها القطاة أو الدجاج في الأرض لتبيض وترقد فيها. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص264.

(2) لم أجده بهذه الرواية.
وجاء في هامش النسخة " قال عليه السلام «المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء، والكلأ، والنار». مصابيح". " يعني الماء الذي يجري في نهر، وكذلك الكلأ الذي [يعشب]، [. . .] ".

(3) في النسخة كأنها (يجزي).

(4) انظر "كنز العمال" ج15 ص953، و"الترغيب والترهيب" ج1 ص53.

الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا عليه بالإيمان فإن الله يقول ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: 18]»[1].

وعن جابر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المساجد سوق من أسواق الآخرة فمن دخلها كان ضيف الله تعالى، فجزاؤه المغفرة وتحيته الكرامة»[2].

وقال مكحول: لكل أناس نحو سوق مقاصد، وسوق ذوي التقوى بيوت [المساجد][3].

(1) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص332، و"سنن الترمذي" ج5 ص277.
(2) انظر "مرقاة المفاتيح" ج3 ص219، و"كنز العمال" ج7 ص580.
(3) في النسخة "مساجد".

الباب الثاني والسبعون
في فضل الصدقة

إذا قال لله علي أن أتصدق بمالي فالقياس أن يتصدق بجميع ماله تحت يده [والاستحسان][1] أن يتصدق بالأموال التي يجب فيها الزكاة.

فأما دليل القياس قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النِّسَاء: 10][2] أطلق لفظة "المال" وأراد جميع ما يملك اليتيم من العقار وغيرها.

وأما دليل الاستحسان قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ [الذّاريَات: 19] وقال أيضاً: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التّوبَة: 103] وأراد به الأموال التي يجب فيها الزكاة.

ولو قال عليّ طعام مساكين فعليه إطعام عشرة مساكين كما قال الله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المَائدة: 89][3] في كفارة اليمين.

ولو قال: عليّ صوم يصوم ثلاثة أيام ككفارة اليمين.

ولو قال: لله عليّ أن أتصدق غداً بدرهم فتصدق به اليوم جاز كتعجيل الزكاة، والصدقة تطهر صاحبها من الذنوب كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبَة: 103][4]، ونزول الآية في أصحاب النبي عليه

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، والقياس والاستحسان من المباحث الأصولية التي يرجع إليها في كتبها.

(2) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّسَاء: 10].

(3) في النسخة (فإطعام).

(4) قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التّوبَة: 103-104].

السلام كما حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد الكسائي بإسناد له عن ابن عباس ﵄ قال: إن رسول الله ﷺ لما غزا غزوة تبوك تخلف عنه أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة، [و][1] ربيعة بن حزم الأنصاري فلما بلغ إليهم ما نزل من الوعيد في حق المتخلف عن رسول الله عليه السلام ندموا على صنيعهم، وأوثقوا أنفسهم إلى سوار المسجد، وأقسموا أن لا يحلوا أنفسهم إلا لحاجة ضرورية حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم.

فكانوا كذلك حتى قدم رسول الله عليه السلام فسأل عنهم، فأخبروه بأنهم حلفوا أن لا يحلوا أنفسهم من السواري حتى يكون رسول الله عليه السلام هو الذي يحلهم، قال رسول الله ﷺ: «وأنا أقسم لا أحلهم حتى أؤمر فيهم»، فنزلت توبتهم على رسول الله ﷺ وهو قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [التّوبَة: 102][2] أي بتخلفهم عن الغزو و﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التّوبَة: 102] هو التوبة ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التّوبَة: 102] وعسى من الله واجب، فأمر رسول الله ﷺ بحلهم.

ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ بأموالهم وقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك اقبضها منا وتصدق بها عنا، فقال لهم رسول الله عليه السلام: «ما أمرت فيها بشيء»[3]، فنزل قوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التّوبَة: 103] أي استغفارك لهم طمأنينة لهم، ثم قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التّوبَة: 104][4].

عن ابن عمر ﵄ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾

---

(1) ساقطة من النسخة، ووجدته في المراجع باسم "وديعة بن حزام" انظر مثلاً "تفسير الخازن" ج2 ص401.

(2) قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: 102].

(3) انظر "أسد الغابة" ج3 ص105، و"تفسير الخازن" ج2 ص401.

(4) في النسخة (الم تعلموا).

[البَقَرَة: 261] الآية قال رسول الله ﷺ: «زد أمتي»(1)، فنزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البَقَرَة: 245].

عن النبي عليه السلام أنه قال في معنى قوله ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التّكاثُر: 1] قال: «يقول ابن آدم مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»(2).

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي عليه السلام قال: «للسائل حق ولو جاء على فرس، والسائل ضيف الله تعالى فمن أعطاه فقد أعطاه الله، فمن منعه فقد منع من الله تعالى»(3).

وقال مكحول الشامي ﷺ: إذا تصدق المؤمن بصدقة [رضي الله عنه ونادت](4) جهنم يا رب ائذن لي في السجود شكرا لك فقد أعتقت أحداً من [من أمة محمد من عذابي لأني أستحيى من محمد أن أعذب أحداً](5) من أمته ولا بد لي من طاعتك(6).

عن أبي حفص السفكردي عن سالم بن أبي جعدانة رحمهم الله أن ذئبا اختلس صبيا، فخرجت [أمه](7) في أثره ومعها رغيف، فعرض عليها السائل

(1) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص199، ج4 ص35، و"صحيح ابن حبان" ج10 ص505.

(2) انظر "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم" ج3 ص408، و"سنن البيهقي" ج4 ص61.

(3) وجدت الجزء الأول من الحديث في "إحياء علوم الدين" ج4 ص210.
وجاء في هامش النسخة "قال النبي عليه السلام «من قال لا إله إلا الله في ساعة من ليل ونهار إلا طمست ما في [صحيفته] من السيئات حتى يسكن إلى مثلها من الحسنات».
وقال النبي عليه السلام «إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشا إلا ذاكر الله تعالى»، اللهم اجعلنا من الذاكرين والمستغفرين المخلصين والشاكرين وشاركنا في دعائهم واحشرنا معهم بحق محمد واله الطيبين الطاهرين [برحمتك] يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين". انظر "مسند أبي يعلى" ج6 ص294، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص295.

(4) ساقطة من النسخة..

(5) في المرجع "من أمة محمد من عذابي لأني استحيى من محمد أن أعذب".

(6) انظر "تفسير حقي" ج2 ص83.

(7) ساقطة من النسخة أو كلمة في معناها ساقطة.

فأعطته إياه، فجاء الذئب ورد عليها صبيها وقال خذيه لقمة بلقمة مكانها.

عن أنس بن عباس(1) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسَان: 7](2) إلى قوله ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسَان: 9] أن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان مريضا، فقال أبوه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأمه فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لئن أصبح الحسين صحيحاً فليصبحن [صائمين](3)، فأصبح صحيحاً والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا صائمون، فاقبل سائل فوقف على بابهم، فقال: يا آل محمد ﷺ أطعموا السائل أطعمكم الله من طعام الجنة. فقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا بنت رسول الله هل من شيء؟ قالت: كف من دقيق حبسته لنفطر الليلة به. فقال: أطعميه، فأطعمته، وولى السائل وهو يدعو لهم.

ثم أقبل يتيم فقال: يا آل محمد عليه السلام أنا الذي غيب الله تعالى أبي في التراب. فقال عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل في بيتنا شيء؟ فقالت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كفيف من تمر جنانها لابنيك يفطران بها. قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أطعميه، فأطعمته ومضى.

ثم أقبل أسير موثق بقيد وقال: يا آل محمد عليه السلام أنا جائع منذ كذا، وما كان في بيتهم إلا كفيف من السويق(4)، فأطعموه، فباتوا جياعا ليلتهم، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسَان: 7] وقوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسَان: 8](5).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان ليعقوب عليه السلام أخ في الله فسأله عن ذهاب بصره وانحناء ظهره؟ قال يعقوب عليه السلام: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف عليه السلام، وأما قوس

(1) أنس بن عباس بن عامر، أدرك سيدنا رسول الله ﷺ، ووفد عليه وكان في الجيش الذي أمد بهم عمر بن الخطاب أهل القادسية ممن شهد اليرموك. انظر "مختصر تاريخ دمشق" ج2 ص126. ولعل الناسخ أسقط واو ويكون الأصل في النسخة "أنس وابن عباس" والله أعلم.

(2) قال الله تعالى ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسَان: 7-9].

(3) في النسخة "صائما".

(4) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير سمي بذلك لانسياقه في الحلق. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص965.

(5) انظر "تفسير النسفي" ج4 ص303.

ظهري فبالبكاء على بنيامين. فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول أما تستحي أن تشكو إلى غيري. قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى. ثم قال يعقوب عليه السلام: يا رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري، فاردد عليّ ريحانتي يوسف وبنيامين. فأوحى الله تعالى إليه فوعزتي لو كانا ميتين [لنشرتهما][1] لك، أتدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك؟ أنك ذبحتم يوماً شاة فأتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئاً، فكان يعقوب عليه السلام بعد ذلك لا يطعم إلا مع المساكين»[2].

وسئل [الحسن][3] البصري ﷺ [لماذا][4] تجب صدقة الفطر؟ فقال الحسن البصري: صدقة الفطر لنقصان الصوم تصلح؛ كما أن سجود السهو في الصلاة، وذلك لأن الصوم لا يخلو من النقصان، فأراد الله تعالى أن يكون صوم عبادة بلا نقصان وسهو بصدقة الفطر.

قال الفقيه: سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل ﷺ يروي بالفارسية عن عائشة ﵂ أن امرأة أتت النبي عليه السلام ويدها اليمنى يابسة، وقالت يا نبي الله ادع الله تعالى فيعيد يدي إلى حالها الأول، فسألها عن حالها. فقالت رأيت رؤيا كأن القيامة قامت والجحيم سعرت والجنة أزلفت، فرأيت والدتي في وادٍ من جهنم وفي يدها قطعة شحم و[خرقة][5] صغيرة تتقي بها النار، قلت مالي أراك يا أماه في هذا الوادي وكنت مطيعة لربك راض عنك زوجك؟ قالت لي يا ابنتاه كنت في الدنيا بخيلة وهذا موضع البخلاء. قلت ما هذه الشحمة و[الخرقة] التي أراها في يدك؟ قالت صدقتي التي تصدقت بها في الدنيا، وما تصدقت في جميع عمري إلا بهذه فأعطيت. فقلت لها: أين أبي؟ قالت كان أبوك سخيا فهو في بيت الأسخياء الجنة. فطلبته يا رسول الله حتى وجدته وهو قائم على شط

(1) في النسخة كأنها "بشرتهما".
(2) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج2 ص378، و"المعجم الأوسط" ج6 ص171.
(3) في النسخة "عن".
(4) في النسخة "بماذا" وصححتها بما يناسب السياق والله أعلم.
(5) في النسخة (الحرقة) وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائياً، والله أعلم.

حوضك يا رسول الله يسقي الناس بأمرك. فقلت يا أبت إن والدتي عطشانة في واد من جهنم وأنت تسقي الناس؟ فقال يا ابنتاه إن والدتك في موضع البخلاء، وإن الله تعالى حرم ماء حوض نبيه عليه السلام على البخلاء، فأخذت منه كفا من ماء إلا شربة فسقيته أمي، فلما شربت سمعت صوتاً يقول يبس الله يدك حيث سقيت العاصية البخيلة، فاستيقظت ويدي يابسة. فقال لها النبي عليه السلام: «ضربك بخل والدتك في الدنيا فكيف في العقبى؟ ثم قال عليه السلام: إلٰهي بحق الرؤيا التي حكت أريد أن تصلح يدها» فصار كما كانت[1].

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري يحكي عن محمد بن كعب القرظي يقول: كان في بني إسرائيل رجل صالح وله امرأة صالحة [تغزل فيبيعها][2] الرجل كل يوم بدرهم، فيشتري نصف درهم طعاماً وبنصفه قطنا، فرأى رجلين يختصمان فسألهما. فقال أحدهما لي عليه درهم ولا يعطيني، فأخرج الدرهم ودفعه إليه وقطع الخصومة فيما بينهما، ورجع صفر اليد إلى بيته، فسألته المرأة، فقص عليها القصة، فدعت له بالبركة وأثنت عليه وقبَّلت بين عينيه.

ثم قامت إلى زاوية البيت فأخذت من بقايا القطن الذي طار عند التنديف[3]، فغزلت ودفعت إلى الزوج، فذهب إلى السوق فلم يشتر أحد [. . .]، فرجع حزينا، فمر على سمّاك ودفع إليه الغزل وأعطاه سمكة منتنة، فذهب بها المنزل، فقامت إليه امرأته ودعت له بالبركة، وغسلت السمكة ثم قالت بسم الله الرحمن الرحيم وشقت بطنها، فإذا في بطنها لؤلؤ يتلألأ، فذهب بها إلى السوق فقومها بمائة وعشرين ألف درهم، فباعها وجاء بالدراهم إلى منزله، فوضعا الدراهم واشتغلا بالصلاة شكرا لله تعالى، فجاء سائل وقرع الباب وسأل شيئاً، فلما فرغا من الصلاة قال السائل ضيف الله وهذا رزق الله

(1) انظر "فوائد تمام" ج3 ص338.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا قرب شكل لها.

(3) ندفت: القطن طرقه بالمناف ليرق فهو مندوف ونديف. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص742.

[فتنتصف][1] معه الدراهم، فأدخلا سائلهما ودفعا إليه النصف وقصا عليه القصة، فخرج السائل وقام عند بابهما ودعاهما ورد الدراهم عليهما، وقال: أنا لست بسائل وإنما أنا ملك من ملائكة [السماء][2] السابعة بعثني الله تعالى إليكما وهو يقول: شكرتما لي في الشدة والرخاء فهذه بعض جزائكما في الدنيا والباقي مدخركما في الآخرة.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير سكة فكان فيها بيت غني، فقال تصدقوا عليّ لأجل الله تعالى، فدفعت إليه ابنة الغني خبزاً حارا، وذهب الفقير فاستقبله الغني وقال من دفع لك هذا الخبز؟ قال: بنية من ذلك البيت. فدخل أبوها وقطع يدها اليمنى. فحول المحول حاله عن بخله وسوء صنيعه، فافتقر غاية الفقر.

فذهب الأب والبنت مفتقرين يسألان الناس، فكانت تسأل البنت وهي غاية الحسن، فوقفت على باب غني فاستحسنها وأعجبه حسنها، وومق[3] بها وأدخلها داره، فلما وضعت عندهما مائدة وطعام شهي مد الرجل اليمنى ومدت هي اليسرى، فقال الغني: الفقير [لا][4] يكون قليل الأدب. فصاح بها وقال: أخرجي اليد اليمنى، وهي تخرج إليه اليسرى إذ لم يكن عليهما اليمنى، فهتف بها هاتف: أخرجي اليمنى فإن الذي أعطيت لأجله أعطي لك، فأخرجت اليمنى فكانت أحسن وأجمل.

ثم لما تأكدت المودة بينهما [فبينما هما كذلك][5] إذا جاء سائل يسأل طعاماً وهما يأكلان، فقال الرجل قومي وادفعي إليه شيئا. فقامت إليه لكي تعطيه شيئاً، فنظرت فإذا هو أبوها، فغشي عليها، فخرج الرجل وحملها إلى بيته، فلما أفاقت سألها فقصته القصة، فصاح الغني وقال أنا الفقير الذي أعطيتني الخبز، فشكر الله تعالى حتى حسن حالهما عند الله تعالى وذلك ببركة الصدقة.

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) ساقطة من النسخة.
(3) ومق: المحبة والتودد. انظر "لسان العرب" ج10 ص385، و"الصحاح" ج2 ص295.
(4) ساقطة من النسخة.
(5) في النسخة كأنها "فينا ذلك".

وروي [أن][1] النبي عليه السلام كان يعظ الناس ويقول: «﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: 92]»، فكانت في المجلس امرأة فقطعت [الذوابتين][2] من شعورها متزينتين بالجواهر وأرسلتهما إلى النبي عليه السلام، فقال النبي عليه السلام: «لم فعلت بالشعور كذلك؟». فقالت: إن لي أموالا كثيرة لا أقدر لها وعندي ولا أحبها كما أحب ذؤابتي بهذه، وإن الرسول حكى عن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، وإني لا أحب إلا التي أرسلت إليه. فبكى النبي عليه السلام ودعا لها بدعوات كثيرة.

فذهب منافق ترب الله فيه وحكى هذا الحديث لزوجها، وكان ذلك منافقا مبغضا لرسول الله ﷺ، فقال الرجل وجدت الفرصة فأفضحها، ولو أقتلها لم يخاصمني أقرباؤها، فقال: اتخذي وليمة لأقربائك فإنهم يجيئون الليلة، ثم ذهب إلى أقربائها ليدعوهم إلى بيته، فلما بلغ إليهم زعم أن [. . .] قريبتكم بلغ إلي أنها قطعت شعورها ودفعت لهذا الساحر وذلك من غاية حبها، وكثيرا أحكي لكم هذا الحديث فلم تسمعوا إليّ، فالآن قوموا إلى بيتي [فترون][3] معاينة ما أحكي لكم.

فقاموا وذهب معهم ذلك النمام الذي كان حاضرا في مجلس النبي عليه السلام، فلما وصلوا المنزل وأكلوا الطعام وجلسوا للتجسس علمت المرأة الصالحة كيف الحال، وتوضأت وصلت ركعتين ودعت الله تعالى، فنودي لا تخافي فإن الله تعالى وهب لك [الذوائب] أحسن وأجمل.

فلما دعيت إلى التفتيش والقصد بها وكشفوا عن رأسها فرأوا ذؤبا لم ير مثلها في الدنيا مملوءة من الجواهر، فامتلأ المنزل نورا حتى انعدم نور السراج، فرجعوا عما كان فيه من الضلال، فصاح النمام أولاً وتاب وأناب، فاتفقوا على الإسلام وأسلموا وحسن إسلامهم ببركة صدق صدقتها رزقنا الله تعالى من مثل صدقنا.

(1) ساقطة من النسخة والله أعلم.
(2) في النسخة كأنها "الزوابتين"، وسوف أصححها في موضع قادم تلقائيا.
(3) في النسخة "فتردون".

الباب الثالث والسبعون
في فضل الإيثار والسخاء والجود

قال أبو حنيفة ﷺ الحجر على الحر باطل إلا على ثلاثة: على المفلس المكري لأنه ربما يكري دابة عجزت في الطريق ولا يمكن له البدل فيضع الراكب أو الحمل، وعلى الطبيب الجاهل لأنه يهلك الإنسان، وعلى المفتي الجاهل إذ يغير الأحكام. وما عدا ذلك فلا حجر على الحر البالغ إلا إذا بلغ ولم يؤنس رشدًا فيكون عليه الحجر حتى يبلغ إلى خمس وعشرين سنة، ثم ينفك عنه الحجر سواء ظهر رشده أو لم يظهر.

وقال محمد وأبو يوسف رحمهما الله: الحجر على الحر إلا في استيلاد الجارية والنكاح والعتاق والطلاق، إلا أنهما اختلفا فيما إذا بلغ متبذرا.

قال أبو يوسف: لا ينحجر إلا أن يحجر القاضي.

وقال محمد رحمه الله ينحجر بنفسه. والمحجور عليه لا يصدق في إقراره لقريب إلا بالنية أو بالمعرفة [الظاهرة][1] إلا في الوالدين والأولاد والزوجة فإنه يصدق في إقراره؛ ونفقة الزوجة والأقارب تجب في ماله إذا أوجب لهم الشرع، ولا يجوز لوصيه بيع أمواله إلا بأمر القاضي بخلاف وصي الصغير. ويدفع وصي المحجور زكاته من ماله ويستعمل السخاء لأن الله تعالى مدح الأسخياء بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9][2] يعني مع احتياجهم، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [التّغَابُن: 16] أي يتباعد من البخل ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8].

حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن محمد بن عمر ﷺ أنه قال:

---

(1) في النسخة "الطاهرة" وصححتها حسب ما يقتضيه السياق والله أعلم.

(2) قال الله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

اهدي لرجل من أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين شاة مشوية، فقال إن فلاناً أحوج إليه مني، فبعث إليه، فما وُضع بين يديه قال أهل بيت فلان أحوج إليه مني فبعث إليه، فلما وضع بين يديه قال هل بيت فلان أحوج إليه مني فبعث إليه، فلم يزل يبعثه واحد بعد واحد حتى تداولت سبعة أيام ثم رجعت إلى الأول، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحَشر: 9] الآية.

قال الإمام أبو بكر الاسماعيلي بإسناد له عن أبي [جهم][1] بن حذيفة قال: انطلقت يوم تبوك لطلب ابن [عمي][2] ومعي ماء أردت أن أسقيه، فرأيته وبه رمق، فمسحت وجهه بكمي فقلت أسقيك الماء، فأشار بنعم، فإذا جزع آخر يقول آه من العطش، فأشار إلي أن اذهب بالماء إليه، فمشيت فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك، فقال لي تعال، فلما دنوت منه سمع صوت آخر يقول آه من العطش، فأشار إلي هشام أن اذهب به إليه، فبلغت إليه فإذا هو ميت، فرجعت بالماء إلى هشام فوجدته ميتا، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو ميت[3].

وعنه أيضاً بإسناد له عن أنس ﷺ قال: أوتي إلى رسول الله ﷺ عشرة من الأسارى فيهم شيخ أبيض الرأس واللحية والباقون شبان، فعرض رسول الله عليه السلام الإسلام، فأبوا أن يسلموا، فأمر بحبسهم، ثم عرض عليهم الإسلام بعد ثلاثة أيام، فأبوا، فحبسوا، ثم نزل جبرائيل بعد [تمام][4] عشرة أيام وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول اقتل الشبان وهم تسعة ولا تقتل هذا الشيخ فإنه كان سخيا في وطنه، فقتلهم النبي عليه السلام وترك الشيخ، فقال ولم لا تقتلني يا محمد ﷺ؟ قال: «إن الله تعالى نهاني عن قتلك واخبرني أنك كنت سخيا في وطنك». فقال: وربك يعلم سخاوتي ولأجلها نهاك عن قتلي؟ قال الشيخ: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ ربي الذي يعلم سري وعلانيتي أحب إليّ من الأصنام، فأسلم وحسن إسلامه وذلك ببركة سخاوته في الكفر، فكيف

(1) في النسخة كأنها "حميم" وصححته حسب ما جاء في المراجع والله أعلم.
(2) مترددة في النسخة بين "عمر" و"عمي".
(3) انظر "شعب الإيمان" ج3 ص260، و"إحياء علوم الدين" ج3 ص258.
(4) في النسخة (تام).

إذا كان السخي مؤمنا؟!. قال النبي عليه السلام: «السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدليات في الدنيا؛ من أخذ بغصن منها قاده الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة في النار أغصانها متدليات في الدنيا؛ من أخذ بغصن منها جره الغصن إلى النار»[1] حديث صحيح برواية محمد بن موسى الملاحي بإسناد له عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي عليه السلام كما ذكر.

حدثنا أبو نصر بإسناد له عن عبد الله بن المبارك أنه قال: حججت سنة فرأيت في المنام رسول الله عليه السلام قال: يا ابن المبارك إذا رجعت إلى بغداد فاطلب بهرام المجوسي وأقرئه مني السلام، وقل له إن الله تعالى راض عنك. فانتبهت وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله هذه رؤيا من الشيطان.

فتوضأت وصليت وطفت ما شئت فغلبني النوم، فرأيت كذلك ثلاث مرات، فلما أتممت الحج ورجعت إلى بغداد طلبت المحلة والدار، فوجدت شيخا فقلت: أنت بهرام المجوسي؟ قال: نعم. قلت: هل لك عند الله خيرا؟ قال: نعم، أسلف الدراهم بشيء من الربح. قلت: حرام، هل لك غير ذلك؟ قال: نعم، لي أربع بنات وأربعة بنين زوجتهن من [أبنائي][2]. قلت: هذا حرام، هل لك غير هذا؟ قال: نعم، جعلت وليمة المجوس وقت تزويج البنات للأبناء. قلت: هذا حرام كذلك، هل غير ذلك؟ قال: نعم، عندي ابنة من أجمل النساء فزوجتها من نفسي إذ لم أجد لها كفؤا وأولمت تلك الليلة وهي ليلة الزفاف؛ فكان عندي أكثر من ألف مجوسي. فقلت: هذا حرام كله، هل غير ذلك؟ قال: نعم، جاءت امرأة مسلمة من أهل دينك تسرج سراجها، ثم تخرج ثم تعود وسراجها مطفئة فتوقد، ثم تخرج ثم تعود حتى فعلت سبع مرات، فتوهمت بها شرا، فخرجت عقيبها، فلما دخلت منزلها على بنات لها قلن لها يا أماه هل جئت لنا بشيء فإنه لم يبق صبر من الجوع تعرفينا جياع منذ ثلاثة أيام، فدمعت عيناها وهي تبكي وتقول استحييت من ربي عزوجل أن أسألك من عدوه.

---

(1) انظر "اللآلئ المصنوعة" ج2 ص79، و"شعب الإيمان" ج7 ص435. ولم أجده في الصحيحين.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

فلما سمعت كلامها رق قلبي ورجعت إلى داري، فهيأت طبقا مملوءاً من كل شيء، ثم حملته بنفسي إلى دارها، فلما بلغتها ووضعت الطبق عندها خرجت تدعو لي بالإسلام.

فقال ابن المبارك: أجابها [الله][1] وأنا أبشرك بسلام رسول الله ﷺ، وقال إن الله تعالى راض [عنك][2]. فقال: بهرام في الحال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وخر من ساعته ومات رحمة الله عليه، ولم ابرح حتى غسلته وكفنته وصليت عليه.

فكان عبد الله بن المبارك كثيراً يقول: يا عباد الله استعملوا السخاء والإحسان مع خلق الله تعالى، فإن السخاء ينقل الأعداء إلى درجة الأحباب.

قال سمعت أبا عبد الله بن الفضل يقول: كان في بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام سارق، وكان إذا أصبح يتصدق بخبز ودعا لنفسه بخير ثم يمضي، فكان موسى عليه السلام في طلبه اثنتي عشرة سنة فلم يظفر به، فأصبح السارق يوماً ونسي فلم يتصدق، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يا موسى إن السارق الذي تطلبه في [فرح][3] كذا، فذهب وأخذه، فقال له جبرائيل يا موسى إنه لو استعمل السخاء ولم ينسَ الصدقة لم تظفر به إلى أربعين سنة.

عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: خرجت حاجا فلما دخلت البادية نمت يوماً من الجوع والمشي، فرأيت رسول الله عليه السلام فسلمت عليه وصافحته، ثم قلت يا رسول الله اخبرني عمن يقبل الله تعالى منه الحج في هذه السنة. فقال رسول الله ﷺ: يقبل من رجل هو من أهل البصرة [لم يحج][4] قط وأعتق بشفاعته من النار سبعون ممن قد وجبت لهم. قلت يا رسول الله أخبرني من هو أزوره، فعرفه لي.

فلما انتبهت انصرفت عن الحج وقلت زيارة من يعتق بشفاعته سبعون نفرا

(1) اسم الجلالة ليس مكتوب في النسخة، والظاهر أن الناسخ سها عنه، والله أعلم.
(2) في النسخة "عنه".
(3) في النسخة كأنها "مزح" واستبدلته بأقرب شكل يوافق السياق والله أعلم.
(4) في النسخة "ثم تحج" واستبدلته بما يوافق السياق والله أعلم.

أولى من حجة التطوع، فمشيت حتى أتيت البصرة وتفحصت عنه حتى وجدته، وسلمت عليه وأخبرته بالرؤيا التي رأيت، [وقلت][1]: بحق الله أخبرني بأي عبادة نلت هذه الفضيلة. قال: لا أدري غير إني جمعت ثلاثة آلاف درهم لأحج بها، فيوما دخل عليّ ابني باكيا، فسألته فقال دخلت بيت جارنا العلوي يأكلون اللحم فاشتهيت منه فلم يعطوني شيئاً.

قال: فخرجت إلى الصلاة فرأيت جاري. قلت: أيها السيد أنت جاري وأحب الناس إليّ، وقد دخل عليك اليوم ابني وسأل منكم اللحم فما أعطيتموه. قال: ما كنت أريد أن اظهر السر لكن حقك عليّ واجب فاكشف السر كيلا تتأذى، ثم قال: ما وجدنا رزقا ثلاثة أيام وقد غلب الجوع علينا، وكنت أستحي أن أسأل شيئاً من غير الله تعالى، واشتد الجوع حتى حل لنا الميتة، فوجدت شاة ميتة فقطعت منها جزءاً، فكان ذلك حلالنا حراما على ابنك، فلأجل ذلك ما أعطيناه. فرق قلبي وقلت في نفسي حجي قريب، فأحضرت ثلاثة آلاف درهم ودفعتها إليه لأجل الله تعالى وتخلفت عن الحج، غير هذا ما فعلت في هذه السنة.

فقال إبراهيم بن أدهم: لذلك قبلت حجك ورزقت من الشفاعة سبعين نفرا، فعلم بأن السخاء أفضل العبادات.

قال: سمعت الفقيه الزاهد إبراهيم بن إسحاق يقول: إن مالك بن دينار نزل عند عبد الله بن المبارك رحمه الله فأضافه ضيافة حسنة، فلما هم إلى الذهاب قال له عبد الله بن المبارك: يا شيخ هل رأيت في عيبا؟ قال: نعم، ثلاثة: أولها أنك تجلس على بساط من ديباج، والثاني كوة دارك منقشة، والثالث قدمت علينا مائدة فيها ألوان الأطعمة مثل طعام الملوك والجبابرة وكان يكفينا القليل.

فقال عبد الله: إن هذه الدار ورثتها من أبي وما نظرت إلى كوتها قط؛ فلا أعلم ما في الكوة. وأما الفرش فهي لأختي لا أريد أن أؤذيها بترك الجلوس عليها. وأما الأطعمة فوالله لو كان لي الدنيا كلها وجعلتها لقمة وأدخلتها في فم

---

(1) ساقطة من النسخة أو كلمة في معناه ساقطة والله أعلم.

الضيف الذي نزل بي من غير دعوة لكان أحب إليّ من ألف رقبة أعتقها في سبيل الله تعالى. فاستحسن كلامه مالك بن دينار ودعا له بالبركة.

قال: سمعت الفقيه أبا عبد الله المطوعي يحكي عن أبي عبد الله [الخازن][1] الرازي رحمهما الله يقول: أوحى الله تعالى إلى بعض أوليائه إني قضيت نصف عمر فلان بالفقر ونصفه بالغنى، فخيره إما يختار الفقر أولاً أو الغنى، فدعاه النبي عليه السلام وأخبره. فقال الرجل حتى أشاور زوجتي، فلما أخبرها بذلك قالت: اختر الغنى أولاً، فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى. فقالت امرأته إن أردت أن تبقى هذه النعمة علينا فاستعمل السخاء، ففعلا فكانا لا يتخذان يوماً لأنفسهما قبل أن يتخذا للفقير مثله، ولا يطعمان إلا مع الفقراء.

فلما تم نصف العمر الذي قضي له بالغنا أوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: إني كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى، لكن وجدته شاكرا لنعمي، والشاكر يستوجب المزيد، فبشره إني قضيت باقي عمره بالغنى.

(1) في النسخة "الحازن". انظر "تاريخ الإسلام" ج8 ص152.

الباب الرابع والسبعون
في فضل الغزو والشهداء
بمسائله وعظاته

من يموت في المعركة لا يغسل عندنا، وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يغسل. لنا قوله عليه السلام في قتيل أحد «زملوهم بدمائهم وكلومهم تشخب [دما فإنهم][1] يبعثون يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»[2].

ومن قتل في المصر بحديدة ظلماً بغير حق فهو شهيد لا يغسل عندنا، وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ليس شهيداً ويغسل.

[والمدافع عن][3] المال إذا قتل بحديدة فهو شهيد لقوله عليه السلام: «من قتل دون ماله فهو شهيد»[4].

وإذا وجد في معركة وبه جراحة لا يغسل، وإن لم يكن به جراحة وعليه دم سائلة من عين وأذن فهو شهيد لا يغسل، وإن كان الدم من أنفه أو فمه يغسل لأن الظاهر أنه مات حتف أنفه.

وإذا قتل الصبي بحديدة أو في المعركة بأي شيء كان يغسل عند أبي

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، ولم أجد في كتب الحديث وغيرها رواية بهذا اللفظ بعينه، بل جاءت هناك عدة روايات مشابهة حيث جاء مثلاً في زاد المعاد «زملوهم في ثيابهم بكلومهم فإنهم يبعثون يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»، وفي سنن النسائي «زملوهم بدمائهم فإنه ليس كلم يكلم في الله إلا يأتي يوم القيامة يدمى لونه لون الدم وريحه ريح المسك»، والله أعلم.

(2) انظر "زاد المعاد" ج2 ص213، و"سنن النسائي" ج1 ص647.

شخب: اللبن شخبا خرج من ضرع مسموعا صوته ويقال شخب الدم من الجرح ويقال شخبت أوداج القتيل دما. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص985.

(3) في النسخة "الدافع من".

(4) انظر "صحيح البخاري" ج2 ص887، و"صحيح مسلم" ج1 ص87.

حنيفة ﵀، [وقالا رحمهما][1] الله لا يغسل لأن الصبي لا يثاب ولا يعاقب؛ فصار كأنه مات حتف أنفه.

والجنب والحائض إذا قتلا بحديدة في المصر غسلا عند أبي حنيفة ﵀، وقالا رحمهما الله لا يغسلان.

والمرأة إذا ولدت ميتاً لم يغسل عندنا ولا يصلى عليه، وقال الشافعي يغسل ويصلى عليه. لنا ما روى جابر ﵁ عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا استهل الصبي [ورث][2] وصلي عليه»[3]. شرط استهلاله في وجوب الصلاة عليه، وهو صوت الصبي بعد الولادة، وله قوله عليه السلام: «[فإني][4] أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بسقط»[5]، فمن يباهي به النبي عليه السلام أولى بأن يغسل ويصلى عليه.

وكذا في الجنين إذا سقط ميتاً بالضرب الغدة[6]، وهذا دليل على حرمته، فوجب أن يغسل ويصلى عليه.

والمبطون والمهدوم عليه والحريق والغريق شهيد في الثواب لا في باقي الأحكام، والشهيد الذي لا يغسل يصلى عليه عندنا، وقال الشافعي: لا يصلى عليه. لنا ما روي عن الشعبي ﵁ أنه قال: استشهد حمزة ﵁ عم النبي عليه السلام يوم احد، فأتى به فصلى النبي عليه السلام ولأن الصلاة على الميت للترحم والدعاء والشهيد محتاج إليهما، وله أن الغسل وإزالة النجاسة شرط للصلاة، ولما منع عن ذلك وانعدم وجود الشرط بسبب ما لم يصلّ عليه.

والشهيد هو الذي يخرج للمقاتلة مع الكفار لله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(2) في النسخة (وروث)، وصححته حسب ما وجدته في بعض المراجع.
(3) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج4 ص388، و"سنن البيهقي" ج4 ص8، و"سنن الدارمي" ج2 ص485.
(4) في النسخة (فإن).
(5) انظر "تلبيس إبليس" ج1 ص362.
(6) هكذا جاء في النسخة ولعل الأصل "للمعدة".

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [التوبة: 111][(1)] الآية.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من الغزاة.

و﴿أَنفُسَهُمْ﴾ يعني يخرجون بأنفسهم إلى العدو فيقتلون العدو ويقتلهم العدو، ولا يخافون بتلف أنفسهم ولا يبالون، وينفقون أموالهم لرضاء الله تعالى.

ونزول الآية في شأن من الصحابة، وذلك أن النبي عليه السلام كان جالساً بين أصحابه إذ جاء شاب مستلثم بعمامته، فنزل وقام بين يدي النبي عليه السلام وأثنى عليه ثناء بليغا وصلى عليه صلاة كاملة، فتعجب رسول الله ﷺ من لطيف خطابه وقال «ألك حاجة؟ قال: نعم. فقال: ما هي؟ قال: رضى الله تعالى ورسوله. قال عليه السلام: ألك مال؟ قال: عندي عشرة آلاف دينار ورثتها من أبي، وقد استشهد بين يدي النبي عليه السلام، فلينفق النبي عليه السلام فيما أحب». فلما وقف عنده ساعة نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: 111] الآية، وقال: خذ يا محمد ما أتاك به من المال لأني قد قبلت منه. [فأخذه][(2)] رسول الله عليه السلام وفرقه. [و][(3)] لم يلبث إلا يسيراً حتى نودي بالنفير، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى القتال، فلما التحم الصفان جاء فارس فدخل بين الصفين وقاتل قتالا شديداً حتى قتل نيفاً وثلاثين من العدو كفاراً، ثم طعن فسقط عن فرسه، فأقبل النبي عليه السلام فإذا هو الشاب المتصدق، فلما رآه قال: «جزاك الله خيراً ما تشتهي في هذا الوقت؟ قال: رضى الله ووجه خالي أن أراه. فقال عليه السلام: من هو؟ قال: أبو موسى الأشعري. فقال النبي عليه السلام لعمر رضي الله عنه[(4)]. فلما ذهب استقبله أبو موسى الأشعري فقال عمر: إلى أين؟ فقال:

---

(1) قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]. في النسخة (إن الله تعالى).

(2) في النسخة "فأخذ". (3) في النسخة "ما".

(4) هكذا جاء في النسخة والراجح أن في الأصل (علي به). والله أعلم.

أتاني آت وقال رسول الله ﷺ[1]. قال: كان ذلك [ملكا][2] من الملائكة أرسله الله تعالى إليه ليراه الشاب. فلما رآه الشاب قال: خالي ورب الكعبة، فعانقه ثم عانق النبي عليه السلام وقضى سبيله رضي الله عنه، فدفنه النبي عليه السلام، فلما أدخل لحده غمض النبي عليه السلام عينيه، فسئل عن ذلك فقال «من كثرة الحور العين نزلن كرامة له»[3].

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ نكتة وهي أن الله تعالى اشتراهم مع علمه بعيوبهم، ومن يشتري شيئاً يعلم عيبه لا يرده بالعيب، فكأن الله تعالى يقول: يا عبادي اشتريتكم مع علمي بعيوبكم فتعلمون [أني][4] لا أردكم وإن كثرت عيبوكم لأني رضيت لكم وأنتم معيبون. فطوبى لمن يدخل في هذه المبايعة ويكون من المؤمنين.

وفيه نكتة أخرى وهي أن الله تعالى علم في سابق علمه أن الشيطان يريد أن [ينزغ][5] فيما بينهم ويخدعهم ويجرهم إلى نفسه حتى يوقعهم في النار، فقال عزوجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لكي ييأس الشيطان منهم ولا يطمع في خداعهم وكيف عنهم، فإن الحكم أن السلعة للمشتري الأول، فإذا وقع [الشراء لم][6] يكن للغير أن يشتري.

قال: حدثنا الإمام أبو عبد الله بن محمد بن عمر بإسناد له عن خالد بن [معدان][7] عن أبي أمامة عن النبي عليه السلام قال: «ما من مؤمن يغبر وجهه في سبيل الله إلا أمنه الله تعالى من دخان النار يوم القيامة، وما من مؤمن يغبر قدميه في سبيل الله تعالى إلا أمن الله تعالى قدميه من النار يوم القيامة، ومن صام يوماً وعاد مريضاً وشهد جنازة وشهد نكاحا في يوم واحد وجبت له الجنة، ألا ومن

---

(1) الظاهر أن الناسخ أسقط كلمة أخرى هنا وهي "يريدك" أو ما في معناها والله أعلم.

(2) في النسخة "ملكان".

(3) بحثت عن هذه الرواية ولم أجدها والله أعلم.

(4) في النسخة "ان". (5) في النسخة "ينزع".

نزغ: نزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغا أي أفسد وأغرى. انظر "الصحاح" ج2 ص203.

(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(7) في النسخة "معذان". انظر "الأعلام" ج2 ص299.

توضأ في أهله وغدا إلى المسجد أو راح لا يريد إلا أن يتعلم أو يعلم إلا كتب الله تعالى به بكل خطوة يخطوها إليه حسنة [ومحا](1) بالأخرى سيئة»(2).

قال: حدثنا محمد بن نعيم بإسناد له عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم»(3)، ثم قال عليه السلام: «وددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل»(4).

قال: حدثنا الإمام بإسناد له عن الأعمش عن مجاهد قال: أردت الغزو فأراد ابن عمر أن يأخذ لي بالركاب فأبيت عليه، فقال لي ابن عمر: يكن لي من الأجر فإنه قد بلغني أن خادم الغزاة في الأرض بمنزلة جبرائيل عليه السلام في السماء.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ قال: [بينما](5) رسول الله ﷺ يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار، قال عليه السلام: «كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمناً حقا. قال عليه السلام: أنظر ماذا تقول فإن لكل قول حقيقة. قال الشاب: عزلت نفسي عن الدنيا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر بعرش ربي، فكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعادون فيها. فقال عليه

---

(1) في النسخة (ومحايا) والله أعلم.

(2) لم أجده بهذه الرواية، وإنما وجدت روايات مختلفة بنصوص متفرقة منها مثلاً «ما من رجل يغبر وجهه في سبيل الله إلا أمنه الله دخان النار يوم القيامة وما من رجل يغبر قدماه في سبيل الله إلا أمن الله قدميه النار يوم القيامة» في "المعجم الكبير" ج8 ص96، و«خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح يوم الجمعة وأعتق رقبة» في "صحيح ابن حبان" ج7 ص6، و«من توضأ في أهله، ثم غدا إلى مسجده أو راح لا يريد إلا أن يتعلم أو يعلم، كتبت له بكل خطوة حسنة» في "فوائد تمام" ج4 ص66.

(3) يظهر من النسخة أنه قد يكون نصًّا واحداً، إلا أنني وجدت هذا الجزء الأول من الحديث في "مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص441، و"مصنف ابن أبي شيبة" ج4 ص221.

(4) وجاء هذا الجزء في "مسند أحمد" ج2 ص502، و"سنن البيهقي" ج9 ص157.

(5) في النسخة كأنها "بينا".

السلام: عبد نور الله تعالى الإيمان في قلبه. ثم قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة».

قال: فدعا له النبي عليه السلام، فنودي يوماً يا [خيل][1] الله اركبي فكان أول فارس ركب واستشهد، فجاءت أمه إلى رسول الله وقالت: يا رسول الله أخبرني عن ابني إن يك في الجنة لم أبك ولم أحزن، وإن يك في النار بكيت ما عشت في الدنيا. قال النبي عليه السلام: «يا أم حارثة إنه في الفردوس الأعلى».

قال: فرجعت وهي تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة[2].

قال: حدثنا الإمام بإسناد له عن إبراهيم بن سليمان قال أبو زهدم رحمهم الله: غزا المسلمون فكانوا يمرون بالكوفة، فذهب معهم شاب إلى غزاة الروم، فساروا حتى [نزلوا بساحل][3] البحر وسرحوا دوابهم والشاب يحفظ الدواب، فوضع رأسه ساعة وهو بين اليقظة والنوم إذ أتاه آت فقال له: أجب صاحب القصر. فإذا هو بقصر فيه جوارٍ ينشدن ويقلن فرحا فرحا. فلما صار في القصر رأى سريرا عليه جارية عليها من [الشباب][4] والحسن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهي تقول: يا ولي الله. ثم أخذته فأجلسته بجنبها وهي تكلمه [وترحب به][5] حتى طمع فيها الفتى. فلما عانقها قالت اصبر فإني أحل لكم في العشاء، ثم دفعته قدحا من لبن فقالت اشرب من هذه، فشرب وقام من عندها وخرج، فالتفت فلم ير من القصر شيئاً، فقال خولط عقلي.

فلم يزل مغتما حتى رجع بالدواب إلى أصحابه، فرأوا فيه تغيرا، فلم يزالوا يسألونه حتى فشى أمره، فقالوا قد خولط عقله، فلما صلوا العتمة وكان بإزاء البحر مسجد يصلي فيه الشاب فجاءت سفينة فيها العدو، فدخلوا المسجد وهو يصلي فقتلوه، فلما رجعوا من الغزو وأخبروا أباه من شهادته وحاله فكان أبوه يوماً في رعي الغنم فإذا هو أقبل ابنه على دواب وأحسن ثياب، فدنا منه وسلم

---

(1) في النسخة "خليل".
(2) انظر "شعب الإيمان" ج7 ص362، و"بحر الفوائد" ص130.
(3) في النسخة "نزوا ساحل".
(4) في النسخة "الشاب".
(5) في النسخة كأنها "ترحبه".

عليه، فقال: يا بني أليس قد قتلت وكان أمرك كيت وكيت. قال: نعم، ثم قال: أما سمعت قول الله سبحانه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 169][1] الآية. وقال نودي في الشهداء أن قوموا فصلوا على هذا العبد الصالح، فقال أبوه من هو؟ قال عمر بن عبد العزيز، قال فنظر فإذا هو ميت في ذلك اليوم.

قال سمعت أبا الحسن [المفسر][2] يقول قال أبو عمران الجوني رحمهما الله سمعت أبي يقول: كان رجل يقال له بطال يدخل أرض الروم فيتزين بزينتهم يلبس برنس[3] ويعلق الإنجيل في عنقه، وإذا وجد من النصارى خمسة إلى عشرة قتلهم، وإن كثروا له يمسك عنهم، وكانوا يظنون أنه أسقف من أساقفتهم لا يتعرضون له، فكان دأبه كذلك سنين كثيرة في أرض الروم يريد به رضاء الله تعالى.

فلما خرج إلى بلاد المسلمين في زمن هارون الرشيد دعاه هارون الرشيد وقال له: يا بطال حدثني بأعجب شيء رأيت في أرض الروم.

قال: يا أمير المؤمنين كنت يوماً في مزح[4] الروم أمشي والبرنس علي والإنجيل في عنقي، فإذا أنا بفارس عليه سلاح وبيد رمح، فلما دنا مني سلم علي تسليمة المسلمين فعرفت أنه مسلم فرددت عليه مثلها، فقال لي: يا صاحب البرنس هل عرفت في أرض الروم رجلاً يقال له بطال؟ قلت: ما تريد من بطال؟ قال: منذ كثير أطلبه لكي أخدمه وأقاتل معه حتى اقتل بين يديه. فقلت: أنا الذي تطلبه. فنزل على دابته وجثى بين يدي وقبل رجلاي وحمد الله تعالى، فقدمت مطعوما، فكنا نطعم إذ أبصرونا من قصر لهم من بعيد، فأقبل علينا أربعة من فرسان أهل الروم شاكون[5] في السلاح وبأيديهم الرماح ويركضون نحونا، فقال

---

(1) جاءت في النسخة بدون قوله تعالى ﴿يُرْزَقُونَ﴾ [غَافر: 40].

(2) غير واضحة في النسخة وصححتها حسب أقرب شكل بما يوافق الأعلام.

(3) البرنس: قلنسوة طويلة، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام. انظر "الصحاح" ج1 ص41.

(4) مزح: السنبل والعنب لون والكرم أثمر. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص653.

(5) هكذا جاء في النسخة ولعل الناسخ حرف كلمة "شاهرون" إلى "شاكون" والله أعلم. =

لي صاحبي يا بطال ائذن لي فأخرج إليهم فإن قتلوني لم أحزن وهذا ما أبغي، وإن قتلتهم فيحصل لي الثواب.

قال: فأذنت له، فبرز إليهم، فحاربوا حتى قُتل صاحبي، ثم أقبلوا عليّ وقالوا دع ما معك. قلت: [ألا ترون ما معي][1] من البرنس والإنجيل؟ فإن أردتم محاربتي فأمهلوني حتى أتسلح بسلاح صاحبي وأركب دابته. قالوا ولك ذاك، فلبست السلاح وركبت الدابة فأقبلوا نحوي. فقلت ما هذا بإنصاف، أنتم أربعة وأنا واحد، ولكن [ليبارزني][2] رجل. قالوا أنصفناك.

فخرج إلي رجل منهم فقتلته يا أمير المؤمنين، ثم برز آخر فقتلته، ثم الثالث فقتلته، فخرج إليَّ الرابع فمازلنا [نتناضد][3] بالرماح يحمل عليّ وأحمل عليه، فلم يقدر علي ولا قدرت عليه حتى انكسرت رماحنا، فنزلنا عن دوابنا وأخذنا الترس والسيوف حتى انكسرت، فتصارعنا فمازلنا نتصارع حتى أمسينا وغربت الشمس وعيينا جميعاً.

فقلت: يا هذا قد فاتتني الصلاة في ديني اليوم وفاتك مثلها، فهل لك أن نتفرق ونقض فوائتنا ونستريح الليلة، فإذا أصبحنا عدنا إلى ما نحن فيه، قال ولك ذلك.

ثم تصارعنا ثالثا وقد انكسر قلبي[4] وصرعني وقعد على صدري وهمّ بذبحي، فقلت كنت عفوت عنك [هلا عفوت عني واحدة بواحدة، فتفضل][5] عليّ بهذه المرة واعف عني. قال ولك ذاك قم.

فتصارعنا أربعاً فصرعني وقعد على صدري وقال لي: قد عرفت الآن أنك

= الشوكة: واحدة الشوك وشوكة العقرب إبرتها والسلاح والقوة والبأس. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص1039.

(1) في النسخة كأنها "ما معي الا ترون".   (2) في النسخة "ليبارز الي".

(3) غير واضحة في النسخة.

نضد: الشيء نضدا ضم بعضه إلى بعض متسقا ويقال نضده بالنبل رشقه به فهو ناضد. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص777.

(4) هكذا في النسخة والظاهر أن الناسخ حرفها عن كلمة أخرى.

(5) في النسخة "فعفوت عني واحد بواحد فتضل" وصححتها بما يناسب السياق والله أعلم.

بطال لأذبحنك ولأريحن الروم منك. فقلت: كلا إن لم يشأه ربي لم تقدر على ذلك. فقال قل لربك يمنعني عنك. ورفع الخنجر ليضعه في حلقي. فقام صاحبي المقتول الشهيد يا أمير المؤمنين [. . .] وضرب رأسه من قبل أن ينزل بي الخنجر وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 169][(1)] الآية ثم خر مقتولا كما كان. فهذا أعجب شيء رأيته في أرض الروم. فتعجبها هارون الرشيد واستحسن هذا الحديث.

قال أهل العلم الجهاد أربعة: جهاد الروح، وجهاد القلب، وجهاد النفس، وجهاد اللسان.

أما جهاد الروح قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التّوبَة: 123] الآية.

وجهاد القلب قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحَجّ: 78].

وجهاد النفس قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العَنكبوت: 69].

وجهاد اللسان وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واعلم أن السخاوة خمسة: سخاوة الروح، والقلب، والنفس، واللسان، [والمال][(2)] .

فسخاوة الروح الغزو، وسخاوة القلب المعرفة وحب الله تعالى، وسخاوة النفس عبادة الله تعالى، وسخاوة اللسان ذكر الله تعالى، وسخاوة المال الإنفاق لأجل الله تعالى.

واعلم أن الله تعالى ذكر للمجاهدين خمس كرامات: المحبة، والنصرة، والغنيمة، والإضافة، والنجاة.

والمحبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4].

---

(1) كذلك جاءت في النسخة هنا بدون قوله تعالى ﴿يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 169].

(2) ساقطة من النسخة.

والثاني النصرة قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمَّد: 7].

والغنيمة لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: 69].

والإضافة قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجَادلة: 22][1].

والنجاة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصَّف: 10-11].

(1) في النسخة (هم الغالبون).

الباب الخامس والسبعون
في وعيد شارب الخمر

الخمر ما تتخذ من العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد فهو الخمر، لا يحل شربها ولا بيعها ولا يضمن متلفها ويكفر مستحلها.

وإن غلى واشتد ولم يقذف بالزبد قال أبو حنيفة ﷺ: يحل شربه وحكمه حكم العصير، وقالا رحمهما الله لا يحل شربه وحكمه حكم الخمر.

ولو طبخ أدنى طبخة ثم غلى واشتد وقذف بالزبد حرم شربه عندنا وحكمه حكم الخمر غير أنه لا يكفر مستحله لاختلاف فيه، وذلك أن [. . .][1] يقول إن هذا يحل شربه وحكمه حكم العصير ويسمى هذا [باذق][2] إلا أن بيع هذا [الباذق] جائز عند أبي حنيفة رحمه الله، وقالا رحمهما الله لا يجوز له إن هذا تحريم خفيف بدليل اختلاف الناس، فوجب أن لا يمنع ورود العقد عليه بخلاف المباشرة.

وإن طبخ حتى يذهب نصفه ثم غلى واشتد وقذف بالزبد فحكمه حكم [النيء][3].

وإن غلى واشتد ولم يقذف بالزبد حل عند أبي حنيفة رحمه الله، وقالا رحمهما الله لا يحل.

وكذا إن طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي الثلث ثم غلى واشتد وقذف بالزبد قال

---

(1) انظر حكم مختلف الاشربة المسكرة في الفقه الحنفي في "بدائع الصنائع" ج10 ص443.

(2) في النسخة كأنها "باذف" أو "باذن"، وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا. الباذق: ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخ فصار مسكرا. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص75.

(3) غير واضحة في النسخة وهي مترددة بين "النيء" و"التي"، وتراجع هذه المسائل في "بدائع الصنائع" ج10 ص443.

أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وهو قول أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ يحل وحكمه حكم العصير، ولا يحرم منه إلا القدح الذي يسكر.

وقال محمد رَحِمَهُ اللَّهُ وهو قول أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ أولاً وهو الحرام كالخمر، وكذا يسمى أبو يوسفي[1].

وروي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل عن الباذق، فقال: حرام شربه. وسئل عن [المنصف][2] فقال: حرام شربه. فسئل عن المثلث، فقال [ذهب] في نصيب الشيطان وبقي نصيب الله تعالى؛ فبان أنه يحل والحرام القدح المسكر.

كما روي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ سكرانا معه إدواته فذاق ما فيه، فقال: آه، هذا الذي فعل به ما فعل. ثم حبسه ودعا بماء وصب من الإدواه فيه وشرب. فلما أصبح الرحل أمر بحده. فقال: يا أمير المؤمنين تحدني في شيء شربته أنت؟ فقال: إنما أحدك سكرك. فدل بأن المسكر حرام وهو القدح المسكر في مثل هذه؛ أعني المثلث والمتخذ من الزبيب والتمر إن كان مطبوخا فغلى واشتد وقذف بالزبد حل بالاتفاق. وإن كان نيا قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أولاً هو حرام وهو قول محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم رجع فقال هو حلال.

ومن شرب غير الخمر من الاشربة المسكرات لا يحد حتى يسكر.

ومن شرب الخمر بعينها قطرة حد.

وعن عبد الله بن مبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المثلث «ذهب نصيب الشيطان وبقي نصيب الرحمن» قال: لما ركب نوح عليه السلام السفينة وقت الطوفان أدخل معه حب كل شجرة في الدنيا، فلما خرج منها يوم عاشوراء ما وجد حب الكرم، فأخبره جبرائيل عليه السلام أن الشيطان سلبه، فلما طلب منه قال اللعين لا أرده إلا أن تشاركني فيه، فقال لك السدس والباقي لي، فأبى الشيطان عليه اللعنة، فقال لك الربع فأبى، فقال لي النصف فما رضي الشيطان، فقال نوح عليه

---

(1) انظر "تحفة الفقهاء" ج3 ص325.

(2) في النسخة "المصنف" وصححته على حسب ما جاء في أنواع الاشربة في "بدائع الصنائع"، والله أعلم.

السلام ولك الثلثان، قال اللعين رضيت، فلهذا قال عمر ﷺ في المثلث ما سبق ذكره.

قال: فرد اللعين حب الكرم على نوح عليه السلام فغرسه ونبت، فنضح فيه إبليس فيبس الشجر، فاغتم نوح عليه السلام وجلس متفكرا، فجاء إليه اللعين في زي الآدمي وسأله عن تفكره، فأخبره، وقال لنوح عليه السلام عليه اللعنة: يا نبي الله أتريد أن يحضر الكرم؟ قال: نعم. قال: اذبح سبعة: الأسد، والذئب، والدب، وابن آوى، والكلب، والثعلب، والديك وصب دمهم في أصل الكرم فيحضر بأمر الله تعالى.

قال: ففعل نبي الله كذلك فاخضرت من ساعته وحملت ألواناً من العنب كما ترى اليوم وكان قلبه[1] لوناً واحداً.

قال الإمام أبو بكر رحمه الله: ولهذا يصير الشارب أولاً كالأسد، وقويا كالدب، وحين يسكر كالذئب، ومحدثا كابن آوى، ومقاتلا كالكلب، ومفتعلا كالثعلب، ومصويا كالديك.

وحرمت الخمر على قوم نوح عليه السلام في ذلك اليوم، وحرمت على هذه الأمة بدعوة نبينا عليه السلام حين قال: «اللهم حرم الخمر علينا»[2] فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائدة: 90-91][3]، فقال عمر رضي الله عليه "انتهينا".

قال حرم الله تعالى الخمر في هذه الآية في ثمانية مواضع:

أحدها: أنه تعالى قرنها إلى الميسر والأنصاب [وهذان][4] حرامان.

---

(1) هكذا جاء في النسخة ولعل الأصل "قبله" والله أعلم.

(2) لم أجد تخريجاً بهذه الرواية.

(3) المائدة: 92. وجاءت الآية كاملة ولا أدري لما أضاف "إلى قوله" في الأخير.

(4) في النسخة "وهذا".

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ولا شك بأن عمله حرام.

وقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ فلا يأمر بالاجتناب إلا من الحرام كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحَجّ: 30].

وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: 31] ولا فلاح إلا بالاجتناب عن الحرام كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5][1].

وقوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ في غير موضعها حرام، وكل ما يكون سبباً إلى الحرام فهو حرام.

وقوله ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ والصد عن الذكر والصلاة فهو حرام.

وقوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ نهانا عنه كنهيه عن الزنا، ولا شك بأن الزنا حرام.

وسئل أبو بكر محمد بن الفضل رحمه الله هل في القرآن تحريم الخمر منصوصا؟ قال في قوله ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البَقَرَة: 219][2] والإثم هو الخمر، وقد حرم الإثم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعرَاف: 33] [والإثم][3] هو الخمر كقول الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذلك الإثم يذهب بالعقول[4]

وبإسناد له رضي الله عنه قال: قال رسول الله «من شرب الخمر فسكر لم يقبل الله تعالى صلاته أربعين ليلة؛ فإن تاب تاب الله عليه، فإن شرب فسكر لم يقبل صلاته أربعين ليلة؛ فإن تاب تاب الله عليه، فإن شرب فسكر لم يقبل الله صلاته أربعين ليلة؛ فإن تاب تاب الله عليه، فإن شربها في المرة الرابعة فسكر لم يقبل الله تعالى صلاته أربعين ليلة؛ فإن تاب لم يتب الله عليه وكان حقاً على الله أن

---

(1) قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: 1-5].

(2) في النسخة (وقل).

(3) ساقطة من النسخة.

(4) لم أجد للبيت نسبة. انظر "تفسير القرطبي" ج3 ص60، و"تفسير الخازن" ج3 ص17.

يسقيه من نهر أو عين خبال. فقيل ما نهر خبال؟ قال: صديد أهل النار»[1].

قال عليه السلام: «لعنت الخمر على عشرة أوجه بعينها، وشاربها، وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وحاملها، وعاصرها، ومعتصرها، والمحمول إليه، وآكل ثمنها»[2].

وبإسناد إلى [أبي][3] أمامة الباهلي قال رسول الله ﷺ: «من شرب قدحا من خمر في الدنيا بعد تحريمها سقاه الله تعالى من حميم جهنم سبعين قدحا من سم حيات النار»[4].

وقال عليه السلام: «إذا مات شارب الخمر عرج بروحه إلى السماء والحفظة معه، فيقولون ربنا عبدك فلان مات وهو سكران، فيقول الله تعالى ارجعا إلى قبره والعنا عليه إلى يوم القيامة، فيرجعان إلى قبره ويلعنانه إلى يوم القيامة»[5].

وعنه عليه السلام: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان»[6].

قال الإمام الحاكم بإسناد له عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إذا دارت الأقداح وتشاموا الرياحين واحمرت [الوجنتان][7] تناثرت الحسنات ويصفهم الملائكة وحضرتهم الشيطان واهتز العرش غضباً ولعنهم الله تعالى من فوق سبع سموات»[8].

قال: حدثنا محمد بن نعيم بإسناد له عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى شارب الخمر يوم القيامة والكوز معلق في عنقه

(1) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص189.
(2) انظر "سنن ابن ماجة" ج2 ص1121، و"كنز العمال" ج5 ص366.
(3) ساقطة من النسخة. (4) لم أجد له تخريجاً.
(5) انظر "إرشاد القلوب" ج1 ص330.
(6) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج3 ص14، و"كنز العمال" ج16 ص84.
(7) في النسخة (الوجنان).
(8) وجدته برواية (بالرياحين)، و(وهجرتهم الملائكة). انظر "الفردوس بمأثور الخطاب" ص327.

ويصلب على خشبة من نار فينادي منادٍ: هذا فلان بن فلان [. . .][1] أهل الموقف من ريحه، فيستغيثون إلي من نتن ريحه ثم يكون مصيره إلى النار، فإذا طرح في النار ينادى ألف سنة واعطشاه واعطشاه، ثم ينادي مالكا فلا يجيبه مقدار ثمانين عاما، ثم يقع عليه سبعون داء كل داء أشد حرا من حر جهنم»[2] الحديث إلى آخره.

عن ابن عباس ﷺ قال: نادى إبليس لعنة الله عليه يا رب بعثت رسلا فمن رسلك وما كتابك؟ قال عزوجل رسلي الأنبياء [و][3] كتبي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قال: يا رب ومن رسلي؟ قال: الكهنة. قال: فما كتبي؟ قال: [الوشم][4]. قال: فما قرآني؟ قال: الشعر. قال: فما مسجدي؟ قال: السوق. قال: فما بيتي؟ قال: الحمام. قال: فما صديقي؟ قال: الكذاب. قال: فما مصائدي؟ قال: النساء. قال: فما طعامي؟ قال: طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما شرابي؟ قال: كل مسكر[5].

عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إن في جهنم لوادياً يستغيث أهل النار [منه][6] كل يوم سبعين ألف مرة، في ذلك الوادي بيت من نار، في ذلك البيت جب من نار، في ذلك الجب تابوت من نار، في ذلك التابوت حية لها ألف رأس في كل رأس ألف فم [في كل فم][7] عشرة آلاف ناب كل ناب ألف ذراع. قال أنس قلت: يا رسول الله لمن يكون هذا العذاب؟ قال: لشربة الخمر من حملة القرآن»[8].

قال: حدثنا أبو الفضل البرمعذري بإسناد له عن مجاهد عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين أعدائي؟ فيقول

---

(1) في النسخة كأنها (فتاذن)، والراجح أنه المقصود (فيتأذى). والله أعلم.
(2) وجدته مختصرا في "التذكرة للقرطبي" ص229.
(3) ساقطة من النسخة والله أعلم. (4) في النسخة "الوسم".
(5) انظر "المعجم الكبير" ج11 ص103.
(6) في النسخة (منها). (7) ساقطة من النسخة والله أعلم.
(8) انظر "جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين" ص423.

جبرائيل عليه السلام يا رب اعداؤك كثير، فأي أعدائك تريد؟ فيقول الرب جل جلاله وعم نواله ولا إله غيره: أين اصحاب الخمور الذين كانوا يبيتون سكارى ويستحلون فروج الحرام، سقهم إلى النار مع الشياطين»[1].

قال سمعت عنه أيضاً يحكي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: لو حفر بئر مقدار مائة ذراع عمقا ثم وقع فيه قطرة من خمر ثم كبس[2] البئر وبنى فوقه منارة لا أصعد تلك المنارة للأذان، وإن وقع قطرة من خمر في البحر ثم موج البحر وخرج الماء ثم رجع الماء إلى البحر ثم نبت الكلأ من بلل ذلك الماء فأكلت شاة من ذلك الكلأ ثم ذبحت الشاة لا أكل من لحمها.

وعن وهب بن منبه ﷺ كانت امرأة تخبز لشربة الخمر، فدخلت امرأة أخرى بيتها لكي تخبز في تنورها، فخبزتها لكي يفرغ التنور لها، وكانت الداخلة صالحة، فلما توفيت رآها بعض الزهاد في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قالت: إني أعذب منذ عشرين سنة بخبزي لشربة الخمر من غير قصد. فكيف أن لا يعذب شارب الخمر؟!، فيحفظ الله جميع أمة محمد ﷺ.

(1) انظر "إرشاد القلوب" ج1 ص327.

(2) كبس البئر ونحوها كبسا ردمها بالتراب والشيء ضغطه. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص463.

الباب السادس والسبعون
في وعيد الزاني

وإذا استأجر امرأة للزنا وزنى بها لا حد عليه عند أبي حنيفة ﷺ، وقالا رحمهما الله عليه الحد.

البالغ العاقل إذا زنى بالمجنونة والصبية فعليه الحد، والبالغة الصحيحة إذا [دعت][1] الصبي أو المجنون إلى نفسها فجامعها لا حد عليه، والفرق أن الجماع إنما يتم بفعل الرجل، والواطئ إذا كان ممن لا يجب الحد بوطئه يسقط عن الموطوءة لاشتراك الفعل؛ كمن سرق مع صبي أو مجنون لا قطع عليهما.

ولو زنى بامرأة في دبرها أو لاط بغلام لا حد عليه عند أبي حنيفة ﷺ، وقالا رحمهما الله يحد.

وإذا تزوج الرجل ذات رحم محرم عليه بالرضاع ودخل بها فعليه المهر ولا حد عليه عند أبي حنيفة ﷺ، وقالا لا مهر عليه وعليه الحد.

وإذا أَقر بالزنا مع امرأة بعينها فأنكرت لم يحد واحد منهما، وقالا يحد المقر.

وإذا ثبت الزنا بشهود أو بأربعة أقارير في أربعة مجالس فعليه الجلد إن كان غير محصن والرجم إن كان محصنا تقادم الزمان أو لم يتقادم، بدليل ما روي أن ماعز بن مالك ﷺ أقر أربع مرات في أربعة مجالس بين يدي رسول الله ﷺ بالزنا، فبعث عليه السلام عليا ﷺ إلى داره ليسأل عن حاله هل به خبل أو مرض أو جنون؟ فسأل. فقالوا لا. فأمر برجمه. فرجم وهرب، فاتبعه أصحابه ورجموه حتى مات ﷺ، فذُكر لرسول الله ﷺ فقال «هلا» خليتم سبيله فقد هرب من عذاب الله عزوجل»، قالوا إنه يهرب من أرض قليل الحجارة إلى أرض كثيرة

(1) في النسخة "ادعت".

الحجار حتى تعجل موته، فسكت النبي عليه السلام ثم قال: لقد تاب الله عليه وكفت توبته للعالم، ونجا من سياط مالك عليه السلام، فإن من زنى ثم مات قبل أن يحد يضربه مالك على باب النار مائة سوط من نار، كل سوط أثقل من جبل أُحد[1]، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النُّور: 2].

قال الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما وصل المهاجرون إلى المدينة صاروا في جهد وعناء من ضيق المعيشة وهم أربعمائة رجل، كان يومئذ في المدينة نسوة زواني يكتسبن بغير وجهن هن من أهل الكتاب، لهن من نعم كثيرة وأموال ومال طيبة، [فمال المسلمون][2] أن يتزوجوا بهن، فسألوا رسول الله ﷺ في ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النُّور: 3] إلى قوله ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: 3][3]فانتهوا عنهن.

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي عليه السلام قال: «[ما][4] استحل قوم الزنا وأكل الربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله تعالى»[5].

حدثنا أبو بكر الإسماعيل بإسناد له إلى حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله عليه السلام أنه قال: «يا معشر [المسلمين][6] اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا [فيذهب][7] بالبهاء من وجهه؛

---

(1) ليس واضحاً نهاية نص الحديث ولعله هنا والله أعلم، ولم أجد الحديث بهذه الرواية وإنما وجدته بروايات مختلفة انظر مثلاً "صحيح مسلم" ج5 ص118، و"شرح مسند أبي حنيفة" ج1 ص350.
وجاء في هامش النسخة "الخبل: ناقص عقل. صحاح". انظر "الصحاح" ج1 ص162.

(2) في النسخة "فمالوا المسلمين" والله أعلم.

(3) قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: 3].

(4) ساقطة من النسخة، وأضفتها لتناسب السياق والله أعلم. وأقرب رواية وجدتها هي «ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله».

(5) انظر "مجمع الزوائد" ج4 ص213.

(6) ساقطة من النسخة، ووجدت في بعض المراجع «المسلمين» وفي بعضها «الناس»، وفي آخر «الشبان».

(7) في النسخة كأنها (فيدنا).

ويورث الفقر؛ وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فيوجب سخط الله، وسوء الحساب، وطول العذاب»[1].

وبإسناده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي عليه السلام أن جبرائيل قال: «إن الله شكر لجعفر بن [أبي طالب][2] ﷺ بأربع خصال في الجاهلية وإسلامه فسله عنهن»، فجاء رسول الله ﷺ أبا جعفر فقال «يا ابن عمي إن الله تعالى شكر بك بأربع خصال، فأخبرني بهن. فقال: يا رسول الله لو كان السائل غيرك ما أخبرته، أوله فإني ما عبدت صنما في الجاهلية والإسلام وذلك لأني [رأيته][3] لا يضر، والثاني ما شربت خمرا قط لأني رأيتها تذهب بالعقول فكنت إلى زيادة العقل أحوج من نقصانه، والثالث ما كذبت كذبة قط في الجاهلية والإسلام لأني رأيت الكذب يزري بأهله وكفى للكاذب حزناً أنه يقول قد كذب، والرابع ما زنيت [غيرة مني][4] على الحرام وفزعا من أن يفعل [بعقبي مثله][5]. فقال عليه السلام: بهن صرت تطير مع الملائكة بأجنحتها»[6].

عن محمد بن سليمان ﷺ أن [القرشي][7] قال: بينما أسير إلى اليمن فإذا أنا بغلام واقف في الطريق يمجد ربه عزوجل ويقول:

[مليك][8] في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء[9]

فسلمت عليه فقال ما أنا براد عليك حتى تؤدي حقي الذي كتب عليك لي. قلت: وما حقك؟ قال أنا على مذهب إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا

---

(1) انظر "كنز العمال" ج5 ص319، و"الكبائر" للذهبي ص50.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) في النسخة (رأيته). (4) في النسخة (غيره من) والله أعلم.
(5) في النسخة (بعقبى امثله).
(6) وجدته برواية «لجعفر الطيار». انظر "تفسير حقي" ج1 ص469. وجاء وصف النبي ﷺ لجعفر بأنه يطير مع الملائكة في "المستدرك على الصحيحين" ج3 ص231، و"كنز العمال" ج11 ص661.
(7) غير واضحة في النسخة، جاء في "صفة الصفوة" "محمد بن سليمان القرشي".
(8) في النسخة "مكيل".
(9) جاء هذا البيت وهذه القصة في "صفة الصفوة" ج2 ص304.

أتغدى أو لا أتعشى إلا مع الضيف، وسرت ميلين في طلبك، [كل][1] اليوم أفعل كذلك، [فأجبني][2] يغفر الله ذنبك ويسهل طريقك، فذهبت معه حتى أتينا خيمته وصاح الغلام يا أختاه قومي إلى ضيفنا هذا، فقالت الجارية حتى أشكر الله الذي رزقنا من الضيف، فقامت الجارية وصلت ركعتين شكرا لله تعالى بوجودي.

فلما جلست في الخيمة واشتغل بالغلام بذبح العناق[3] رأيت الجارية أحسن النساء وجها، فكنت أسارقها [النظر][4]. فقالت لي: مه يا فتى، أما علمت أن صاحب يثرب عليه السلام قال: «إن زنا العين النظر»[5]؟!.

قال: فلما بتنا الليلة [بت أنا والغلام خارجاً وباتت الجارية في الخيمة وكنت أسمع دوي القرآن الليل كله بأحسن صوت يكون وأرقه، فلما أصبحت][6] قلت: أنت رجل أحق بهذا العمل فتنام وهي امرأة لا تنام؟ فقال: إن المرأة إذا وفقت إلى ذلك فما أصنع إذا أحرم؟![7].

قال: حدثنا محمد بن نعيم بإسناد له عن مودود المدني رضي الله عنهما أنه قال: كانت امرأة شاطرة بمكة فقالت لا أستريح حتى أوقع طاوس اليماني في الفتنة، وكان طاوس رجلاً جميلا زاهداً ممن يخاف الله تعالى، فعرضت نفسها عليه مراراً حتى قال لها يوماً الليلة تعالي أعمل مرادك وقت السحر، [فأتته][8]، فانطلق بها حتى أتى مقام إبراهيم عليه السلام وفيه جمع كثير، فقال اضطجعي ههنا. فقالت سبحان الله أما ترى الناس ولا تعرف ما هذا الموضع وشرفه كذا وكذا. فقال طاوس رحمه الله أتخافي الناس وتعظمي الموضع وتنسي الله ولا تخافي منه، وتعظمي الموضع ولا تعظميه وهو مطلع علينا ويرانا؟!. فصاحت المرأة وتابت ببركته.

---

(1) في النسخة "كذلك".
(2) في النسخة كأنها "فاحيني".
(3) العناق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص172.
(4) ساقطة من النسخة.
(5) انظر "كنز العمال" ج5 ص326.
(6) ساقطة من النسخة وأضفت الزيادة حسب ما جاء في "صفة الصفوة".
(7) جاء في المرجع «قال لي: ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخذول ؟!». انظر "صفة الصفوة" ج2 ص305.
(8) غير واضحة في النسخة، وهذا أقرب شكل لها.

فالنكتة من يميل إلى الصالح بغرض فاسد يحصل له الصلاح، فكيف من يحب الصلاح ويسمع قوله لأجل الله تعالى.

قال: حدثنا أبو الفضل أيضاً عن منصور بن عمار رحمهما الله أنه كان يمشي ليلاً فسمع قول رجل لامرأة خذي درهمين، فغير منصور نفسه وقال لها أعطيك خمسة دراهم تخلية و[ادخلي][1] داري، فأتت مع منصور إلى داره فاشتغل منصور بالصلاة وهي تنظر إليه، فلما مكث قالت [تكلم][2] إلي أو خلني. فقال منصور: أسألك مسألة، ما تقولين فيمن ادعى وأتى على ذلك بشاهدين عدلين، هل يؤخذ منه الحق؟ قالت: نعم. قال: لو أوتي بأربعة شهود، هل يقضى له؟ قالت: هذا أولى. قال: ولم يعلم الحاكم مع هؤلاء العدول هل يقضي له؟ قالت: وكيف لا يقضي؟!. قال منصور: أولاً تعلمي أن علينا شهودا أربعة والحاكم يعلم؟!. فوثبت المرأة من مكانها وقالت: بيّن لي ما تقول ومن الشهود والحاكم؟ قال: شاهدان على منكبيك وشاهدان [على][3] منكبي كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10-12]، ثم قال الله بسم الله الرحمن الرحيم وابتدأ من سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العَلق: 1] حتى بلغ إلى قوله ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العَلق: 14] فصاحت المرأة صيحة وخرت، فحركها فإذا هي ميتة.

وعن عبد الرحمن أنه قال: خرجت ذات ليلة فإذا [أنا][4] بجارية كأنها صنم حسنها، فراودتها عن [نفسها][5] فقالت: يا هذا مالك زاجر من عقلك إن لم يكن لك واعظ من ربك. فقلت ما يرانا إلا الكواكب. فقالت: يا أحمق فأين خالق الكواكب؛ ألا يرانا؟!. فأثر عليّ قولها وتبت إلى الله تعالى وما رجعت بعد إلى ذلك، فمن يكون للانتباه ينتبه بقول المرأة، ومن لم يكن للانتباه لا ينتبه بالوحي.

---

(1) في النسخة "ادخلن".
(2) في النسخة "كلم".
(3) ساقطة من النسخة.
(4) في النسخة كأنها "أُتي".
(5) في النسخة "نفسي".

الباب السابع والسبعون
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وإذا اشترى المسلم من الذمي خمرا فشربه فالشراء باطل ولا ضمان عليه بالاتفاق.

ولو أتلف المسلم خمر ذمي ضمن قيمتها عندنا، وقال الشافعي رحمه الله هذا أولى بعدم الضمان عليه.

ولو أن الذمي أتلف خمر ذمي يجب عليه الضمان، ولو كسر شيئاً من الملاهي لمسلم ضمن قيمتها حطبا أو وعاء إن كان يصلح له دون آلة اللهو عند أبي حنيفة، وهو قول الشافعي رحمة الله عليه.

وقالا رحمهما الله: لا ضمان عليه له إنها أعيان يمكن الانتفاع بها دون آلة اللهو، فوجب أن يتقدم على متلفها كقتل الجارية المغنية.

قال الفقيه رحمه الله: سألت الإمام أبو بكر محمد بن الفضل رحمهما الله لو أن رجلاً كسر [خابية][1] خمار أو عود المغني قال لا يضمن في قولهما لأنه لو لم يكسرها تكون للمفسدة قائمة، فيكسرها لكي ينزجر الخمار عن سوء فعله.

قال الإمام الأخذ بقول محمد والشافعي رحمهما الله في مسألة المسكرات أفضل، إنه حرام قليله كما هو حرام كثيره.

والأخذ بقولهما في كسر الملاهي أفضل لأنا لو أخذنا بقول أبي حنيفة رحمه الله امتنع الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة أن يلحقهم ضمان ما

(1) في النسخة "خايبة".
الخابية: وعاء الماء الذي يحفظ فيه (ج) الخوابي. وأصل الخابية الخابئة وأصل الخوابي: الخوابئ؛ سهلت الهمزة فيهما للتخفيف. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص444.

تلفوا من الملاهي، فلا يدخلون في مدح الله تعالى حيث قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عِمرَان: 110][1] الآية وتحت قوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبَة: 71][2]، فمن يأمر بالمعروف وينهى

---

(1) قال الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 110].

(2) جاء في هامش النسخة "وهجر ابن عمر ابناً له إلى أن مات، وأصل ذلك أن من وقف على منكر ولم يستطع أن ينكره بيده ولسانه وأمكنه أن يظهر دلائل الإنكار يلزمه ذلك، إذ لا ينبغي للمؤمن أن [يترك] أحدا على منكر لقرابته ولصداقته ومودته، فإن صداقته ومودته توجب له أن ينظر إليه بنظر الرحمة ويرى إقدامه على المنكر مصيبة على نفسه؛ ويكون مغتما حزينا من تعرضه لعقاب الله تعالى، ويقصد تخلصه منه بالإنكار عليه إذ ليس من مقتضى الرحمة له ترك الإنكار عليه وعدم التعرض له، بل من كمال الرحمة له الإنكار عليه ورده إلى المنهج القديم والصراط المستقيم وإلا تنقلب صداقته عداوة يوم القيامة كما أخبر الله تعالى عن ذلك وقال ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: 67]، فإن كل واحد من الأخلاء غير المتقين يقول في ذلك اليوم ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفُرقان: 28]، ﴿ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزّخرُف: 38]، فصديق الإنسان من يسعى في عمارة آخرته وإن كان فيه ضرر لدنياه وعداوة.
من يسعى في خسارة آخرته وإن كان فيه نفع لدنياه وقال قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المَائدة: 2].
ولا شك من رأى أخاه المسلم على منكر ولم ينهه عند فقد أعانه عليه بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر وعدم الاعتراض عليه.
وروي عن أبي هريرة أن رجلا يتعلق برجل يوم القيامة وهو لا يعرفه، فيقول له مالك تتعلق بي وما رأيتك قط ؟. فيقول: بلى قد رأيتني يوما على منكر فلم تغيره.
وروى ابن عمر أن رجلا يؤمر به إلى النار ويؤمر بجلسائه أيضا، فيقولون مالنا ؟. فيقال لهم أكنتم تأمرونه ؟. أكنتم تنهونه ؟. فيقولون لا. فيقال إذاً اذهبوا إلى النار. وهذا [خطر] قلما تقع السلامة لأن كثيرا من المنكرات تظهر في كل زمان فلا تغير بل يقع [السكوت] عنها لاستئناس النفوس، ولذلك قال النبي عليه السلام في حديث رواه أبو سعيد «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» إلى آخره. مجموعة".
وجاء في الهامش أيضا "روي عن أبي سعيد أنه عليه السلام قال «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، فإذا لم يوجد فيه ضعف الإيمان فماذا يرجى أن يوجد فيه، فإنه عليه [السلام] اخبر بهذا الحديث أن التغيير بالقلب أضعف الإيمان إلى آخره. مجموعة".

عن المنكر يستحق مدح الله تعالى، ومن مدحه الله أدخله الجنة.

وقال الله تعالى في شأن المنافقين ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: 67]، جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة المؤمنين، وترك الأمر بالمعروف [والنهي عن][1] المنكر صفة للمنافقين، فاختَر أيها العاقل أي الصفين شئت.

وفي قصة لقمان الحكيم قرن الله تعالى الصلاة والأمر بالمعروف حيث قال ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان: 17]، فكما أن تارك الصلاة يأثم فكذا تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأثم كذلك.

قال: حدثنا أبو بكر الحربي بإسناد له عن أم حبيبة زوج النبي عليه السلام قالت: قال رسول الله ﷺ: «كل كلام ابن آدم [عليه][2] لا له إلا الأمر بالمعروف أو نهي عن المنكر»[3].

عن عبيدة بن محمد قال: إن رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن منكر فغلوه، فقطعت يداه ورجلاه وألقي في السجن، فكتب إليه رجل من إخوانه يعزيه، فأرسل إليه [المحبوس][4] لو كتبت هنئتني أصبت لأني قد أصبحت في منزل الرغائب أنظر في العجائب فما ظنك بالكريم، ثم يتوب برحمته على من يؤذيه فكيف من يؤذي فيه، فإني [أهنئ][5] نفسي بذلك وأكون فرحا مستبشرا فاعلم.

وحكي عن أبي بكر الشبلي رحمه الله أتى سفينة فيها خمور [المعتصم الخليفة][6]، فصبها، فدعاه الخليفة وقال لم فعلت هذا؟ فقال للخليفة لو علمت أن في بطنك خمرا شققته بهذه الحربة. فقال المعتصم: أنا أعلم ما قصدك من هذا، قصدك أن أقتلك حتى تصير شهيداً، فوالله لا أفعل ما قصدت؛ ونعم الرجل أنت.

(1) في النسخة كأنها "عن". (2) ساقطة من النسخة.
(3) انظر "جامع العلوم والحكم" ص115، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص70.
(4) في النسخة كأنها "المجوسي".
(5) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(6) في النسخة "معتصم للخليفة" والله أعلم.

قال سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل [يقول][1]: إن زاهداً كسر آلات الملاهي من مروان بن حكم، فأمر أن يلقى في بيت فيه الأسود، فألقي، فلما دخل افتتح الصلاة أيضاً والأسود يلحسن له بألسنتهن جميع ثيابه، فحسب[2] وهو يصلي كل الليلة ولا يبالي، فلما أصبح مروان عليه اللعنة[3] قال انظروا إليه كيف حاله؟ فنظروا فإذا الأسود يتبركن ويستأنسن به. فتعجبوا وأحضروه إلى اللعين، قال له: أما كنت تخاف الأسود؟ قال: كنت مشغولا بالتفكر طول الليلة لم أتفرغ إلى خوف منها. قال له: بماذا كنت تتفكر؟ قال: إنهن سباع ويلحسن ثيابي، فكنت أتفكر أن لعابهن طاهر أم نجس؟ فتعجب وخلى سبيله.

قال سمعت الفقيه الزاهد إبراهيم بن إسحاق يحكي عن ابن عتاب رحمهم الله أنه دخل المدينة ليزور أخا له في الله، فكان غلمان الأمير نصر بن محمد مشغولين بالطرب، فقال يا نفس اتق الله إن سكت فأنت شريك، فرفع رأسه إلى السماء واستعان الله وأخذ العصا وحمل عليهم حملة فولوا منهزمين، فرفعوا [أمره][4] إلى السلطان، فدعاه الأمير وقال: ألا تدري أن من يخرج إلى السلطان يتغدى في السجن؟ قال أبو عتاب: أما علمن أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النار؟ قال: من ولاك الحسبة[5]؟ قال: من ولاك الإمارة؟ قال: أنا ولاني الخليفة. قال: ولاني الحسبة رب الخليفة. قال: وليتك الحسبة بسمرقند. قال: عزلت نفسي عنها. قال: العجب منك، تحتسب حين لم تؤمر وتمنع حين تؤمر؟ قال: لأنك إذا وليتني عزلتني وإذا ولاني ربي لم يعزلني أحد. قال الأمير: سل حاجتك. قال: حاجتي أن ترد عليّ شبابي. قال: ليس ذاك إليّ. قال: اكتب إلى خازن النار لا يعذبني وإلى رضوان فيدخلني الجنة. قال ليس هما في يدي. قال:

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) هكذا جاء في النسخة ولعل الناسخ صحفها عن كلمة "حبس" والله أعلم.

(3) الراجح أن سبب لعن مروان هنا هو ما جاء في أخباره في الفتنة، وفي هذه المسألة ننصح بعدم الأخذ بأي كتاب وإنما المراجع المعتدلة مثل "العواصم من القواصم" لابن العربي.

(4) ساقطة من النسخة، وأضفتها ليتسق النص.

(5) يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

دعني وربي عز وجل هو يقضي حوائجي ولا يعجز عما أسأل عنه، فخلاه.

وقيل: الأمر بالمعروف على ثلاثة أوجه: باليد هو إلى السلطان أن يعزر حتى ينزجر الناس، واللسان وهو إلى العلماء أن ينصحوا ويعدوا ويخوفوا حتى ينزجروا، وبالقلب وهو إلى العامة لا يرضون ويبغضون إلى الفسقة[1].

قال: حكي عن أبي هريرة ﷺ قلنا يا رسول الله [إذا لم نأت ما تأمر ولم ننته مما تنهى][2] أنأمر بالمعروف؟ قال رسول الله ﷺ: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا»[3].

قال مالك بن سليمان: ذهب المعروف وجاء المنكر، ثم قال: ذهب الرجال المقتدى [بفعالهم][4] وجاء المنكرون لكل أمر منكر.

(1) ولها أحكام تراجع في كتب الفقه وليس كل شخص يتولها من غير معرفة بأحكامها وشروطها.
(2) في النسخة كأنها "إذا لم نأت ما نأمر ولم ننته مما ننهى".
(3) انظر "المعجم الصغير" ج2 ص175، و"كنز العمال" ج3 ص66.
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
قال ابن القيم «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم». انظر "الفوائد" ص61.

الباب الثامن والسبعون
في التوبة وما فيه

المحدود في القذف لا تقبل شهادته وإن تاب، وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن تاب تقبل. لنا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ﴾ [النُّور: 4].

إذا ارتد المسلم عن الإسلام ـ والعياذ بالله، فزنى أو شرب الخمر أو سرق أو قذف إنساناً ثم أخذه الإمام وتاب لم يحد إلا في حد القذف ويضمن السرقة ولا قطع عليه.

والذمي والمستأمن إذا زنى أو قذف أو شرب خمرا أو سرق عليه حد الزنا والقذف وضمان السرقة دون حد الشرب والقطع.

والكافر الأصلي إذا أسلم لا يجب عليه شيء من العقوبات وصار كما ولد مما سبق منه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ [المَائدة: 95] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشّورىٰ: 25].

وقد ندب الله تعالى عباده إلى التوبة ليغفر خطاياهم فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التّحْريم: 8][1]، وقال عليه السلام: «التوبة

(1) جاء في هامش النسخة: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التّحْريم: 8] حكاية: قيل نصوح اسم رجل وهو [يحلق] رؤوس الناس في الحمام، ودخل يوما من الأيام إلى حمام النساء وتزي بزيهن، وكان هو رجلا لا لحية له، فتشبه بهن ودخل معهن الحمام، وكانت زوجة السلطان معهن في الحمام [وفقدت] خاتمها في الحمام، وأغلق الحمامي أبواب الحمام لتجسس الخاتم وطلبن ولم [يجدن]، فقصدن أن يروا في [فرج] النساء، فذهب النصوح إلى خلوة من [خلوات] الحمام وبكى بكاء شديدا وتضرع إلى الله تعالى وتاب توبة صادقة وعهد أن [لا يعود] إلى مثل ذلك الفعل، فوجد الخاتم قبل أن يروا فرجه، فثبت على ذلك العهد ولم [ينقض] توبته إلى أن [مات]. وقال النبي عليه السلام «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: 114]. مجموعة". انظر الحديث في "سنن البيهقي" ج10 ص154.

من الذنب الندم والاستغفار»[1].

قال: حدثنا الحاكم أبو نصر وأبو عبد الله المطوعي بإسنادهما إلى جابر رضي الله عنه أنه قال: كان فتى من الأنصار يقال [له][2] ثعلبة بن عبد الرحمن ممن يحب رسول الله ويخدمه، فمر يوماً بباب رجل من الأنصار فرأى فيه امرأة، فكرر النظر ثم ندم وخاف من الله تعالى أن يعاقبه وينزل الوحي إلى رسول الله[3]، فخرج هارباً من المدينة خوفاً من الله وحياء من رسول الله حتى أتى جبلاً بين مكة والمدينة، فمكث أربعين يوماً يعتذر لله تعالى مما صنع، وكان الرسول يسأل عنه كل يوم حتى نزل به جبرائيل عليه السلام وقال أدرك الهارب والمتعوذ من ناري وسخطي؛ وهو بين جبال مكة والمدينة.

فبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهما، فخرجا حتى [لحقا][4] من رعاة المدينة وهو [دفافة][5] فقال له عمر رضي الله عنه: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟ فقال: لعلك تريد الهارب من جهنم. فقال عمر: بم عرفت أنه هرب من النار؟ قال: لأنه إذا كان نصف [الليل][6] خرج علينا من هذه الشعب واضعاً يده على أم رأسه يبكي وينادي ياليتك قبضت روحي ولا تحشرني [لفصل][7] القضاء.

فمكثا عنده حتى خرج [في][8] نصف الليلة على حاله [ذلك][9]، فتقدم إليه عمر رضي الله عنه، فلما سمع حسه قال: الأمان الأمان من النار. قال له عمر رضي الله عنه: لا تخف أنا عمر بن الخطاب. قال ثعلبة: يا عمر أعلم رسول الله عليه السلام بذنبي؟ قال: لا علم لي بذلك إلا أنه عليه السلام أخبر بطوافك بين جبال مكة، فبكى وأرسلني إليك. فقال: لا تدخلن إليه إلا وهو قائم يصلي، فذهبوا وقد وافق

---

(1) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج6 ص264، و"شعب الإيمان" ج5 ص381.

(2) ساقطة من النسخة وأضفتها ليصح السياق والله أعلم.

(3) هكذا جاء في النسخة ولعل الأصل "وخاف من الله أن يعاقبه وينزل به الوحي إلى رسول الله" والله أعلم.

(4) في النسخة كأنها "يحقا".

(5) في النسخة كأنها "رفاقه"، وجاء في بعض المراجع "دفافة" وفي بعضها "ذفافة".

(6) ساقطة من النسخة والله أعلم.

(7) في النسخة "لفضل".

(8) ساقطة من النسخة.

(9) في النسخة "ذكر".

البلوغ التماسه، فدخلوا المسجد، فلما سمع ثعلبة قراءة رسول الله خر مغشياً عليه، فلما سلم النبي عليه السلام وهو صريع فسأل النبي عليه السلام عنه، فقالوا ها هو ذا يا رسول الله، فأتاه فحركه حتى انتبه؛ وقال عليه السلام: «ما الذي غيبك عني؟ قال: ذنب عظيم. قال عليه السلام: بل كلام الله أعظم»، وأمره بالانصراف إلى منزله.

فانصرف [ومرض][1] ثمانية أيام، فعاده رسول الله عليه السلام وهو في النزع، فوضع رسول الله عليه السلام رأسه في حجره، فأزاله، فقال عليه السلام: «بم أزلت رأسك عن حجري؟ قال: رأس مذنب لا يحسن في حجرك. فبكى النبي عليه السلام [و][2] قال له: ما تجد في نفسك؟ قال: مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي. قال: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قال: فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد يقرئك [ربك][3] السلام ويقول: لو لقيني عبدي بقراب الأرض خطيئة [لقيته][4] بقرابها مغفرة»، فأعلمه ذلك رسول الله ﷺ، فصاح صيحة وخر ميتا.

فأمر رسول الله عليه السلام بغسله وكفنه، فلما حمل إلى قبره أقبل النبي عليه السلام يمشي على أطراف أصابعه، فقيل يا رسول الله رأيناك تمشي على أطراف أناملك؟ فقال «لم استطع أن أضع رجلي على الأرض من كثرة أجنحة من شيعه من الملائكة»[5].

عن جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: كان رجل في عهد النبي عليه السلام يقال [له][6] بهلول النباش في المدينة، وكانت في جواره امرأة [عذراء. . .] حسنها، فلما قرب أجلها دعته وقالت خذ مني ثمن كفن واعهد إلي أن لا تفضحني بنزع كفني، فعهد إليها وأخذ الثمن، فماتت المرأة وخدعه إبليس عليه اللعنة، فنقض العهد ونبشها، وكانت ليلة قمر أي فأعجبه حسنها، فهم أن

---

(1) في النسخة "ورض".
(2) ساقطة من النسخة والله أعلم.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) في النسخة (لقيتها).
(5) انظر "الموضوعات" لابن الجوزي ج3 ص123.
(6) ساقطة من النسخة.

يجامعها فغطت عورتها بيدها اليمنى بأمر الله تعالى، فدفع يدها فغطته باليسرى، فمازالت تضعها وهو يرفعها حتى غضب فقطع يديها وجامعها على رأس القبر، فسمع منها صوتاً من لست تفي إذ لم تف العهد ونجستني بين الموتى، فغشي عليه.

فلما أفاق ندم على صنيعه فتوجه إلى النبي عليه السلام وقص القصة، فقال رسول الله ﷺ: «اغرب عني يا ملعون حتى تجيء نار فتحرقنا جميعاً بشؤم ذنبك»، قال فخرج من عنده آيسا وهو يبكي على ذنبه، وتوجه إلى المغارة بين جبال مكة والمدينة، فجاء جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد رب العرش يقرئك السلام ويقول لم طردت عبدي التائب من الذنب؟ اذهب واطلبه وأخبره بأني قد قبلت توبته.

فخرج مع نفر من أصحابه يطلبه فوجده وهو ساجد يبكي ويقول: كبرت معصيتي وقد آيست من محمد ﷺ فاقبل توبتي، فعانقه النبي عليه السلام وقبل عينيه(1)، فأخبره بقبول التوبة وبالوحي الذي أوحى إليه، فسجد وقال: اللهم اقبضني ولا أريد الحياة بعد هذا، فمات من ساعته(2).

عن علي رضي الله عنه يقول: خرجت يوماً مع رسول الله عليه السلام فقال لي: يا علي كل هم ينقطع إلا [هم](3) أهل النار فإن همه لا ينقطع، وكل نعمة وسرور يزول إلا سرور أهل الجنة ونعيمهم فإنه لا يزول أبد الأبد. يا علي إذا [أذنبت](4) ذنبا فلا تؤخر التوبة إلى الغد ومسافة بعيدة وهو مضي يوم وليلة(5).

قال الحكماء من [رزق](6) أربعاً لم يحرم أربعا: من رزق الدعاء لم [يحرم](7) الإجابة لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60]، ومن رزق [الشكر](8) لم يحرم الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 7]،

---

(1) لعل الأصل "بين عينيه".
(2) لم أجد له تخريجاً.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) في النسخة (ذنب) والله أعلم.
(5) قد يكون نص الحديث ينتهي هنا، ولم أجد حديثاً بهذه الرواية، والجزء الأول من الحديث وجدته في "كنز العمال" ج15 ص799.
(6) في النسخة "ارزق".
(7) في النسخة "يحرق".
(8) في النسخة "الاستغفار".

[ومن أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نُوح: 10][1]، ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشّورىٰ: 25][2].

قال سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم بإسناده عن الحسن البصري ﷺ أن الله تعالى قال: يقول يا ابن آدم عليك الإملاء وعلينا الكتابة، يا ابن آدم عليك السؤال وعلينا الطعام، يا ابن آدم عليك الشكر وعلينا الزيادة، يا ابن آدم عليك الاجتهاد وعلينا التوفيق، يا ابن آدم عليك التوبة وعلينا القبول.

حكي أن مالك بن دينار ﷺ مر بشابين يلهوان، فوعظهما، فقال أحدهما دعني يا مالك أدق الدنيا، وقال الآخر أنا أسد من الأسود. فقال له مالك بن دينار: سيأتيك أسد تصير عنده ثعلب. فلم يلبث أن مرضاً جمعيا، فعادهما مالك، فلما دخل على الذي قال "أنا أسد" قال يا مالك جاء الأسد وصرت له ثعلبا فالغياث الغياث، فقال مالك تب إلى الله فإنه تواب رحيم، فنودي من زاوية البيت جربناه مراراً فوجدناه كذوبا.

ثم [مر على الآخر][3] فكان عنده إذ نودي للمريض: أنت قلت لمالك دعني أدق الدنيا، فوالله لأدقق روحك، ثم مات.

عن مناجاة يحيى بن معاذ الرازي ﷺ: إلٰهي إن كنت غير أهل لما أرجو من رحمتك فأنت أهل أن تجود على المؤمنين بالمغفرة، إن كان ذنبي قد أخافني فحسن الظن بك رجاء، إلٰهي إن كنت غير مستوجب لمعروفك فأنت أهل [التفضيل][4] علي والكريم ليس [يضيع][5] معروفه عند مستوجبه.

قال: سمعت أبا عبد الله المطوعي قال سمعت ابن أبي جعفر الفقيه يحكي عن [السري][6] السقطي رحمهم الله أنه قال: مكثت عشرين سنة اخرس خلق

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) ووجدت هذا النص في الأحاديث النبوية الشريفة وليس من كلام الحكماء، انظر "شعب الإيمان" ج4 ص125، و"كنز العمال" ج15 ص873.

(3) في النسخة "على الاخرة". (4) في النسخة "التفصيل".

(5) في النسخة "يضع". (6) في النسخة "سرير". =

الله تعالى، فلم يقع شبكتي إلا واحد، قلت يوماً في مجلس بغداد عجبت من ضعيف عصر قويا ولا يبالي، فلما فرغت أقبل عليّ غلام معه من الخدم، فقال: يا شيخ ما أردت من قولك ضعيف لا يخاف من القوي؟ فقلت: أضعف الضعفاء ابن آدم وأقوى الأقوياء ربنا الله تعالى.

فبكى ثم قال: هل ينقذ ربي عزوجل غريقا مثلي؟ قلت: ومن ينقذ الغريق إلا هو عزوجل. فقال: عليّ مظالم كثيرة لا أعرف خصمائي. قلت إذا صححت التوبة والانقطاع إلى الله تعالى يرضى [خصماؤك][1] فقد بلغنا عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولي الله تعالى وكل الله بكل عبد منهم ملكين يقولان لا [تروعوا][2] اليوم وليّ الله تعالى فإن حقكم اليوم على الله تعالى»[3].

فبكى ثم قال لي: صف لي الطريق إلى الله تعالى. قلت: إن كنت تريد طريق المقتصدين فعليك بالصيام وما وجب عليك وترك ما نهيت عنه، وإن كنت تريد طريق الأولياء المحققين فاقطع العلائق واتصل بخدمة رب الخلائق، فبكى حتى ابتلت [. . .] ثم انصرف.

فلما كان من الغد أتاني وعليه أثر التوبة والإنابة، فجلس إليّ وقال: طبيب والله، والله لا أسألك إلا أصعب الطريقين. فقام وسلم عليّ ثم انصرف.

فمضى أياما وأتاني خادم قال: يا شيخ رأيت أحمد بن زيد الكاتب؟ قلت: لا أعرفه. قال: الفتى الذي تاب بيدك افتقدناه، فنسجت العنكبوت على داره وسموه المفقود، وتفرق الخدم وتخرب الأوهام، [فإن][4] تسمع منه خيراً

= السري السقطي (253 هـ) سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه. قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت. انظر "الأعلام" ج3 ص82.

(1) في النسخة "خصماك". (2) في النسخة (تروعون).

(3) جاء هذا الحديث وبقية القصة في "تفسير حقي" ج1 ص323.

(4) في النسخة "فلم".

فأعلمنا، ووصف لي منزله. فبعد ستة أشهر بينما أنا بعد صلاة العشاء بفتى كأنه شف[1] بالٍ متغير اللون ضعيف البدن [ملفف بعباءة][2] وفي يده زنبيل[3]، فعانقني وقبل صدري وقال: يا سري أنقذك الله كما أنقذتني. فقلت: من أنت؟ قال: أنا أحمد بن يزيد[4] الكاتب، تركت دنياي وتخليت بطاعة مولاي.

فأخذت من يده وانطلقت به إلى [منزلي][5] وأرسلت إلى منزله بخبره، فما مضى إلا قليل حتى أقبل عبيده وخدمه ومعهم امرأة من سراة[6] الناس متزينة بأنواع الحلل راكبة ومعها صبي [حماتي][7]، فأقبلت المرأة عليه وقالت: أرملتني وأيتمت ولدك وأنت في الحياة؟ فقال الفتى: يا سري لو علمت أنك [تخبرهم][8] ما جئت إليك.

فأقبلت المرأة تبكي وتتضرع وتصيح والصبي والخدم وهو لا يلتفت إليهم ويقول آه لقد فاتني وردي الليلة. فلما أيسوا منه قالت المرأة: إن كنت لا ترجع إلينا فهذا ابنك، فأخذه وأدخله البيت ونزع منه ما كان عليه من الحلي والثياب وأعطاه الزنبيل فيه نوى، فلما رأته أمه ما رضيت وقالت ابني لا يقوى على هذا؛ فأخذته.

فلم يزالوا يبكون عنده وهو يبكي ويذكر الله تعالى حتى انفجر الصبح، فودعهم وولى، وكيف يلتفت إليهم وقد استأنس بخدمة مولاه.

ثم غاب عني فمضى ما شاء لم أعرف له خبراً إذ أنا بطارق ذات ليلة يطرق

(1) الشف: ستر رقيق يستشف ما وراءه. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص1011.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) الزنبيل: القفة. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص807.
(4) من الملاحظ أنه جاء مرة باسم "زيد" ومرة باسم "يزيد" وتركته كما جاء في النسخة لأني لم أجد له ترجمة.
(5) في النسخة "منزله" وصححتها بما يناسب السياق والله أعلم.
(6) السراة: سراة كل شيء أعلاه ووسطه ومعظمه. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص887.
(7) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
الحمئ: يقال رجل حمئ العين شديد الإصابة بها. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص408.
(8) في النسخة "تحبرهم".

بابي، فخرجت إليه فقال هذا منزل السري السقطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ قلت: نعم. [قال][1] شاب هو في المقابر الشويزي[2] يجود بنفسه ـ أي يموت ـ قال لي أرني وجه السري. فبادرت حتى أتيت إليه فرأيته شاباً مضطجعه على الأرض [ملتف][3] بكسائه واضعاً رأسه على حجر ليس عنده أحد [. . .]، فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: يا سري أنقذك [الله][4] كما أنقذتني، ألا تعرفني؟ أنا أحمد بن يزيد الكاتب [أفارق][5] الدنيا وأصل إلى ربي عزوجل وقد ضيعت شبابي فأخاف. فقلت: لا تخف فإنه غافر الذنب وقابل التوب.

ثم قال: تحت رأسي دراهم من كسبي فجهزني بها ولا تخبر أهلي فإنهم يكفنون من حرام، فمكثت عنده ساعة ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون. ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فأخذت الدراهم ورجعت منه وأخبرت أصحابي، فلما أسفر الصبح قمنا وذهبنا مستعدين بتجهيزه، ورأيت الناس يتسابقون، فقلت اليوم ليس بعيد فمالكم تبتدرون وتجتمعون؟ قالوا يا سري أولم تسمع المنادي كل الليلة "من أراد أن يحضر جنازة ولي الله فليحضر مقابر الشويزي". قلت: يا قوم دعونا نغسله ونكفنه. قالوا والله إنه محنط مكفن؛ وكان على كفنه مكتوب "هذا جزاء من آثر الآخرة على الدنيا وطلب رضاء المولى".

فحملناه على نعش وعليه [كفن][6] لم أر مثله، فمضى اليوم ولم يتمكن دفنه من كثرة ازدحام الناس، فلما كان بعد العشاء دفناه، فحملتني عيناي فإذا أنا به مزمل في السندس والإستبرق وهو يقول لي: جزاك الله عني خيرا. فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة فلم يسألني عن ذنبي.

قال سُئل عليّ بن أبي طالب عن رجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب حتى فعل

---

(1) في النسخة "قاب".
(2) تكرر هذا الاسم في النسخة في موضع قادم بهذا الشكل.
(3) في النسخة كأنها "ملتقة".
(4) الظاهر أن اسم الجلالة ساقط من النسخة والله أعلم.
(5) في النسخة "فارق". (6) في النسخة "أكفان".

ذلك مرارا؟ فقال: يتوب في كل مرة. فقال السائل إلى متى؟ قال قبل أن يحسر عنك الشيطان ولا تحسر أنت.

وسُئل عن كافر أسلم ومذنب مسلم تاب أيهما أكرم على الله؟ قال: التائب لأنه كان عريفا ـ أي عارفا بالله ـ فصار صديقا، والكافر كان أجنبيا فصار بالإسلام عريفا، والصديق أكرم من العريف.

الباب التاسع والسبعون
في فضل ذكر الله تعالى

وإذا قرأ الإمام في صلاته ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: 28-29] فقال المقتدي "صلى الله على محمد" أو قال "النبي عليه السلام" هل تفسد صلاته؟

قال الإمام أبو بكر محمد بن الفضل: الصلاة على النبي في الصلاة لا تفسد الصلاة، ولكن الأفضل أن يسكت.

ولو قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يُوسُف: 5] فقال المقتدي "لعنة الله عليه". ذكر أبو سهل البخاري في كتابه لا تفسد صلاته.

ولو قال: اللهم ارزقني واغفر لي أو أدخلني الجنة، أو قال: نجني من النار لم تفسد صلاته لأن الكل موجود في القرآن.

ولو قال المصلي للعاطس "يرحمك الله" فسدت صلاته.

ولو عطس الرجل في الصلاة فقال "الحمد لله" لا تفسد [صلاته][1].

ولو قال المقتدي للإمام إذا قام فيما يقعد وقعد فيما يقوم "سبحان الله" لم تفسد صلاته لأنه ذكر الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 152] أمرنا الله تعالى بذكره أبداً ولم يفصل بين أن تذكره في الصلاة فلم يفسد الصلاة بقوله "سبحان الله".

قال أبو إسحاق الرازي بإسناده عن سعيد بن جبير ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي.

قال أبو عبيدة [. . .] ﷺ فيه اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة.

وقيل: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة.

وقال فيه أبو الحسن المفسر ﷺ: اذكروني على وجه الأرض أذكركم

(1) ليس ظاهر هل هي من النص أم في الهامش.

[في](1) بطن الأرض.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر الحامدي بإسناد له عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال «إن لله تعالى سرايا من الملائكة تقف على مجالس الذكر، فارتعوا في رياض الجنة. قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاذكروا الله تعالى مرة يذكركم مرارا»(2).

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن ابن عمر ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسجده بعد العصر فوثب حتى أتى سلمان الفارسي وهو جالس في موضع آخر مع قوم، فشق علينا مشقة شديدة، فمكث ملياً ثم تحول إلينا، فقلنا يا رسول الله بأبينا وأمنا لعلك سمعت من آذى أو شيئاً أذاك فتركتنا؟ قال: «لا، ولكن فتح باب من أبواب السماء فأقبلت الرحمة تهوي فظننت أنها واقعة عليّ وعليكم، [وصرت](3) نحو القوم وهم يذكرون الله تعالى، فبادرت معهم حتى وقعت عليّ وعليهم»(4).

وقال عليه السلام: «من أكل طعاماً ثم ذكر الله تعالى وقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه»(5).

قال: حدثنا الإمام أبو الفضل بإسناد له عن عمر ﷺ قال رسول الله ﷺ: ذاكرو الله تعالى في الغافلين مثل الذي يقاتل في الغازين، الذاكرون أربعة: ذاكر الدنيا، وذكر الخلق، وذاكر الجنة، وذاكر الله تعالى. فلذاكر الدنيا حجاب وغرور ولذلك الخلق ظلمة وثبور، ولذاكر الجنة حور وقصور، ولذاكر الله تعالى

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) وجدته من غير رواية «فاذكروا الله تعالى مرة يذكركم مرارا» ولعلها ليست من نص الحديث. انظر "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص671، و"كنز العمال" ج1 ص437.

(3) في النسخة كأنها (وصوت) والله أعلم.

(4) وجدته برواية: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم قاصدا حتى دنا منهم فكفوا عن الحديث إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما كنتم تقولون فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها. انظر "المستدرك على الصحيحين" ج1 ص210.

(5) انظر "سنن الترمذي" ج5 ص508، و"سنن ابن ماجة" ج2 ص1093.

نور وسرور، فإذا كان للعبد نور وسرور فلا يحتاج إلى الحور والقصور[1].

وسمعت عن عبد الله محمد بن الفضل البلخي يقول: رأيت شقيق بن إبراهيم الزاهد[2] في المنام فقلت له: يا معلم الخير أرشدني. قال: الخير كله في ذكرك مولاك والشر كله في ذكرك دنياك.

قال سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم يروي بإسناده عن أبي بكر الكتاني رحمهم الله يقول: بينما أنا في سواحل البحر فإذا بصياد ومعه بنيته، فكلما أخرج السمكة من الشبكة ناولها البنية، فكانت تأخذها وترميها في البحر بعد أن تنظر إلى وجهها، فقال لها والدها يا بنيتي اصطاد أنا وترمين أنت؟ فقالت: يا أبت أخذها وأنظر في وجهها وأسمع إليها وهي تقول الله الله، فلا أحب أن نحرق ونعذب شيئاً يقول الله الله.

فالنكتة أن غير المكلف يذكر الله فلا يحب المخلوق [أن][3] يعذبه، فكيف الخالق لو يذكره المكلف؟!.

عن النبي عليه السلام قال: «من ذكر الله تعالى على كل حال رزقه الله خير الدنيا والآخرة»[4].

ويروى أن النبي عليه السلام كان يقول في دعاء «اللهم أسألك قلبا خاشعا، وبدنا صابراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة صالحة»[5]، فلولا أن الذكر من أجل العبادات ما كان يسأله النبي عليه السلام.

قال سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد روي عن محمد بن إدريس الشافعي[6] رحمهم الله أنه جلس عند الحجام ليقص شاربه و[هو][7] يقول

---

(1) غير واضح أين ينتهي نص الحديث والظاهر أنه هنا، ووجدت الجزء الأول من الحديث برواية «ذاكر» بدل «ذاكرو»، وبروايتين «مع الغازين» و«عن الفارين». انظر "كنز العمال" ج1 ص425، و"شعب الإيمان" ج1 ص411. والجزء الثاني من الحديث الذي فيه أنواع الذكر لم أجد له تخريجاً.

(2) هو شقيق البلخي، سبق ترجمته.

(3) في النسخة "و".

(4) لم أجد له تخريجاً.

(5) وجدته برواية أخرى، انظر "كنز العمال" ج2 ص678، و"إحياء علوم الدين" ج1 ص319.

(6) يقصد الإمام الشافعي.

(7) ساقطة من النسخة.

"سبحان الله والحمد لله"، فقال له الحجام: لا تحرك شفتيك حتى أقطعه. فقال: أستحي من ربي أن يمضي على ساعة لم أذكره.

وعن يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ الله قال: الصبر مفتاح الفرج، والشكر مفتاح الزيادة، والذكر مفتاح الجنة.

وعن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه قال: «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الشكر الحمد لله»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده؛ سبحان الله العظيم وبحمده؛ استغفر الله في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(2).

قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناد له عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أقول سبحان الله والحمد ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ من أن أتصدق بعددها دنانير.

وعنه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله من اسعد بشفاعتك؟ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا مخلصا من قبل نفسه»(3).

قال: حدثنا أبو الفضل البرمعذري بإسناد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ما عمل ادمي عملاً أنجى من عذاب الله تعالى من ذكر الله جل جلاله. قيل له: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العَنكبوت: 45].

(1) انظر "السلسلة الصحيحة" ج3 ص484، وجاء برواية «أفضل الدعاء» بدل «أفضل الشكر» في "سنن الترمذي" ج5 ص462، و"سنن النسائي" ج6 ص208، و"المستدرك على الصحيحين" ج1 ص676.

(2) أقرب وأصح رواية وجدتها هو ما ذكره البخاري أن رسول الله ﷺ قال «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2352، و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص302.

(3) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2402، و"سنن النسائي" ج3 ص426.

الباب الثمانون
في فضل البكاء من خشية الله

إذا نفخ المصلي في الصلاة إن كان غير مسموع عنه لا تفسد الصلاة بالاتفاق، وإن كان مسموعا تفسد الصلاة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما كما لو قال [أف، تف][1]، وقال أبو يوسف رحمه الله لا تفسد الصلاة. لهما ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها كان لها غلام يقال رباح، فنفخ في الصلاة، فقال النبي عليه السلام: «يا رباح ما علمت أن [من][2] نفخ في الصلاة فقد تكلم»[3].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما أبالي نفخت في الصلاة أو تكلمت.

وإذا أنَّ المصلي في صلاته أو تأوه لأجل الاشتياق إلى الجنة وللخوف من النار لا تفسد الصلاة، وإن كان من وجع أو مصيبة فسدت صلاته في قول أبي حنيفة رحمه الله، ذُكر في الجامع الصغير وهو قول قياس محمد رحمه الله.

وقال أبو يوسف في الأمالي: إذا قال "اوه" فسدت صلاته، وإن قال "آه" لا تفسد. وإن كان من خوف النار لا تفسد بالاتفاق.

وإذا بكى فيها من مصيبة أو وجع أو فرح دخل فيه أو حزن قال [أصابه][4] فسدت صلاته.

وإن بكى شوقا إلى رضاء الله أو إلى نبيه عليه السلام أو خوفاً من الله تعالى أو عقابه أو من كثرة ذنوبه لا تفسد لما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله استخلفه في مرضه، فلما وقف في مكان النبي عليه السلام بكى حتى بل لحيته ومضى على صلاته، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا

---

(1) ساقطة من النسخة، ونقلت ما جاء في الفقه الحنفي وهو «أن النفخ المسموع ما يكون له حروفا مهجأة نحو قوله أف وتف ثف، وغير المسموع ما لا يكون له حروفا مهجأة». انظر "المحيط البرهاني" ج2 ص69.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) انظر "كنز العمال" ج7 ص519.

(4) في النسخة "أصابته" والله أعلم.

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التّوبَة: 82]. أخبر الله تعالى أنهم يبكون ولم يفصل بين الصلاة وغيرها، فهو على العموم، حتى روي عن النبي عليه السلام أنه [قال][(1)] لأصحابه عند نزول هذه الآية «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»، فلما قال ذلك لأصحابه بكت الصحابة بكاء شديداً، فنودي النبي عليه السلام عند ذلك لا تقنط عبادي[(2)].

قال: حدثنا أبو إسحاق بإسناد له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال داود النبي عليه السلام يا رب منّ عليّ باسم من أسمائك فأدعوك به، فأوحى الله تعالى إليه يا داود عن هذا الاسم يا حبيب البكائين. قال فكان إذا جن الليل يبكي ويقول يا حبيب البكائين، فلا يسمعه أحد إلا بكى.

ثم قال اعلموا أنه ليس من عبد مؤمن يذكر الله تعالى والمقام بين يديه فتدمع عيناه ولو كان مثل رأس ذباب من خشية الله تعالى إلا حرم الله تعالى وجهه على النار، وما من عبد يريد الله به خيراً إلا غسله قبل موته، وهل تدرون كيف يغسله قبل موته؟ قال يفتح له عملاً صالحاً قبل موته. ومن العمل الصالح أن يرزقه قلبا رقيقا وعينا دميعا. ثم بكى حتى رأينا الدموع من عينه تكف كما يكف القطرة من الميزاب.

عن جعفر بن حبان قال: دخلت على الحسن رحمه الله عشر سنين، فما دخلت عليه إلا وهو يبكي، فقلت يا أبا سعيد إلى متى هذا البكاء؟ قال: إلى الموت لعل الله يرحمني على بكائي.

قال: سمعت الفقيه أبا عبد الله طاهر بن محمد الحدادي رحمهم الله يقول: بكى شعيب النبي حتى ذهبت عيناه، فرد الله عينيه ثم بكى عشر سنين كذلك حتى ذهبتا، فردهما الله تعالى عليه فبكى عشرا أخرى حتى ذهبت عيناه، فأوحى الله تعالى إليه إن تك تبكي لأجل الجنان فقد أوجبتك؛ وإن كنت تبكي لخوف النيران فقد حرمت عليك النار. فقال يا رب لست أبكي لخوف النيران ولا لحب الجنان،

---

(1) ساقطة من النسخة حسب ما يظهر من السياق والله أعلم.

(2) انظر "إحياء علوم الدين" ج4 ص145، و"مجمع الزوائد" ج10 ص397.

وإنما أبكي لشوقي إلى الرحمن، فأوحى الله إليه يا شعيب ابك ثم ابك فإنه لا حيلة له سوى ذلك.

وسمعته أيضاً يقول بكى يحيى بن زكريا حتى بدت أضراسه من كثرة دموعه. فقالت له أمه لو أذنت لي يا بني حتى اتخذ لك قطعتي من لبد فالزقهما [على خديك][1]، فكان يبكي حتى تجتمع الدموع ويجري اللبدين؛ وحين يبل اللبد تعصرهما حتى نزل الدموع على ذراعيها. قال زكريا عليه السلام سألتك يا رب ولداً يكون قرة عيني ورزقتني ولداً لا أنتفع به. فأوحى الله تعالى إليه: هكذا سألت مني الولد، أما قلت: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مَريَم: 5]؟ والولي يكون طالبا للجنان هارباً من النيران، فأعطيتك كما سألت، وهو لا يكون إلا بكاء.

قال سألت أبا الفضل البرمعذري: لم عمت عينا يعقوب عليه السلام ببكائه كما قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ [يُوسُف: 84] وآدم وداود عليهما السلام بكوا أكثر منه ولم يعموا ببكائهم عليهما السلام؟ قال: لأن يعقوب عليه السلام بكى على فراق الولد فعاقبه الله تعالى بهذه العقوبة، وسائر الأنبياء عليهم السلام بكوا من خشية الله تعالى فلم يضرهم ذلك.

قيل كانت امرأة تكثر البكاء على نفسها، فقيل لها تعمي بصرك. قالت: لا يخلو إما أن تكون عيني هذه عين السعداء أو عين الأشقياء، فإن كانت عين السعداء تفقد بلقاء المولى قالت ألف عين فداء للقائه، وإن كانت عين الأشقياء لم يرزق مولاه فجزاؤه لا يكون إلا العمى.

---

(1) في النسخة "خديه".

الباب الحادي والثمانون
في ذكر سعة رحمة الله

وإذا رأى المسلم مسلماً يحد في قذفه أو شرب أو في زنا لا يرحم عليه لأن الله تعالى نهى المؤمنين عن الرأفة والرحمة على من يحد فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: 2].

وكذا الحكم في التعزير إلا أن المسلم إذا رأى مظلوماً أو مغموماً أو معلوماً أو غائباً عن وطنه لم يتمكن له الوصول إلى أهله من مرضه أو فقره أو عالماً بين جهلة أو فقيراً يستحي من السؤال وجب أن يرحم عليه لقوله عليه السلام: «ارحموا ثلاثاً، عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالما بين جهال»[(1)]، وقد قال النبي عليه السلام: «من لا يَرحم لا يُرحم»[(2)].

ولا ينبغي للمسلم أن يكون فظا غليظا جبارا، بل ينبغي أن يكون رؤوفا رحيما على خلق الله تعالى كما قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عِمرَان: 159][(3)] الآية.

أمر الله تعالى عباده بالرأفة والرحمة ووصف رحمته وقال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفُرقان: 70].

وينبغي للمسلم أن لا يغيظ المسلم فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزُّمَر: 53] أي لا تيأسوا من روح الله وإن كثرت ذنوبكم، وذلك لأن اليأس كفر والذنب فسق لأن العبد إذا أذنب صير

(1) انظر "كنز العمال" ج15 ص830، و"اللآلئ المصنوعة" ج1 ص193.
(2) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2235، و"صحيح مسلم" ج7 ص77.
(3) قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: 159].

نفسه معيبا ؛ وإذا آيس من رحمة الله وضع العيب على ذاته المنزه من العيوب.

ونزول الآية [في][1] وحشي بن حرب كما روى لنا أبو بكر الكسائي المفسر بإسناد له عن أبي صالح عن عطاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال قد جاء وحشي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله عليه السلام جئتك مستجيرا فأجرني حتى أسمع كلام الله تعالى، فقال عليه السلام: «كنت أحب أن ألقاك على غير جوار، فأما إذا استجرت فأنت في جواري». قال: إني أشركت بالله العظيم وقتلت النفس التي حرم الله إلا بالحق وزنيت، فهل يقبل الله تعالى توبة مثلي؟ [فصمت][2] عنه رسول الله ﷺ حتى نزل عليه ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفُرقان: 68][3] إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفُرقان: 70]»، فلما سمع [قال][4] لعلي لا أعمل صالحا، فنزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: 48]، فقال لعلي أن أكون ممن يشاء فنزل: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية، فقال أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[5]، وهذا أرجى آية في كتاب الله تعالى كما قال عليه السلام: «إن أعظم آية في القرآن ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: 255]، وأخوف آية في القرآن ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7-8]، وأرجى آية في القرآن ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ [الزُّمَر: 53] الآية»[6].

قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عمر الحدادي بإسناد له عن مكحول عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لما أخذ موسى عليه السلام من المعجزات في حقه فقال: إلٰهي لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي. فأوحى الله تعالى إني

---

(1) ساقطة من النسخة. (2) في النسخة كأنها "فعمت".

(3) قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفُرقان: 68-69].

(4) ساقطة من النسخة، وجاء في المرجع "فقال أرى شرطا".

(5) انظر "عمدة القاري" ج2 ص48.

(6) وجدته برواية فيه «وأعدل آية في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النّحل: 90] إلى آخرها». انظر "كنز العمال" ج1 ص563.

نظرت إلى قلوب عبادي فلم أر قلبا أشد تواضعا من قلبك، فكذلك اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين، وثبّت على التوحيد وعلى حب محمد عليه السلام.

قال: إلٰهي ومن محمد عليه السلام؟ قال: الذي كتبت اسمه ساق العرش قبل أن أخلق السموات والأرضين بألفي عام، هو حبيبي وصفيي من خلقي.

قال موسى عليه السلام: إلٰهي إن كان محمد أحب إليك من جميع ملائكتك وجميع خلقك فهل في الأمم أمة أكرم عليك من أمتي؛ أظللت عليهم الغمام و[أنزلت][1] عليهم المن والسلوى؟ قال: يا موسى إن [فضل][2] أمة محمد عليه السلام على الأمم [كفضلي][3] على جميع خلقي. يا موسى أمة محمد عليه السلام هم أصحاب القرآن والحج إلى بيت الحرام والصائمين شهر رمضان، أصحاب الزكاة وأصحاب الصدقة، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والقائلون لا إلٰه إلا الله.

قال: إلٰهي فاجعلني من أمة محمد عليه السلام. قال: يا موسى لن تدرك أمة محمد عليه السلام ولكن [أتشتهي][4] أن تسمع كلامهم؟ قال: نعم يا رب. فنادى الله تعالى يا أمة محمد، فأجابوه وهم في [أصلاب][5] آبائهم وأرحام أمهاتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إن الحمد والنعمة [والملك لك][6] لا شريك لك؛ لبيك والخير بيدك. فجعل الله تبارك وتعالى تلك الإجابة لشعائر الحج.

ثم نادى ربنا تعالى: يا أمة محمد عليه السلام إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي وغفراني، قد غفرت لكم قبل أن تعصوني و[أعطيتكم][7] قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أسكنته الجنة ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر وعدد القطر والنجوم وعدد أيام

---

(1) في النسخة "انت لست".
(2) في النسخة "أفضل".
(3) في النسخة "كفضل".
(4) في النسخة "تشتهي".
(5) في النسخة "اصحاب" وصححتها بما يوافق السياق والله أعلم.
(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(7) في النسخة "أعطيتك".

الدنيا(1). وقال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعرَاف: 156](2).

قال أبو عبد الله محمد بن عمر بإسناد له عن ثابت البناني رحمهم قال: كنت أطوف مقابر المسلمين في البصرة بالليل، فإذا أنا بأربعة نفير يحملون جنازة على رقابهم، فقلت من أنتم لعلكم قتلتم هذا وتحملونه في الخفية؟ قالوا نحن أجراء امرأة وهي تجيء وراءنا، فما لبث إذ جاءت امرأة باكية، فأشرفت على القبر ونزلت وبكت بكاء شديداً ثم ضحكت، فقلت لها من كان هذا الميت؟ قالت ابني. فقلت رأيت منك العجب. قالت وأي عجب؟ قلت نزلت القبر وبكيت ثم ضحكت. قالت كان ابني صاحب الكبائر وعاصيًا لله تعالى وكان وزيرا، فلما قرب أجله أوصاني بثلاث: أولها قال إذا أنا مت فاخرجي جنازتي بالليل حتى لا يسبون فلا يقعون في الذنب، والثاني: اكتبي على فص خاتمي: لا إله إلا الله محمد رسول الله وبسم الله الرحمن الرحيم وضعيه في فمي حتى إذا بعثني الله تعالى يوم القيامة تكون الشهادة والتسمية في فمي لعل الله يرحم؛ وخذي رأسي من الوسادة وضعيه في التراب واضربي برجليك على رأسي وقولي هذا جزاء من عصى الله تعالى، والثالث إذا وضعت في القبر فارفعي يديك إلى السماء وقولي اللهم اغفر لابني فإني عنه راضية.

قالت: يا أيها الرجل لما رأيتني أبكي عليه فقد رحمت عليه بكثرة ذنوبه، ثم لما رأيتني أضحك فإني هممت أن اسأله من الله كما أوصاني، فناداني من القبر وهو يقول يا أماه لا تستشفعي فإني وجدت ربا وهو أشفق علي وارحم منك

(1) انظر "تفسير حقي" ج13 ص187.

(2) في النسخة (وسعت رحمتي كل شيء).

جاء في هامش النسخة " وحكى أن الحجاج اتى [أبا] سيرين من أصحاب الأشعث، فأمر بضرب عنق أحدهما، فقال: أيها الأمير إن لي عندك يدا وخدمة سابقة. قال: وما هي ؟. قال: طعن ابن الأشعث في نسبك محل عن السلطنة ومصدع عن النفل فانتصر ذلك. قال: ومن يعلم ذلك ؟. قال: هذا. وأشار إلى الأسير الآخر. فقال الحجاج: أصادق هو ؟. قال: نعم. فقال: آنت فعلت كما فعل ؟. قال: لا. قال: ولم ؟. قال: أبغضك وقومك. فقال: عفوت لنصرتك وأنت لصدقك. انظر ثمرة الصدق تكون سببا لنجاته من القتل والهلاك. [مجموعة]".

وتجاوز عن سيأتي وغفر لي برحمته.

سمعت الإمام عبد الله بن الفضل يقول في عامته: أربعة أشياء تجر الأربعة: النفس تجر الشهوات، والموت يجر الروح، والقبر يجر الحسرات والندم، والرحمة تجر الذنب والسيئات[1].

وعن وهب بن منبه أن رجلاً مات في عهد موسى عليه السلام فكره الناس غسله ودفنه وطرحوه في المزبلة، فأوحى الله تعالى إلى موسى مات في محلة كذا ولي من أولياء، فاذهب أنت واغسله وكفنه وصلِّ عليه وادفنه. فسأل موسى عليه السلام عن الميت لما وصل محلته، فقالوا مات رجل فاسق من صنعته كيت وكيت، فاطرحناه في المزبلة عن فسقه. فقال موسى عليه السلام: إلٰهي تقول هو وليّ وعبادك يشهدون عليه بالفسق. قال الله تعالى صدقوا فيما يقولون غير أنه شفع إليّ عند وفاته بثلاثة أشياء لو سأل مني جميع مذنبي خلقي لأعطيته فكيف وقد سأل نفسه. قال يا رب وما [الثلاثة][2]؟ قال الله تعالى لما دنا وفاته قال: يا

---

(1) جاء في هامش النسخة حكاية روي [أن عيسى] صحبه رجل فقال: يا نبي الله أكون معك فانطلق فانتهيا إلى شط نهر، فجلسا عليه [يتغديان] ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف، فقال للرجل من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري.
فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية ومعها ولدان لها؛ فدعا واحدا فأتاه فذبحه وشواه، فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال له بعدما ذبحه وأكلا منه قم بإذن الله، فقام الظبي وذهب. فقال عليه السلام للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟. فقال: لا أدري.
فانطلقا حتى انتهيا إلى مغارة، فجمع عيسى عليه السلام ترابا و[. . .] ثم قال كن ذهباً بإذن الله فصار ذهباً، فقسمه عيسى ثلاثة أقسام وقال: ثلث لي وثلث لك وثلث للذي أخذ الرغيف. فقال: أنا الذي أخذت الرغيف. قال: فكله لك. وفارقه عيسى.
فانتهى إليه [رجلان] في الغار وعنده الذهب، فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال لهما: هو بيننا [أثلاث] فقبلا ذلك، فقال: يذهب واحد إلى القرية حتى يشتري لنا طعامًا، فذهب واحد إلى القرية واشترى طعاما وقال في نفسه لأي شيء أقاسمهما هذا المال؟. أنا أجعل في هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال جميعه، فجعل فيه السم. وقالا هما فيما بينهما لأي شيء نجعل له الثلث؛ إذا رجع إلينا قتلناه و[قسمنا] المال نصفين.
فلما رجع إليهما قتلاه، ثم [أكلا] الطعام فماتا، فبقي المال في [المغارة] وأولئك الثلاثة [قتلى] عنده، فمر [عليهم] عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها. مجموعة".

(2) في النسخة "الثلاثي".

رب أنت تعلم مني بأني ارتكبت المعاصي لكن كنت أكرهها فألجأني الثلاث مع كراهية قلبي النفس ورفيق السوء والشيطان، فهذه الثلاث أوقعتني في المعصية، إن كنت تعلم مني الصدق في قولي فاغفر لي.

والثاني: يا رب ربما كنت مع الفسقة كان أحب إليّ أن أكون مع الصلحاء وإنك تعلم مني أن الصالحين كانوا أحب إليّ من الفاسقين حتى أنه ما استقبلني رجلان صالح وطالح إلا قدمت الصالح على الطالح؛ فإن كنت تعلم مني كذلك فاغفر لي.

والثالث: أنه قال يا رب لو عفوت عني يفرح أنبياؤك ويحزن الشيطان عدوي وعدوك؛ ولو عذبتني يفرح أعداؤك وأعدائي ويحزن أولياؤك؛ واعلم بأن فرح الأنبياء والأولياء أحب إليك من فرح الأعداء؛ فإن كنت تعلم أني أصدق في ذلك فارحم علي وتجاوز عني. قال فرحت إليه وغفرت له و[تجاوزت][1] عنه فإنني غفور رحيم.

سئل أبو الفضل البرمعذري رحمه الله عن الكرام الكاتبين لم وكلهم الله تعالى على عباده وهو يعلم ما يفعلون؟ فقال لأنه لو لم يوكل عليهم الملكين لم يكن يظهر لنا رحمته لأنا نرتكب المعاصي ثم ننسى، فيكتب علينا فيرانا يوم القيامة حتى نعلم أعمالنا ومعاصينا ثم يغفر ذلك، فيظهر أن الله تعالى تجاوز عنا بفضله ومنه، وهو كما [لو][2] أن الرجل إذا يدفع إلى رجل قليلاً فقليلا وهو يكتب عليه حتى اجتمع مال عظيم؛ ثم طالبه وقد أملى عليه حتى عرف، ثم قال وهبت لك جميع ما عليك، فهذا أبلغ في إثبات المنن من إن كان يهب له قليلاً فقليلاً.

وعن الجواب الثاني أن الملائكة أظهروا [على][3] العداوة فيما بيننا، فوكلهم الله علينا أن يخافوا [عباده][4] من عداوتهم فيتركون الآثام، وهذا من غاية لطف الله سبحانه وتعالى لأن الإنسان لا يخاف من الولي والكريم مثل [ما][5] يخاف من العدو.

(1) في النسخة "تجاوز". (2) في النسخة "كما".
(3) ساقطة من النسخة، وأضفتها حتى يتسق النص قدر الإمكان والله أعلم.
(4) في النسخة "عبادي" والله أعلم.
(5) ساقطة من النسخة وأضفتها حتى يصح السياق والله أعلم. =

وسمعته أيضاً يقول: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن قل لفلان الخزاف يكسر جرته التي صنعها. فأخبره بذلك. فقال الخزاف: يا نبي الله لا يطيب قلبي بكسر جرة صنعتها بيدي. فأوحى الله تعالى إليه: لا يطيب قلب خزاف بكسر صنعته فكيف يجوز من كرم ربوبتي أن أحرق بالنار صورة صورتها وقامة سويتها وأعضاء ركبتها وأحييتها ورزقتها وحفظتها ووهبت له عقلاً حتى [عرفني][1] ووجدني و[عبدني][2] وأتى بأوامري ووسعت رحمتي كل شيء؟!. أغفر له ولا أبالي.

وقال النبي عليه السلام: «لعنة الله على [المنفرين][3]. قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذين يقنطون العباد من رحمة الله تعالى»[4].

= جاء في هامش النسخة "لما رجع عمر ﷺ من الشام انفرد عن الناس ليتعرف أخبارهم، [فمر] بعجوز في خبائها، فقصدها، فقالت: يا هذا ما فعل؟. قال: أقبل من الشام. قالت: لا جزاه الله عني خيرا. قال: ولم؟. قالت: لأنه والله ما نالني من عطائه مذ ولي دينار ولا درهم. فقال: وما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع؟. فقالت: سبحان الله ما ظننت أن أحدا يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها. فبكى، ثم قال: بكم تبيعي ظلامتك من عمر؟. فإني ارحمه من النار. فقالت [لا تهزأ بي]. فقال عمر: [لست اهزأ]، فلم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارًا.
فبينما [هو] كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود ﷺ، فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت وآسوءتاه؛ شتمت أمير المؤمنين في وجهه !. فقال لها: لا عليك. ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيه، فلم يجد، فقطع قطعة من [فروه] وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يومنا هذا بخمسة وعشرين دينارا مما تدعي عند وقوفي في المحشر بين يدي الله تعالى [. . .] شهد على ذلك علي وابن مسعود.
ثم دفع الكتاب إلى علي وقال: إذا أنا [. . .] فاجعلها في كفني. وأشباه ذلك [كثير]. مجموعة".

(1) في النسخة "عرفت" والله أعلم.
(2) في النسخة "عبدي" والراجح ما بينته والله أعلم.
(3) في النسخة (المنكرين). وصححته حسب ما وجدته في المراجع التي وجدتها والله أعلم.
(4) انظر "تذكرة الموضوعات" ص228. ولعل الأصل في الرواية «ومن هم» بدل «وما هم» والله أعلم.

قال داود النبي عليه السلام: [أتيت][1] أطباء عبادك ليداوني فكلمهم دلوني عليك [فبؤسا][2] للقانطين من رحمتك.

سمع أعرابي ابن عباس يقرأ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عِمرَان: 103][3] الآية. فقال الأعرابي: والله ما يرد أن يوقعهم النار بعد أن أنقذكم.

قال واحد:

ذنوبي كثيرة ما أطيق تحملني وعفوك من ذنبي أجل وأكبر
وقد وسعتني رحمة منك ههنا وإني لها يوم القيامة أفقر

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عِمرَان: 103].

الباب الثاني والثمانون
في حفظ اللسان

وإذا علم الشفيع الشفعة وسكت ولم يطلب مكانه بطلت شفعته في ظاهر الأصول.

وعن محمد رحمه الله أنه قال: هو على شفعة ما دام في مجلس سماعه وعلمه، وبه قال الكرخي وأبو سهل البخاري.

وعن الحسن بن زياد وسفيان الثوري وهو أحد قولي الشافعي رحمهم الله[1] هو على شفعة أبد الدهر، لا يبطل شفعته ما لم يسلم بلسانه، فإن طلب وأشهد ثم لم يخاصم زماناً قال أبو حنيفة رضي الله عنه هو على شفعته، وقالا رحمهما الله تبطل شفعته.

واختلفوا بينهما إلى متى تبطل؟ عن أبي يوسف رحمه الله أنه قال: إذا لم يخاصم ثلاثة أيام بطلت، وهكذا جاء عن محمد رحمه الله.

قال: اعلموا أن السكوت رضا في عدة مواضع: الشفيع لو سكت ويأخذ الشفعة عند سماعه، وإذا رأى عبده وولده يبيع ويشتري ولم ينكر بيعهما فسكوته إذن لهما بالبيع والشراء خلافا للشافعي رحمه الله وابن أبي ليلى[2]، ورجل بالغ أو امرأة بالغة عاقلة يباع ولم يقل إني حر وسكت؛ فإن قال بعد بيعه إني حر لم يصدق، وإذا ولدت امرأة الرجل ولداً وسمع لم ينكر وسكت فهو رضا بالولد وسكوته إقرار بالولد عند أبي حنيفة رحمه الله واتفقوا في أم الولد لا يصير سكوته رضا إلا بعد أيام النفاس، وفي الأمة القنة[3] والمدبرة لا يثبت النسب ما لم يقر بلسانه

---

(1) من المعلوم أن للإمام الشافعي رحمه الله مذهبين قديم وحديث.

(2) ابن أبي ليلى (148 هـ) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار (وقيل: داود) ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة. انظر "الأعلام" ج6 ص189.

(3) القن: العبد الذي كان أبوه مملوكا لمواليه ويقال قن بين القنانة والقنونة خالص العبودة=

أنه منه، وإن كان لرجل عبد أسره المشركون وأحرزوه بالدار ثم أخرجه الغزاة إلينا فوجده صاحبه في المغنم وسكت حتى قسموه فلا سبيل له على العبد بعد ذلك، وإذا باع الرجل شيئاً فله حبسه حتى يستوفي الثمن فإن أخذ المشتري وسكت ولم يحبسه فلم يكن بعده أن يسترده ويحبسه لأجل الثمن فله طلب الثمن فحسب، وإذا وهب الرجل لذي رحم محرم فقبض الموهوب له من غير أن يسلمه إليه وسكت عند قبضه فلم يكن له الرجوع وسكوته رضاء بقبضه.

والصغير والصغيرة إذا زوجها غير الأب والجد من الأولياء ثم بلغا فلهما الخيار في قول أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ فإن سكتا ساعة عند بلوغهما بطل خيارهما وسكوتهما يكون رضاهما، والأمة إذا زوجها مولاها من رجل ثم أعتقها فلها الخيار بين المقام مع الزوج وبين الفراق وإن سكتت حين سمعت عتقها وقامت من المجلس بطل خيارها، والبكر البالغة إذا استؤمرت بالنكاح فسكتت فسكوتها رضاها؛ وإن بكت قال في الأصول هو من الرضاء وقال بعضهم إن [كان][(1)] دموعها عذبا فهو رضا لأنه من الفرح وإن كان مالحا لا يكون رضا لأنه من الترح.

والسكوت أشرف أحوال الإنسان في الدنيا والآخرة، يدل عليه قوله تعالى في قصة مريم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث يقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مَريَم: 26]، وأرادت بالصوم الصمت، فلولا أن الصوم من أعظم العبادات لما قالت إني نذرت الصمت.

سأل زكريا عليه السلام ربه أن يكرمه بغلام ـ يعني بالولد ـ فأجابه الله تعالى: بقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [مَريَم: 7]، ثم جعل علامة إجابته قوله ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عِمرَان: 41] فلو لم يكن الصمت شرفًا ونجاة لما أمره بالسكوت.

= أما إذا لم يكن كذلك فهو عبد مملوك (يطلق بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع) وقد يجمع على أقنان وأقنة. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص443.

(1) ساقطة من النسخة.

قال: حدثنا الإمام عبد الله بن الفضل بإسناد له عن عقبة بن عامر أنه قال: يا رسول الله بما النجاة؟ قال: «أمسك لسانك وابك على خطيئاتك»(1).

قال: حدثنا محمد بن نعيم بإسناد له عن عباس بن عبد المطلب ﷺ عم النبي عليه السلام أنه قال: يا رسول الله فبم الجمال؟ قال: «في اللسان. ثم قال عليه السلام: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا من ذكر الله تعالى والجزء العاشر في ترك مجالسة السفهاء»(2).

وعنه عليه السلام أنه قال: «يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم بالنار إلا حصائد ألسنتهم، أنك لن تزال سالما ما سكت وإذا تكلمت [كتب](3) عليك أو لك»(4).

قال أبو الفضل: قال معاذ [بلغنا](5) أن أبا بكر الصديق ﷺ كان يمسك الحجر في فمه اثنتي عشرة سنة لا يضعه إلا عند الأكل وعند الصلاة والنوم، وكان يقول لا أتكلم إلا ما يراد مني. فكان يمسح لسانه كل يوم بطرف ردائه ويقول: هذا [أورد](6) الموارد؛ وهو الذي يسوقني إلى موضع الأشقياء أو إلى موضع السعداء.

---

(1) كل الروايات التي وجدتها فيها «وليسعك بيتك»، انظر مثلاً "شعب الإيمان" ج6 ص260، و"سنن الترمذي" ج4 ص605، و"المعجم الكبير" ج17 ص270.
وجاء في هامش النسخة "[قال] يحيى بن معاذ الرازي: حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم [تنفعه] فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمّه، وإن لم تمدحه فلا تذمه [. . .] حديث أربعين، فعليك بالصبر عند الغضب وإياك والعجلة فإن في العجلة ثلاثة أشياء وفي الصبر ثلاثة أشياء. فأما التي في العجلة: فالندامة في نفسه والملامة عند الناس والعقوبة عند الله. وأما التي في الصبر فالسرور في نفسه، والمحبة عند الناس، [والثواب] عند الله لأن الصبر مر في أوله حلو في آخره. عيون الأخبار باب في ذكر [كظم الغيظ]".

(2) لم أجده برواية واحدة، وإنما وجدت الجزء الأول من الحديث وهو «في اللسان» في "تأويل مختلف الحديث ص297، والجزء الأخير من الحديث وجدته برواية «في العزلة من الناس» بدل «ترك مجالسة السفهاء». انظر "كنز العمال" ج3 ص350.

(3) في النسخة (كنت)، وصححتها حسب ما وجدتها في المراجع التي بحثت فيها والله أعلم.

(4) انظر "المعجم الكبير" ج20 ص73، و"مجمع الزوائد" ج10 ص538.

(5) في النسخة "بلغا" والله أعلم.

(6) في النسخة كأنها "اوردي".

قال أبو الفضل: بلغنا عن الحسن البصري ﷺ أنه قال: لسان الحكيم من وراء قلبه؛ وإذا أراد أن يقول شيئاً رجع إلى قلبه، فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك، فإن الجاهل قلبه في طرف لسانه يتكلم فيما عرض.

وقيل: من كان صمته بغير تفكر فهو لهو، وإن كان كلامه بغير عبرة فهو سهو، فطوبى لمن كان صمته تفكرا وكلامه ذكرا ونظره عبرا.

قال عبد الله [بن][1] المبارك ﷺ: تكلم أربعة من الملوك: قال كسرى: أنا على روما لم أقل أقدر على روما قلت. وقال قيصر ملك الروم: ما ندمت على ما لم أقل، ولقد ندمت على ما قلت مراراً. وقال ملك الصين: ما لم أتكلم فأنا أملكها فإذا تكلمت ملكتني. وقال ملك الهند: عجبا لمن يتكلم بكلمة إن رجعت إليه ضرته وإذا لم ترجع إليه لم تنفعه.

وقال آخر: ما اصنع بكلمة إذا تكلمت بها لم تنفعني وإذا سكت عنها لم تضرني.

وعن عمر ﷺ أنه قال: إن الله تعالى رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح، ثم قال وفي اللسان عشر خصال: أداة يظهر بها البيان، ومختبر يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطأ والصواب، وناطق يؤدى فيه الجواب، وشاهد يدرك به الحاجات، وواصف يعرف به الأشياء، وواعظ ينهى عن القبيح، ومُعزٍ يسكن به الأحزان، وحامد يذهب به الصبية، وموثق ينهي به الأسماع.

قال سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم: بلغني أن إبراهيم بن أدهم كان في مغارة فرأى رجلاً فوق جبل في صومعة، فدعاه وقال: يا راهب فلم يجبه، فقال: يا رجل فأجابه، فقال: لم لا تجبني؟ قال: لأنك لم تدعني باسمي؛ لأن الراهب يكون من حول وجهه عن الدنيا ويطلب جزاء الله في الآخرة وأنا لست كذلك. قال إبراهيم: من أين تأكل؟ قال: أسأل الله تعالى فإني لا ادري. فقال: ما تصنع هاهنا؟ قال: لي كلبة بعض الناس فأخرجتها إلى هاهنا لأحفظها. قال: أي كلبة؟

(1) ساقطة من النسخة.

فأشار إلى لسانه وقال: إن كلبي هذا إن [أكل تأكله][1] كلاب النار ـ يعني تحرقني نار جهنم ـ، وإن نجوت منه نجوت من النار.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بُني لأن يكون [اخرس][2] عاقلاً خير من أن يكون نطوقا جهولا، يا بني إن لكل شيء دليلاً ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مظنة ومظنة العقل التواضع، وكفى بأمره جهلا أن تكب عما نهى عنه وكفى به عقلا أن يسلم الناس من سوئه.

قيل علامة المصدق بستة أشياء: أكثر نظره عبرة في فناء الدنيا وزوالها، وأكثر كلامه حكمة، ويصمت كثيرا؛ ويكون صمته تفكرا لما أمامه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجالس الفقراء.

وعلامة المكذب ستة أشياء: أكثر نظره لهو وسهو، أكثر كلامه غيبة ولغو، ويأمر المنكر أينما كان وينهى المعروف، ويجالس الأغنياء للطمع في مالهم، ولا يحفظ لسانه، ولا يصمت.

قال سمعت أبا الفضل البرمعذري يروي عن محمد الهروي رحمهما الله يقول: من ترك الضحك رزق الهيبة، ومن ترك المزاح رزق البهاء وسيماء الصالحين، ومن ترك النظر إلى زينة الدنيا [وزهد فيها][3] رزق الخشوع، ومن ترك التجسس في عيوب الناس اشتغالا بما فيه أصلح نفسه بما فيه، ومن ترك التوهم في كيفية الرب عزوجل عصمه الله تعالى من النفاق والشك.

(1) في النسخة "أكلن يأكلن" وصححته حسب السياق والله أعلم.
(2) في النسخة "احرس".
(3) في النسخة كأنها "زهدتها".

الباب الثالث والثمانون
في ذم الحسد

لو أن رجلاً أراد أن يشتري شيئاً ورضي البائع والمشتري بالثمن فقبل العقد جاء الآخر وزاد في الثمن فهو مكروه، وإن كان البيع فيمن يزيد جاز ولا يكره لما روي عن النبي عليه السلام أنه باع درعا [فقال][1] «من يزيد؟»[2].

ولو أن رجلاً خطب امرأة وأجابوه فقبل العقد جاء آخر ونكحها كره ذلك لقوله عليه السلام: «لا يساوم الرجل [على سوم][3] أخيه ولا ينكح على خطبته»[4] لأن فيه إيذاء المسلم والحسد عليه وكلاهما حرام، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النِّسَاء: 54][5] الآية.

ونزول الآية في اليهود حسدوا النبي عليه السلام على ما خصه الله تعالى من النبوة والتزويج، قالوا ما له هم إلا النساء فلو كان نبياً لشغلته النبوة عن النسوان، فحسدوه بكثرة النساء وعابوه بذلك، ثم قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: 54] وهو ملك سليمان بن داود، وهما من آل إبراهيم عليهم السلام. كان لداود عليه السلام مائة امرأة وكان لسليمان عليه السلام ستمائة امرأة وثلاثمائة سرية، وما أعطي نبينا محمد عليه السلام من الشفاعة في عصاة أمته يوم القيامة أعظم ملكاً مما أعطي إليهما من

---

(1) ساقطة من النسخة حسب السياق.

(2) على حسب ما وجدت في المراجع أنه ﷺ باع حلسا وقدحا وقال «من يزيد على درهم؟.». انظر "سنن الترمذي" ج3 ص522. في رواية أخرى «باع فيمن يزيد». انظر "سنن البيهقي" ج5 ص345.

(3) في النسخة (سواء).

(4) انظر "سنن البيهقي" ج6 ص120، و"كنز العمال" ج4 ص57.

(5) قال الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: 54].

الملك[1]. قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الفضل رحمهم الله بإسناد له

---

(1) جاء في هامش النسخة " [عن ابن عمر] رضي الله أنه قال رسول الله ﷺ: «ستة» أي ستة نفر «يدخلون النار قبل الحساب» [قيل: من هم الستة الذين يدخلون النار قبل الحساب يوم القيامة ؟.] قال عليه السلام «الأمراء بالجور» أي بسبب ظلمهم وجورهم.
عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «الظلم ظلمات يوم القيامة» متفق عليه.
«والعرب» والمراد بهم البعض لأن اللام فيه للعهد، فأسند الفعل إلى الكل مبالغة في التعجب، وهو بالتحريك خلاف [العجم].
«[بالعصبية]» وهو [. . .] والتعاون فيقوم بها حتى يخرج بعض منهم عن حد الشرع القويم. عن ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ «أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي».
«والدهاقين» جمع دهقان بالكسر والضم أعجم معرب، وهو [. . .] القوم أي قوم كان، لأنه يطلق على من كان رئيس القرية من له مال وعقار.
«بالكبر» وهو أن ينظر المرء إلى نفسه بعين الاستعظام والى غيره بعين الاستحقار، قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [عَبَسَ: 24] الآية، ولقوله عليه السلام «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى [سجن] جهنم».
«والتجار» بالضم والتشديد، جمع تاجر من التجارة.
«بالخيانة» أي بسبب خيانتهم لأن اللام عوض عن المضاف إليه، وهو كتم عيوب المبيع، [فلذلك] حرام لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، أي في الكيل والوزن وغيرهم. عن عبد الله بن رفاعة قال: قال رسول الله ﷺ «التجار يحشرون يوم القيامة [فجارا] إلا من اتقى وبر وصدق». وقد روي أنه عليه السلام قال «البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما، وإذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما» لا يزيد في رزقه بل [يمحقه] ويذهب بركته، فإن ما يجمعه من [متفرقات التلبيسات] قد يهلكه الله تعالى دفعة واحدة إما [بالانحراق] أو بالإحراق أو بأخذ اللصوص أو الظلمة أو الكفرة.
«وأهل الرستاق» بضم الراء السواد والعربي [. . .].
«بالجهل» بما أمروا به من الفرائض والواجبات والسنن، والجهل عدم العلم وهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه. اهـ.
«والعلماء بالحسد» وهو أول ذنب في السماء والأرض، وهو من الكبائر، لأن الحاسد لا يرضى بقضاء الله، وهو من الأمراض القلبية وسببه الغفلة وطول الأمل، فأول الحساد والمتكبرين إبليس عصمنا الله تعالى [بفضله وكرمه].
عن أبي نصر محمد بن سلام وصف عنده هارون الرشيد فصاحة محمد بن الحسن الشيباني وعلمه وفهمه، فأمر بإحضاره، فعلم أبو يوسف أنه لو حضره ربما يميل إليه قلب الخليفة ويهجره، فقال: يا أمير المؤمنين إنه لا يصلح بمجلس الخليفة لما به سلس=

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس كونوا عباد الله إخوانا، لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تنافسوا، ولا تدابروا، ولا يغتب [بعضكم][1] بعضاً، ولا تناجشوا»[2]، والنجش أن يرفع قيمة السلعة مظهرا فيها رغبته وهو غير راغب ليخدع آخر.

قال: حدثنا الإمام البرمعذري بإسناد له عن أبي هريرة ﷺ عن النبي عليه السلام أنه قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[3].

سأل داود عليه السلام ربه عز وجل أن يخبره بأحب الأعمال إليه، فأوحى الله تعالى إليه وقال: داود لا تذكر أحداً من خلقي إلا بخير، ولا تغتابنَّ أحداً من خلقي ولا تحسدن أحداً من خلقي.

قيل كان إبليس ـ عليه اللعنة ـ عبد الله كثيراً في السماء وظهر الأرض، فسبب لعنته الحسد.

قال أبو الفضل بإسناده عن [الزهري][4] عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: كنا

= البول ـ وليس فيه ذلك ـ. فقال الخليفة: إذا أراد القيام فليقم، فجاء إلى محمد وقال أبو يوسف: إن الخليفة يحب أن يراك ويسمع كلامك، ولكنك لا تعرف آداب الخلفاء، فإذا أشرت إليك [بالقيام] فقم. فحضر مجلس الخليفة، فلما مال قلب الخليفة إليه بالكلية لفصاحته وحلو منطقه وكان في أطيب الكلام وأشار إليه أن يقوم فقام. فقال الرشيد لولا به ما قال ما قام. فبلغ ذلك محمدا فقال: اللهم لا [تخرجه] من الدنيا حتى يبتلى بما نسب إليه، فجمع أبو يوسف مع الرشيد في عمارة واحدة، فأخذه البول فاستحى من الرشيد أن يبول، فصبر، فانشقت [مثانته] ومات من ذلك. فحكى ذلك [للرشيد] فقال: لو علمت أنه كذلك لأذنت له أن يبول في [. . .]، ولما مات لم يخرج محمد لجنازته. وقيل وعبرة محمد بمخالطة السلطان، فدعا عليه أبو يوسف فاستجيب له فيه، فلم يخرج من الدنيا حتى ابتلي [بالقضاء من ستة] أشهر مجموعة". انظر "تفسير حقي" ج2 ص215، و"سنن الدارمي" ج2 ص322، و"الزهد" لابن المبارك ص52.

(1) في النسخة (بعضهم).

(2) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2253، و"صحيح مسلم" ج8 ص10، و"الصمت" ص118.

(3) انظر "سنن أبي داود" ج4 ص427، و"شعب الإيمان" ج5 ص266.

(4) في النسخة كأنها "الزهدي".

عند النبي عليه السلام فقال «[يطلع عليكم الآن][1] رجل من أهل الجنة. قال [فطلع][2] رجل من الأنصار يصب من لحيته ماء وضوئه. فلما كان من الغد وكنا معه عليه السلام فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، [فطلع] ذلك الرجل على مثل زيه. وفي اليوم الثالث كذلك». وكان يدخل علينا الأنصاري. فلما قام النبي عليه السلام اتبعه [عبد الله][3] لكي يعرف سره وسيرته وبما وصل إلى هذه الدرجة، فحفظ عنده فلم ير فيه إلا أداء المفروضات ولم يسمع منه إلا خيراً في الناس، فقال له: يا عبد الله قال فيك رسول الله ﷺ ثلاث مرات كذا وكذا، فأردت أقتدي بك ولازمتك ثلاث ليال، فلم أر فيك كثيراً من العمل فبما وجدت هذه الكرامة؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه ثم دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين ولا أحسدهم على خير أعطاهم الله تعالى إياه. فقال له عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق[4].

قال بزر جمهر[5] إن الدهر ساعتان ساعة شدة وساعة رخاء، فلا تيأسوا من الشدة وإن طالت، ولا تأمنوا في الرخاء [وإن][6] دامت. ثم قال الناس رجلان عالم فتقرب منه وإن باعدك، وجاهل فتباعد منه وإن قربك، واتقوا الحسد فإنه يضر الحاسد لا المحسود، واجعلوا النساء كالدواء الذي تأخذونه عند الحاجة ثم تجانبوه إلى وقت الحاجة.

وقيل: دخل إبليس على فرعون عليهما اللعنة، فقال فرعون: أتعرف على وجه الأرض أشر مني ومنك؟ قال إبليس: الحاسد. ثم قال: لي صديق [يجبني][7] إلى شر دعوته، فقلت له: وجب حقك عليّ فاسأل مني حاجة. قال: يا إبليس إن لي حاجة وهي أن لي جارا وله بقرة فأمتها. فقلت: لا أقدر على ذلك ولكن أعطيك عشر بقرات مكانها. فقال: لا أريد إلا هلاكها ولو تعطيني مائة، فعلمت أن حسده أشر مني ومنك.

---

(1) في النسخة (تطلع عليكم الا ان) والله أعلم.

(2) في النسخة (فاطلع) وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا.

(3) في النسخة "عبد الرحمن".

(4) سبق تخريجه.

(5) لم أجد له ترجمة. ولقد جاء ذكره في "تاريخ بغداد" ج8 ص215، و"الفهرست" ص423.

(6) في النسخة "فان".

(7) مترددة في النسخة بين "يحبني" و"يجبني".

الباب الرابع والثمانون
في فضل قضاء الدين

وإذا استقرض من رجل خبزاً لم يجز عند أبي حنيفة رَحِمَهُ الله لا وزنا ولا عددا، وقال أبو يوسف رَحِمَهُ الله يجوز وزنا، وقال محمد رَحِمَهُ الله يجوز عددا.

والأصل أن الخبز عند أبي حنيفة رَحِمَهُ الله لا وزني ولا عددي، فلا يراعى المساواة. وعند أبي يوسف رَحِمَهُ الله وزني. وعند محمد رَحِمَهُ الله عددي. فاستقراض الحيوان والجواري والعبيد لا يجوز. والأصل فيها لأن كل ما يوجب المثل على متلفه جاز استقراضه، وما يوجب القيمة لا يجوز استقراضه، ولا يثبت الأجل في المقروض.

والقرض هو ما يقرضه من الدراهم أو الدنانير أو شيء مثلي يأخذ مثله في [ثاني][1] الحال. والدين هو أن يبيع له شيئاً إلى أجل معلوم. وأما إذا أجل به إلى النيروز والمهرجان وقدم الحاج لا يجوز، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [البَقَرَة: 282] الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر [أمثاله]»[2]، وذلك لأن الرجل يتصدق على فقير من غير مسألته ولعل أن لا يحتاج إلى ذلك، وأما القرض فإنه لا يطلبه الإنسان إلا عند الحاجة، فلذلك فضل القرض على الصدقة.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) في النسخة (امثالها). انظر "بريقة محمودية" ج3 ص119، وذكره الطبراني برواية «رأيت ليلة أسري بي مكتوب على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر قلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة فقال إن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» انظر "المعجم الأوسط" ج7 ص16.

رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور كم شاء: من عفا عن قاتل، وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله أحد عشر مرات، وأدان دينا لمن طلب منه»[1].

عن فتح [الموصلي][2] البغدادي ليس رجل ببغداد [لا][3] يعرف باب حامد القطان في محلة السدى، وكان أهل المحلة كلهم أغنياء، فاجتمع رأيهم أن يوزعوا على أنفسهم دينه وهي خمسة آلاف درهم، وكان في تلك المحلة مجوسي يسمى شمعون، فبلغوا إليه وشاوروه في ذلك، فقال تجيئون الغد أقول لكم.

فلما ذهبوا وجن الليل حمل عشرة آلاف درهم وبلغ منزله، وقال للمفلس أنت في جواري وسمعت حالك، فخذ هذه اصرف نصفها إلى دينك وبنصفه افتح دكانك ولا تخبر أحدا، وكلما تحتاج لا أقصر في حقك.

ثم ذهب شمعون فلما نام رأى النبي عليه السلام وهو يضحك في وجهه وقال: نفست كربة رجل من أمتي فنفس الله كربتك، وأحسنت الجوار فأحسن الله جوارك. فقال شمعون: من أنت؟ قال: أنا محمد ﷺ، ثم مد يده إليّ وقال شمعون أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله. ولما انتبه أسلم حالة اليقظة كما في النوم، واغتسل ولبس ثيابا طاهرة وحضر المجلس، فتعجب الناس وسألوه. فقال: أسلمت الليلة عند النبي عليه السلام، وقص لهم القصة.

فلما مضى مدة جاء إليه أبو حامد القطان بعشرة آلاف درهم، وقال: خذ مني وقد وهبني الله تعالى ببركة قرضك. فقال شمعون: إني وجدت العوض أضعافا، فاذهب بها فقد وهبتك هذه، [فالتقريب][4] أن مجوسيا أحسن الجوار فوجد خير الدنيا والآخرة؛ والثاني أنه أقرض فوجد ما وجد بسبب قرضه.

قال: سمعت أبا الفضل البرمعذري يقول: كان رجل وله خمسمائة درهم

(1) انظر "بريقة محمودية" ج3 ص119، و"تفسير حقي" ج2 ص104.
(2) في النسخة "الموصل".
(3) ساقطة من النسخة وأضفتها ليتسق النص والله أعلم.
(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

يقرضها لمن سأله، وكان في جواره عابد كلما يقوم الليلة إلى عبادة الله يرى في سطح المقرض نورا يضيء المحلة كلها، فافتقد العابد النور واستوحش، فسأل صاحب الخمسمائة وأخبره بما يرى من النور. فقال لي خمسمائة درهم كنت أقرضها لمن سأل، ومنذ أيام عزمت أن لا أقرض. قال العابد لذلك ذهب النور. فصاح الرجل ونذر أن لا يمسكها وتاب عن ذلك. لكن ينبغي أن لا يجر القرض منفعة بسبب قرضه لأن النبي عليه السلام نهى عن قرض ودين جر منفعة[1].

وعن سفيان البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان لأبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ على رجل دين، فجاء أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ إلى باب داره متقاضيا، فقرع الباب ثم ذهب وقام في الشمس، فمر عليه رجل فقال: تقوم في الشمس ولا تقوم في ظل داره؟ قال: لي عليه مال، فأخاف أن يكون قيامي في ظل داره منفعة لي.

وواجب على المديون أن يحسن القضاء والأداء كما قال النبي عليه السلام: «خيركم أحسنكم قضاء»[2].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تخرج روح من جسد وهو بريء من ثلاث إلا دخلت الجنة: من الكبر، والغلول، والدين»[3].

روي أن رجلاً توفي على [عهد][4] رسول الله، فامتنع النبي عليه السلام أن يصلي على جنازته كما كان من الدين وهو ديناران، فضمن عليّ وأبو قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فصلى عليه عليه السلام. فأفاد امتناع النبي عليه السلام عن صلاته أمرين: أحدهما وهو أن ضمان دين الميت يجوز، والثاني أن يعجل الإنسان بقضاء ديونه حتى لا يبقى عليه شيء من الديون.

(1) قال النبي ﷺ «كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا». انظر "سنن البيهقي" ج5 ص350.

(2) انظر "صحيح البخاري" ج2 ص809، و"صحيح مسلم" ج5 ص54.

(3) انظر "سنن الترمذي" ج4 ص138، و"سنن البيهقي" ج9 ص101.

(4) ساقطة من النسخة، وأضفتها ليصح السياق والله أعلم.

الباب الخامس والثمانون
فـــي شرف التواضع وذمّ الكبر

امرأة زوجت نفسها من غير كفؤ فبلغ ذلك إلى أوليائها فللأولياء أن يفسخوا النكاح بينهما [لدفع][1] العار.

ولو زوج الأب ابنته الصغيرة بدون مهر مثلها أو زوج ابنه الصغير امرأة بأكثر من مهر مثلها نظر، فإن كان مما يتغابن الناس فيه كذلك جاز عند أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وقالا رحمهما الله لا يجوز.

له أن الأب إنما فعل هذا لمصلحة رأي فيه، وهو غير متهم في ذلك بخلاف سائر الأولياء والجد مثل الأب.

ولو أن رجلاً قال لامرأة أنا قريشي فتزوجها ثم بان أنه ليس بقريشي لها الخيار.

ولو أنها قالت أنا قريشية ثم ظهر خلافها بعد النكاح لا خيار للزوج لأن بيده طلاقها؛ ولا فضل بين الناس إلا بالتقى، ولا تقى إلا بالتواضع؛ والجنة موضع المتواضعين والنار مقر المتكبرين، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: 83].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عليه السلام قال: «ثلاث لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم، الشيخ الزاني، وملك كذاب، وعائل متكبر»[2].

وعنه أيضاً قال رسول الله عليه السلام: «ما نقص صدقة مالا قط ولا زاد

---

(1) في النسخة كأنها "لكاد".

(2) انظر "صحيح مسلم" ج1 ص72، و"سنن النسائي" ج4 ص269، و"كنز العمال" ج16 ص59.

الله تعالى بالعفو إلا عزا وما أحد تواضع لله تعالى إلا رفعه الله سناء»[1].

قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن نعيم بإسناده عن أبي سلمة عن أبي أمامة قال: قلت لأبي سعيد الخدري ﷺ: أتدري فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب؟ قال لي: يا ابن أخ كل لله واشرب لله وعالج بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبي عليه السلام في بيته، كان يعلف الناضح ويقيم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع الخادم ويطحن عن الخادم إذا [أعيا][2] ويشتري الشيء من السوق، فما يمنعه الحياء من ذلك أن يحمله إلى بيته، وكان يصافح الفقير ويسلم مبتديا على من استقبله من صغير أو كبير؛ من أسود وأبيض؛ وعبد وحر، ولا يحقر ما دُعي إليه ولو [لم][3] يجد إلا [حشف][4] الدقل، ولا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغد، هين المؤنة [لين الخلق][5] كريم الطبيعة جميل المباشرة طلق الوجه من غير ضحك، محزون من غير عبس، متواضع من غير ذلة، جواد من غير سرف، رحيم بكل مسلم، رقيق القلب دائم [الإطراق][6] لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده من طمع.

قال أبو سلمة فدخلت على عائشة ﷺ فحدثتها بهذا الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ، فقالت: ما اخطأ حرفا واحداً وقد قصّر فيما أخبرك عن رسول الله ﷺ لم يملأ بطنه قط شبعاً وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى، وانه ليصلي جائعا ويتلو ليلته جميع القرآن حتى يصبح فيما يمنعه عن ذلك قيام يومه وصيامه، ولو شاء سأل ربه أن يؤتى كنوز الأرض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها

---

(1) جاء في صحيح مسلم «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». انظر "صحيح مسلم" ج8 ص21، و"سنن الترمذي" ج4 ص376.

(2) غير واضحة في النسخة.

(3) ساقطة من النسخة وأضفتها للسياق والله أعلم.

(4) في النسخة "خشف".
الحشف: من التمر أردؤه وهو الذي يجف ويصلب ويتقبض قبل نضجه فلا يكون له نوى ولا لحاء ولا حلاوة ولا لحم. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص368.
الدقل: أردأ التمر. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص605.

(5) في النسخة "بين الخليفة".

(6) في النسخة "الاطراف".

وغربها يفعل، وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه بيدي وأقول له: يا حبيبي لو تبلغت من الدنيا ما يكفيك يقوتك ويمنع من الجوع؟ فيقول لي «يا عائشة إن إخواني من المرسلين قد صبروا على أشد من هذا، فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم وأكرم مثابهم وأجزل ثوابهم، فأنا أستحي إن ترفهت في معيشي أن يقعدني دونهم ولأن [اصبر][1] أياما يسيرة أحب إليّ من أن ينقص حظي في الآخرة، وما شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني». قالت عائشة رضي الله عنها: فما استكمل بعد هذا رسول الله عليه السلام إلا جمعتين حتى قبضه الله تعالى[2].

قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام وعزي وجلالي لو اجتمع [أنبيائي ورسلي][3] وفي قلوبهم مثقال ذرة من الكبر لأكبُّهُم في النار ولا أبالي.

قال سمعت أبا القاسم الصوفي يقول: أول خلق الله تعالى درة بيضاء فافتخرت، فنظر إليها بالهيبة فذابت فصارت ماء، فارتفع زبدها وموجها، فخلق الله تعالى منها الأرض، فافتخرت الأرض وقالت من مثلي، فخلق الله تعالى الجبال فجعلها أوتادا فقهر الأرض بالجبال، فافتخرت الجبال فخلق الله الحديد فقهر الله الجبال بالحديد، فافتخر الحديد فخلق الله تعالى النار فقهر الحديد بالنار، فافتخرت النار فخلق الله تعالى الماء فقهرها به، فافتخر الماء فخلق السحاب ففرق الماء في الدنيا، فافتخر السحاب فخلق الله تعالى الرياح ففرق السحاب في الدنيا، فافتخرت الرياح فخلق الله الآدمي يبني بناء فيقهرها بالبناء، فافتخرت الآدمي فخلق الله النوم فقهره بالنوم، فافتخر النوم فخلق الله المرض فقهره، فافتخر المرض فخلق الله الموت فهو الذي قهر الجميع من الحيوانات ولم يفتخر هو[4] فبقي لم يزل يقهر به كل حي إلا الحي الذي لا يموت ولا [. . .]، وهو الكبير المتعال خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

---

(1) في النسخة (أجر).

(2) انظر "إحياء علوم الدين" ج3 ص357، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ج1 ص143.

(3) في النسخة (أنبياء ورسولي).

(4) يشبه كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في أي الأشياء أقوى.

الباب السادس والثمانون
في ذم الدنيا والغنى وفضل الفقر

الربا يجرى في بيع الأشياء الستة بالاتفاق، وإذا اختلف الجنسان يحتاج إلى اليد ويحل التفاضل لقوله عليه السلام: «ولا [تبيعوا][1] الذهب بالذهب ولا الورق [بالورق][2] ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا الملح بالملح ولا التمر بالتمر إلا سواء بسواء يدا بيد»[3].

وإذا اختلف الجنسان فلو باع قفيز[4] حنطة بقفيزين من شعير جاز بشرط أن يكون يدا بيد في المجلس.

وإن باع القفيزان في المجلس ولم يتقابضا حتى تفرقا جاز عند أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وعند الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يجوز والربا في غير هذه الستة بمثل هذه الستة كيليا أو وزنيا يقاس إلى هذه الستة الكيلي إلى الكيلي والوزني إلى الوزني؛ وثبت فيه الربا كما هي في الستة عند عامة الفقهاء، وقال داود لا يقاس عليها غيرها ولا يجري الربا إلا في هذه الستة.

ولو اشترى من رجل شيئاً ثم باعه من بائعه ذلك بأقل مما اشتراه نظر إن كان قبل القبض لم يجز بالاتفاق، وإن كان بعد القبض ونقد البائع الثمن جاز، وإن لم ينقد لا يجوز عندنا، وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يجوز. لنا ما روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن امرأة أتتها وقال إني بعت [خادمي][5] من زيد بن أرقم بثمان مائة درهم ثم اشتريته منه بستمائة درهم. فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «بئس ما شريت وبئس ما

---

(1) في النسخة (يبعوا). (2) ساقطة من النسخة.

(3) انظر "سنن البيهقي" ج5 ص276، و"صحيح مسلم" ج5 ص44.

(4) القفيز: مكيال كان يكال به قديما ويختلف مقداره في البلاد ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جراما ومن الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعا. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص418.

(5) في النسخة (خدمها).

اشتريت، أبلغي زيداً أن الله تعالى أبطل جهاده إن لم يتب»[1]، فبان أنه لا يجوز. وذلك لأن النقصان يصير ربا والربا حرام والحرام يذهب الآخرة والاحتيال لارتكاب المحرمات وتحصيل الدنيا مذموم، فإن الدنيا مذمومة كما قال عليه السلام: «مذمومة مذموم من يطلبها»[2]، يدل عليه ما حدثنا الإمام أبو بكر محمد ابن الفضل بإسناد له عن نافع عن ابن عمر ﵄ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح [و][3] الدنيا أكثر همه ابتلاه الله تعالى بأربع حتى يأتيه الموت هم لا ينقطع أبدا، وشغل لا يتفرغ أبدا، وفقر لا يبلغ غناه أبدا، وأمل لا يدرك منتهاه أبداً»[4].

وقيل: إن الله أوحى إلى الدنيا، أوحى الله تعالى أتعبي من خدمك واتبعي من [تركك وهرب][5] منك.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر إسماعيل بإسناد له عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الموت للمؤمن خير من الحياة، الفقر للمؤمن خير من الغنى، والآخرة للمؤمن خير من الدنيا، والذل للمؤمن خير من العز والرفعة، والله تعالى لا ينظر إلى هذه الدنيا إلا إلى ضعفائها، وإن ضعفاء المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام»[6]. ثم قال عليه السلام: «طوبى للضعفاء والفقراء من أمتي هم أحبائي وأحباء الله تعالى، كم من ضعيف مستعفف يشفع يوم القيامة في سبعين ألفا من المذنبين من أمتي، وكم من قوي لا يشفع لنفسه وهو محبوس يوم القيامة في شدة الحساب والعذاب والفقير الضعيف في الجنة مع الحور العين، ألا وإن الغنى مسرة في الدنيا مضرة في الآخرة، وإن الفقر شدة في الدنيا راحة في الآخرة، وإن الله جعل الدنيا

---

(1) انظر "مسند ابن الجعد" ص80.

(2) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية، ووجدته بروايات منها «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا متعلم خيرا ومعلمه». انظر "سنن الدارمي" ج1 ص106، و"سنن الترمذي" ج4 ص561.

(3) في النسخة (في).

(4) انظر "كنز العمال" ج3 ص226.

(5) في النسخة "ترك وهب" والله أعلم.

(6) انظر "تنزيه الشريعة المرفوعة" ج2 ص484.

قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، وإن الله تعالى خلق الدنيا للعمل والجواب وجعل الآخرة للجزاء والعقاب، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القَصَص: 83]»[1].

وعن معاذ الرازي أنه قال: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عامرة وأعمر منها قلب من يطلبها.

وروي أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال: أرني ولياً من أوليائك، فأوحى الله تعالى إليه أن اصعد جبل كذا وفيه كهف فترى وليي، ففعل موسى عليه السلام فرأى رجلاً مسناً يتوسد بلبنة وفوق عورته خرقة ليس به غيرها، فقال: إلٰهي هذا وليك؟ فقال: هو ولي، فوعزتي وجلالي وارتفاعي مكاني ووحدانيتي لا أدخلنه حتى أحاسبه بالخرقة واللبنة من أين وجدها.

عن الأصمعي أن أعرابيا قال في خطبته: أيها الناس إنما الدنيا دار ممر والآخرة دار مستقر فخذوا من ممركم لمستقركم ولا تهتكوا عند من يعلم أسراركم، فإنما الدنيا أكلها من لم يعرفها.

أما بعد فإنه لن يستقبل أحد يوماً من عمره إلا بفراق من أجله، وإن أمس موعظة واليوم غنيمة ولا تدري غداً من أهله، فاستحيوا ما تقدمون على تطعنون عنه، وراقبوا من ترجعون إليه فإنه لا قول أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله تعالى إلا إليه، وكيف يهرب من ينقلب في يد طالبه و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: 185].

قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الرازي بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي عليه السلام أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى من أهان وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة، وإن العبد يكره الموت فلا بد منه [عندي][2]، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح [إيمانه][3] إلا السقم ولو صححته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، إني

(1) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.
(2) في النسخة (وما عندي) والله أعلم.
(3) في النسخة (انه).

[أدبر][1] أمر عبادي بعلمي وأنا بقلوبهم عليم خبير[2]، وعزتي وجلالي إني لأعاهد أوليائي بالبلاء كما يتعاهد الوالد الرحيم لولده، وإني [لاحمي][3] المؤمن كما يحمى المريض أهله من الطعام، وإني لأذوده عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة؛ وما ذلك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا كرامتي يوم القيامة وافرة»[4].

قال: حدثنا أبو بكر الأودني[5] بإسناد له عن إبراهيم بن عبد الله عن أبي الأسود عن الحسن البصري ﷺ أنه قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه الحسن البصري: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام إليها عقوبة، فاحذر يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والغنى منها فقرها، لها في كل حال قتيل يذل من اعزها ويفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه، وكن فيها كالداوي جراحه يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلى [في][6] هذه الدار الغرارة الحثالة الخداعة التي زينت بخداعها وقتلت مغرورها وخانت بآمالها وسرقت [لخطابها][7] فأصبحت كالعروس المتحلية فالعيون إليها ناظرة والقلوب عنها والهة [والنفوس][8] إليها عاشقة وهي لأزواجها قاتلة، فلا الباقي بالماضي يعتبر ولا الآخر على الأول يزدجر؛ فعاشق لها قد طُعن منها

(1) في النسخة (دبّر).

(2) جاء هذا الجزء من الحديث القدسي بروايته الكاملة في "تفسير حقي" ج13 ص90، و"السلسلة الضعيفة" ج4 ص256.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) هذا الجزء الأخير من الحديث ليس برواية واحدة وإنما هو مقسم على جزأين كذلك انظر مثلاً "المعجم الكبير" ج3 ص162، و"كنز العمال" ج3 ص200، و"جامع العلوم والحكم" ج1 ص294.

(5) أبو بكر الأودني (385 هـ): محمد بن عبد الله بن محمد بن ورقاء الأودني البخاري، وأودن من قرى بخارى، كان إمام الشافعية في زمانة بما وراء النهر. قال الحاكم: كان من أزهد الفقهاء وأعبدهم وأورعهم وأبكاهم على تقصيره وأشدهم إنابة وتواضعا. انظر "سير أعلام النبلاء" ج16 ص466.

(6) ساقطة من النسخة.

(7) في النسخة "لحطابها".

(8) في النسخة "النفوش".

بمحاجتها فأغنى وطغى ونسى المعاد والبلى فشغل [لبه][1] حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته، فاجتمع عليه عند سكرات الموت تألمه وخسران الموت [يعصصه][2] لم يدرك ما طلب فخرج بغير زاد وقدم على غير زاد ولم يروح نفسه من العتب، فاحذر يا أمير المؤمنين وكن آيسا منها ما يكون أحذر ما يكون، فإن صاحب الدنيا كلها اطمأن منها على سرور [. . .] فيها لأهلها عار والنافع فيها غداً ضار، قد وصل الرخاء فيها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى الفناء، سرورها مشوب بالحزن لا يرجع ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت، [. . .] أمانتها كاذبة وآمالها باطلة [وصفوها كدار][3] وابن آدم على خطر، وكن من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا أيقظت النائم ونبهت الغافل، وكيف وقد جاء من الله مثلاً عنها زاجر وفيها واعظ، فما لها عند الله تعالى قدر ولا وزن وما نظر إليها منذ خلقها، وقد عرضت على نبينا عليه السلام بمفاتيحها وخزائنها فأبى أن يقبلها [وكره أن يحب ما أبغضه][4] الله تعالى ويرفع ما وضعه الله تعالى، [فزواها][5] عن الصالحين اختيارا وبسطها لأعدائه اغترارا، فنظر

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
عصص: صلب واشتد. انظر "لسان العرب" ج7 ص54.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) غير واضحة في النسخة وصححته بما يناسب السياق والله أعلم.
جاء في هامش النسخة "قال الفقيه: اعلم أن للفقراء خمس كرامات: إحدها أن ثواب عمله أكثر من ثواب عمل الغني في الصلاة والصدقة، والثانية أنه إذا اشتهى شيئاً لا يجده يكتب له الأجر، والثالثة أنهم سابقون [إلى] الجنة، والرابعة أن حسابهم أقل لأن الأغنياء يتمنون في الآخرة [لو] كانوا فقراء ولا يتمنى الفقراء لو كانوا أغنياء. وروى الحسن عن النبي عليه السلام أنه سأله عن بعض أصحابه فقال إذا رأينا شيئاً [شهيا] لا نقدر [عليه] فهل لنا فيه أجر ؟. قال «نعم».
وعن الضحاك قال: من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر واحتسب كان خيراً له من مائة ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله. [تنبيه الغافلين]".

(5) في النسخة "فرواها". زوى: صار في زاوية البيت ونحوه والشيء طواه وجمعه وقبضه. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص847.

المغرور بها المتقدم عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنعه الله تعالى [بمحمد][1] عليه السلام حتى شد على بطنه الحجر، ولقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين. وقال عيسى عليه السلام: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وسراجي القمر، ودابتي رجلاي، وطعامي وفاكهتي ما نبتت الأرض وليس على الأرض أغنى مني. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال أبو عمر وسعيد بن محمد عن وهب بن منبه ﷺ قال: كان في بني إسرائيل رجل يقال له مليعا، وكان في ذلك الزمان من يعبد الله تعالى ثلاثمائة [سنة فيوحى][2] إليه، فخرج هذا الرجل وأقبل على العبادة وبحذائه شجر نخل يشمه كل يوم، فكان يأكل من ثمرها، فعبد الله تعالى ثلاثمائة سنة فلم يوحِ الله إليه، فاغتم بذلك وسار إلى نبي ذلك [الزمان][3] وقص عنده القصة، فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبي أن قل له إني لا أوحي إلى رجل لا يطمئن قلبه بشيء من الدنيا. قال يا رب وبأي شيء اطمأن قلبي؟ قال عزوجل كان قلبك مطمئنا بتلك الشجرة أنها تثمر ولم يكن قلبك معي.

فقلع الرجل الشجرة وعبد الله ثلاثة أيام وقال: يا رب لا ترزقني حتى أموت، وإني أخاف أن يطمئن قلبي إلى شيء دونك. وكان يأتي إليه كل ليلة رمانة من سفح ذلك الجبل ويأكله، فلما مضى ثلاثة أيام أوحى الله تعالى إليه وقال: يا عبدي وزنت ثلاثة أيام بثلاثة مائة سنة؛ فكانت هذه أرجح من ثلاثمائة فأوحيت لك[4].

قال: حدثنا أبو عمر بإسناد له عن وهب بن منبه ﷺ قال بينما الخضر عليه

---

(1) في النسخة (محمداً) وصححته حسب السياق والله أعلم.

(2) في النسخة "يوحى" وكلمة "سنة" ساقطة من النسخة، وصححته حسب السياق.

(3) ساقطة من النسخة وأضفتها لتناسب المعنى والله أعلم.

(4) جاء في هامش النسخة "وقيل الفقير طبيب الغني، إذا مرض يتصدق على الفقير فيبرأ من مرضه. وقيل الفقير إنه قصاره لأن الغني إذا تصدق فيدعو له الفقير فيطهر الغني من ذنوبه ويطهر ماله. وقيل رسوله لأن الغني إذا تصدق عن والديه أو عن أقربائه فيصل ذلك إلى المولى فصار الفقير رسوله إلى المولى. وقيل هو حارسه لأن الغني إذا تصدق فدعا له الفقير [يحصن] مال الغني بدعائه [. . .]".

السلام حيث قال بحق الله ثم أفاق فقال الدنيا ليست بشيء وقد سألتني بحق الله تعالى فبذلتك نفسي فبعها وانتفع بها[1]، فذهب به وباعه من رجل يقال له ساحم ابن أرقم، فذهب به ساحم إلى منزله وكان له بستان وبجنبه جبل كبير، فدفع المسحاة[2] إليه وأمر له أن يسحت شيئاً من ذلك الجبل ليزيد في بستانه فيغرس فيه غرسا، وكان الجبل فرسخين في فرسخ، وغاب ساحم في حاجته وأقبل الخضر عليه السلام إلى السحت وأبطأ مولاه، فلما رجع ساحم ودخل عليه وجده قد فرغ من الجبل رفعه كله بقدرة الله تعالى وهو قائم يصلي، فتعجب ساحم وكاد أن يغشى عليه، فسأله من أنت؟ فأبى أن يعلمه، فقال: أنا غلام من ولد آدم وقصتي عبد بيع وآخر اشترى. فقال: بحق الله تعالى أن تخبرني من أنت. فغشي عليه ثم أفاق فأخبر أنه الخضر عليه السلام. فغشي على ساحم، فلما أفاق تاب وأعتقه وقال: يا رب لا تؤاخذني فإني لم أعلمه، فسجد الخضر عليه السلام وقال: يا رب بحقك صرت رقيقا وبحقك أعتقت، فمن عليّ واعتقني من النار وساحم، فأجابه الله تعالى بما سأله منه. فلما لم يكن عند الخضر عليه السلام الدنيا [. . .] ليست بشيء يذل نفسه فأنت أيها العاقل [تبذل][3] نفسك لأجل الدنيا والدنيا أعز الأشياء عندك؟!. فينبهنا الله عن نومة الغافلين.

---

(1) الظاهر من هذه الجملة السابقة أن الناسخ أسقط كلمة أو أكثر تفيد أن الخضر عليه السلام سأله سائل أن يعطيه شيئاً بحق الله تعالى، فلم يجد الخضر عليه السلام إلا نفسه. والله أعلم.

(2) المسحاة: أداة القشر والجرف. وسحت: الشيء سحتا استأصله انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص873، 868.

(3) في النسخة "تبدل".

الباب السابع والثمانون
في الثقة بالرزق

ولا يجوز للرجل أن يتزوج أخت امرأته وامرأته تعتد منه في عدة من طلاق رجعي أو بائن أو ثلاث تطليقات، وقال الشافعي رحمه الله يجوز في طلاق بائن أو ثلاث.

ثم يجب على الرجل نفقة امرأته المطلقة رجعية كانت أو بائنة، وقال الشافعي رحمه الله تجب نفقة الرجعية لا البائنة. لنا أنها محبوسة بسبب رجعية أو بائنة لا تتمكن من زوج آخر، فيجب عليه النفقة.

وقال الشافعي رحمه الله لا يجب نفقة الرجعية لأنها في حكمه لا يحتاج إلى تجديد النكاح وشرائطه، أما البائنة فقد خرجت من حكمه فهي كالأجنبية؛ وإنها محبوسة بأمر الله تعالى لأن العدة عبادة أوجبها الله تعالى عليها، والدليل وهو أن العدة تتفاوت وبراءة الرحم تحصل بحيضة واحدة كما في الأمة وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، فإذا كان كذلك نفقة البائنة لا على الزوج ولا يخاف فإن الرزاق هو الله، وقد وعد لنا الرزق وذكر وجوبه على نفسه فقال عزوجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: 6]، وفي موضع آخر قال الله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذّاريَات: 22]، وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: 58] وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الرُّوم: 40] وقال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العَنكبوت: 60].

يدل على ذلك ما حدثنا به الشيخ أبو محمد بن عبد الله بن الفضل بإسناد له عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى المفازة في حاجة؛ فإذا نحن بطير يلحن بصوت، قال النبي عليه السلام: «أتدري ما يقول هذا الطير؟ قلت: الله ورسوله أعلم بذلك. قال عليه السلام: إنه يقول يا رب أذهبت عني بصري وجعلتني أعمى فارزقني فإني جائع». قال أنس: فبينما نحن ننظر إلى الطير

إذ جاءت بجرادة ودخلت في فم الطير فابتلعها، ثم رفع صوته وجعل يلحن. فقال عليه السلام: «يا أنس أتدري ما يقول الطير؟ قلت: الله ورسول اعلم. قال: إنه يقول الحمد الذي لا ينسى من ذكره»[1].

قال سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الخورزمن[2] يروي بإسناده عن الحسن بن علي ﷺ قال لما قصد عليّ بن أبي طالب[3] ﷺ الكوفة فرأى في طريق الكوفة إبلا كثيرة، ثم رأى بقورا، ثم أغناما وحمرا وبغالا وفرسا لا يعد حصرها من كثرتها، فكلما سأل عنها يقال له لوبرة.

فلما قرب الكوفة كان يرى بساتين ودورا وضياعا وحانوتا وقصورا مرتفعة متزينة، فسأل فقالوا هي لوبرة.

فلما دخل الكوفة رأى قصرا عاليا مشيدا حوله خدم كثير وغلمان، فسأل لمن هذا؟ فقالوا لوبرة. فقال عليّ ﷺ: علي به. فأتى به فإذا هو شل اليدين والرجلين، أقرع، أعور، أبرص فتعجب وأنشد شعراً:

سبحان رب العباد والوبرة ورازق المتقين والفجرة
لو كان رزق العباد من [جلد][4] ما نال من رزق ربنا مدره

قال رأيت في كتاب اللطائف يقول عبد الله بن زياد: قلت لراهب: يا راهب

---

(1) انظر "تفسير حقي" ج5 ص366.
(2) لم أجد له ترجمة، ولم أجد اسماً يشبه اسمه في كتب التراجم.
(3) في النسخة "علي بن احمد أبي طالب". (4) مترددة في النسخة بين "جلد" و"بلد". جاء في هامش النسخة " قال «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». هذا تحريض على معرفة حقوق الناس. إن المعطي اثنان: أحدهما الرجل الذي أعطاك، والثاني هو الله تعالى، لأن الله تعالى قدر إيصال الأرزاق إلى العباد بالأسباب والوسائط يرزق بعضهم بواسطة حرفة وبعضهم بواسطة تجارة، وبعضهم بواسطة ذراعه، وبعضهم بواسطة التصدق عليه من إعطاء الزكاة والسؤال وغير ذلك، فالمعطي في الظاهر هو الذي أعطاك شيئاً وفي الحقيقة [هو الله]، فإذا كان لعطائك اثنان فلو لم تؤد شكر من أعطاك في الظاهر كره الله عدم أداء شكر ذلك الرجل منك، فلا يقبل الله شكرك إياه ولا يقبل كمال شكرك إياه لأنك خالفت أمره بترك [شكر] من أمرك بشكره. رواه أبو هريرة [مظهر. . .] باب العطايا". انظر "سنن الترمذي" ج4 ص339.

من أين تأكل؟ قال: من رزق اللطيف الخبير، ثم ضرب بيده إلى صدره وهو يقول: يا فتى إن الذي نصب الرحا يأتيها الطحين. فقلت له: كيف حالك في هذه الدنيا؟ قال: كيف حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد؛ ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس؛ ويقف بين [يدي][1] حاكم عدل بلا حجة؟!. فقلت: يا راهب أكون معك فأقيم عليك. قال: وما أصنع بك وهو معطي الرزق وقابض الأرواح، يسوق إليّ رزقي في وقته ولم يكلفني جمعه؟!.

قال: حدثنا الأديب أبو يوسف بإسناد له عن وهب بن منبه ﷺ قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اذهب إلى فرعون وادعه إلى الإسلام وإلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله عليه السلام. فقال موسى عليه السلام من يقوم على أمر عيالي؟ فأوحى الله تعالى إليه يا موسى اضرب بعصاك هذا الحجر. قال فضرب موسى بالعصا الجبل فتحركت حجرة من مكانها وظهرت تحتها حجرة أخرى، وانشق الحجر الذي ظهر نصفين وخرج منه دودة في فمها ورقة خضراء، فتعجب موسى وتحير. فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني لا أنسى هذه الدودة في وسط هذا الحجر وأوصل إليها رزقها، فأنسى أهلك وعيالك على وجه الأرض؟!.

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال رسول الله ﷺ: «من جاع واحتاج فكتمه عن الناس وأفضى به إلى الله تعالى كان حقاً على الله أن يفتح له رزق سنة من حلال»[2].

قال: حدثنا الإمام أبو محمد عبد الله بن الفضل يحكي عن أويس[3]

(1) في النسخة "يده".
(2) انظر "المعجم الأوسط" ج3 ص25، و"كنز العمال" ج6 ص513.
(3) أويس القرني (37 هـ) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد: أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين. أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة. وشهد وقعة صفين مع علي، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها. انظر "الأعلام" ج2 ص32. أخباره كثيرة انظر مثلاً "إحياء علوم الدين".

القرني رضي الله عنه أنه كان زاهداً يلتقط النوى ويطحنها ويخبز طحنها ثم يأكل ويقول: اللهم لا تأخذني بحق السائلين والجائعين. وكان يلتقط الخرق ويغسله في الفرات، ثم يخيط قميصا ويلبسه. وكانت أخته تغسل ثيابه وهو يدخل في قفة[1] ويخرج رأسه ويقول: اللهم لا تأخذني بحق العراة. وكانت أخته تبكي وتقول: هل في الدنيا أعرى منك؟ فيقول لها: من لا قفة له يدخل فيها وقت غسل ثيابه يكون أعرى مني.

فبلغ زهده إلى البلدان حتى نادى عمر رضي الله عنه في موسم عام حجة هل فيكم قرني؟ فقال رجل: أنا قرني. فقال: أتعرف أويسا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، [تتفحص][2] عن مجنون؟ فغضب عمر رضي الله عنه وقال: تسميه مجنوناً وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يكون في زمانك يا عمر رجل يقال له أويس القرني يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر»[3] - يضرب بهما المثل للكثرة - وقال له: إذا رأيته فأقرئه مني السلام. فقال الرجل: إنه يرعى إبلاً لنا في موضع.

فسمع رجل يقال له هرم بن حيان مقالة عمر رضي الله عنه، فذهب إلى الموضع الذي قال الرجل، فرأى رجلاً طويلاً نحيفاً قائماً على شط البحر يصلي، فقام هرم فمكث حتى فرغ من صلاته. [قال][4] فسلمت عليه. فقال: عليك السلام يا هرم ابن حيان. قال: قلت ومن أين تعرفني يا شيخ ولا صحبة معك؟ قال: ألهمني من يرزقني. قال: قلت عظني. قال: لذلك هربت من الناس. قلت: لا بد لك من ذلك. قال: ما يكفيك موت أبيك وموت آدم ونوح عليه السلام مع طول عمرهما، وسليمان وموسى ومحمد النبي عليه السلام وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عظة؟!. قلت: سبحان الله جئت من عمر وهو من الأحياء، [كيف][5] عرفت موته؟ فقال:

---

(1) جاء في هامش النسخة "[والقفة] ما ارتفع من الأرض. صحاح". انظر "الصحاح" ج2 ص89. وهذا الشرح الذي جاء في الهامش هو أحد الوجوه فقط، وللقفة عدة معاني منها المعنى المعروف الحالي. انظر المرجع السابق و"المعجم الوسيط" ج2 ص420.

(2) في النسخة كأنها "يتفحص".

(3) انظر "كنز العمال" ج12 ص75، و"مصنف ابن أبي شيبة" ج6 ص397.

(4) ساقطة من النسخة.

(5) في النسخة "لم" وصححته لمقتضى السياق.

ألهمني من ألهمني أنك هرم بن حيان، فإني رأيت البارحة علامة فعرفت أن بركة عدله في الدنيا قد رفعت، كان الذئب يشرب مع الغنم ولا يؤذيها في زمانه، فالبارحة أكل الذئب غنما، وكان قد مات رضي الله عنه. ثم قال: اذهب فقد منعتني من العبادة. قلت: لا بد لك من العظة. قال: يا هرم احفظ مني: اتق عن الحرام تنج من العذاب، واذكر الموت [يغنيك][1] عن الخطاب؛ كلها كما قال النبي عليه السلام: «أكثروا ذكر هادم اللذات»[2]، واقنع بالقليل تعش غنيا، واتق الله تعالى واتق رزقك.

وحكي أن أويس القرني بقي ثلاثة أيام ولياليها جائعا بلا طعام، فلما كان عشية الرابعة [نظر][3] نحو السماء ثم قال: إلٰهي وسيدي لئن تبتني الليلة بلا طعام لازيدن غداً في وظيفتي أربعمائة ركعة. فلما أصبح خرج يمشي على قارعة الطريق إذ مر بدينار مطروح، فقال يا دينار [غر غيري][4]، وجاز إلى حشيش نابت وماء جار فجعل يعطف ويأكل منه، ثم التفت فإذا بشاة في فمها رغيف. وقال فأنطق الله تعالى الشاة بقدرته وقالت: يا أويس أنا عبد من أنت عبده، خذه يا عبد الله من عبد الله رزق الله.

قال وهب بن منبه: مكتوب في التوراة السمكة في الماء والثمرة على الشجر مكتوب عليها اسم من يأكلها.

قال: سمعت الفقيه أبا حفص السفكردي رحمه الله قال: توفي لإبراهيم بن أدهم قريب بخرسان وترك مالا عظيما، فهم أن يذهب إلى خرسان مع صاحب له، فبلغا ساحل البحر وجلسا للوضوء، فرأى إبراهيم بن أدهم طيرا أعمى واقفاً على ساحل البحر، فما لبث أن تحرك الماء وخرج سرطان في فمه طعام، فلما حس به الطائر فتح منقاره فألقى السرطان الطعام في فمه وذهب.

---

(1) في النسخة كأنها "نعينك".

(2) الظاهر أن الحديث الشريف حسب الرواية ينتهي هنا، ووجدته برواية «أكثروا ذكر هادم اللذات فإنه لا يكون في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا كثره». انظر "مسند الشهاب" ج1 ص392، و"شعب الإيمان" ج7 ص353. والله أعلم.

(3) في النسخة كأنها "نحظ".

(4) في النسخة "غرلي" وصححتها على حسب مقتضى النص والله أعلم.

فقال إبراهيم بن أدهم لصاحبه: هذا طير أعمى سخر الله تعالى له سرطانا يأتيه برزقه، أتراه يمنع عنا رزقنا إن لم نرحل إلى خرسان؟!، فرجعا ولم يذهبا.

سمعت الإمام أبا محمد بن الفضل أنه قال: كان إبراهيم بن أدهم يأكل شيئاً فجاء زنبور[1] فأخذ من طعام شيئاً ودخل الخربة، وجعل هذا مرارا، فاتبعه إبراهيم فرأى في الخربة طائرا أعمى يأتي إليه الزنبور بالطعام ويلقي في فمه فيأكل.

قال علي بن يحيى المصنف: ضمن الله أرزاق عباده كما ذكرنا، لكن أمرنا بالكسب والتحرك لأجل المعيشة كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النّبَإِ: 11]، أي جعلنا النهار وقتاً لطلبكم المعيشة، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 10].

ويؤكد قوله تعالى في قصة مريم رضي الله عنها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مَريَم: 25] أي حركي النخلة. أمرها بالكسب وهو التحريك.

وحين كانت مريم في المحراب يحمل جبرائيل عليه السلام إليها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء كما يحكي الله تعالى بقوله: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: 37].

فلما ولدت بعيسى عليه السلام فكان ينبغي أن يزاد في كرامتها لأجل عيسى عليه السلام، بل نقصت حتى قيل لها ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مَريَم: 25]، قيل جوابا حين لم يكن لها ولد كانت لا ترى إلا الرب عز وجل وما كان في قلبها سواه، فلما ولدت مال قلبها إلى الولد قليلا، قيل لم تكوني تحبين غيرنا فلا جرم أطعمناك بلا واسطة، فالآن نظرت إلى غيرنا قليلاً جعلت فيما بيننا واسطة فكذلك جعلنا في أداء رزقك واسطة قليلاً وهي تحريك الشجرة. ألا يرى أن الصبي ما دام يكون صغيرا رضيعاً لا يعرف إلا الرب عز وجل يرزقه الله لبنا طاهراً من غير عناء وتعب، وإذا كبر حتى يعرف أبويه يرزقه الله تعالى بيد أبويه، وإذا بلغ وعرف الدنيا يجعل رزقه من الدنيا يجده [بعناء][2].

---

(1) الزنبار: حشرة أليمة اللسع من الفصيلة الزنبورية. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص834.

(2) في النسخة كأنها "وعناء".

قيل: ما الحكمة في أن مريم أمرت بهذه النخلة ولم تؤمر بحفر البئر، بل نبع الماء من غير حفرها كما قال الله تعالى: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مَريَم: 24] - يعني نهرا صغيرا -؟ قيل لأن حزنها في الماء لأجل الطهارة للصلاة فكفت مؤنته من غير شغل منها، وكان الرطب لأجل نفسها فجعل تحصيله بسعيها.

قال: سمعت أبا عبد الله المطوعي يحكي عن ذي النون المصري رحمهما الله قال: ركبت البحر فوقعت في جزيرة فإذا أنا بشاب في غار في الجزيرة يعبد حجراً [ولا يسجد][1] لله تعالى. قال: فدعوته إلى الإسلام فرزق من السعادة فأجابني الله وأسلم على يدي، فجئت أهل السفينة فجمعت له أربعمائة درهم وجئت بها وقلت استعن بها على عبادتك لربك جل جلاله فليس لك ذرع ولا ضرع. فضحك في وجهي ثم قال: يا حبيبي حين كنت أسجد للصليب منذ ثلاثين سنة كان يرزقني؛ فالآن رزقت السجود للحبيب أتراه يمنعني؟!. فاعلم أنه لا يمنع رزقي برزق العدو، فكيف أن لا يرزق الحبيب برزق من لا يحبيه ألا يرزق من أجابه؟!.

(1) في النسخة "يسجدون".

الباب الثامن والثمانون
في حسن الخلق وفضله

وإذا أراد الرجل أن يزوج جاريته من رجل فأبت كان له أن يكرهها بالاتفاق لأنها ملكه، فلو زوج عبده امرأة فأبى على ذلك لم يكرهه عندنا وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له ذلك، ولا يكره ابنته البالغة الثيب على نكاحها بالاتفاق، وكذا ابنته البكر البالغة عندنا وعند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكرهها الأب على نكاحها. لنا ما روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً أتى إلى النبي عليه السلام عليّ بها[1]، فأتيت بها فقال «[اختاري][2] ما صنع بك أبوك. فقالت: اخترت لكني وددت أن أعلم ما حق الزوج على المرأة؟ فقال عليه السلام: لو كان من قرنه إلى قدمه قروح سائلة فتلحسها بلسانها ما أدت حق زوجها. فقالت: والله لا أتزوج»[3].

---

(1) الظاهر من السياق أن الناسخ أسقط كلام هنا مفاده أن الرجل اشتكى من ابنته إلى رسول الله ﷺ بسبب عدم قبولها الزواج واختيارها من الأزواج والله أعلم.

(2) في النسخة (اخترلي) وصححتها بما يوافق السياق والله أعلم.

(3) سبق ذكر الحديث.

جاء في هامش النسخة "﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ [النِّسَاء: 149] [أي تظهروا] من أعمال البر، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزَاب: 54] تفعلوه سراً، ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ [النِّسَاء: 149] ظلمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّسَاء: 149] يكثر العفو عن العصاة مع كل قدرته المؤاخذة والانتقام فأنتم أولى بذلك، فتخلقوا بأخلاق الله واعفوا عن عباد الله، وهو ترغيب على العفو حملا على مكارم الأخلاق، فإن [أحسن الحسن] الخلق الحسن [تعفو عن الجانين مع القدرة على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله وسنة رسوله]، ولذلك قال الله تعالى في مدح نبيه عليه السلام ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: 4].

وحسن الخلق تبديل الأخلاق الرديئة من العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال والجاه [بالاحسن] وهم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ [الشّورىٰ: 40] أي تجاوز عن مظلمته بالعفو منه وبين خصمه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورىٰ: 40] أي ثوابه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشّورىٰ: 40]" .

عن أسامة رضي الله عنه وحكي عن شقيق بن إبراهيم الزاهد البلخي [كانت] له امرأة سيئة الخلق، فقيل له لم [لا] تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها ؟. فقال: إن كانت سيئة=

ويجوز للرجل على امرأته[1] خدمة بيته مثل الكنس والفرش وما شاكله لأن ذلك عليها لما روي عن النبي عليه السلام أنه جعل خدمة بيت عليّ رضي الله عنه [على فاطمة رضي الله عنها][2].

ويجوز للرجل أن يكره ولده إذا حلف لا يصلي أو لا يكلم أباه وأمه لقوله عليه السلام: «من حلف على يمين فاجرة فرأى غيرها خيراً [منها][3] فليأت الذي هو خير [منها] ثم يكفر يمينه»[4].

ويجوز للرجل أن يكره ولده الصغير على تعليم القرآن والعلم لأن تعليمه فرض على الوالدين كما قال النبي عليه السلام: «ويل لأولاد بني آدم من آبائهم لا يعلمونهم القرآن والأدب [فينشؤون][5] جهالا أولئك أعدائي»[6] يعني الآباء.

ويجوز للرجل أن يكره امرأته على المقام في البيت أن يدعها على البروز والخروج إلا إلى الخير لقوله عليه السلام: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن»[7].

ويكره أن يكون الرجل في بيته عابس الوجه سيئ الخلق، بل ينبغي أن يكون طلق الوجه حسن الخلق، قال الخضر لموسى عليه السلام: "كن بشاشاً ولا تكن

= الخلق فأنا حسن الخلق، لو فارقتها صرت [مثلها] ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها. من الروضة".
"حكي أن بعض الملوك سأل ندماءه عن [اشر] الأشياء. قال بعضهم المرأة السوء. وقال بعضهم الجار السوء، فتحاكموا إلى رجل فلاح داخل البلد وهو أول من يلقونه يدخل البلد، فقال ذلك الرجل الخلق السوء أقبح الأشياء، المرأة يطلقها والجار يرتحل عنه والخلق السوء لا يفارقه.
صحب رجل سيئ الخلق فلما فارقه قال قد فارقته وخلقه لم يفارقه، الصحبة مؤثرة. مجموعة".
"وخير خصال "المرأة ستر [المعايب]، وأفضل أخلاق الرجال التسامح".

(1) الظاهر أن الناسخ أسقط كلمة هنا مثل "يشترط على امرأته" والله أعلم.
(2) ساقطة من النسخة، وصححتها على حسب ما جاء في الفقه الحنفي، حيث قال السرخسي «روي أن النبي ﷺ ـ لما زوج فاطمة من علي رضي الله عنهما ـ جعل أموراً داخل البيت عليها وأموراً خارج البيت عليه». انظر "المبسوط" ج16 ص55. والله أعلم.
(3) في النسخة (منه)، وسوف أصححها في الموضع القادم تلقائيا.
(4) سبق تخريجه.
(5) في النسخة (وينسون).
(6) سبق ذكره.
(7) سبق تخريجه.

هشاشاً". وروي عن النبي عليه السلام أنه كان يلعب مع الحسن والحسين رضي الله عنهما حتى كان يركبان عليه[1]، وكانت عائشة رضي الله عنها تعبث بثدييه ويمصهما وتمص لسانه ويمص لسانها[2] ولذلك مدحه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: 4]، وقال في موضع آخر: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عِمرَان: 159][3] الآية.

يدل على كل ما حدثنا الإمام الاسماعيلي بإسناد عن مكحول الشامي عن أبي ثعلبة الحسني رضي الله عنه قال: قال رسول الله «أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا، وأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة أسوؤكم أخلاقا»[4].

قال أبو بكر محمد بن الفضل بإسناد له عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا مظاهرة أوثق من المشورة، ولا عقل كالتدبر، ولا ورع كالكف، ولا إيمان كالحياء والصبر، ولا حسب ـ أي شريف نسب ـ كحسن الخلق»[5].

وقال عليه السلام: «حسن الخلق يمن وسعادة، وسوء الخلق شؤم ودناءة، وطاعة المرأة ندامة، والصدقة ترفع ميتة السوء»[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[7]. فقيل: يا رسول الله ما أكبر ما يدخل الناس الجنة؟ قال:

---

(1) انظر "سنن النسائي" ج5 ص50، "صحيح ابن حبان" ج15 ص426.

(2) انظر "صحيح ابن خزيمة" ج3 ص246، و"كنز العمال" ج7 ص131؛ 160.

(3) قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: 159].

(4) انظر "شعب الإيمان" ج6 ص234، و"مصنف ابن أبي شيبة" ج5 ص210.

(5) انظر "كنز العمال" ج16 ص216، و"مسند الشهاب" ج2 ص38.

(6) وجدته برواية «حسن الملكة يمن، وسوء الخلق شؤم، وطاعة المرأة ندامة، والصدقة تدفع القضاء السوء». انظر "كنز العمال" ج3 ص4، و"الجامع الصغير وزيادته" ص647.

(7) لم أجده بنص واحد، ووجدت هذا الجزء الأول من الحديث في "سنن أبي داود" ج4 ص354، و"سنن البيهقي" ج10 ص192، و"سنن الترمذي" ج3 ص466.

[تقوى][1] الله وحسن الخلق»[2].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لقبيصة: يا قبيصة إني أراك شاباً فصيح اللسان فسيح الصدر وقد يكون في الرجل عشرة أخلاق تسعة صالحة وخلق سيئ فتفسد فتفسد التسعة الصالحة بالخلق السيئ، فاتق طيران الشباب[3].

قال أبو الحسن المداين: عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا كانا ابني خالة، وكان عيسى عليه السلام إذا لقيه تبسم في وجهه، وإذا لقي إليه يحيى عليه السلام لقيه عابسا [كأنه][4] آيس، فأوحى الله تعالى إليهما أحبكما إليّ أحسنكما خلقا وأحسنكما بي ظنا.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه للإيمان حكم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجره عن المحارم، وخلق يداري به الناس[5].

وقال عليه السلام: «إن الخلق الحسن زمام من رحمة الله في أنف صاحبه؛ والزمام بيد ملك والملك يجره إلى الجنة، وإن الخلق السيئ زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه؛ والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره إلى النار»[6].

قالت عائشة ﷺ: إن حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان الأعمار[7].

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «أشد الأعمال ثلاث: إنفاق الناس من نفسك، ومواساة الأخ في مالك، وذكر الله تعالى على كل حال»[8].

---

(1) في النسخة (تقول).

(2) انظر "سنن الترمذي" ج4 ص363، و"صحيح ابن حبان" ج2 ص224.

(3) وجدته برواية "عثرات الشباب". انظر "شرح ابن بطال" ج17 ص284.

(4) في النسخة "كانك".

(5) جاء عن النبي عليه السلام أنه قال «ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن محارم الله وحلم يرد به جهل الجاهل». انظر "الترغيب والترهيب" ج2 ص352، و"المعجم الأوسط" ج5 ص120.

(6) انظر "شعب الإيمان" ج6 ص248.

(7) هذا الكلام مرفوع إلى النبي عليه السلام. انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج6 ص159، و"السلسلة الصحيحة" ج2 ص48.

(8) وجدته برواية (انصاف الناس) انظر "السلسلة الضعيفة" ج7 ص312.

وروى عن ابن عباس ﵁ أنه قال: إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذهب الشمس [الجليد][1]، وإن الخلق السيئ يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل[2].

وروي أن رجلاً أتى النبي عليه السلام وقال: يا رسول الله ما أفضل الأعمال؟ قال: «حسن الخلق؛ وهو أن لا يغضب»[3]، وفي سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

وقال عبد الله بن عمر ﵄: قبح الله أقواماً يرغبون عما ملكت أيمانهم أن يأكلوا معهم.

وقال عليه السلام: «من ساء خلقه عذب، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن كثر كلامه كثر سقطه»[4].

وسئل النبي عليه السلام: «ما أكثر ما أولج الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق. وما أكثر ما يولج الناس النار؟ قال: سوء الخلق»[5].

وقال إبراهيم بن أدهم: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ما لا يدرك بماله.

وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق خير من أن يصحبني عابد سيئ الخلق. [وسئل عن][6] حسن الخلق: قال البذل والعفو والاحتمال.

قيل لأبي حازم: ما القرابة؟ قال: المودة. قيل: فما اللذة؟ قال: الموافقة. قيل: فما الراحة؟ قال الجنة.

---

(1) في النسخة "الجلد" والله أعلم.

(2) وجدته من كلام النبي ﷺ انظر "التواضع والخمول" ص233، وبرواية «كما يذيب الماء الجليد». في "المعجم الكبير" ج10 ص318.

(3) انظر "كنز العمال" ج3 ص9، و"الجامع الصغير وزيادته" ص293.

(4) لم أجده برواية نص واحد، انظر الجزء الأول في "شعب الإيمان" ج6 ص250، والجزء الثاني من الحديث وجدته من كلام الحسن ﵁ انظر "إحياء علوم الدين" ج3 ص115، والجزء الأخير في "المعجم الأوسط" ج6 ص328.

(5) الجزء الأول من الحديث سبق تخريجه، والجزء الثاني لم أجده بهذه الرواية.

(6) في النسخة "وسئل الخلق" والراجح أنه سهو من الناسخ والله أعلم.

الباب التاسع والثمانون
في ذكر أشراط الساعة

وإذا زنى الرجل بجارية ابنه لا حد عليه علم أنه حرام أو لم يعلم، لأن له تأويلاً في ملكه لقوله عليه السلام: «أنت [و][1] مالك لأبيك»[2]، وقوله عليه السلام: «إن أولادكم هبة الله لكم ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشّورىٰ: 49] و[أموالهم][3] إن احتجتم[4]، وإن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه»[5] فلذلك لا يجب عليه الحد كما لو وطئ جارية بنيه وبين آخر لو وطئ جارية أبويه أو أبيه أو أب أم أو أم أبيه أو أم أمه أو جارية امرأته؛ فلو قال ما علمت أنها حرام لم يحد وإلا فيحد.

ولو استأجر امرأة فزنى بها لا حد عليه عند أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقالا والشافعي رحمهم الله يحد. ولو تلوط بغلام لا يحد عند أبي حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقالا والشافعي رحمهم يحد في قول وفي قول ابن عباس رضي الله عنه: يعلى اللواطي على مكان في البلدة وينكث[6] من هناك منكوساً. ثم قال: ألا فاتقوا اللواطة وهي من أشراط الساعة.

وقال عليه السلام: «من أشراط الساعة أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) انظر "سنن البيهقي" ج7 ص480، و"صحيح ابن حبان" ج2 ص142.

(3) في النسخة (أموالكم).

(4) لم أجد الحديث برواية نص واحد، وهذا الجزء وجدته برواية «فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها». انظر "سنن البيهقي" ج7 ص480، و"المستدرك على الصحيحين" ج2 ص312.

(5) انظر "روح المعاني" ج18 ص219، و"سنن النسائي" ج4 ص4، و"صحيح ابن حبان" ج10 ص73.

(6) هكذا جاء في النسخة والراجح أن الناسخ حرف الكلمة، والمعنى أن يلقى اللواطي من مكان عال.

[بالنساء][1]. وعن ابن عباس ﷺ: [تقوم الساعة][2] على شرار هذه الأمة يتناكحون في الطريق كالبهائم.

وعن علي ﷺ أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل البلاء: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرما، وأطاع الرجل الزوجة وعق أباه وأمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وإذا لبس الحرير، وشربت الخمور، واتخذت القينات والمعازف، وفشا الزنا، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا [عند][3] ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا»[4].

قال خطب رسول الله عليه السلام فقال «أيها الناس لم يكن قبلي نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما يعلم أنه خير لهم وينذرهم عما يعلم أنه شر لهم، ألا وإن عافية هذه الأمة في أولها، وسيصب في آخرها بلاء وفتن لا يرفق بعضهم بعضا، تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف، ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تجيء فيقول هذه هذه، فمن أحب منكم أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة [فلتدركه منيته][5] وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويسأل عن الناس ما لا يحب أن يؤتى إليهم»[6].

قال: حدثنا أبو عمر ومحمد بن حامد بإسناد له عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر، فإذا كان ذلك حقت العزوبة فإن

---

(1) في النسخة (بالناس). انظر "تفسير حقي" ج9 ص226، و"مجمع الزوائد" ج7 ص624.
(2) في النسخة "يقوم الناس" وصححتها بما يناسب السياق.
(3) ساقطة من النسخة.
(4) انظر "سنن الترمذي" ج4 ص494، و"كنز العمال" ج11 ص122.
(5) في النسخة (فليدركه مثله).
(6) وجدته برواية «وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه». انظر "صحيح مسلم" ج6 ص18، و"سنن النسائي" ج4 ص431.

هلاك الرجل على يدي أهله أو ولده أو والديه أو جيرانه. قيل: يا رسول الله فكيف يكون هلاكه على يد هؤلاء وإنما يتقوى الرجل بهم؟ قال النبي عليه السلام: فإنهم يغيرونه بضيق العيش فيوردونه موارد الهلكة»[1].

قال سمعت أبا الفضل محمد بن نعيم يقول معاذ النسفي ﷺ بلغنا أن النبي عليه السلام قال: «سيأتي على الناس زمان تخلق سنتي وتجد البدع فمن تبع سنتي يومئذ صار غريبا وبقي وحيدا، ومن اتبع بدع الناس أخذ خمسين صاحبا أو أكثر. فقال الصحابة: يا رسول الله هل بعدنا أحد أفضل منا؟ قال: بلى. قالوا: أفيرونك؟ قال: لا. فقالوا: هل ينزل عليهم الوحي؟ قال: لا. قالوا: فكيف يكونون فيها؟ قال كالملح في الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح في الماء. قالوا: كيف يعيشون في ذلك الزمان؟ قال: كالدود في الخل. قالوا: يا رسول الله فكيف يحفظون دينهم؟ قال: كالفحم في اليد إن وضعته طفئ وإن أمسكته أحرق اليد»[2].

وعن حذيفة اليماني أنه قال: سيأتي زمان يرفع عنهم العلم وترفع عنهم الإمامة والخشوع من قلوب العلماء والرحمة من قلوب العامة، ويظهر فيهم الجهل ويفشوا الكذب ويحقر الرجل أباه وتظهر العداوة بالأقرباء، وتظهر المعصية في العلماء ويتعاير بعضهم على بعض وينكر بعضهم بعضا ويشهد بعضهم على بعض بالكفر ويشهد الناس بعضهم على بعض بالنفاق والأهواء المختلفة، ويظهر الحسد في الناس والجفاء في الصالحين، وأعزهم الأغنياء وأذلهم يومئذ الفقراء وشرارهم يومئذ الرؤساء، وشر عملهم لسانهم وشر كسبهم تجارتهم وذهاب دينهم على أيدي علمائهم.

قال عمر رضي الله عنه: نعوذ بالله من شر ذلك الزمان، فكيف النجاة يا حذيفة؟ قال من جانبهم [بعد][3] ومن تبعهم هلك.

---

(1) وجدته برواية «يعيرونه» بدل «يغيرونه». انظر "كنز العمال" ج11 ص154، و"الترغيب والترهيب" ج3 ص299.

(2) انظر "تفسير حقي" ج3 ص9.

(3) جاءت في الهامش والظاهر أنها من النص.

الباب التسعون
في نفخ الصور وأهوال القيامة

إذا حرمت المرأة بثلاث تطليقات ثم تزوجت آخر على أن يجامعها ثم يطلقها فترجع إلى الزوج الأول قال أبو حنيفة رحمه الله النكاح جائز والشرط جائز حتى إذا لم يطلقها الثاني بعد الوطء يجبره القاضي بالطلاق، وتحل للزوج الأول إذا طلقها الثاني برأيه [أو][1] بأمر القاضي والفتوى على قول أبي يوسف رحمه الله.

وقال أبو يوسف النكاح والشرط باطل حتى إذا لم يطلقها لا يجبر القاضي، ولو طلقها برأيه حل للزوج الأول أن يزوج بها.

وقال محمد رحمه الله النكاح باطل والشرط باطل. وعند الشافعي رحمه الله كذلك لا يجوز للثاني أن يطأها ولا يحل للأول أن يتزوجها إذا فارقها الثاني.

وإذا تزوج امرأة إلى أجل لم يجز عندنا، وقال زفر رحمه الله النكاح جائز والشرط باطل.

وكذا المتعة حرام مثل أن يقول أتمتع بك الليلة أو أكثر بهذه الدراهم.

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: والله [لو][2] أوتي برجل تزوج امرأة إلى أجل وتمتع بها مدة معلومة بمال معلوم إلا ضربته بالحجارة. ولو تزوجها إلى قيام الساعة جاز، وكذا إذا تزوجها إلى أن ينفخ في الصور فهو كما [لو][3] قال تزوجتك إلى الأبد جاز، لأن حياة الناس وعيشهم إلى أن ينفخ إسرافيل في الصور كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزُّمَر: 68].

---

(1) في النسخة "أما". وصححتها على حسب ما جاء في "العناية شرح الهداية" حيث ذكر فيه نص الفتوى للزندويستي من "الروضة"، وهو كتابنا هذا الذي جاءت فيه الكلمة محرفة. انظر "العناية شرح الهداية" ج5 ص434.

(2) ساقطة من النسخة وأضفتها لضرورة السياق والله أعلم.

(3) ساقطة من النسخة وأضفتها لضرورة السياق كذلك.

اعلموا أن النفخة ثلاثة:

أولها نفخة الفزع: فإنهم إذا سمعوا النفخة يعلمون أنهم يموتون يقينا ولم يبق من أيام الدنيا شيء، بل انقضت أيامها وجاءت الفتنة ووقت عرض النفس على الرحمن، فيأخذهم الفزع لأجل العرض والحساب والعذاب لسوء أفعالهم.

النفخة الثانية نفخة الصعق: وهو الموت حتى لا يبقى إلا الواحد القهار.

والثالثة نفخة البعث من القبور: كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: 51]، وقال أيضاً ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68].

والنفخة الأولى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: 101] الآية.

ومن النفخة إلى النفخة أربعون عاماً، قال الله تعالى ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التّكوير: 1] أي اسودت وسقطت وانكدرت النجوم.

قوله ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزّلزلة: 1]يعني تحركت وألقت ما في بطنها من الأموال إلى وجهها.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عَبَسَ: 34-36] حتى روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة ترى الأم ولدها فتقول له: يا ولداه [ألم][1] يكن بطني لك وعاء؛ وثدي لك سقاء؛ وحجري لك حواء؟!. فيقول لها: أي شيء تريدين يا أماه؟ أنا مشغول بنفسي فلا أتفرغ إليك كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عَبَسَ: 37][2].

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: لما نزل على رسول الله عليه السلام سورة إذا جاء نصر الله بكى طويلاً، قالوا: يا رسول الله تبكي وقد غفر لك ما تقدم من

(1) في النسخة (لم).

(2) والظاهر أن الحديث ينتهي هنا، ولم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.

ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أين العرض على الرحمن؟ ألا [أبكي][1] من ذكر زلزلة الساعة حين يجيء كل نبي جاثياً على ركبتيه يقول نفسي نفسي حتى خليل الرحمن يقول نفسي نفسي لا أسألك إسماعيل ولا إسحاق، ويقول موسى عليه السلام: نفسي نفسي لا أسألك والدتي ولا أخي هارون»[2].

سئل أبو الحسن أحمد بن يوسف الجرجاني عن شغل الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة حتى يقول كل واحد منهم نفسي نفسي، من أي شيء يكون شغلهم ولا يكون لهم الذنوب بل معصومون؟ قال: يكون لهم شغل تقصير الشكر. قال: الخلق كلهم مقصرون في الشكر حتى الأنبياء عليهم السلام، فإن الله تعالى فضلهم بالنبوة ونزول الوحي والتقرب، فيقولون ربنا فضلتنا على كثير من عبادك بالعلم والنبوة فما عبدناك حق عبادتك، فهذا يكون شغلهم. وأما نبينا محمد ﷺ ويقول «أمتي أمتي»[3] ولا يقول نفسي نفسي لفضله على سائر الأنبياء عليهم السلام.

قال الفقيه رحمه الله: لما كانت الأنبياء مع فضلهم يقولون نفسنا نفسنا فنحن مع ذنوبنا ودناءة شأننا كيف يكون مآلنا لو لم يرحم علينا مولانا؟!. اللهم ارزقنا رحمتك ورضوانك وتجاوز عنا بفضلك امين.

كان علي بن الحسين زيد العابدين رضي الله عنه يضرع ويبكي، فقيل له ما هذا البكاء فأنت في شجرة النبوة؟ فقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101][4]. فقيل: وأين شفاعة جدك؟ فقال ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28]. فقيل: أين رحمة الله؟ فقال ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم. قال:

---

(1) في النسخة كأنها (أتبكي). (2) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.

(3) وفي بعض الروايات أن بعضهم عليهم السلام يذكرون ذنوباً، انظر "صحيح مسلم" ج1 ص127، و"سنن النسائي" ج6 ص378.

(4) قوله (يومئذ) ساقط من النسخة.

يا رسول وكيف [يحشرون][1] على وجههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم [قادر أن يمشيهم][2] على وجههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»[3].

قال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ حين قرأ إذا زلزلت حتى بلغ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزّلزَلة: 4] قال: «[أتدرون][4] ما أخبارها؟ قلنا: الله ورسول اعلم. قال: أخبارها أن تشهد على عبد وأمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل فلان كذا وكذا»[5]، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ [يسٓ: 65]؛ وفي التفسير أن [الناس][6] يرون في كتبهم العصيان والذنوب فينكرون أن يكونوا هم الذين فعلوا ذلك، فينطق الله أعضاءهم، فيشهد كل عضو بما علم من الذنوب، الفرج يقول زنيت، واليد سرقت أو غصبت، والرجل تقول مشيت الحرام، والفم يقول أكلت الحرام فشهد كل عضو بما عمل من الذنوب، فيساق إلى النار[7].

وأما المؤمن السعيد فإذا رأى في كتابه الخطايا والذنوب نكس رأسه، فيقول الله تعالى: اقرأ كتابك. فيقول: أراه مملوءا من الخطايا. فيقول الله تعالى: أنت فعلت هذا كله؟ فيقول: نعم. فيقول: يا عبدي أقررت بالذنوب بين يدي وقد غفرت لك وقد سترت عليك في الدنيا وعفوت عنك في العقبى. قال: فيساق إلى الجنة ويرزق[8] إليها كالعروس.

(1) في النسخة (يحشر).
(2) في النسخة (فاقدر أن يمشي).
(3) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص354.
(4) في النسخة (اتدري).
(5) انظر "المستدرك على الصحيحين" ج2 ص580، و"سنن الترمذي" ج5 ص446.
(6) في النسخة "الإنسان".
(7) انظر مثلاً "تفسير ابن كثير" ج6 ص585، و"تفسير الخازن" ج5 ص252.
(8) هكذا في النسخة ولعل الأصل "يزف" والله أعلم.

الباب الحادي والتسعون
في قراءة الكتب والحساب

قال إذا كتب إلى امرأة كتابا يستخطبها لنفسه وقرأ كتابه على شاهدين وأشهدهما على خطبة وختم الكتاب بشهادتهما ثم بعثه إليها فإذا وصل الكتاب إليها وشهد هذا الشاهد أن هذا كتاب فلان وعنوانه وخاتمه ثم زوجت نفسها من ذلك الرجل جاز، لأن الكتاب لمن نأى[1] وبعد كالخطاب لمن دنا وقرب، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [المَائدة: 67][2]، وأنه عليه السلام تارة يبلغ الرسالة بالقول وتارة بالكتاب كما كتب إلى قيصر وكسرى.

فإن جاء الكاتب وأنكر الكتاب وقال لم أبعث إليها كتابا كان القول [قوله][3] وعليها البينة أنه كتب إليها لأنها مدعية، فإن كان بخطه كان ذلك حجة عليه لأن خطه يشهد على صدق مقالتها فلا يقدر على إنكاره.

ثم الكتب كتابان كتاب في الدنيا وكتاب في العقبى، ويقدر على إنكار كتابه في الدنيا إذا لم يشهد به أحد ولا يقدر على إنكار كتابه في العقبى لأن الشاهد هو الله تعالى لا يخفى عليه شيء، فيوضع عندك كتاب أعمالك ويقال لك ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسرَاء: 14]، وقال تعالى: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾ [الإسرَاء: 71]، وقال الله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 49]. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الكبيرة هي القهقهة والصغيرة هي التبسم[4].

---

(1) نأى عنه نأيا بعد عنه فهو ناء. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص711.

(2) في النسخة (الرسل).

(3) في النسخة "قول" وصححته بما يناسب السياق والله أعلم.

(4) لم أجده من كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكل المراجع التي وجدتها=

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13] قال طائره عمله يقرأه أميا كان أو غير أمي، لكل آدمي في عنقه قلادة فيها نسخة عمله، فإذا مات طويت وقلدها، وإذا بعث نشرت له وقيل له ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14].

قال الحسن رحمه الله: يا ابن آدم أنصفك من جعلك حسيب نفسك.

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بإسناد له عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال: يقول الله تعالى «يا معشر ابن آدم إني مذ خلقتكم أسمع مقالتكم وأبصر أعمالكم فأنصتوا إليّ اليوم فإنما هي أعمالكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد ربه عزوجل ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر جهنم فيخرج منها عنق ساطع ثم يقول: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: 59] إلى آخر أربع آيات»(1).

قال: حدثنا أبو الفضل بإسناد له عن أبي عمران [الجوني](2) أنه قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: يوقف العبد يوم القيامة في ستر الله تعالى حتى لا يرى عمله ملك ولا بشر، ثم يدفع كتابه إليه في ذلك الستر فقال: اقرأ كتابك، فإذا مر بالحسنة ابيضّ وجهه وسر بها قلبه، فيقول [يا](3) عبدي تعرفها؟ فيقول: نعم، أي رب أعرف. فيقول: قد قبلتها منك فيعود القراءة، وإذا مر بالسيئة فيتغير لونه ويوجل بها قلبه ويأخذه الحياء من ربه تعالى إذ لا يعلم غير الله، فيقول عز وجل [عبدي](4) تعرفها؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول الرب: قد غفرتها لك، فيخر لله ساجدا، فلا يزال يسجد بحسنة يقبل وسيئة يغفر فلا يرى منه الخلائق إلا السجود حتى يقول الخلائق: طوبى لهذا العبد الذي لم يذنب ذنبا قط؛ ما أكرمه على الله تعالى(5).

= ذكرت أنه من كلام ابن عباس رضي الله عنه، انظر مثلاً "روح المعاني" ج15 ص291، و"تفسير الخازن" ج4 ص316.

(1) انظر "الأحاديث الطوال" ج1 ص266. (2) في النسخة "الحولي".

(3) في النسخة (إلى). (4) في النسخة (عبد).

(5) انظر "جامع العلوم والحكم" ص180، و"الزهد" لأحمد بن حنبل ص172.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله عليه السلام في [حجري][1] فبكيت فتقاطرت دموعي على خده، فاستيقظ فقال «ما يبكيك يا عائشة رضي الله عنها؟ قلت: ذكرت القيامة وأهوالها وأحوالها، فهل تذكرون أهاليكم وأنتم بهذه الشفقة علينا في الدنيا؟ فقال: يا عائشة في ثلاثة مواضع لا يذكر فيها أحد إلا نفسه: عند الميزان [أيخف][2] ميزانه أو يثقل؟ وعند الصحف أيأخذ صحيفة بيده اليمنى أو بشماله؟ وعند الصراط زلازل كثيرة»[3].

قال واحد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: صغر إلي الدنيا ولا تطول فإني أحفظها، فقال: أعلم بأن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب، فيحاسب يوم القيامة في كل شيء مرتين، مرة من الكسب ومن أين اكتسب، ومرة من إنفاق إلى أين وفي ماذا أنفقت.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله في مجلسه: يا أيها [الناس][4] مهلاً مهلاً غداً تحشرون إلى الموقف حشرا حشرا، وتوقفون بين يدي الرحمن فردا فردا، وتسألون عما فعلتم حرفا حرفا، ويقرب الأولياء إلى الرحمن وفدا وفدا، ويرد العاصون إلى الله تعالى واحداً واحداً، وكل هذا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا ويلا ويلا ويلا إخواني، الويل لكم من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم الرجفة، يوم الآزفة، يوم الندامة، يوم المحاسبة، يوم المسألة، يوم الموازنة، يوم الصحيفة، يوم النشور، يوم الزلزلة، يوم الثبور، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، يوم التغابن، يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً، يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز والده شيئاً، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، يوم تبدل الأرض غير الأرض، يوم القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم الطامة، يوم الصاخة، يوم تأتي كل نفس لا تكلم إلا بإذنه أهل الجنة يتلذذون وأهل النار يعذبون، فليت شعري من الفريقين أنا؟

---

(1) في النسخة (حجر). (2) في النسخة (الخف).

(3) انظر "إحياء علوم الدين" ج4 ص520، و"الترغيب والترهيب" ج4 ص229.

(4) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

الباب الثاني والتسعون
في الممرِّ على الصراط

وإذا قال الرجل لآخر اشتريت منك هذه الدار ولم يزد عليه شيئاً لم[1] يدخل الطريق والسرير ولا [السلالم][2]، ويدخل كل شيء تحت البناء وما هو مأخوذ بالطين وصار ذلك بناء إلا الظلة في قول أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ[3].

ولو استأجر داراً دخل الطريق والشرب والسلالم والغرف إذ الشراء للملك لا لمجرد المنفعة بدليل أن [شراء][4] الأرض [. . .] والدار المهد والغلام الرضيع يجوز وإن لم ينتفع بهما، ولا يجوز إجارتها لأن الغرض من الإجارة إنما هو الانتفاع، فإذا لم يصلح للانتفاع لا تصح إلى السكة[5] والثاني [. . .] إلى دار رجل، فإذا ذكر في البيع وقع الشراء بهما فإن لم يذكرا جميعاً لا يدخل إلا ما هو [. . .] السكة دون الآخر.

فتقول: إن الطريق طريقان طريق الدنيا وطريق الآخرة، وأكثر الناس يسكنون طريق الدنيا [إلى][6] الآخرة، فإنك إذا ذكرت طريق الآخرة في اللسان والقلب سلكت فيه ووجدته وإلا فلا، ثم وراءك طريقان طريق إلى الجنة وطريق إلى النار، فمن سلك في حياته طريق الدنيا سلك في الآخر طريق النار، ومن يسلك في حياته طريق الآخرة يسلك في الآخرة طريق الجنة.

عن بشر بن الحارث قال: سمعت من فضيل بن عياض رحمهما الله يصف القيامة وأهوالها وهو يبكي، فسألته فقال: ويحك يا بشر إن الصراط سبعة

---

(1) في النسخة "ولم" وصححتها حسب مقتضى السياق والله أعلم.
(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.
(3) انظر هذا المبحث في كتب الفقه الحنفية مثل "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" ج4 ص10.
(4) في النسخة "الشراء".
(5) هكذا جاء في النسخة ولعل الأصل "السكنى" وهو الراجح والله أعلم. ومن الملاحظ أن هذه الفقرة فيها نوع من الغموض، ولمن أراد التوسع والتوضيح يراجع في ذلك كتب الفقه الحنفي في مبحثي البيع والإجارة.
(6) مترددة في النسخة بين "إلى" و"لا".

جسور، فيحاسب العبد في أولها بالإيمان فإن سلم إيمانه عن النفاق والرياء والشك والعجب نجا وإلا تردى إلى النار، وفي الثانية يحاسب بالصلاة فإن أكمل ركوعها وسجودها والقراءة والتشهد والصلاة على النبي عليه السلام فيها وأدّاها في مواقيتها نجا وإلا تردى في النار، وفي الثالثة بالزكاة فإن كان قد أدى ما افترض الله تعالى نجا وإلا فتردى في النار، وفي الرابعة بالصيام فإن سلم صومه وهو شهر رمضان نجا وإلا تردى في النار، وفي الخامسة بالحج والعمرة فإن أداهما بشرائطهما نجا وإلا تردى في النار، وفي السادسة يحاسب بالوضوء والغسل من الجنابة فإن أداهما نجا وإلا تردى في النار، السابعة ببر الوالدين وصلة الرحم والمظالم فإن سلم من ذلك أجمع نجا وإلا تردى في النار.

ثم قال: ويحك يا بشر، لكل جسر ألف ألف عقبة ينحدر في العقبة والواحدة ألف عام، وبين كل عقبتين مسيرة ألف عام، والجسور على متن جهنم والناس قيام عليها، والنيران فوق رؤوسهم وبين أيديهم، من خلفهم وأيمانهم وشمائلهم، والنبي عليه السلام قائم من وراء الجسور منتصباً وهو يقول «أمتي أمتي» كأنهم الجراد يركب بعضهم بعضا، وجبرائيل ينادي رب سلم والملائكة كذلك والجسور تضطرب من تحتهم كاضطراب السفينة.

ويحك يا بشر فينجو من نجا من الزمرة الأولى كالبرق اللامع، وينجو من نجا من الزمرة الثانية كالريح، ومن الثالثة كالطير، ومن الرابعة كالفرس الجواد، ومن الخامسة كالرجل المسرع في المشي، ومن السابعة يحبو بعضهم على أربعة قوائم حبوا؛ وبعضهم يزحف على بطنه زحفا؛ وبعضهم من يمر بقدر يوم وليلة؛ وبعضهم بقدر يومين؛ وبعضهم بشهرين أو ثلاثة؛ وبعضهم بقدر السنة أو أكثر حتى يكون آخر من يمر بالجسر بقدر خمسمائة وعشرة [آلاف][1] عام، فإذا جاوز المؤمنون الصراط نادوا بعضهم بعضا الم يعدنا ربنا أن نمر على جسر النار؟ فيقولون بلى ولكن [مررنا][2] عليها وهي جامدة لممرنا.

---

(1) في النسخة "الف" وصححتها حسب مقتضى السياق.

(2) في النسخة "مررت" والله أعلم. وهذا الوصف للصراط مجموع من أحاديث متفرقة ولم أجدها حسب بحثي في حديث واحد، والله أعلم.

قال: حدثنا أبو الفضل البرمعذري بإسناد له عن الحسن ﵄ قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بعصاة من أمتي من المذنبين وهم القراء يوم القيامة، فيقول الله تعالى لهم: من كنتم تعبدون؟ فيقولون: إياك ربنا قال عزوجل. [قال][1] فمن تستغفرون؟ قالوا: إياك ربنا. قال: كذبتم وعزتي، لقد عبدتموني بالكلام واستغفرتموني باللسان وفررتم مني بالقلوب، ثم يقول الله تعالى خذوهم، فيؤخذون ويجعلون في سلسلة ثم يطاف بهم على رؤوس الخلائق وينادى هؤلاء مذنبو أمة محمد عليه السلام[2]، ثم قال عليه السلام: فويل لتلك الوجوه التي لا يصبرون على حر الشمس فكيف في النار؟!، وويل لتلك الرؤوس التي لا يصبرون على [الصداع][3] فكيف من الحميم حين يصب فوقهم؟!، وويل لتلك الجلود يؤذيهم لباس خشن فكيف حين يجعل عليها ثياب من نار؟!»[4] ـ أعاذنا الله تعالى وأمة محمد ﷺ ـ.

---

(1) ساقطة من النسخة، وحسب رواية المراجع فإن الناسخ أسقط هنا كذلك «قال: فمن كنتم تسألون؟ قالوا: إياك ربنا».

(2) هذا الجزء من الحديث جاء في "كنز العمال" ج10 ص271.

(3) مترددة في النسخة بين "الصداع" و"الصراع".

(4) هذا الجزء من الحديث لم أجد له تخريجاً.

الباب الثالث والتسعون
في صفة النار والعذاب

وإذا حلف الرجل فقال أنا بريء من القرآن أو من الصلاة أو من الصوم أو من الزكاة أو من الغسل من الجنابة أو مثلها من الفرائض؛ إن فعل كذا فهو يمين إن فعل وعليه يمين.

قال الإمام أبو بكر محمد بن الفضل كل ما هو كفر إذا[1] علق الشرط به صار يميناً كقوله أنا بريء من الله إن فعل كذا فهو يمين، لأنه لو قال أنا بريء من الله يكفر وكل ما لم يكن كفرا مجردا لم يكن يميناً كقوله أنا بريء من العبادة أو تشييع الجنازة أو غيرهما، فإنه لو قال أنا بريء من عيادة المريض أو تشييع الجنازة لم يكفر، والأيمان التي لا يحنث ولا يجب فيها الكفارة مثل أن يقول "لعنة الله" أو "أخزاه الله: أو قال "أمانة الله" أو قال "وحق الله" في ظاهر الأصول[2].

وروي عن أبي يوسف رَحِمَهُ الله أنه قال "وحق الله" يمين، وكذا عند الشافعي رَحِمَهُ الله، أو قال: وحق رسول الله، والكعبة، وبيت الله، والإسلام، والإيمان، والقرآن، وحق القرآن، والصلاة، والصوم، والحج، والوضوء، والجنازة، والزكاة، أو قال حقا، أو قال وغضب الله، أو ثواب الله، أو عفو الله، ورحمة الله، ورضاء الله، وسخط الله، وعذاب الله، وعلم الله، والجنة، والجنة والنار كلها لم يكن يميناً ولا كفارة إذا حنث لأن النار عذاب الله ومورد كل واحد من الثقلين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مَريَم: 71].

قال: حدثنا الإمام أبو الفضل بإسناد له عن أنس بن مالك رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: لما

(1) في النسخة "وإذا".

(2) انظر "المبسوط" للسرخسي ج8 ص135.

نزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 43][1] الآية، بكى رسول الله ﷺ بكاء شديداً ولم يستطع أحد أن يسأله، [فانطلق][2] عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه إلى فاطمة رضي الله عنها فأخبرها، وكانت هي تطحن بيدها، فلما جاءت إليه قالت: فداك نفسي يا أبتي ما الذي أبكاك؟ قال عليه السلام: «وكيف لا أبكي قد نزل جبرائيل عليه السلام هذه الآية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 43-44].

[قالت][3]: أخبرني يا رسول الله عن باب منها. قال: يا فاطمة إن أهون باب منها فيها سبعون ألف جبل من نار، في كل جبل سبعون ألف وادٍ من نار، في كل واد سبعون ألف شعب من نار، في كل شعب ألف ألف مدينة من نار، [وفي كل دار سبعون ألف ألف بيت من نار][4]، وفي كل مدينة سبعون ألف ألف قصر من نار، وفي كل قصر سبعون ألف ألف دار من نار، وفي كل دار سبعون ألف ألف بيت من نار، وفي كل بيت سبعون ألف ألف صندوق من نار، في كل صندوق ألف ألف لون من العذاب ليس فيها عذاب يشاكل صاحبه ـ أي لا يشبه الآخر ـ»[5].

وروي أن النبي عليه السلام سأل جبرائيل عليه السلام من الأصناف الذين يدخلون هذه الأبواب. فوصف الداخلين في الأبواب الستة وسكت [عن][6] باب واحد، ثم بكى [فألح][7] عليه النبي حتى قال جبرائيل عليه السلام: يدخلون في الباب السابع عصاة أمتك، فلما عرف ذلك الصحابة بكوا وناحوا على أنفسهم، فكل واحد يقول ليتني لم أكن، وليتني كنت مأكولاً فذُبحت وأكلت.

قال سمع رسول الله عليه السلام ليلة المعراج دوياً، فقال: «يا جبرائيل عليه

(1) في النسخة (فإن).
(2) في النسخة "فانطلقت" وصححتها حسب السياق، وقد يكون الأصل "انطلقت مع" والله أعلم.
(3) في النسخة "قال".
(4) الظاهر أن هذه الجملة تكرير من الناسخ والله أعلم.
(5) لم أجد الجزء الأول من الحديث الذي يشمل نزول الآية، والجزء الثاني الذي فيه وصف النار جاء في "تفسير حقي" ج7 ص355.
(6) في النسخة "من".
(7) في النسخة كأنها "فاتح".

السلام ما هذا الدوي؟ قال: حجر ألقي السعير منذ سبعين خريفاً فالآن انتهى إلى قعرها»[1].

قال: حدثنا الإمام بإسناد له عن أبي الدرداء ﵁ عن رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم وإذا دخلت بطونهم قطعت أمعاءهم، فيقولون لخزنة جهنم: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: 49]، ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 50]. فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزّخرُف: 77]، فيجيبهم بعد ألف عام ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: 77][2] إنكم ماكثون. ثم يقولون بعد ألف ألف عام: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: 106] الآية، فيجبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ـ أي اشربوا[3] ـ ولا تكلمون، فعند ذلك ييئسوا ويأخذون [الزفير][4] والويل والحسرة لا ينفعهم قط»[5]. قال الفقيه الزاهد أبو نصر أحمد ابن محمد [الصمراي][6] ﵀ أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: كم من نفس صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غداً بين أطباق النيران يصيح.

كان ابن السماك[7] يقول ويعاتب نفسه: يا نفس تقولين قول الزاهدين

---

(1) انظر "مصنف ابن أبي شيبة" ج7 ص52، و"صحيح مسلم" ج8 ص150.

(2) قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: 77].

(3) هكذا جاء في النسخة والراجح أنه تحريف من الناسخ لأني لم أجدها تحمل هذا المعنى في القواميس ولم يذكر واحد من المراجع التي بحثت فيها تفسير بهذا المعنى:
خسأ: البصر خسئا وخسوءا كل وأعيا وفي التنزيل العزيز ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [المُلك: 4]، والكلب وغيره بعد وذل؛ ويقال اخسأ عني وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108]، و﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: 166] والكلب وغيره طرده وأبعده. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص485.

(4) في النسخة كأنها "بالنقير".

(5) انظر "سنن الترمذي" ج4 ص707، و"كنز العمال" ج14 ص531.

(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، ولم أجد في كتب التراجم اسماً مقارباً لهذا.

(7) ابن السماك (344 هـ) عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد، أبو عمرو الدقاق، ابن السماك: مسند بغداد. وبها وفاته. كان ثقة ثبتا، كتب المصنفات الكتاب بخطه. من=

وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين أن تدخلين، هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما تعملين، ويحكي أخذت بزي كسرى وقيصر والفراعنة وتريدين أن توافقي رسول الله في دار الجلال، أعرض نفسك في كتاب الله تعالى فيما وصف أولياءه وأعداءه ثم انظر من أي الصنفين أنت؟!.

عن منصور بن عمار أنه قال: كنت نازلا في سكة من سكك العرفة عام الحج، فمضيت ليلة في حاجة فإذا أنا بصوت من منزل، فسمعت يقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي خلافك وما كنت بنكالك عند المعصية جاهلا، ولكن خطيئة عرضت وقد غرني سترك المضي عليّ فاقتحمت على المعصية بجهل، فالآن أرجو من عدلك وعفوك أن تقبل عذري، وإن لم تقبل فواطول حزني في العذاب إن لم ترض. فلما سكت قرأت آية من كتاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التّحْريم: 6][(1)] الآية، فسمعت صيحة شديدة [وضجة][(2)] وحركة ثم سكنت الحركة فلم أسمع بعدها حسا، فلما رجعت إلى منزلي وأصبحت فإذا البكاء [وقوام][(3)] يعزي بعضهم بعضا وعجوز تبكي وهي تقول: ألا جزى الله قاتل ابني تخير وتلا على ابني آية فيها ذكر العذاب وكان قائماً يصلي، فلما سمعها عظم ذلك عنده وخاف ثم خر ميتاً[(4)]. قال: رأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: فعل بي [كما فعل][(5)] بشهداء بدر. قلت: وكيف؟ قال: لأنهم قتلوا بسيوف الكفار وأنا بسيف الملك الغفار.

= كتبه "الديباج" و"الآمالي" و"وفيات الشيوخ". انظر "الأعلام" ج4 ص202.

(1) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التّحْريم: 6].

(2) في النسخة كأنها "ووصية" والله أعلم. (3) في النسخة "ولقوله".

(4) كان الواجب على المسلم أن لا يقنط أخاه من رحمة الله تعالى كما قال النبي عليه السلام «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» في "صحيح مسلم" ج5 ص141، كما أن آيات وأحاديث الرحمة كثيرة، والظاهر أن هذا المستغفر المتوفى رحمه الله ظن أن قارئ الآية كريمة صوت هاتف فكبر ذلك في نفسه وأيقن بالهلاك. ولو حضر لذاكر الآية قول النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» "سنن الترمذي" ج4 ص558، لكان أحسن والله أعلم.

(5) ساقطة من النسخة وأضفتها لضرورة السياق والله أعلم.

الباب الرابع والتسعون
في صفة أهل الجنة

وإذا كان النهر بين أراض واختلف أهل الأراضي بالشرب يقسم ماؤه على قدر أراضيهم بخلاف الشفعاء، فإن الشفعة يقسم على قدر رؤوسهم خلافا للشافعي.

وإذا اختلف القوم في الطريق يقسم بينهم على قدر حاجتهم.

وقال: إن باب الجنة يكون من العضادة[1] إلى العضادة مسيرة خمسمائة عام، يدخل المسلمون إلى الجنة من ثمانية أبواب الجنة، كل باب بقدر ما ذكرنا حتى [ينصوا بالباب][2] لازدحام الناس وكثرة من يدخلون الجنة، يدل قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: 73] يدخلون فيها فوجاً فوجاً ويكون محمد قائدهم.

وقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «كيف يهلك أمة أنا قائدهم وعيسى سابقهم»[3].

وعن علي بن طالب ﷺ قال: [سألت][4] النبي عليه السلام عن قوله [تعالى][5]، ﴿نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مَريَم: 85] قلت [هل الوفد إلا

(1) العضادة: وعضادتا النير الخشبتان تكونان على جانبيه وعضادتا الباب خشبتان منصوبتان مثبتتان في الحائط على جانبيه. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص119، والشيء الجميل أن هذه الكلمة وغيرها من اللغة الفصحى والتي قد تبدو كلمات ميتة وغير رائجة إلا أنها ما زالت متداولة عند الصغار والكبار في قبيلة أولاد نائل خصوصا منطقة مدينة مسعد.

(2) في النسخة "ينصوص الباب".
تناص: القوم ازدحموا. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص772.

(3) وجدته برواية «كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها» انظر "كنز العمال" ج14 ص337.

(4) في النسخة "سئل".

(5) في النسخة "عليه السلام".

الركب][1] قال: «أجل، والذي نفسي بيده، إن أهل الجنة يركبون على براق له أجنحة بيض خطوه مد البصر، فينتهون إلى شجرة عند باب الجنة ينبع من أصلها عينان إذا توضؤوا من إحداهما لم تشعث أشعارهم أبدا، وإذا شربوا من الأخرى جرت منها في بطونهم النضرة والنعيم، فينتهون إلى باب الجنة فإذا من ياقوتة حمراء، فيضربون الحلقة بصفحته فيفتح لهم ويحضرن الحور كل واحدة إلى صاحبها معانقة وتقول أنت حبيبي، فيدخلون الجنة بالإكرام»[2].

وقال عليه السلام: «لو أن شعرة من شعور نساء أهل الجنة سقطت إلى الأرض أضاءت لأهل الأرض كما أضاءت الشمس»[3].

---

(1) في النسخة "لا أدري إلا راكب" وصححته حسب ما جاء في المراجع.

(2) وجدته بدون رواية «اجل». انظر "كنز العمال" ج2 ص463، و"تفسير ابن كثير" ج5 ص264.

جاء في هامش النسخة "قد جاء في الخبر أن كل مؤمن يدخل الجنة فله عطاء خمسة من الأنبياء يكونون عليهم على [قامة] آدم عليه السلام ستون ذراعا، وعلى سن عيسى عليه السلام ثلاثون سنة، وعلى صورة داود عليه السلام، وعلى حسن يوسف عليه السلام وجماله، وعلى خلق محمد عليه السلام كرامة للمؤمن من الله يوم القيامة. [شهاب]".

"طوبى للعلماء، أي الجنة لهم. طوبى للعباد ـ بضم المهملة و[تشديد] الموحدة ـ جمع عابد. ويل لأهل الأسواق أي شدة مهلكة لهم.

«طوبى شجرة في الجنة» طويلة جدا بحيث «لا يعلم طولها إلا الله، فيسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا»، أي عاما ولا ينافيه فيه رواية مائة عام لاحتمال أن المائة للماشي والسبعين للراكب.

«ورقها الحلل يقع عليه الطير كأمثال البخت» ـ بضم الموحدة وسكون المعجمة ـ نوع من الإبل. عن ابن عمر". انظر "التيسير بشرح الجامع الصغير" ج2 ص236.

"ابن عباس ﷺ إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة تنعم بعبادتك، وقيل للعالم ههنا فاشفع لمن أحببت، فلا تشفع لأحد إلا شفعت مقام الأنبياء".

"عن جابر بن عبد الله ﷺ أن أهل الجنة لمحتاجون إلى العلماء في الجنة وذلك أنهم يزورون الله عز وجل في كل، فيقول: تمنوا علي ما شئتم، فيلتفتون إلى العلماء فيقولون ماذا نتمنى على ربنا؟. فيقولون تمنوا كذا وكذا، فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: 43] الآية.

(3) لم أجد له تخريجاً.

جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «نعم؛ والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة. قال: هل يكون لهم حاجة إلى الحاجة وليس في الجنة أذى؟ قال النبي عليه السلام: يكون حاجة أحدكم رشح يفيض من جلده كرشح المسك»[1].

قال: حدثنا أبو الفضل بإسناد له عن الضحاك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون صفا من أمتي، وأربعون صفا من سائر الأمم»[2]. وقيل: كان في كل صف من المشرق إلى المغرب، وعرض كل صف مثل الدنيا. وقال بإسناده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله عليه السلام: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ـ يعني سعادة بعد سعادة ـ فيقول الله تعالى: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟!. فيقول عزوجل: أنا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل لكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[3].

قال: حدثنا الإمام أبو بكر بن الفضل بإسناد له عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ اقرأوا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: 17][4]، ولو وضع[5] سوط أحدكم في الجنة

---

(1) انظر "الزهد" لهناد ج1 ص73، و"عمدة القارئ" ج23 ص7. وظن السائل أنه سيعجز النبي عليه السلام لأنه قال في بعض الروايات لأصحابه " إن أقر لي خصمته"، ومن الواضح والأكيد أن عقله لا يستوعب أن الله على كل شيء قدير، ومن المعروف في عالمنا البسيط المادي أنه يمكن تحويل المادة إلى طاقة وذلك حسب نظرية اينشتاين $E = mc2$، أي تختفي المادة ليحل مكانها طاقة هائلة.

(2) انظر "المعجم الأوسط" ج2 ص77، و"سنن الدارمي" ج2 ص434.

(3) انظر "صحيح البخاري" ج5 ص2398، و"صحيح مسلم" ج8 ص144.

(4) في النسخة (عنهم) بدل (لهم).

(5) هكذا جاء في النسخة، وفي بعض الروايات «لموضع» و«موضع».

خير من الدنيا وما فيها؛ اقرأوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عِمرَان: 185]، ثم قال: وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام فما يقطعها؛ اقرأ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقِعَة: 30-31]»[1].

قال [سألت][2] ابن عيينة رحمهما الله فقلت: [هل لأهل الجنة أملاك][3] لا يشاركهم فيه غيرهم؟ قال: بلى، لما روي عن [ابن][4] عمر ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن لأدنى أهل الجنة في الجنة مقدار مسيرة ألفي عام، وإنه ليرى أقصاها كما يرى أدناها»[5].

---

(1) انظر "مصنف ابن أبي شيبة" ج7 ص30، و"سنن الترمذي" ج5 ص400، و"سنن النسائي" ج6 ص317.
وجاء في هامش النسخة "وهي ثمانية، قال ابن عباس وهي: دار الجلال، ودار القرار، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، وجنة الخلد، وجنة نعيم.
قال ابن عباس: دار الجلال كلها من النور مدائنها وقصورها وبيوتها وشرفها وأبوابها ودرجها وغرفها وأعاليها وأسافلها وخيامها وأوانيها وحليها وكل ما فيها، وجنة عدن من الزبرجد كلها، وجنة المأوى من الذهب الأحمر كلها، وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها و[حيطانها] لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد وملاطها المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصارعها الذهب وأرضها الفضة وحصاؤها المرجان وترابها المسك، ولذا قال رسول الله ﷺ «سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة»، وفي رواية «وسط الجنة»، وإن أهل الفردوس ـ أي سكانها ـ يسمعون أطيط العرش ـ أي [صوته]ـ من كثرة ازدحام الملائكة الساجدين والطائفين حوله لكونها الطبقة العليا من طبقات الجنان وسقفها عرش الرحمن. كذا ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير". انظر "التيسير بشرح الجامع الصغير" ج2 ص117.
"ودار القرار كلها من المرجان، ودار السلام كلها من اليواقيت الأحمر، وجنة الخلد من الفضة، وجنة نعيم من [الزبرجد] كلها كذا في [. . .] النسفي".

(2) في النسخة "ساكت" وغيرتها حسب ما يناسب السياق لأني لم أجد علماً بهذا الاسم والله أعلم.

(3) في النسخة "لاهل الجنة املاكي" وصححتها بما يناسب السياق ويقارب الشكل والله أعلم.

(4) في النسخة "أبو" والراجح ما بينته والله أعلم.

(5) أقرب رواية مشابهة هي: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاها كما يرى أدناها، ينظر إلى أزواجه وسرره». انظر "إتحاف الخيرة المهرة" ج8 ص89، و"المستدرك على الصحيحين" ج2 ص553، و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص13.

وسألت عن قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عِمرَان: 133] ذكر عرضها ولم يذكر طولها لأن عرض الشيء أبداً يكون أقل من طوله، ألا يُرى أن كرباساً[1] يكون طوله ثلاثين ذراعا أو أكثر وعرضه لا يكون إلا ذراعين أو قل؟!، فذكر الله تعالى الأقل وهو العرض لكي يقاس الأكثر وهو الطول، ولا يعرف طولها إلا الله تعالى، يؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ [الرَّحمٰن: 54][2] ذكر بطانة الفرش ولم يذكر ظهارته لكي يعلم العباد أن البطانة تكون من إستبرق فكيف [الظهارة][3]؟!. فذكر الأقل دون الأجود.

وقال أبو منصور: ذكر الله تعالى جنة واحدة ويذكر الجنان، فكأنه يقول عز وعلا من قال لا إلٰه إلا الله مرة أعطيته جنة عرضها مثل السموات والأرض.

وعن عمر ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة فقال «من يدخل الجنة يحيا ولا يموت فيها ـ وينعم فيها ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، ملاطها بالمسك [الإذفر][4] وترابها الزعفران وحصائها اللؤلؤ والياقوت»[5].

قال بعض الحكماء: إذا سيق أهل الجنة قال الله تعالى يا رضوان لا تنزلهم أنت في الجنة ولا تدعهم ينزلون بأنفسهم لأنهم إذا نزلوا بأنفسهم نزلوا كما ينزل الغرباء وإن أنزلتهم أنت نزلوا نزلة العبيد، بل دعهم لأنزلهم أنا في مكان أمرهم كما ينزل الأرباب ليعلموا كرامتهم عليّ، فإذا أتوا باب الجنة سلم عليهم الملائكة كما قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: 73]، وكقوله: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: 23-24] والله أعلم.

---

(1) الكرباس: ثوب غليظ من القطن. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص480.

(2) الإستبرق: الديباج الغليظ. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص35.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(4) في النسخة (الازفر).
ذفر: الشيء اشتدت رائحته كانت كالمسك أو خبيثة كالصنان. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص648.

(5) انظر "مجمع الزوائد" ج10 ص732، و"مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص304.

الباب الخامس والتسعون
في ذم النفاق

إذا دخل الرجل المسجد والإمام قائم للصلاة والداخل يعتقد قبلة غير قبلة الإمام أو له في الإمام شبهة أو له في الوضوء ريب فاستحيا من الناس فصلى معهم فهو منافق، كمن[1] هو يصلي الصلاة تاما عند الناس بركوعها وسجودها وإذا خلا وانفرد يخفف في صلاته ولا يتمم ركوعها وسجودها، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [المَاعون: 4-7] يعني يستحيون من الناس ولا يخافون من الله وذلك دأب المنافقين، فعلى الإنسان أن يتحرز لكي لا يكون ممن [يوردهم][2] الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: 145].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [المَاعون: 4-5] نزلت في العاص بن وائل السهمي.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ﴾ [المَاعون: 5] يعني للمنافقين الذين يصلون رياء الناس.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ﴾ [المَاعون: 5] يعني صلاتهم المفروضة.

﴿سَاهُونَ﴾ [الذّاريَات: 11] يعني لا هون عنها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [المَاعون: 6] بالصلاة ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [المَاعون: 7] الزكاة المفروضة.

عن أبي بكر الصديق ﷺ أن نفرا من الكفار من كبارهم دخلوا دار الندوة واتفقوا بهلاك رسول الله ﷺ، فقال قائل أخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه، فقال قائل غير ذلك كل واحد منهم يقول قولاً ـ لعنهم الله ـ حتى قال أبو

---

(1) في النسخة "وكمن".
(2) في النسخة "يودهم".

جهل ـ لعنة الله عليه ـ: نأخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً ونعطي لهم سيوفا صوارم فيضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه نفرق ديته في القبائل. فاستقاموا على ذلك وهموا به، فنزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: 30][1] الآية؛ وأمره أن لا يلبث في مضجعه وأذن له بالخروج.

فروي أن رسول الله ﷺ أتاهم وهم نيام فتقدم جبرائيل عليه السلام إلى أحدهم [فكحله][2] وقال كفيته، ثم أتى الثاني فنقر فوق رأسه وقال كفيته، ثم أتى الثالث فنقر ركبته وقال كفيته، وأتى الرابع فسقاه مرقة فقال كفيته. فعمى كالذي كحلت عيناه، وشق بطن من سقى مرقة، وخرج بالذي نقر فوق رأسه قرحة، وأصبح الذي نقر ركبته وقد أقعده[3].

وروي عنه عليه السلام أنه قال لعلي بن أبي طالب ﷺ نم في مضجعي وتوشح ببردي ولن يضروك شيئاً، ثم خرج رسول الله ﷺ وأخذ قبضة من تراب فرمى إليهم فأخذ الله أبصارهم فلا يرونه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: 8][4] إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9] ثم انصرف حيث أراد.

فأتاهم رجل وقال إلى ما تنظرون؟ قالوا محمدا. قال: جئتكم والله قد خرج عليكم وما ترك منكم أحداً إلا وضع يده على رأسه، فأتوا عليا ﷺ وهم يقولون إنه رسول الله إن كان مضطجعا في فراشه علي، فلما نظروا إليه قالوا أين محمد؟ قال لا أدري.

ومضى رسول الله مع أبي بكر إلى الغار وخلف عليا بمكة لكي يرد الودائع التي كانت عند النبي عليه السلام إلى ملاكها، إذ كانوا يودعونه لصدقه وأمانته.

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]. انظر سبب النزول في "تفسير الخازن" ج3 ص185، و"تفسير الطبري" ج13 ص495.

(2) في النسخة "فكحه".

(3) انظر "تفسير الطبري" ج13 ص501.

(4) قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 8-9].

وإن من شرف أبي بكر الصديق ﷺ أنه قد اختاره في سفره وكان واثقا على صدق ضميره كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: 40](1)، ولا خلاف أنهما رسول الله وأبو بكر الصديق.

وروي أن جبرائيل عليه السلام لما أمره بالخروج بإذن الله تعالى قال عليه السلام: «من يخرج معي؟ قال: أبو بكر»(2). فإن قيل إن الله تعالى قادر أن يحفظه بمكة؛ فلم أمره بالخروج إلى المدينة؟

قلنا: لما فيه من الحكم الكثيرة: منها أن لا يتخلف عن شرف القربة ويتابع الأنبياء عليهم السلام.

الثانية أن يسهل [الغربة من أمته](3) بعده.

والثالثة أن يشرف المدينة بقدومه كما شرفت مكة بمولده.

والرابعة أن يكمل أخلاقه لأن الغربة تكمل أخلاق الإنسان حتى قيل له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

والخامسة أنه عليه السلام كان مولده بمكة فلا يعظمونه، ففارقهم وغاب عنهم فصار في أعينهم عظيما وعزيزا، وهذا عادة الناس [الم يقولوا للقمان](4) طال مكثك فينا؟ أليس قد أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال ولا شك بأنه قادر أن يهلك الكفرة بدون قتالهم؟!، إلا أنه لو أهلكهم بقدرته فما حصل لهم فضل الجهاد.

ولقد عاتب الله تعالى جميع المسلمين وجميع أهل الدنيا غير أبي بكر وعلي ﷺ بقوله ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 40](5).

---

(1) التوبة: 40. في النسخة (إذ خرج). (2) انظر "الكشاف" ج2 ص421.

(3) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها، ولعله يقصد أن يسن لأمته الهجرة والله أعلم. (4) في النسخة "اليس قالوا لقمان".

(5) قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

فإن قيل لم حزن أبو بكر حتى قال له النبي عليه السلام ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التّوبَة: 40][(1)]؟ قلنا: إنهما لما دخلا الغار وكان فمه مفتوحا فخاف على النبي عليه السلام لا على نفسه، لأنه رأى الطلب وظن أنهم رأوهما، فحزن على النبي عليه السلام أن [يجدونه ويؤذونه][(2)]، فلما قال النبي عليه السلام: «إن الله تعالى معنا» أعمى الله أبصارهم وأرسل زوجاً من الحمام، فباضت الحمامة أسفل الثقب وأرسل العنكبوت فنسج بيتا، فلما رأوا ذلك ومقدمهم سراقة قالوا لو دخلا ههنا لانكسر البيض [انفسح][(3)] بيت العنكبوت، فانصرفوا وقد اظهر الله تعالى قدرته على ذلك، إذ أمر العنكبوت وهو أضعف عباد الله فحفظهما.

وقيل في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التّوبَة: 40] أن النبي عليه السلام ضرب بيده على الجبل ففتح الله تعالى باباً من وراء الجبل، فرأى سفينة من فضة وعلى السفينة ملاحان عليهما ثوب أخضر وأحمر، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن دخل أبو جهل من هذا الجانب نذهب إلى جانب آخر، فلا تحزن إن الله معنا»[(4)].

عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة اجتمع بعده كفار مكة وقالوا من [يرده][(5)] إلينا نعطيه مائة ناقة حمراء سود الخرقة، فقال بريدة بن أسلم السهمي أنا أرده، فركب في سبعين فارساً من أهل بيته وخرج على أثر رسول الله عليه السلام، فلم يلحق به حتى نزل رسول الله بقرب من المدينة بقدر ثلاثة فراسخ، فلحقهم ورسول الله نازل في خيمته، فوقف بريدة على باب الخيمة فقال السلام عليكم، فقال النبي عليه السلام: «وعليكم»، ثم قال بريدة يا أبا بكر أين الرجل؟ وكان لم يعرفه، فخاف أبو بكر أن يخبره فقال النبي عليه السلام: «ومن أنت يا فتى؟ فقال: أنا بريدة. فقال عليه السلام برد

---

(1) و"الجمع بين الصحيحين" ج1 ص10.

(2) في النسخة "لا يجدونه ولا يؤذونه"، ولعل الجملة صحيحة والناسخ أسقط قبلها كلمة "تمنى". والله أعلم.

(3) في النسخة "فنسج" وصححتها بما يوافق المعنى والشكل، وقد يكون الأصل "انفسخ".

(4) لم أجد له تخريجاً. (5) في النسخة "يرد".

أمرنا في قلوب الكفار. فقال [ممن. قال: من][1] أسلم. فقال عليه السلام: سلمنا من كيدهم. فقال: من أية قبيلة؟ فقال: من بني سهم. فقال عليه السلام: خرج سهمك يا أبا بكر، فاستحسن بريدة كلام النبي عليه السلام وانكسر قلبه وهاب من كلامه، فقال: ومن الرجل؟ فقال عليه السلام: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول رب العالمين. فقال: بريدة أعرض عليّ الإسلام وعلى أصحابي»، فنزلوا وأسلموا جميعاً ورفعوا أصواتهم بشهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، ففرح النبي عليه السلام والمؤمنون. ثم قصد رسول الله ﷺ بأن يدخل المدينة، فقال بريدة: كيف تدخلها يا نبي الله؟ قال: «على حالي هذا. فقال: لا تدخل بغير راية وطبل وبوق حتى ينظر الناس بعين التعظيم. فقال: رسول الله ﷺ: ليس لي راية ولا شيء منها. قال: فجعل بريدة [عمامته][2] السوداء بنصفين، وجعل نصفه راية فكان معه طبل وبوق وقال: أيرضى رسول الله أن أكون صاحب رايته يوم دخوله المدينة؟ قال عليه السلام: كيف لا أرضى؟!». قال: ودخل بريدة المدينة أولاً واستأجر دار نزوله عليه السلام، ثم ركب عليه السلام مع أصحابه وبريدة قدامه مع ذلك اللواء ودخلوا المدينة، فخرج إليهم الصبيان بالدفاف يضربون بين رسول الله ﷺ ويقولون:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع[3]

فلما بلغوا باب الدار التي استأجرها بريدة نزل عن دابته وتعلق بزمام ناقة رسول الله وقال له أنزل ههنا يا نبي الله، فقال «دع زمام الناقة فإنها مأمورة»، وكان كل واحد من رؤساء المدينة يتعلقون بزمامها لكي ينزل النبي عليه السلام معهم وكانوا مستعدون لنزوله، فأبى حتى بركت الناقة عند باب أبي أيوب الأنصاري، ونزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد أنزل هاهنا فإنه تواضع

---

(1) في النسخة (اين متى. قال: اين). انظر هذه الرواية في "غريب الحديث" للخطابي ج1 ص181.
(2) في النسخة "عامته".
(3) وجاء في روايات أن بنات النجار هن من خرجن بالدفوف يرددن هذا الشعر. انظر مثلاً "الفوائد الموضوعة" ص125.

حين نزلت على باب المدينة، وإن الناس زينوا دورهم وقال كل واحد منهم ينزل محمد في داري، وإن أبا أيوب يقول في نفسه إني رجل ضعيف فقير [سيئ الحرفة][(1)] لأنه كان حائكا يأنف علي رسول الله عليه السلام ولا [ينزل بي][(2)]، فأنزل أنت يا محمد في داره تواضعا كما وقفت سفينة نوح على الجودي لتواضعها وكانت [اقصف][(3)] الجبال، فنزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري وكان بنيته واحدة، فقال عليه السلام: «يا أبا أيوب الله تعالى أمرني أن أنزل في بيتك ولم يكن لك بيت أخرى منها وإن الناس يزورونني، فإن شئت فأنزل في العلو وأنا في السفل، وإن شئت في السفل وأنا في العلو. فقال: أنزل أنت في السفل وأنا في العلو. فلما جن الليل بات أبو أيوب الأنصاري في العلو ورسول الله في السفل، فلما أصبح قال له رسول الله: كيف أصبحت وكيف [. . .][(4)] قال: كيف تكون ليلة من فوقه الرب الأعلى وتحت سقفه النبي المصطفى»، فعلم رسول الله ﷺ أنه لم ينم طول الليلة هيبة ومخافة. فما مضى إلا [قليل][(5)] إذ جاءه كفار مكة وخرج المسلمون إليهم، فهزموهم وأخذوا السبايا، وأخذ بريدة جارية حسناء حتى طلبوا منه بثلاثين جارية، فأبى أن يعطيها إياهم وأعتقها لوجه الله تعالى، فقالوا له لو كنت أخذت الثلاثين مكانها فأعتقت عشرة وفرقت العشرة على أصحابك واستخدمت العشرة كان خيراً لك من عتق تلك الجارية، فقال لا تنافقوا فإن الناقد بصير يعلم الرديء من الجيد.

---

(1) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(2) في النسخة "ينزبي".

(3) في النسخة "اصف" وصححتها حسب ما يوافق الشكل والمعنى، حيث جاء «أوحى الله إلى نوح عليه السلام: أنها تستوي على رأس جبل فعلت الجبال لذلك فتطلعت لذلك وأخرجت أصولها من الأرض وجعل جودي يتواضع لله عز وجل فجاءت السفينة حتى جاوزت الجبال كلها فلما انتهت إلى الجودي استوت ورست فشكت الجبال إلى الله فقالت: يا رب إنا تطلعنا وأخرجنا أصولنا من الأرض لسفينة نوح وخنس جودي فاستوت سفينة نوح عليه» انظر "الدر المنثور" ج4 ص426.

(4) في النسخة كأنها (نصب بكى الليلة)، ولعل الأصل "مضت بك الليلة" والله أعلم.

(5) في النسخة "قلائل".

وروي أن علي بن أبي طالب ﷺ أعتق غلاماً قيمته عشرة آلاف درهم، فقيل له لو بعت هذا واشتريت عشرة بثمنه وأعتقتهم كان خيراً لك. فقال: اسكتوا فإن الناقد بصير، وما فعلت أبعد من الرياء والنفاق، فإن الناس يقولون إن عليا أعتق عبداً واحداً والله يعلم أن قيمته عشرة أعبد كما يقولون لا يشكل عليه.

قال الإمام أبو بدوي عن أبي حاتم الطائي ﷺ يقول قال النبي عليه السلام: «يؤمر يوم القيامة قيام الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا واشتموا ريحها ونظروا إلى قصورها وأنهارها وإلى ما أعدّ الله تعالى فيها لأهلها نودوا اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، قال فيرجعون بحسرة فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا من ثوابك وما أعددت فيها كان أهون علينا، قال ذاك أردت بكم، كنتم إذا [خلوتم][(1)] بارزتموني العظائم؛ وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلافها تفعلون من قلوبكم، هبتم الناس ولا تهابوني، أردتم أن يمدحكم الناس، فاليوم أذيقكم [أليم][(2)] العذاب مع ما حرمت عليكم الثواب»[(3)].

سمعت أبا عبد الله المطوعي يقول أسلم شاب على يدي رسول الله ﷺ وغزا معه غزوة حنين، فقتل كافراً وجعل رأسه على سنان رمحه وهو يقول ليت محمد رآني، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110][(4)] إلى آخر الآية، معناه يا شاب إن فعلت هذا لله تعالى فلا تشتهي لقاء محمد عليه السلام ليمدحك على ما فعلت؛ فإني قد مدحتك ومدحي وثوابي أعظم من مدح الناس، يدل عليه ما قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى من عمل لي عملاً وأشرك فيه غيري فالعمل للشريك وأنا بريء منه، ويقول الله تعالى يوم القيامة اطلب ثواب عملك ممن عملت»[(5)].

---

(1) في النسخة (خلوتموني).
(2) في النسخة (اليوم).
(3) انظر "المعجم الكبير" ج17 ص85، و"شعب الإيمان" ج5 ص327.
(4) الكهف: 110، وفصلت: 6.
(5) وجدته برواية «أنا غني عن الشركاء فمن عمل لي وأشرك فيه غيري فإني بريء منه». انظر "تفسير حقي" ج2 ص86.

الباب السادس والتسعون
فــي فضــل قلة الأكل وذم الأكول

كفارة يمين الصوم ثلاثة أيام بعد العجز عن الثلاثة الإعتاق والكسوة والإطعام والصوم تتابع عندنا، وقال زفر والشافعي رحمهما الله إن شاء تابع وإن شاء فرق، وإن كان غنيا وأراد الإطعام فأطعم مسكينا واحداً عشرة أيام صباحاً ومساءً ودفع إلى مسكين واحد كل يوم منوين[1] من بر حتى تم عشرة أيام جاز عندنا وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يجوز، وعنده يجوز أن يدفع لكل مسكين منا واحدا. لنا أن مقدار طعام كل بني آدم في كل يوم من واحد صباحاً ومن واحد عشاء، إلا أن الفقير لو تناول أقل من ذلك جاز ولو تناول أكثر من ذلك على الشبع فهو آثم فيه لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ﴾ [الأعرَاف: 31] نهى عن الإسراف.

والإسراف هو الأكل بعد الشبع وهو مكروه بهذه الآية، يدل عليه ما حدثنا أبو ذر البغدادي بإسناد له عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يتجشأ رفع صوته، فقال: «أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً في الدنيا»[2].

وعن فضيل بن عياض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال يا بني إسرائيل لا تكثروا الأكل وإن كثرة الأكل تورث النوم، ومن أكثر النوم [أقل][3] الصلاة والذكر وكتب من الغافلين.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ثلاث فيهن المقت من الله: الأكل على الشبع، والضحك من غير عجب، ونوم النهار من غير سهر لقيام الليل.

---

(1) المن: معيار قديم كان يكال به أو يوزن وقدره إذ ذاك رطلان بغداديان والرطل عندهم اثنتا عشرة أوقية بأواقيهم "المعجم الوسيط" ج2 ص698.

(2) انظر "كنز العمال" ج3 ص215، و"المستدرك على الصحيحين" ج4 ص346.

(3) في النسخة "قلت".

قال ذكر أبو بكر الوراق قال: ثلاث يبغضهم الله من غير جرم ولا ذنب: البخيل، والمتكبر، والأكول[1].

عن عيسى ابن مريم أنه قال: من شبع يدخل عليه سبع آفات: لا يقدر على حفظ الكلام إذا سمع، ولا يجد حلاوة العبادة، ويخرج من قلبه ذوق الله تعالى، ولا يكون مشفعا على الخلق لأنه إذا شبع يظن أن الناس كلهم شباعى وتثقل عليه العبادة، وتزداد شهوته على لسانه وعينيه، ويدور المسلمون حول المساجد وهو يدور حول المزابل يدل عليه ما روى أن داود عليه السلام رأى الشيطان فقال: ظفرت عليّ يوماً يا ملعون. قال: شبعت يوماً فأوقعت عليك النوم فبقيت عن وردك. فقال داود عليه السلام: والله لا أشبع بعد هذا.

وروي عن سفيان الثوري عن إبراهيم بن أدهم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: دخلت على النبي عليه السلام وهو يصلي جالساً قلت: يا رسول الله إنك تصلي جالساً فما أصابك؟ قال: «الجوع. فبكيت. فقال: لا تبك يا أبا هريرة فإن شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا»[2].

قال فضيل ﷺ: كان يوسف النبي عليه السلام لا يشبع، فقيل له مالك لا تشبع وفي يدك خزائن الدنيا؟ قال إذا شبعت نسيت الجائعين.

---

(1) جاء في هامش النسخة " قال الله تعالى: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ [الأعرَاف: 31] أي لباسكم فيه ذكر الحال وإرادة المحل.
﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعرَاف: 29] عند كل صلاة، وفيه ذكر المحل وإرادة الحال، نزل حين كانوا يطوفون بالبيت [عرايا] وهم قريش وكنانة وخداعة، فيقولون لا نطوف في ثياب عصينا بها، ويحرمون اللحم والدسم وشرب اللبن في أيام حجهم، فيعتقدون بذلك [تعظيم] حجهم. قال المسلمون يا رسول الله نحن أحق أن [نفعل] ذلك فنزلت الآية وقال الله تعالى البسوا زينتكم، أي ما تسترون به عوراتكم عند كل صلاة مسجد لأن كل موضع مسجد.
وقال أبو منصور رحمه: أي [صلاة] في كل مسجد و[لا تخص] بالصلاة في [. . .].
وقيل: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأنعَام: 141] أي لا [تشركوا] بالله غير الله وأنتم تأكلون وتشربون من رزق الله.
﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعرَاف: 31] بتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله. مشكاة الأنوار".

(2) انظر "كنز العمال" ج6 ص482.

عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال [أتى][(1)] أبو طلحة أم سليم فقال يا أم سليم أعندك شيء؟ فإني مررت برسول الله ﷺ وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا من الجوع. فقالت: عندي شيء من الشعير، فطحنت وطبخت منه قرصا ثم قال: أعندك إدام؟ فكان عندي زق فيه سمن فأتيت به، [فعصرها][(2)] فأخرجا شيئاً من السمن مثل التمرة، ثم قال لي أبو طلحة: يا بني أتعرف رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. قال: إني تركته مع أصحابه فادعه منفردا ولا تفضحنا.

قال أنس: لما أتيت رسول الله ﷺ رآني قال: «لعل أباك أرسلك؟». قلت: نعم. فقام مع أصحابه وهم يومئذ ثمانون رجلا، فتقدمت عليهم وأخبرت أبا طلحة لمجيئه مع أصحابه. فقال: فضحتني يا بني. ثم خرج أبو طلحة إليهم وأجلسهم وأخبر النبي عليه السلام مطعومه، فدخل رسول الله عليه السلام ووضع عنده القرص ثم سأل الإدام، فقدم السمن مثل التمرة، فدعا فيه بالبركة وقال: «ادعوني بعشرة عشرة»، فدعوت عشرة فجلسوا وأكلوا حتى شبعوا، فما زالوا يدخلون عشرة عشرة حتى شبعوا، ثم جلس رسول الله ﷺ وجلسنا معه، فأكلنا حتى شبعنا[(3)]. فعلم بأن الشبع ليس بكثرة الأكل بل بلطف الله تعالى.

وروى أبو أيوب الأنصاري: أضاف رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فوضع عنده خبزاً ولحماً وتمراً ورطباً وبسراً، فلما أكلوا دمعت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «والذي نفسي بيده إن هذا لهو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التّكاثُر: 8]. فكبر ذلك على الصحابة فقالوا: يا نبي الله ومن يقدر شكر هذا؟ قال: هذا إذا رزقكم الله مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا بسم الله وبركة الله، وإذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذي أشبعنا وأروانا وأنعم علينا فإن هذا كفانا بها»[(4)].

---

(1) ساقطة من النسخة.
(2) في النسخة "فعطرها".
(3) انظر "المعجم الأوسط" ج3 ص266.
(4) وجدته في المراجع التي بحثت فيها برواية «فإن هذا كفاف بهذا». انظر "المعجم الصغير" ج1 ص124.

الباب السابع والتسعون
في فضل الصحابة

جميع ما أمر الله تعالى في كتابه لعباده من المفروضات وغيرها لنا أن نعمل بها وإن لم نعرف معناها كقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البَقَرَة: 185] وكقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البَقَرَة: 275]، وكقوله ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ [النِّسَاء: 23][1] الآية ولا يستقل بالمعنى، وهو أن الله تعالى لم أوجب الصوم والصلاة فعلينا [أن نأخذ][2] مما أمر وليس لنا أن نسأل [لما][3] أوجب.

وكذا الحكم بقول النبي عليه السلام بالاتفاق مثل قوله «الفجر ركعتان والظهر أربع ركعات وكذا العصر والمغرب ثلاث ركعات»[4]، وأجمعوا أن تقليد قول النبي عليه السلام يجوز ولا خلاف فيه، اختلفوا أن تقليد قول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يجوز أم لا؟ قال علماؤنا في ظاهر الأصول يجوز، وأقاويل جميع الصحابة حجة بغير معرفة المعنى ونعمل بها؛ حتى روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه سئل فقيل إذا قلت وكتاب الله يخالف قولك؟ قال: أترك قولي بكتاب الله تعالى وقول الرسول عليه السلام. فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالف قولك؟ [قال][5] هم رجال ونحن رجال. ثم قال أبو حنيفة: أترك قولي بقول الصحابة إلا بقبول ثلاثة منهم: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب رضي الله عنهم.

---

(1) قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النِّسَاء: 23].

(2) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

(3) في النسخة "بم" والراجح ما بينته. (4) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.

(5) ساقطة من النسخة.

قال الفقيه أبو جعفر الهندواني فإنما لم يترك قوله بفعال هؤلاء الثلاثة لأنهم مطعونون، أما أبو هريرة فإنه روى عن النبي عليه السلام أنه قال: «من أصبح جنباً فلا صوم له»، قالت عائشة رضي الله عنها: أخطأ أبو هريرة، كان نبي الله ﷺ يصبح جنباً من غير احتلام ثم يتم صومه ذلك وذلك في رمضان. فقال أبو هريرة: هي أعلم، كنت سمعته عن الفضل بن محمد[1]، والفضل كان ميتاً فصار مطعوناً.

وأما أنس فإنه لم يكن فقيهاً حتى قال للحسن البصري ما معنى «لا تنقشوا على [خواتيمكم عربيًّا ولا تستضيؤوا][2] بنار المجوسي»[3] فعلمه فقال: معنى قوله "عربيًّا" اسم محمد ﷺ فإنه كان عربيًّا يتعلم[4] أحكام الوضوء من ابن عمر، فدل على نسيانه فلم يقبل قوله.

وأما سمرة بن جندب فإنه روى أن رجلاً كان يختلف إلى سمرة وإلى ابن محذورة، فكان إذا جاء سمرة يقول له سمرة كيف تركت ابن أبي محذورة؟ وإذا جاء إلى ابن محذورة قال له كيف تركت سمرة؟ فطال ذلك على الرجل [فقال لسمرة][5] عن ذلك، فقال لأن رسول الله ﷺ قال: «[آخركم][6] موتاً في النار» وقد روي أن سمرة كان آخرهما[7] فلذلك لم يقبل قوله، فهذا ليس بطعن فيه، إذ وقع الحريق في المدينة فاحترق فيه سمرة.

قال أبو جعفر: كان مراد النبي عليه السلام نار الدنيا لا نار الآخرة. وأجمعوا أن تقليد قول الناس أو التابعين لا يجوز ما لم يعرف معناه مثل أن يقول فلان من الفقهاء أو التابعين فعلي كذا وأنا أعمل به وإن لم أعرف حجته ومعناه، والظاهر عن علمائنا أن أقاويل الصحابة حجة يقلد قولهم[8]، وقال الشافعي رحمه الله

---

(1) وجدته بلفظ "الفضل بن عباس" انظر "المعجم الكبير" ج18 ص292. و"سنن النسائي" ج2 ص187.

(2) في النسخة (خواملكم عربيا ولا تستغشوا)، وصححته حسب ما وجدته في المراجع.

(3) جاء في المراجع «لا تستضيؤوا بنار المشركين». انظر "سنن النسائي" ج5 ص454، و"سنن البيهقي" ج10 ص127.

(4) هكذا في النسخة ولعل الأصل "ويتعلم".

(5) في النسخة "قال سمرة".

(6) في النسخة (كما).

(7) انظر "مسند ابن أبي شيبة" ج3 ص83.

(8) هذا الذي سبق من المباحث الأصولية يدرسها طلاب الشريعة.

في ظاهر الأصول لا يقلد قول أحد من الصحابة، وقال بعض أصحابه يقلد قول أربعة وهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﭫ.

قلنا إن أقاويل جميع الصحابة تقلد لما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم»[1]، ولأن الأمة أجمعت أن أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب محمد عليه السلام، فلو لم يقلد قولهم ما ظهر فضلهم على سائر الأمم.

ويدل على فضلهم قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: 159][2] إلى قوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: 159] وهذا دليل على فضائلهم واتباع قولهم مع أنه كان محتاجاً إلى مشورتهم.

وعن علي ﭬ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أمرني أن اتخذ أبا بكر والدا وعمر مشيرا [ـ أي وزيرا ـ][3] وعثمان سندا [أي داعما] وأنت يا علي ظهرا [ـ أي قاتلا أعداء النبي عليه السلام ـ]، وأنتم أربعة أخذ الله تعالى ميثاقكم في أم الكتاب، وأنه لا يحبكم إلا مؤمن تقي ولا يبغضكم إلا فاجر شقي»، وروي أنه قال: «أنتم خلفائي من بعدي وعقد ذمتي وحجتي على أمتي»[4].

قال سمعت الإمام أبو بكر محمد بن الفضل يروي عن أنس بن مالك ﭭ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أبو بكر الصديق لنا، وعمر معنا، وعثمان منا، وعلي من أهل بيتنا»[5].

قوله «لنا» أقرب مني.

---

(1) انظر "كشف الخفاء" ج1 ص132، و"جامع بيان العلم" لابن عبد البر ج3 ص115.

(2) قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: 159].

(3) وجدته في المراجع بغير هذه الزيادات، وهي غير واضحة في النسخة والظاهر أنها شرح من المؤلف.

(4) انظر "كنز العمال" ج13 ص234.

(5) لم أجد له تخريجاً.

قوله «معنا» لأن لنا مطلقاً فيما هو له ومعه.

وقوله «معنا» أقرب مني.

قوله «منا» لأن ما هو معك لا يفارقك وما هو منك يفارقك، ولفظة "مع" تقتضي اللزوم.

وقوله «منا» أقرب من قوله «أهل بيتنا»، لأن ولدك منك ولم يكن أهل ولدك منك، فهذا دليل على أن أبا بكر أفضل من عمر، وعمر أفضل من عثمان، وعثمان أفضل من علي، وعلي أفضل من سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال سمعت الفقيه أبو نصر يروي في عامته بالفارسية عن علي ﷺ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لفلان اليهودي كلباً عقوراً كلما مررت قاصدا إلى جماعتك عقرني وخرق ثيابي، فمره يحبسه.

فقام رسول الله ﷺ قاصدا إلى داره واستقبله اليهودي، فقال «يا أخ اليهود كلبك قد عقر صاحبنا هذا وخرق ثيابه. فقال: إن كلبي لا يؤذي أحداً إلا من يؤذيه، وإن كنت نبي الله كما تزعم فائتِ داري واسأل الكلب لما يؤذيه؟».

قال: فأتى النبي عليه السلام بابه، فلما بصر الكلب النبي عليه السلام قام وعدا إليه يحرك ذنبه، ولما أبصر الرجل قصد في هلاكه، فقال رسول الله ﷺ: «مالك يا كلب تؤذي صاحبنا بغير سبب؟». فأنطق الله تعالى الكلب حتى نطق بلسان طلق ذلق وقال: يا نبي الله إنه يمر عليّ كل يوم وليلة ألف نفر ولا أؤذي أحدا، وإنما أؤذي هذا لأنه يبغض أبا بكر وعمر ﷺ، فإنه لا يخرج من بيته ولا يدخله [إلا][1] وهو يبزق على صورتهما في بهو داره يا رسول الله، انطلق معي فإن كنت كاذباً [. . .].

فانطلق رسول الله ﷺ إلى دار الرجل فإذا هو كما قال الكلب، صور أبا بكر وعمر ﷺ خلف باب بهوه وأثر البزاق على صورتهما، فأقبل على الرجل فقال «تب تاب الله عليك واسلم»، ثم أسلم اليهودي صاحب الكلب، فقال الكلب:

---

(1) ساقطة من النسخة حسب مقتضى النص والله أعلم.

السلام عليك يا رسول الله إلى يوم التناد، كنت مبعوث الرب جل جلاله واختفى من المكان. قال رَحِمَهُ اللهُ: سمعت الإمام أبا محمد يقول إن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أمنا وأم جميع المؤمنين بالكتاب قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: 6][1]، ومن كانت عائشة أمه وأبو بكر أباه والولد الصالح لا يذكر والده إلا بخير، والولد الخبيث لا يذكر والده إلا بشر وخبث كما قال الله تعالى في بيان النكاح ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ [النُّور: 26]، فكما لا يصلح الخبيث للطيب في باب النكاح ولا يصلح معه فكذلك الخبيث لا يصلح لأبي بكر الصديق الطيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى يذكره بالخبيث ولا يذكره بالطيب.

قال رَحِمَهُ اللهُ سمعت أبا نصر المطوعي رَحِمَهُ اللهُ يقول: سألت الشيخ الإمام أبا بكر محمد بن الفضل رَحِمَهُ اللهُ عن خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: كان خليفة بحق، فإنه روي أنه لما توفي رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم اجتمع المهاجرون على خلافته، فخافهم الأنصار فقالوا منا أمير ومنكم أمير، وقد ذكرنا الخبر بطوله في كتاب الأنس، فينظر فيه في باب الخلافة في أول الكتاب.

قال رَحِمَهُ اللهُ: سمعت صالح بن محمد بن صالح السجاري رحمهم الله يحكي بإسناد له عن الجراح عن أبي علقمة قال: كنت في قافلة عظيمة وأميرنا رجل نرتحل بأمره وننزل بأمره، فنزلنا منزلا وهو يشتم أبا بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقلنا له في ذلك فسكت ولم يجب بشيء، فلما أصبحنا وأوقرنا[2] وأصلحنا الراحلة ولم ينادِ منادٍ جئناه فنظرنا ما حاله وما يصنع، فإذا هو جالس مربع وقد غطى رجليه بكسائه، فكشفناه عنهما فإذا صارت رجلاه كرجل الخنزير، فهيَّأنا راحلته وحملناه، فانتهينا إلى فصيلة الخنازير في قرية فوثب عن راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات صيحة الخنازير واختلط بالخنازير وصار خنزيرا حتى لم نعرفه منها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: سمعت الفقيه أبا نصر أحمد بن محمد [. . .] رَحِمَهُ اللهُ يقول: خرجت من كورة بخا قاصدا إلى كورة طوس فصحبت رجلاً من أهل فرغانة في الطريق من قرية سكند، فقلت له: من أين وإلى أين؟ فقال: من فرغانة إلى الحج

(1) وجاء في النسخة قوله "عليه السلام" بعد ذكر النبي عليه السلام في الآية.
(2) أوقرت الدابة إيقاراً حملها حملاً ثقيلاً. انظر "المعجم الوسيط" ج2 ص1022.

أحج عن امرأة بثلاث مائة درهم. فقلت: ليس هذا بوقت الحج فإن الحجاج قد خرجوا ولا تبلغ أنت، فكيف تحج من فرعانة إلى مكة بثلاث مائة درهم؟ قال لنا ههنا بطوس بقعة يقال له شهد نحج تلك البقعة وفيه قبر علي بن موسى الرضى العلوني[1] فنحج قبره، وهي بقعة مباركة.

قال: صحبته حتى دخلنا المشهد وكنت أوافقه في بعض الكلمات لكي أعرف مذهبه وأجيب مقالته حجة عليه، فتركته في المشهد وذهبت إلى طوس وقصصت القصة على الحاكم أبي الفضل الأودني وكان حاكما فيها، فقال لي: يا هذا لم لم تصحب حتى تشهد عليك كفرهم فتخرجهم بذلك من هذه البقعة؟!.

قال فاستأذنت منه ورجعت إلى ذلك وكنت معه ليالي، وأعطيته ثمرة فؤادي حتى ظن أني منهم، فقال لي: يا هذا إذا كنت منا أفلا تزور سيدنا وإمامنا؟ قلت: نعم، وكان رجل يتقدم ويصلي بهم ويقرأ بخلاف ما أنزل حتى قرأ سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القِيَامَة: 1]، فبلغ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 17] فغير وقرأ: ﴿عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾، فقلت في نفسي: كذبت ما قلت، ثم استقبلت الصلاة، ثم أدخلني ذلك الرجل بالخفية بيتاً فيه سيدهم، فإذا أنا برجل قد صار رجلاه كرجل الكلب وفمه كفم الكلب وهو ينبح وهم يقولون إنه يذكر الله تعالى، وقال الفرعاني: إن سيدنا هذا كان يلعن كل يوم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ألف ألف مرة حتى [آل][2] أمره إلى هذا، فخرجت وذهبت إلى طوس وأخبرت الحاكم بذلك، فجاء بنفسه إلى المشهد وهم بإزعاجهم ـ أي الإخراج ـ فلم يقدر.

---

(1) الراجح أن المقصود:
علي الرضى (203 هـ) علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى: ثامن الأئمة الاثني عشر عند الامامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة. وكان أسود اللون، أمه حبشية. وأحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم. ومات علي الرضى في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة. انظر "الأعلام" ج5 ص26.

(2) في النسخة "إلى".

قال رحمه الله سمعت الأديب الزاهد أبا يوسف يعقوب بن يوسف رحمهم الله يقول: كنت بدامغان[1] في طريق مكة فإذا رجل نيسابوري يناظر رجلاً دامغانيا في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال فطال الأمر علينا إلى [أن][2] قال الدامغاني [القائل][3] بتفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: يا أيها النيسابوري تكلمنا بكلمات لم يتكلم بمثلها أحد قط أنا وهذا البخاري، ولم ينفعك في كفرك شيء حتى ترجع عنه فهات تجرب بالفعل. قال: وكيف؟ قال: بدامغان حمام يعرف بحمام الأمير ليس فيها حمام أكبر [أتوناً][4] واحزم ناراً من أتون هذا الحمام، نذهب إلى صاحب الأتون يفتح بابه فندخل جميعاً في الأتون [المضرم][5]، فنمكث فيه إلى وقت الظهر، فإن كنت أنت محقاً تنجو وأهلك أنا، وإن كنت أنا محقاً نجوت وهلكت أنت.

قال: فذهبنا إلى ذلك الحمام فأبى الأتوني أن يفتح لهما بابه، وأشهدنا رجالاً على ذلك.

قال: فأخذ الدامغاني [يحتصر][6] بيمين النيسابوري، فتقدم وجذب النيسابوري معه ودخلا الأتون، وكانا فيه حتى أذَّن المؤذن بجوار الحمام، فناديت الأتوني فناداهما الأتوني بالأذان، فخرج الدامغاني لم يحترق ثوبه ولا شعره ولا أثرت النار فيه، واحترق النيسابوري وصار فحما. فهذا يكفي لك في فضل الشيخين رضي الله عنهما يا أيها الرافض لعنك الله وأخزاك، والله الهادي.

---

(1) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسبور كثير الفواكه والمياه والأشجار. انظر "آثار البلاد وأخبار العباد" ص148.

(2) ساقطة من النسخة.

(3) ساقطة من النسخة وأضفتها لضرورة السياق والله أعلم.

(4) في النسخة "انونا".
الأتون: الموقد الكبير كموقد الحمام. انظر "المعجم الأوسط" ج1 ص9.

(5) في النسخة "المضرب".
أضرم: النار أوقدها وأشعلها. انظر "المعجم الوسيط" ج1 ص1117.

(6) غير واضحة في النسخة وهذا أقرب شكل لها.

الباب الثامن والتسعون
في فضل السلام بمسائله وعظاته

قال رَحِمَهُ اللَّهُ وإذا سلم المصلي في آخر الصلاة كيف ينوي؟ قال: على ثلاثة أوجه: إما أن يكون إماما، أو مقتديا، أو منفردا.

فان كان منفردا فإنه ينوي عند التسليمة الأولى الملك الذي على يمينه وفي الثانية الملك الذي على يساره لأنه ليس معه إلا حافظاه، فينويهما.

وإذا كان إماماً قال في كتاب الصلاة ينوي أولاً الرجال ثم النساء ثم الحفظة. قال بعض العلماء رحمهم الله: إنما اختلف الجواب لأن محمد بن الحسن رحمهما الله حين صنف كتاب الصلاة كان يروى تفضيل الملائكة على بني آدم، وحين صنف كتاب الجامع الصغير كان يرى تفضيل أولاد آدم على الملائكة، [إذن][1] يكون في المسألة روايتان. وقال بعضهم لا، بل في المسألة اختلاف الروايتين: وجه رواية كتاب الصلاة أنه مأمور أن ينوي أولاً من هو أقرب إليه بدليل أنه ينوي أولاً الرجال ثم النساء لأن الرجال أقرب إليه؛ فبان أنه ينوي أولاً من هو أقرب إليه، والحفظة أقرب إليه بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: 16][2] يعني الحفظة أقرب إلى كل آدمي من الآدميين، فلما كانت الحفظة أقرب إلى المصلي والإمام وجب أن ينوي للحفظة أولاً ثم الرجال والنساء.

وجه رواية جامع الصغير أن أولاد آدم من جنس المصلي فينوي أولاً من هو من جنسه، ثم النساء من جنس الرجال لأنهن من أولاد آدم فينويهن، ثم الحفظة لأنهم بخلاف جنسه.

وقال بعضهم ما ذكر في الجامع الصغير قول أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وما ذكر في

---

(1) في النسخة "ان" وصححتها بما يوافق المعنى والله أعلم.

(2) في النسخة (من حبل الوريد منكم).

كتاب الصلاة قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلموا ـ أيدكم الله تعالى أهل العلم ـ أن الأمة اجتمعت أن الأنبياء عليهم [السلام][1] أفضل الخليقة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم، واتفقوا أن أفضل الخلفاء بعد الأنبياء صلى الله عليهم وسلم جبرائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكربيون[2] والروحانيون ورضوان ومالك صلوات الله عليهم أجمعين، إن الصحابة والتابعين والشهداء والصالحين أفضل من سائر الملائكة، واختلفوا أن سائر الناس بعد هذا أفضل أم سائر الملائكة؟

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ سائر الناس من المسلمين أفضل، وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله سائر الملائكة أفضل له قوله تعالى: ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: 23-24] أخبر الله تعالى أن الملائكة زوار أهل الجنة من المسلمين والمسلمات، والمزور أفضل من الزوار، فلذلك قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ إنهم أفضل من سائر الملائكة، فلما كانوا أفضل يقدمهم المصلي في النية. ولما كان سائر الملائكة أفضل عندهما يقدمهم المصلي في النية على سائر الناس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ نرجع إلى المسألة التي نحن فيها، ثم سلم الإمام التسليمة الثانية وينوي في رواية كتاب الصلاة أولاً الحفظة ثم الرجال ثم النساء، وفي رواية جامع الصغير ينوي أولاً الرجال ثم النساء ثم الحفظة.

فأما إذا كان مقتدياً فهو على ثلاثة أوجه: إما أن يكون على يمين الإمام، أو على يسار الإمام، أو على قفا الإمام.

فإن كان على يمين الإمام فإنه يسلم المقتدي عن يمينه وينوي في رواية كتاب الصلاة أولاً للحفظة ثم الرجال ثم النساء، وفي رواية الجامع ينوي أولاً الرجال ثم النساء ثم الحفظة ولا ينوي الإمام لأنه لا يقع بصره عليه، ثم يسلم الثانية وينوي أولاً في رواية كتاب الصلاة الحفظة ثم الإمام ثم الرجال ثم النساء، وفي

---

(1) ساقطة من النسخة.

(2) هم الحافون من حول العرش. انظر "اللباب في علوم الكتاب" ج13 ص464.

رواية الجامع ينوي الإمام ثم الرجال ثم النساء ثم الحفظة.

وإذا كان على يسار الإمام وفي رواية كتاب الصلاة ينوي التسليمة الأولى أولاً الحفظة ثم الإمام ثم الرجال ثم النساء، وفي رواية الجامع ينوي أولاً الإمام ثم الرجال ثم النساء ثم الحفظة. وفي التسليمة الثانية في رواية كتاب الصلاة ينوي أولاً الحفظة ثم الرجال ثم النساء، وفي رواية الجامع ينوي أولاً الرجال ثم النساء ثم الحفظة ولا ينوي الإمام لأنه لا يقع بصره عليه.

وإن كان على قفا الإمام فنية الحفظة والرجال على ما ذكرنا من اختلاف الرواية.

بقي الكلام في الإمام، قال بعضهم ينوي الإمام في التسليمة الأولى ولا ينويه في الثانية لأنه بالأولى خرج من الصلاة.

وقال بعضهم ينويه التسليمتين جميعاً لأن بصره يقع عليه فيهما جميعاً، فهو مأمور بالثانية كما هو مأمور بالأولى [. . .] الأولى كذا في الثانية.

وقال أبو القاسم رحمه الله: ينبغي للمصلي أن ينوي في التسليمتين جميعاً أهل التوحيد حتى يستغنى عن تفسير هذه الأشياء التي ذكرناها ويتيسر عليه.

قال رحمه الله: ثم السلام سلامان سلام للصلاة وسلام التحية، فسلام الصلاة على ما ذكرنا، وسلام التحية هو أن يدخل الرجل على قوم فيسلم عليهم، وإذا استقبله قوم يسلم عليهم، وإذا مر واحد على واحد واقف أو قاعد والمار هو الذي يسلم عليه، وإذا استقبل واحد [لواحد][1] يجيء من المصر والآخر من القرية اختلف الناس فيه.

قال بعضهم يسلم الذي جاء من [مصر][2] لأنه جاء من موضع الأمان، فيسلم على الذي جاء من القرية ليكون إخبارا عن سلامة المصر.

وقال بعضهم يسلم الذي جاء من القرية على الذي جاء من المصر لأن الذي جاء من المصر جاء من أفضل المواضع فكان هو أفضل، فيسلم ذلك عليه أفضل

---

(1) في النسخة "لوحدهما".

(2) في النسخة "القرية" والظاهر أنه تحريف من الناسخ حسب السياق والله أعلم.

بدليل ما روي عن عمر ﷺ أنه قال: ملك واقف على باب المصر فإذا خرج أحد من المصر فيراه ذلك الملك فيقول شقيت شقاوة لا تعود إلى السعادة أبداً إلا أن ترجع من المصر، فإذا خرج من القرية ودخل في المصر يقول سعدت سعادة لا تشقى أبداً إلا أن تخرج من المصر. فبان أن المصر أفضل المواضع.

ويسلم الراكب على الماشي.

وإذا مر بقوم وهم يأكلون الطعام إن كان محتاجاً إلى الطعام فعرف أنهم يدعونه إلى طعامهم يسلم عليهم وإلا فلا.

وإذا استقبله رجال ونساء يسلم عليهم في الحكم ولا يسلم عليهم في باب الطريقة، والإسلام في خمسة مواضع: عند قراءة القرآن جهرا، وعند مذاكرة العلم، وعند الأذان والإقامة، وعند الخطبة يوم الجمعة أو العيدين، وعند اشتغال الناس في الصلاة ليس فيهم أحد إلا مصلياً، وإذا دخل الحمام فإن كانوا متأزرين يسلم بالاتفاق، وإن كانوا عراة وفي الخلاء قال أبو حنيفة رحمه الله يسلم، وقالا رحمهما الله لا يسلم، له قوله عليه السلام وعلى آله وسلم: «أفشوا السلام»[1] ولم يفصل.

وإذا سلم المسلم ينبغي للسامع أن يجيب عنه ويجهره حتى يستمع المسلم رده، ولو رده [و][2] لم يسمع لا يسقط عنه، ولو كان قوم كثير قال بعضهم يجب على الكل أن يجيبوا قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّسَاء: 86] أمرهم جميعاً.

وقال بعضهم: إذا رده واحد يكفي لأنه حين سلم استأمن عنهم، فإذا أمنه واحد كفاه كالكفار إذا استأمن فأمنه واحد من المسلمين كفاه، وإذا سلم يقول "السلام عليكم ورحمة الله" ويقول "سلام عليكم" بتنوين الميم، وقوله "سلام عليكم" بجزم الميم ليس بشيء؛ لا يفترض الجواب.

ويجيب بقوله "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(1) انظر "صحيح مسلم" ج1 ص53، و"سنن أبي داود" ج4 ص516.

(2) ساقطة من النسخة وأضفتها لضرورة السياق والله أعلم.

حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾، فقوله تعالى ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ يعني على أهل دين الإسلام، وقوله ﴿أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ يعني على أهل الكتاب.

قال رحمه الله سألت الإمام أبا محمد عن مسلم سلم على كافر، هل يكون ذلك منه كفرا؟ أو هل يأثم إذا لم يكن ذلك منه كفرا؟ قال: إذا كانت له إليه حاجة لا بأس بأن يسلم عليه، وإذا لم يكن إليه حاجة فالأفضل أن لا يبتدأ بالسلام، ولو ابتدأ بالسلام أثم ولم يكفر بربه تعالى.

قال القاضي أبو جعفر محمد بن عمر والشعبي رحمهم الله إذا ابتدأ بالسلام على الكافر عند عدم الحاجة إليه أو سمى المجوسي خشتة[1] عند عدم الحاجة إليه [. . .] في الفصلين[2] جميعاً كفر المسلم بربه تعالى.

قال رحمه الله ذكرت قوله للشيخ أبي محمد قال هو غير سديد لأن الخشتة لهم كالاسم، وبداية السلام عليهم إعطاء الأمان لهم من المسلمين وتجديد العهد معهم فلم يكن كفرا، وهو أصول الأقاويل.

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يسلم الراكب على الماشي، ويسلم الماشي على القاعد، والقائم على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، [وإذا مر القوم بالقوم فسلم منهم واحد أجزأ عنهم وإذا رد من الآخرين واحد أجزأ عنهم][3]».

وعن عباد بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلم على عشرة كان كمن أعتق رقبة»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استقبله [أخوه][5]

---

(1) هكذا جاء في النسخة وتكرر، ولم أجد له معنى في القواميس، والظاهر كما سيأتي أنه سلام المجوس كما سيأتي.

(2) هكذا في النسخة ولعل الأصل "في الفعلين".

(3) هذه الجملة غير واضحة في النسخة بسبب تآكل جزء من الورقة، وأضفته حسب ما جاء في المرجع وقارب ما هو ظاهر من النسخة. انظر "مصنف عبد الرزاق" ج10 ص387، و"شعب الإيمان" ج6 ص466.

(4) انظر "كنز العمال" ج9 ص121.

(5) في النسخة (الاخوه)، والظاهر أن الناسخ حرف الكلمة والله أعلم.

المسلم فبادر وسلم عليه أعتقه الله تعالى من النار وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1].

وعن النبي عليه السلام أنه قال: «ألا أدلكم على شيء إذا أنتم فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام فيما بينكم»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمسة أن يعوده إذا مرض، وأن يقضي حاجته إذا رفعها إليه، وأن يعزيه إذا مات أحد من عياله، وأن يعينه إذا استعان به، وأن يسلم عليه إذا لقيه»[3].

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: أول ما رأيت رسول الله ﷺ ونظرت في وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: وسمعته يقول: «أفشوا السلام، واطعموا الطعام، وصلوا [الأرحام][4] وصلوا بالليل والناس نيام وادخلوا الجنة بالسلام»[5] فقد بدأ بإفشاء السلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «ما استقبل المسلمان وسلم كل واحد منهما صاحبه وتصافحا إلا غفر الله تعالى ذنوبهما قبل أن يتفرقا، وما من أحد من المسلمين إلا رد عليه ملك من الملائكة أبشر أيها العبد بالجنة»[6].

وعن عبد الله بن عمر وابن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «من سلم

---

(1) لم أجد له تخريجاً.

(2) انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص391، و"شعب الإيمان" ج6 ص423.

(3) وجدته برواية «حق المسلم على المسلم خمس يسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعاه». انظر "مسند أحمد بن حنبل" ج2 ص540، و"كنز العمال" ج9 ص41.

(4) في النسخة (الامام).

(5) انظر "معجم الصحابة" لابن قانع ج4 ص47، و"مسند عبد بن حميد" ج1 ص179، و"سنن الترمذي" ج4 ص652.

(6) وجدته بروايات مشابهة انظر مثلاً "المعجم الأوسط" ج7 ص324، "العهود المحمدية" ج1 ص200.

على من لقيه يكرمه الله تعالى بثلاثة أشياء: بحبه على خلقه وعلى أهل بيته [. . .][1]»

«[. . .] على من لقيه أمنه الله تعالى من المكر والخيانة، ويسلم عليه منكر ونكير في القبر، ولا يمر عليه يوم القيامة ملك إلا ويسلم عليه ويبشره برضوان الله الأكبر. قال: وما رضوان الله الأكبر؟ قال: يرزقه الرؤية»[2].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال صحبت رسول الله ﷺ قبل أن يسلم عليه المسلم وكان يقول «ما ابتدأ مسلم على مسلم بالسلام إلا ابتدأ عليه ملك الموت بالسلام يريد قبض روحه، وما من مسلم يسلم على مسلم إلا ويكثر خير بيته»[3] والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

الحمد لله على التمام وللرسول أفضل الصلاة والسلام[4]

(1) غير واضحة في النسخة بسبب تآكل في الورقة قدر سطر ونصف، ولم أجد تخريجاً له ولا لحديث مشابه له.

(2) لم أجد له تخريجاً.

(3) لم أجد له تخريجاً بهذه الرواية.

(4) جاء في نهاية النسخة «تم الكتاب بعون الملك الوهاب في أوائل من شهر ذي القعدة الشريفة في وقت الضحى من يوم الأربعاء، على يد [الضعيف] الحقير الفقير الطلاب علي ابن ولي غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما واليه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، سنة أربعين ومائة وألف من هجرة النبوية».

الفهارس الفنية للنص المحقق

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس المذاهب والفرق والأمم
- فهرس المصادر الواردة في النص المحقق
- فهرس المراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعـــلام

فهرس المصـادر الواردة في النص المحقق

فهرس المراجع

1 - ابن بطال، **شرح البخاري.**

2 - ابن حجر العسقلاني، **الدراية في تخريج أحاديث الهداية**، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة بيروت.

3 - ابن حجر العسقلاني، **تبيين العجب بما ورد في شهر رجب.**

4 - ابن شاهين، **الترغيب في فضائل الأعمال.**

5 - ابن عابدين، **حاشية رد المحتار**، دار الفكر.

6 - ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله.**

7 - ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله.**

8 - ابن قانع، **معجم الصحابة.**

9 - ابن قلطوبغا، **تاج التراجم في طبقات الحنفية.**

10 - ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق.**

11 - أبو شجاع الديلمي الهمذاني، **الفردوس بمأثور الخطاب**، تحقيق: السعيد ابن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1406هـ.

12 - الحارث بن أبي سلمة/ نور الدين الهيثمي، **بغية الباح عن زوائد مسند الحارث**، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية المدينة المنورة، ط1 1413 هـ.

13 - الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي، **إرشاد القلوب**، تحقيق سيد هاشم الميلاني، دار الأسوة للطباعة والنشر ط2 1424 هـ.

14 - الحكيم الترمذي، **المنهيات.**

15 - الخادمي، **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية.**

16 - القابوني، **بشارة المحبوب بتكفير الذنوب.**

17 - الملا علي القارئ، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.**

18 - الملا علي بن محمد القارئ، **شرح مسند أبي حنيفة**، تحقيق: الشيخ خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1405 هـ.

19 - النعمان بن ثابت أبو حنيفة، **المسند**.

20 - النيسابوري، **تفسير القرآن العظيم**.

21 - أبو الحسن علي الكناني، **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف/ عبد الله بن محمد الغماري، دار الكتب العلمية.

22 - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، **أسباب النزول**، دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة.

23 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح (صحيح مسلم)**، دار الجيل بيروت.

24 - أبو العباس شمس الدين بن خلكان، **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.

25 - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية 1386.

26 - أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، دار الكتب العلمية، ط1 1419 هـ.

27 - أبو الفضل عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر بيروت.

28 - أبو القاسم البغوي، **مسند أسامة بن زيد**.

29 - أبو القاسم تمام بن الجنيد، **فوائد تمام**.

30 - أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، **تلخيص المتشابه في الرسم**، تحقيق: سكينة الشهابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، ط1 1985م.

31 - أبو بكر أحمد الدينوري، **المجالسة وجواهر العلم**، دار ابن حزم بيروت، ط1 1423 هـ.

32 - أبو بكر بن علي الحداد، **الجوهرة النيرة**.

33 - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث الآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط1 1409 هـ..

34 - أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بان شاهين، **فضائل شهر رمضان**.

35 - أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، **المسند الكبير**.

36 - أبو سعيد بن الأعرابي بن درهم، معجم ابن الأعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم، دار ابن الجوزي السعودية، ط1 1418 هـ.

37 - أبو عبد الله القرطبي، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**.

38 - أبو محمد الحسين البغوي، **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4 1417 هـ.

39 - أبو منصور محمد الماتريدي، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريري)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1426هـ.

40 - أبو نعيم الأصبهاني، **أخبار اصبهان**.

41 - أبو نعيم أحمد الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر الرياض، ط1 1419 هـ.

42 - أبو يعلى أحمد بن علي التميمي، **معجم أبي يعلى الموصلي**.

43 - أحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الصغير**، دار جامعة الدراسات الإسلامية باكستان، ط1 1410 هـ.

44 - أحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الكبرى**.

45 - أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1410.

46 - أحمد بن الحسين البيهقي، **فضائل الأوقات**، تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، مكتبة المنارة مكة المكرمة، ط1 1410 هـ.

47 - أحمد بن أحمد العجمي، **ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات اليمن، ط1، 1432 هـ.

48 - أحمد بن حجر العسقلاني، **الامالي المطلقة**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي بيروت، ط1 1416 هـ.

49 - أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة القاهرة.

50 - أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق عبد الغفار سليمان وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 141.

51 - أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، السعادة بجوار محافظة مصر 1974.

52 - أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية بيروت.

53 - أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، **مسند أبي يعلى**، دار المأمون للتراث دمشق 1984.

54 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، تحقيق: دائرة المعارف النظامية الهند، مؤسسة الأعلامي بيروت، ط2 1406 هـ.

55 - أحمد بن عمرو البزار، **مسند البزار**.

56 - أحمد بن محمد الثعلبي، **الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)**.

57 - أحمد بن محمد بن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**.

58 - إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، **مسند إسحاق بن راهويه**، تحقيق عبد الغفور ابن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1412.

59 - إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع 1999.

60 - إسماعيل الباباني، **هدية العارفين**.

61 - إسماعيل باشا، **إيضاح المكنون**، دار إحياء التراث العربي ببيروت، لبنان.

62 - إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**.

63 - إسماعيل بن محمد العجلوني، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، دار إحياء التراث العربي.

64 - إسماعيل حقي، **روح البيان في تفسير القرآن (تفسير حقي)**.

65 - بدر الدين العيني، **عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري**.

66 - تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط4 1413 هـ.

67 - جلال الدين السيوطي، **اللآلئ المصنوعة**، دار الكتب العلمية.

68 - جلال الدين السيوطي، **جامع الأحاديث**.

69 - جمال الدين أبو محمد الزيلعي، **نصب الراية لأحاديث الهداية**، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر بيروت، ط1 1418 هـ.

70 - حاجي خليفة، **كشف الظنون**.

71 - حسن بن عمار الشرنبلالي، **مراقي الفلاح**.

72 - حمد بن محمد الخطابي، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1402 هـ.

73 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين.

74 - زكرياء بن محمد القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**.

75 - زين الدين عبد الرؤوف المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي الرياض، ط3 1408 هـ.

76 - سعيد بن منصور، **سنن سعيد بن منصور**.

77 - سليمان أبو داود، **سنن أبي داود**، دار الكتاب العربي بيروت.

78 - سليمان بن أحمد الطبراني، **الأحاديث الطوال**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مطبعة الأمة بغداد، ط2 1404 هـ.

79 - سليمان بن أحمد الطبراني، **الدعاء**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1413 هـ.

80 - سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين القاهرة 1415.

81 - سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الصغير**، تحقيق محمد شكور، نشر

المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1405.

82 - سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية 1404.

83 - سليمان بن أحمد الطبراني، **مسند الشاميين**، مؤسسة الرسالة بيروت 1405.

84 - شمس الدين الذهبي، **أحاديث مختارة**.

85 - شمس الدين أبو عبد الله محمد (الحطاب)، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، تحقيق زكريا عميرات، دار عالم الكتاب 1423.

86 - شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة 1405.

87 - شمس الدين محمد السخاوي، **المقاصد الحسنة**، تحقيق: محمد عثمان حبيب، دار الكتاب العربي بيروت 1405.

88 - **شمس الدين محمد بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي 2003.

89 - طارف بن محمد آل بن ناجي، **التذييل على كتب الجرح والتعديل**، مكتبة المثنى الإسلامية، ط2 1425 هـ.

90 - عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية (الأحاديث القدسية)**، تحقيق: محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الرسالة لبنان.

91 - عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، دار الفكر بيروت، 1993.

92 - عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، **نزهة المجالس ومنتخب النفائس.**

93 - عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، **تلبيس إبليس**، دار الكتاب العربي بيروت.

94 - عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري/ د.محمد رواس قلعه جي. دار المعرفة بيروت، ط2 1399هـ.

95 - عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**،

تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 ص1403 هـ.

96 - عبد الرزاق بن همام الصنعاني، **مصنف عبد الرزاق**، المكتب الإسلامي بيروت 1403 هـ..

97 - عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1417 هـ.

98 - عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني، **التدوين في أخبار قزوين**، المحقق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1408هـ - 1987م.

99 - عبد الله بن المبارك، **الزهد**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.

100 - عبد الله بن المبارك، **مسند عبد الله بن المبارك**، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف الرياض، ط1 1407 هـ.

101 - عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل (تفسير النسفي)**.

102 - عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى 1407.

103 - عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي الدنيا، **التواضع والخمول**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1409 هـ.

104 - عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا **الهواتف**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1 1413 هـ.

105 - عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، **الحلم**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1 1413 هـ.

106 - عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، **الصمت**، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي بيروت، ط1 1410 هـ.

107 - عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، **المحتضرين**.

108 - عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، **الورع**، تحقيق: أبو عبد الله محمد بن

حمد الحمود، دار السلفية الكويت، ط1 1408 هـ.

109 - عبد الله بن مسلم الدينوري، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل بيروت، 1393 هـ.

110 - عبد بن حميد الكسي، **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، تحقيق: صبحي البدري السامرائي/ محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة القاهرة، ط1 1408 هـ.

111 - عثمان بن علي بن محجن الزيلعي، **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق القاهرة، ط1 ص1313 هـ.

112 - عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير، **أسد الغابة**.

113 - علاء الدين السمرقندي، **تحفة الفقهاء**، دار الكتب العلمية بيروت، ط2 1414 هـ.

114 - علاء الدين أبو بكر الكساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**.

115 - علاء الدين علي البرهان الفوري، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة 1401.

116 - علاء الدين علي الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية 1415.

117 - علي بن الجعد الجوهري، **مسند ابن الجعد**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط1 1410 هـ..

118 - علي بن عمر الدارقطني، **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة الرياض، ط1 1405 هـ.

119 - علي بن عمر الدارقطني، **سنن الدارقطني**، تحقيق السيد عبد الله هاشم، دار المعرفة بيروت 138.

120 - عمر بن عادل الحنبلي، **تفسير اللباب**.

121 - مالك بن أنس، **الموطأ**.

122 - محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقران**، دار الفكر

للطباعة والنشر بيروت، 1415 هـ.

123 - محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، **بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي**.

124 - محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، دار الكتب العلمية بيروت، ط2 1393هـ.

125 - محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، 1415 هـ.

126 - محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)، **الروح**، دار الكتب العلمية 1395.

127 - محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة.

128 - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية بيروت.

129 - محمد بن أحمد الحنفي، **العناية شرح الهداية**.

130 - محمد بن أحمد السرخسي، **المبسوط**، دار المعرفة بيروت، 1414 هـ.

131 - محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1405.

132 - محمد بن أحمد اللخمي، **مشيخة أبي طاهر ابن أبي الصقر**، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، مكتبة الرشد الرياض، ط1 1997هـ.

133 - محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، **الفهرست**، دار المعرفة بيروت، 1398هـ.

134 - محمد بن إسحاق بن خزيمة، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، 1390 هـ..

135 - محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح (صحيح البخاري)**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة 140.

136 - محمد بن حبان التميمي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط،

مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1414.

137 - محمد بن سلامة القضاعي، **مسند الشهاب**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت 1407.

138 - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، **نشر طي في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم الخيف**، دار المنهاج جد، ط1 1997.

139 - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1411.

140 - محمد بن عبد الله الخرشي، **شرح مختصر خليل**.

141 - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط3 1405 هـ.

142 - محمد بن عبد الواحد الأصبهاني، **مجلس إملاء لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد في رؤية الله تبارك وتعالى**، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، مكتبة الرشد الرياض، ط1 1997.

143 - محمد بن عبد الواحد بن الهمام، **فتح القدير**.

144 - محمد بن عثمان الذهبي، **الكبائر**، دار الندوة الجديدة بيروت.

145 - محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**.

146 - محمد بن عمر الرازي (فخر الدين الرازي)، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**.

147 - محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.

148 - محمد بن فتوح الحميدي، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، تحقيق: د. علي حسين بواب، دار ابن حزم بيروت 1423 هـ.

149 - محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة بيروت.

150 - محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر بيروت.

151 - محمد بن نصر المروزي، **مختصر قيام الليل** .

152 - محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.

153 - محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير**، دار الكتب العلمية بيروت 1415.

154 - محمد ناصر الدين الألباني، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف الرياض.

155 - محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته** .

156 - محمد ناصر الدين الألباني، **نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق**، المكتب الإسلامي بيروت، ط3 1417 هـ..

157 - محمود أبو الفضل الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي.

158 - محمود بن أحمد النجاري برهان الدين مازه، **المحيط البرهاني**، دار إحياء التراث العربي.

159 - محمود بن عمرو الزمخشري، **الكشاف**.

160 - نور الدين الهيثمي، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي سلمة**، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، ط1 1413 هـ.

161 - نور الدين علي الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر بيروت 1412 هـ.

162 - هناد بن السري الكوفي، **الزهد**، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، ط1 1406 هـ..

163 - يوسف بن عبد الله القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد البكري، مؤسسة قرطبة .

فهرس المحتويات

الفهارس الفنية للنص المحقق

RAWḌAT AL-'ULAMĀ' WANUZHAT AL-FUḌALĀ'

BY
AL-HOUSSEIN BEN YAHYA AL-ZANDAWISTY
(D. 382 H.)

EDITED BY
BACHIR BEROMAN

